

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المزمل

مقصودها الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الأخطار والأوجال،
وتخفف الأحمال الثقال، ولا سيما الوقوف بين يدي الملك المتعال،
والتجرد في خدمته في ظلمات الليل، فإنه نعم الإله لقبول الأفعال
والأقوال، ومحو ظلل الضلال، والمعين الأعظم على الصبر والاحتمال،
لما يرد^٢ من الكدورات في دار الزوال، والقلمة والارتحال،
واسمها المزمل أدل^٣ ما فيها على هذا المقال ﴿بسم الله﴾ الكافي من
توكل عليه في جميع الأحوال ﴿الرحمن﴾ الذي عم بنعمة الإيجاد
والبيان^٤ المهدي والفضال^٥ ﴿الرحيم﴾ الذي خص حزبه بالسداد في
الأقوال والأفعال لإيصالهم إلى دار الكمال.

١٠

لما تقدم في^٦ آخر الجنب من^١ تعظيم الوحي وأن من تعظيمه

-
- (١) الثالثة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها عشرون .
(٢) من ظوم، وفي الأصل: يراد (٣) من م، وفي الأصل وظ: ادق .
(٤-٤) من ظوم، وفي الأصل: المهدي والضلال (٥) من ظوم، وفي الأصل:
من (٦) سقط من م .

حفظ المرسل به من جميع الآفات المفترية عن إبلاغه بما له سبحانه من إحاطة العلم والقدرة وندب نبيه الذي ارتقاه لرسالته والاطلاع على ما أَراده^١ من غيبه صلى الله عليه وسلم أول^٢ هذه إلى القيام بأعباء النبوة بالمناجاة بهذا الوحي في وقت الانس والخلة بالآحباب،
 هـ والبسط والجلوة لمن دق الباب، للاعتلاء^٣ والمتاب، المهيب، المحل
 أعباء الرسالة، والمقوى على أثقال المعالجة^٤، لأهل الضلالة، فقال معبرا
 بالأداة الصالحة للقرب والبعد المختصة بأنها لا يقال بعدها إلا الأمور
 التي هي في غاية العظمة، أشار إلى أنه صلى الله عليه وسلم يراد به
 غاية القرب بالأمور البعيدة عن تناول الخلق بكونها خوارق للعادات
 ١٠. ونواضع للألوفات المطردات، وأما التزمّل^٥ فهو وإن كان من
 آلات ذلك إلا أنه من الأمور العادية، فهو دون ما يراد^٦ من التهيئة^٧
 لذلك الاستعداد، وبالتزمّل^٨ لكونه منافيا للقيام في الصلاة:
 ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ أي الذي أخفى شخصه وستر أمره وما أمرناه به -
 بما أشار إليه التزمّل الذي مدلوله التلفف في الثوب على جميع البدن
 ١٥ / ٥٥٦ والاختفاء ولزوم مكان واحد، ولأنه يكون منطرحا / على الأرض
 كما قال صلى الله عليه وسلم في قتلى [احد -^٩]: زملوهم بشياهم

(١) من ظ و م ، وفي الأصل: لم (٢) في م : أراد (٣) من ظ و م ، وفي
 الأصل: او (٤) من ظ و م ، وفي الأصل: المعالجة (٥) من ظ و م ، وفي
 الأصل: المتزمل (٦ - ٧) من ظ و م ، وفي الأصل: للتهيئة (٧) من ظ و م ،
 وفي الأصل: بالمتزمل (٨) زيد من ظ و م .

ودمائهم ، مع الإشارة إلى الإخفاء أيضا بادغام تاء الفعل ، وربما أشار
 الإدغام إلى أن الستر بالثوب لم يعم جميع البدن ، كما يأتي في المدثر على
 أن فيه مع ذلك إشارة إلى البشارة بالقوة على حمل أعباء ما يراد به ،
 من قولهم : زمل الشيء - إذا رفعه وحمله ، والازدمال : احتمال الشيء ،
 وزملت الرجل على البعير وغيره - إذا حملته عليه ، ومن زملت الدابة ه
 في عذرها - إذا نشطت ، والزامل من حمر الوحش الذي كأنه يظلم
 من نشاطه ، ورجل إزميل : شديد ، والزاملة : بعير يستظهر به الرجل
 لحمل طعامه ومتاعه عليه ، ويقال للرجل العالم^١ بالامر : هو ابن زوملتها ،
 وقال ابن عطاء : يا أيها المخفى ما تظهره عليه من آثار الخصوصية هذا
 أو أن كشفه ، وقال [عكرمة -^٢] : يا أيها الذي حمل هذا الامر ، ١٠
 وقال السدي^٣ : أراد يا أيها النائم ، وقال غيره : * كان هذا * في
 ابتداء الوحي بالنبوة ، والمدثر في ابتداء الوحي بالرسالة ، ثم خطب
 [بعد -^٤] ذلك بالنبي^٥ والرسول : ﴿ قم ﴾ أي في خدمتنا^٦ بحمل
 أعباء^٧ نبوتنا والازدمال بالاجتهاد في الاحتمال ، وترك التزمل فانه
 مناف للقيام^٨ .

١٥

ولما كان الاجتهاد في الخدمة دالا على غاية المحبة ، وكانت النية

(١) من اقاموس ، وفي الأصول : امامل (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع
 البحر المحيط ٨ / ٣٦ (٤) راجع العالم ٧ / ١٣٧ (٥) من ظ و م ، وفي
 الأصل : هذا كان (٦) من م ، وفي الأصل وظ : بالنبوة (٧) من ظ
 وم ، وفي الأصل : باعباء (٨) من م ، وفي الأصل وظ : في القيام .

خيرا^١ من العمل، وكان الإنسان مجبولا على الضعف، وكان سبحانه لطيفا بهذه الأمة تشريفا لإمامها صلى الله عليه وسلم، رضى منا سبحانه بصدق توجه إلى العمل وجعل أجورنا أكثر من أعمالنا، لجعل إحياء البعض إحياء للجميع، فأطلق اسم الكل وأراد البعض فقال: (اليل) أى الذى هو وقت الخلوة والخفية والستر، فصل لنا^٢ فى كل ليلة من هذا الجنس^٣ وقف بين يدينا^٤ بالمناجاة والانس بما أنزلنا عليك من كلامنا^٥ فانا نريد إظهارك وإعلاء قدرك فى البر والبحر والسر والجهر، وقيام الليل فى الشرع معناه الصلاة، فلذا لم يقيد، وهى جامعة لأنواع الأعمال الظاهرة والباطنة، وهى عمادها، فذكرها دال على ما عداها.

١٠ ولما كان للبدن حظ فى الراحة قال مستنثيا من الليل: (الاقليلا^٦) أى من كل ليلة، ونودى هذا [النداء لأنه - ^٧] صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحى بغار حراء رجع إلى خديجة زوجته رضى الله تعالى عنها رجف فؤاده فقال: زملونى زملونى! [لقد خشيت على نفسى، فسأله رضى الله عنها عن حاله، فلما قص عليها أمره - ^٨] قال: خشيت على نفسى يعنى أن يكون هذا مبادئ شعر أو كهانة، وكل ذلك من الشياطين وأن يكون الذى ظهر له بالوحى ليس بملك، وكان صلى الله

(١) من ظ و م، وفى الأصل: خير (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: من هذا الجنس فى كل ليلة (٣) من ظ و م، وفى الأصل: ابدينا (٤) من ظ و م، وفى الأصل: كرمنا (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ، وفى الأصل و م: و قل.

٥٥٧ /

عليه وسلم يبغض الشعر والكهانة غاية البغضة، فقالت^١ له وكانت
وزيرة صدق^٢: كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم
وتقرى الصيف وتحمل الكل وتعين / على نوائب الحق - ونحو هذا
من المقال الذي ثبت، وفائدة التزمّل أن الشجاع الكامل إذا دهمه
أمر هو فوق قواه ففرق أمره فرجع إلى نفسه، وقصر بصره وبصيرته
على حسه، اجتمعت قواه إليه فقويت جبلته الصالحة على تلك الموارض
التخيلية فهزتها ففرجها إلى أمر الجيلة العلية، وزال ما عرض من
العلة البدنية.

وقال الإمام أبو جعفر^٣ ابن الزبير: لما كان ذكر إسلام الجن
قد أحرز غاية انتهى مرماها^٤ وتم مقصدها ومبناها، وهي الإعلام^٥
باستجابة هؤلاء وحرمان من كان أولى بالاستجابة، وأقرب في ظاهر
الأمر إلى الإنابة، بعد تقدم وعيدهم وشديد تهديدهم، صرف الكلام
إلى أمره صلى الله عليه وسلم بما يلزمه من وظائف عبادته وما يلزمه^٦
في أذكاره من ليله ونهاره، مفتحا^٧ ذلك بأجل مكالة والطف
مخاطبة^٨ "يا أيها المزمل"^٩ وكان ذلك^{١٠} تسليية له صلى الله عليه وسلم كما

(١) من ظ وم، وفي الأصل: فقال (٢) من ظ وم، وفي الأصل: صديقة.
(٣) العبارة من هنا إلى «هي الأعلام» ساقطة من ظ (٤) من م، وفي
الأصل: مرماها (٥) من ظ وم، وفي الأصل: يلزم (٦) من ظ وم، وفي
الأصل: مفتحا (٧) من ظ وم، وفي الأصل: مخاطبته (٨-٨) سقط ما بين
الرقمين من ظ وم.

ورد «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، إلى آخره، وليحصل منه الاكثرات
بعناد من قدم عناده وكثرت لججه، وأتبع ذلك بما يشهد لهذا الغرض
ويعضده وهو قوله تعالى - فاصبر صبرا جميلا - : «واصبر على ما يقولون
واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين اولى النعمة ومهلهم قليلا»
هـ وهذا عين الوارد في قوله تعالى «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات»
وفي قوله «نحن أعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار» ثم قال «إن لدينا
انكالا» فذكر ما أعد لهم، وإذا تأملت هذه الآي وجدتها قاطعة بما
قدمناه، وبأن لك التحام ما ذكره، ثم رجع الكلام إلى التلطف به
عليه الصلاة والسلام وبأصحابه - رضى الله عنهم أجمعين - وأجزل
١٠ جزاءهم مع وقوع 'التقصير عن يصح منه تعظيم المعبود الحق جل جلاله
«علم أن لن تحصوه كتاب عليكم» فافروا ما تيسر من القرآن» ثم ختم
السورة بالاستغفار من كل ما تقدم من عناد الجاحدين المقدم ذكرهم
فيما قبل من السور^٢ إلى ما لا يبنى العباد المستجيون به مما إشار إليه
قوله تعالى «علم أن لن تحصوه» - انتهى .

١٥ ولما كان الليل اسما لما بين غروب الشمس وطلوع الفجر، وكان
قيامه في غاية المشقة، حمل سبحانه من ثقل ذلك، فقال مبينا لمراده
بما حط عليه الكلام بعد الاستثناء، ومبدلا من جملة المستثنى والمستثنى

(١) من ظ و م، وفي الأصل: وجوب (٢) زيد في الأصول: إلى قوله .
(٣) من ظ و م، وفي الأصل: السورة (٤) من ظ و م، وفي الأصل: المراد

منه ' : ﴿ نصفه ﴾ أى الليل ، فلم ان المراد بالقليل المستثنى النصف ،
وسماه قليلا بالنسبة إلى جميع الليل ، وبالنسبة إلى النصف الذى وقع
إحياؤه ، لأن ما يبلى بالعمل أكثر مما لا عمل فيه ، ويجوز أن يكون
'نصفه' بدلا من الليل ، / فيكون كأنه قيل : قم نصف الليل إلا قليلا
وهو السدس او انقص منه إلى الربع ، وجاءت العبارة هكذا لتفيد
أن من قام ثلث^١ الليل بل ربه فافوقه كان محيا لليل كله .

ولما كانت المهمم مختلفة بالنسبة الى الأشخاص وبالنسبة الى الاوقات
قال : ﴿ او انقص منه ﴾ أى هذا النصف الذى أمرت بقيامه ، أو من
النصف المستثنى منه القليل على الوجه الثانى وهو الثلث ﴿ قليلا ﴾^٢
فلا تقمه حتى لو أحييت ثلث الليل [على الوجه - ٤] الأول اوربه ١٠
على الوجه الثانى كنت محيا له [كله - ٤] فى فضل الله بالتضعيف
﴿ او زد عليه ﴾^٣ أى على^٤ النصف قليلا كالسدس مثلا ، فيكون
الذى تقومه الثلثين مثلا ، وعلى كل تقدير من هذه التقادير يصادف
القيام - وهو لا يكون إلا بعد النوم : الوقت الذى يباركه الله بالنجلى
[فيه - ٤] فانه صح أنه ينزل - سبحانه [عن - ٤] أن يشبه ذاته شيئا^٥ ١٥

(١) زيد فى الأصل : فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) فى ظ :
سدس (٣) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد
من ظ و م (هـ) من ظ و م ، وفى الأصل : على (٦ - ٦) من ظ و م ، وفى
الأصل : او زد عليه وهو (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لشيء .

أو نزوله نزول^١ غيره [بل - ٢] هو كناية عن فتح باب السماء الذي هو كناية عن وقت استجابة الدعاء - حين^٢ يبقى ثلث الليل - وفي رواية: حين^٣ يبقى شطر الليل الآخر - إلى سماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، هل من كذا هل من كذا حتى يطلع الفجر. و كان هذا القيام في أول الإسلام فرضا عليهم على التخيير بين^٤ هذه المقادير الثلاثة فكانوا يشقون على أنفسهم، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب، و كذا بعض أصحابه رضي الله تعالى عنهم و اشتد ذلك عليهم حتى اتفخت أقدامهم، و كان هذا قبل فريضة الخمس، فنزل آخرها ١٥ بالتخفيف بعد سنة^٥ علم ان لن تحصوه الآيات، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة.

ولما أمر بالقيام و قدر وقته و عينه، أمر بهيئة التلاوة على وجه عام للنهار معلم بأن القيام بالصلاة التي روحها القرآن فقال: (ورتل القرآن) أى اقرأه على تودة [و - ٥] بين حروفه بحيث يتمكن السامع من عدها [و - ٥] حتى يكون المتلوشديها بالثغر المرتل و هو المفلج المشبه بنور الألقوان^٦، فان ذلك موجب لتدبره فتكشف له مهماته و ينجلي عليه^٧ أسرار و خفياته، قال ابن مسعود رضي الله عنه^٨:

(١) من ظ و م، وفي الأصل: كنزول (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل: حتى (٤) من ظ و م، وفي الأصل: في (٥) زيد من م - (٦) من ظ و م، وفي الأصل: الاقنى (٧) من ظ و م، وفي الأصل: عنه - (٨) راجع المعالم ١٣٨/٥

و لا تنثروه نثر الدقل و لا تهذوه هذ الشعر ، و لكن قفوا عند عجائبه
و حرکوا به ^١ القلوب و لا يكن هم أحدكم آخر السورة . روى الترمذی
عن عائشة رضی الله عنها أن النبی صلی الله علیه و سلم قام حتى أصبح
بآية ، و الآية ^٢ ” ان تعذبهم فانهم عبادك و ان تغفر لهم فانك انت
العزیز الحکیم “ و لما أعلم سبحانه بالترتیل اعلم بشرفه بالتأکید بالمصدر ه
فقال : (ترتيلاه) .

و لما كان المراد منه صلی الله علیه و سلم الثبات للنبوة و من امته
الثبات ^٣ في الاقتداء ^٣ به في العمل / و الأمر و النهی ، و كان ذلك في
١٥٩ / غاية الصعوبة ، و كان الإنسان عاجزا إلا باعانة مولاه ، و كان العون
النافع إنما يكون لمن صفت نفسه عن الاكدار و أشرقت بالانوار ، ١٠
و كان ذلك إنما يكون بالاجتهاد في خدمته سبحانه ، علل هذا الأمر
بقوله مينا للقرآن الذي أمر بقراءته ما هو و ما وصفه ، معلما أن
التهجد يعد للنفس من القوى ما به يعالج المشقات ، مؤكدا لأن الإتيان
بما هو خارج عن جميع أشكال الكلام لا يكاد يصدق : (انا) أى
بما لنا من العظمة (سنلقى) أى قريبا بوعده لا خلف فيه قهيا ١٥
لذلك بما يحق له .

و لما كان المقام لبيان الصعوبة ، عبر بأداة الاستعلاء فقال :

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : له (٢) ١١٨ / المائة (٣-٣) من ظ و م ، وفي
الأصل : بالافتدى (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : فيها .

(عليك) و أشار إلى السر مع ذلك إشارة إلى " و لقد يسرنا القرآن
 للذكر فهل من مدكر " بالتعبير بما تدور مادته على السر و الحفة فقال:
 (قولا) يعنى القرآن (ثقيلا) أى لما فيه من التكاليف الشاقة
 من [جهة - ١] حملها و تحميلها للدعوى^١ لأنها تضاد الطبع و تخالف
 النفس، و من جهة رزانة لفظه لامتلائه بالمعاني مع جلالة^٢ معناه
 و تصاعده فى خفاء فلا يفهمه المتأمل و يستخرج ما فيه من الجواهر
 إلا بمزيد فكر و تصفية سر و تجريد نظر، فهو ثقیل على الموافق من
 جميع هذه الوجوه و غيرها، و على المخالف من جهة أنه لا يقدر على
 رده و لا يتمكن من طعن فيه بوجه مع أنه ثقیل فى الميزان و عند
 ١٠ تلقيه و له وزن و خطر و قدر عظيم، روى فى الصحيح^٣ أن النبى
 صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه الوحي يفصم عنه و إن جينه
 ليتفصد^٤ عرقا فى اليوم الشاق الشديد البرد، و كان - صلى الله عليه وسلم -
 إذا أزل عليه الوحي و هو راكب على^٥ ناقته^٦ وضعت جرائنها فلا تكاد
 تتحرك حتى يسرى عنه . قال القشيري : و روى عن ابن عباس رضى الله
 ١٥ عنها أن سورة الأنعام^٧ نزلت عليه جملة واحدة^٨ و هو راكب فبركت

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م، ووردت الكلمة ناقصة فى الأصل مع بياض
 يسير (٣) من ظ و م، و فى الأصل : جلالتة (٤) راجع بدء الوحي (٥) من ظ
 و م و الصحيح، و فى الأصل : ليقطر (٦) م : ناقة (٧) زيد فى الأصل :
 لما نزلت سورة الأنعام صلى الله عليه وسلم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها
 (٨) سقط من ظ و م :

ناقته من ثقل القرآن^١ وهيبته، وهو مع ثقله على الأركان خفيف على
اللسان سهل التلاوة والحفظ على الإنسان .

ولما أفهم هذا أن التهجد في غاية العظمة، أكد ذلك حائلاً على
عدم الرضى بدون الأفضل الأجل الأكل بقوله، مؤكداً لينف أمر
القيام على النفس : ﴿ ان ناشئة الليل ﴾ أى ساعاته التى كل واحدة هـ
منها ناشئة والعبادة تنشأ فيه بغاية الخفة، من^٢ نشأ أى نهض من
مضجعة بغاية النشاط لقوة المهمة ومضاء العزيمة التى جعلتها^٣ كأنها
نشأت بنفسها، وقال ابن عباس رضى الله عنهما^٤ : ما كان بعد العشاء
فهو ناشئة، وما كان قبله فليس بناشئة، وقالت عائشة رضى الله عنها^٥ :
الناشئة القيام بعد النوم، وقال الأزهري : الناشئة القيام، مصدر جاء ١٠
على فاعلة كالعافية بمعنى العفوة .

ولما كان ذلك / في غاية الصعوبة أشدة منافرة للطبع، زاد في
التأكيد ترغيباً فيه فقال : ﴿ هى ﴾ أى خاصة لما لها من المزايا ﴿ اشد ﴾
أى أثقل وأقوى وأمتن وأرصن^١ ﴿ وطأ ﴾ أى كلفة ومشقة لما
فيها من ترك الراحة وفراق الآلف والمحبوب، وأشد ثبات قدم - على ١٥
أنه مصدر وطئ في قراءة الجماعة - بفتح ثم سكون، ومواطاة بين القلب

(١) زيد في الأصل : هو مع (٢) في ظ : عمن، وفي م : عن (٣) من ظ وم ،
وفي الأصل : جعلها (٤) راجع البحر المحيط ٣٥٩ / ٨ (٥) راجع معالم التنزيل
١٣٩ / ٧ (٦) من ظ وم ، وفي الأصل : ارضى .

واللسان في الحضور وفي التزام الدين بالإذعان والخضوع على أنه
مصدر واطاً^١ مثل قاتل على قراءة أبي عمرو وابن عامر بالكسر والمد
[و - ٢] هي أبلغ لأن صيغة المفاعلة^٢ تكون بين اثنين يقابلان
فيكون الفعل أقوى .

٥ ولما كان التهجد يجمع القول والفعل، وبين ما في الفعل لأنه
أشق، فكان بتقديم^٣ الترغيب بالمداخلة أحق، أتبعه القول فقال :
(واقوم قِيلاً^٤) أي وأعظم سداداً من جهة القيل في فهمه ووقعه
في القلوب بحضور القلب ورياسة^٥ الليل بهدوء الأصوات وتجلي الرب
سبحانه وتعالى بحصول البركات، وأخلص من الرياء والقصود^٦ الدنيات .
١٠ ولما بين سبحانه من أول السورة إلى هنا ما به صلاح الدين الذي
عصمة الأمر [بـ - ٢] صلاح الدارين، وأظهر ما للتهجد من
الفضائل، فكان التقدير حتماً : فواظب عليه لتناول هذه الثمرات، قال
[معللاً - ٢] محققاً له مينا ما به صلاح الدنيا التي هي فيها المعاش ،
وصلاحها وسيلة إلى صلاح^٧ المقصود، وهو الدين وهو الذي ينبغي
١٥ له لئلا يكون كلا على الناس ليحصل من الرزق ما يعينه على دينه

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : وطأ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
وم الأصل : الفاعلية (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : تقديم (٥) من ظ و م ،
وفي الأصل : رياضته (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : القصود (٧) من ظ و م ،
وفي الأصل : صلاحها .

و يوسع به على عيال^١ الله من غير ملل و^٢ لا ضجر ولا كسل^٣
ولا مبالغة، مؤكدا لما للنفس من الكسل عنه: ﴿ ان لك ﴾ أى أيها
المتجهد^٤ أو يا أكرم العباد إن كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
ليكون آكد فى إلزام^٥ الأمة به ﴿ فى النهار ﴾ الذى هو محل السعى
فى مصالح الدنيا .

و لما كان الإنسان يهتم فى سعيه لنفسه حتى يكون كأنه لشدة
عزمه وسرعة حركته كالسائح فيما لا عائق له^٦ فيه قال: ﴿ سبحا طويلا^٧ ﴾
أى تقريبا بمتد الزمان، قال البغوى^٨: و أصل السبح سرعة الذهاب،
وقال الرازى: سهولة الحركة^٩ .

و لما كان التقدير: فاجتهد فى التهجيد، عطف عليه قوله حائلا على^{١٠}
^{١١} حضور الفكر^{١٢}: ﴿ واذكر اسم ربك ﴾ أى المحسن إليك و الموجد والمدير
لك بكل ما يكون ذكرا من اسم وصفة و ثناء و خضوع و تسبيح و تحميد
و صلاة و قراءة و دعاء و إقبال على علم شرعى و أدب مرعى و دم
على ذلك، فاذا عظمت الاسم بالذكر فقد عظمت المسمى بالتوحيد

(١) من ظ و م، وفى الأصل: عياله (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل:
لا كسل ولا ضجر (٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٤) من ظ و م،
وفى الأصل: أكرام (٥) سقط من ظ و م (٦) راجع للعالم ٧ / ١٤٠ (٧) من
ظ و م، وفى الأصل: الحركات (٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل:
حصول التفكير .

و الإخلاص، وذلك عون^١ لك على مصالح الدارين، أما الآخرة فواضح، وأما الدنيا فقد أرشد النبي / صلى الله عليه وسلم أعز الخلق عليه^٢ فاطمة ابنته^٣ رضى الله عنها لما سأله خادما يقيها التعب إلى التسريح والتحميد والتكبير عند النوم.

٥ ولما كان الذكر قد يكون مع التعلق بالغير، أعلم أن الذاكر^٤ في الحقيقة^٥ إنما هو المستغرق فيه سبحانه وبه يكون تمام العون فقال: ﴿وتبطل﴾ أى اجتهد فى قطع نفسك عن كل شافل، والإخلاص فى جميع أعمالها بالتدرج قليلا قليلا، منهايا: ﴿إليه﴾ ولا تزل على ذلك حتى يصير لك ذلك خلقا فتكون نفسك كأنها منقطعة بغير قاطع ١٠ ومقطعة تقطعا كثيرا بكل قاطع، فيكون التقدير - بما أرشد إليه المصدر "تبثلا" وبتلها ﴿تبثلا﴾ فاعلم بالتأكيد بالمصدر المرشد إلى الجمع بين التفعّل والتفعل بشدة^٦ الاهتمام وصعوبة المقام، وهو من البتل وهو القطع، صدقة^٧ بتلة^٨ أى مقطوعة عن صاحبها، ولذلك قال زيد ابن أسلم^٩: التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله تعالى، ١٥ والبتول مريم عليها السلام لانقطاعها إلى الله تعالى، عن جميع خلقه، وكذا فاطمة الزهراء البتول أيضا^{١٠} لانقطاعها عن قرين ومثل ونظير^{١١}، فالمراد

(١) من ظ و م، وفى الأصل: عونا (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: ابنته فاطمة (٣-٣) فى م: بالحقيقة (٤) من ظ و م، وفى الأصل: لشدة (٥-٥) من ظ و م، وفى الأصل: بتبثيه (٦) فى العالم ٧ / ١٤٠: ابن زيد (٧) زيدت الواو فى م (٨-٨) من م، وفى الأصل: نظير و قرين، وفى ظ: قرين ونظير.

بهذا^١ هو المراد بكلمة التوحيد المقتضية للاقبال عليه والإعراض عن كل ما سواه، وذلك بملازمة الذكر وخلع الهوى، والآية من الاحتباك^٢ هو ظاهر^٣ : ذكر فعل التبتل دليلا على حذف مصدره، وذكر مصدر بتل دليلا على حذف فعله^٤.

ولما كان الواجب على كل أحد شكر المنعم، بين أنه سبحانه الذى ه أنعم بسكن الليل الذى أمر بالتهجد فيه [و - '] منتشر النهار الذى أمر بالسبح فيه، فقال واصفا الرب المأمور بذكره فى قراءة ابن عامر ويعقوب والكوفيين غير حفص معظما له بالقطع فى قراءة الباقيين بالرفع : (رب المشرق) أى موجد محل الأنوار التى بها ينمحي هذا

الليل الذى أنت قائم فيه ويضىء بها الصباح "وعند الصباح يحمد القوم السرى" بما أنالهم^٥ من الأنوار فى مرأتى قلوبهم وما زينها به من شهب المعانى كما أوجد لهم فى " آفاق أفلاكهم " من شمس المعانى المثمرة لبدور الأنس فى مواطن القدس، فلا يطلع كوكب فى الموضع الذى هو ربه إلا بأذنه، وهو رب كل مكان، وما أحسن ما قال الإمام الربانى تقي الدين ابن دقيق العيد :

١٥

كم ليلة فيك وصلنا السرى لا نعرف الغمض ولا نستريح

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : هذه (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ظاهره .
(٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فعل (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : بالتسبيح (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : نالها (٧-٧) من ظ و م وفى الأصل : الآفاق املاكهم .

واختلف الأصحاب ماذا الذى يزج من شكواهم او يريح
ف قيل تعريستهم ساعة^١ و قلت بل ذكراك وهو الصحيح
ولما ذكر مطالع الانوار، لأنها المقصود لما لها من جلى الإظهار،
و وحده لانه أوفق لمقصود السورة الذى هو^٢ / محطة لانجماح المدلول عليه
٥ بالتزمل، أتبعه مقابله فقال: (و المغرب) أى الذى يكون عنه الليل
و [الذى - ٢] هو محل السكن^٣ و موضع الخلوات و لذيد^٤ المناجاة،
فلا تغرب شمس ولا قر ولا نجم إلا بتقديره سبحانه، و إذا كان
رب ما فيه هذه الصنائع التى هى أبعد ما يكون كان رب
ما دون ذلك .

/ ٥٦٢

١٠ و لما علم بهذا أنه المختص بتدبير الكائنات، المفرد بإيجاد الموجودات،
كان أهلا لأن يفرد بالعبادة و جميع التوجه^٥ فقال مستأنفا: (لا اله)
أى معبود بحق (الا هو) أى ربك الذى دلت تربته لك على جامع
العظمة و أنهى صفات الكمال و التنزه عن كل شائبة نقص . و لما علم
تفرد سبجانه كان الذى ينبغى لعباده أن لا يوجه [أحد - ٢] منهم
١٥ شيئا من رغبته لغيره فلذلك سبب عنه قوله: (فاتخذ) أى خذ بجميع
جهدك و ذلك بإفراك إياه بكونه تعالى (و كيلاه) أى على كل من
خالفك بأن تفوض جميع أمورك إليه فانه يكفيكها كلها و يكثرها

(١) من ظ و م و فوات الوفيات ١ / ٤٨٨، وفي الأصل: ساعته (٢) سقط
من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفي الأصل: السكون .
(٥) من ظ و م، وفي الأصل: محل (٦) من ظ و م، وفي الأصل: التوحيد .

غاية السكلاية فانه المتفرد بالقدرة عليها ، ولا شيء أصلا في يد غيره ، فلا تهتم بشيء أصلا ، وليس ذلك بأن يترك الإنسان كل عمل ، فان ذلك طمع فارغ بل بالإجمال في طلب كل ما ندب الإنسان إلى طلبه ، ليكون متوكلا في السبب لا من دون^١ سبب ، فانه يكون حيثئذ كمن يطلب^٢ الولد من غير زوجة ، وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الأسباب ، ه
ولولم يكن [في - ٢] أفراد بالوكالة إلا أنه يفارق^٣ الوكلاء بالعظمة والشرف والرفق من جميع الوجوه فان وكيلك من الناس [دونك وأنت توقع أن يكلمك كثيرا في مصالحك وربك أعظم العظماء وهو يأمرك أن تكلمه كثيرا في مصالحك وتسأله طويلا ، وكيلك من الناس - ٢]
إذا حصل مالك سألَكَ الأجرة وهو سبحانه يوفر مالك ويعطيك الأجر ، ١٠
وكيلك من* الناس ينفق عليك من مالك وهو سبحانه يرزقك وينفق عليك من ماله ، ومن تمسك بهذه الآية عاش حرا كريما .
ومات خالسا شريفا ، ولقي الله تعالى عبدا صافيا مختارا تقيا ، ومن شرط الموحد أن يتوجه إلى^٤ الواحد ويقبل على الواحد ويبذل له نفسه عبودية ويأتمنه على نفسه ويفوض إليه أموره ويترك التدبير ١٥
ويتق به ويركن إليه ويتذل لرؤيته ، ويتواضع لعظمته ويتزين ببهائه ويتخذة عدة لكل نائبة دنيا وآخره .

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : بدون (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : طلب .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : يعاق - كذا (هـ) من ظ و م ، وفي الأصل : في (٦) زيد في ظ : الله .

ولما كانت الوكالة لا تكون إلا فيما يعجز، وكان الأمر بها مشيراً [إلى - ١] أنه لا بد أن يكون [عن - ١] هذا القول الثقيل خطوب طوال وزلازل وأهوال، قال: ﴿واصبر﴾ وأشار إلى عظمة الصبر بتعديته بحرف الاستعلاء فقال: ﴿على ما﴾ وخفف الأمر بالإشارة إلى أنهم لا يصلون^٢ إلى غير الأذى بالقول، [وعظمه - ١] باستمرارهم عليه فقال: ﴿يقولون﴾ أى المخالفون المفهومون من الوكالة من مدافعتهم الحق بالباطل فى حق الله وحقك. ولما كانت مجانبة البغض إلا عند / الاضطراب بما يخفف من أذاه قال: ﴿واجرم﴾ أى أعرض عنهم جهاراً دافعا للهرج مهما أمكن ﴿هجرا جميلا﴾ بأن تعاشرهم بظاهرك وتباينهم بسرك وخطرك، فلا تحالطهم إلا فيما أمرك الله به على ما حده لك من دعائهم إليه سبحانه ومن موافاتهم فى أفراحهم وأحزانهم فتؤدى حقوقهم ولا تطالبهم بحقوقك لا تصريحاً ولا تلويحاً.

ولما كان فى أمره هذا بما يفعل ما يشق جداً بما فيه من احتمال ١٥ علوم، اعلم بقرب فرجه^٢ بتهديدهم بأخذهم سريعاً فقال: ﴿وذرى﴾ أى أتركى على أى حالة اتفقت منى فى معاملتهم، وأظهر فى موضع الإضمار تعليقاً للحكم بالوصف وتعميماً فقال: ﴿والمكذبين﴾ أى العريقين فى التكذيب فأنى قادر على رحمتهم وتعذيبهم.

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: لا يصلوك (٣) من ظ و م، وفى الأصل: فوجه.

ولما ذكر وصفهم الذى استحقوا به العذاب ، ذكر الحامل عليه
تزهيدا فيه و صرفا عن معاشرة أهله لئلا تكون المعاشرة فتنه فتكون
حاملة على الاتصاف به وجارة إلى حب الدنيا فقال : ﴿ اولى النعمة ﴾
أى أصحاب التمتع بغضارة العيش و البهجة التى أفادتهموها^١ النعمة -
بالكسر و هى الإنعام و ما ينعم به من الاموال و الأولاد ، و الجاه الذى ه
أفادته النعمة - بالضم و هى المسرة التى تقتضى الشكر و هم أكار قريش
و أغنياؤهم .

ولما كان العليم القدير إذا قال مثل هذا لولى من أوليائه عاجل
عدوه ، قال محققا للراد بما أمر به من الصبر من هذا فى النعم الدنيوية
بأن زمنها قصير : ﴿ و مهلهم ﴾ أى اتركهم برفق و تأن و تدريج ١٠
و لا تهتم^٢ بشأنهم .

ولما سره بوعيدهم الشديد بهذه العبارة^٣ التى مضمونها أن اخذهم يده
صلى الله عليه وسلم و هو سبحانه يسأل فى تأخيرهم^٤ لهم ، زاد فى البشارة
بقوله : ﴿ قليلا ه ﴾ أى من الزمان و الإمهال إلى موتهم أو الإيقاع بهم قبله ،
و كان بين نزول هذه الآية و بين وقعة بدر بسير^٥ - قاله المحب الطبرى ، ١٥
وفيه بشارة له صلى الله عليه وسلم بالبقاء بعد أخذهم كما كان ، و انه ليس
محتاجا فى أمرهم إلى غير وكلهم سبحانه و تعالى بالقائهم عن باله صلى الله

(١) من م ، وفى الأصل : أفادتموها ، وفى ظ : أفادتهموها (٢) من ظ و م ، وفى
الأصل : تقيم (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : العبارات (٤) من ظ و م ، وفى
الأصل : تأخيرهم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : سير - مع يسير من اليأس .

عليه وسلم وتفرغ ظاهره وباطنه لما هو مأمور به من الله سبحانه
وتعالى من الإقبال على الله سبحانه، ففي الآية أن من اشتغل بغيره
وكله الله إلى نفسه، فكان ذلك كالمانع من أخذ الله [له -^٤]. فإذا توكل
عليه فقد أزال [ذلك المانع -^٤].

و لما كان هذا مناديا بعذابهم، وكان وصفهم بالنعمة مفهما لأنهم
معتادون بالآكل الطيبة، وكان منع اللذيق من المآكل لمن اعتاده لا يبلغ
في نكايه النفس بحد نكايه البدن إلا بعد تقدم إهانة، استأنف قوله
بيانا لنوع ما افهمه التهديد من مطلق العذاب، وأكد لاجل تكذيبهم:

/ (ان) وأشار إلى شدة غرابته وجلالته وعظمته وخصوصيته / ٥٦٤
١٠ وتحقق حضوره بقوله: (لدينا) دون "عندنا". ولما كان أشد ما على

الإنسان منعه مما يريد من الانبساط به بالحركات، قال ذاكرا ما يضاد
ما هم فيه من النعمة والعز: (انكالا) جمع نكل بالكسر وهو
القيد الثقيل الذي لا يفك أبدا إهانة لهم لاختوفا من فرارهم، جزاء على
تقيدهم [أنفسهم^٤] بالشهوات عن اتباع الداعي وإيساعهم في المشي
١٥ في مضاء الأهوية. ولما كان [ذلك -^٤] محرقا للباطن أنبعه حريق الظاهر
فقال: (وجحيلا) أى نارا حامية جدا شديدة الاتقاد بما كانوا

(١) من ظ وم، وفي الأصل: الى ما (٢) من ظ وم، وفي الأصل: بعذره.

(٣) في م: في (٤) زيد من ظ وم (٥) من ظ وم، وفي الأصل: مانع.

(٦) في ظ: حد (٧) زيد في الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة في ظ وم

لخذلتها.

يتقيدون [به - ١] من تبريد الشراب^٢ ، و التمتع برقيق اللباس والثياب ،
و تكلف أنواع الراحة .

ولما أتم ما يقابل تكذيبهم ، أتبعه ما يقابل النعمة فقال :
(و طعاما ذا غصة) أى صاحب انتشاب فى الحلق كالضريع والزقوم
يشبك فيه فلا يسوغ^٣ : لا ينزل ولا يخرج بما^٤ كانوا يعانونه من تصفية ه
الما كل والمشارب^٥ ، وإفراغ الجهد^٦ فى الظفر بجميع^٧ المآرب . ولما
خصص عم فقال : (و عذابا بالباقي) أى [مؤلما - ٨] شديد الإيلام
لا يدع لهم عذوبة بشئ من الأشياء أصلا بما كانوا يصفون به أوقاتهم
و يكدرون على من يدعومهم إلى ما ينفعهم بالخلاص من قيود المشاهدات
و العروج^٩ من حضيض الشهوات إلى أوج الباقيات الصالحات . ١٠
ولما ذكر هذا العذاب ذكر ظرفه فقال : (يوم ترجف) أى
تضطرب و تتزلزل زلزلا شديدا (الأرض) أى كلها (و الجبال)
التي هي أشدها . ولما كان التقدير : فكانت الأرض قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا و لا أمنا ، عطف عليه قوله : (وكانت الجبال)
أى التي هي مراسى الأرض و أوتادها ، و عبر عن شدة الاختلاط ١٥
و التلاشي بالتوحيد فقال : (كشيئا) أى رملا مجتمعا ، فعمل بمعنى

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الشرب (٣) زبدت الواو فى
الأصل ولم تكن فى ظ و م لخدفتها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : كما .
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : المشرب (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
الظفر فى جميع (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : العروض .

مفعول، من كُتِبَ - إذا جمعه، و مادة كُتِبَ [بتركيبها كُتِبَ - ']
و كُتِبَ تدور على الجمع مع القرب، و تلزمه القلة، فان حقيقة القرب
قلة المسافة زمانا أو مكانا، و النعومة، من كُتِبَ القرب: درسته،
و كُتِبَ عليه - بمعنى حمل أو كرم. مغناه قارب إن يخاطبه^٢، و كُتِبَ الرمل:
قطعة تقاد محدودة^٣ - ناظر إلى القلة من معنى قطعة، و كل ما انصب^٤ كذلك
أيضا لان الانصباب^٥ عادة يكون^٦ لما قل، و أما^٧ نعم كتاب^٨ بتقديم
الثاء و بتأخيرها أيضا أى كثير لجاءته الكثرة من الصيغة، و الكاتبة
من الفرس هو^٩ أضيق موضع^{١٠} فى عرضها، و الكُتِبَ من الأرض:
المطمئة بين^{١١} الجبال - لأنها تكون صغيرة غالبا، و "الكبات كسحاب"
النضيج^{١٢} من ثمر الأراك، و قيل: "ما لم ينضج"^{١٣}، و قيل: حمله إذا كان
متفرقا، فان أريد النضيج منه قسميته به لانه مجتمع، و إن أريد
/ ما لم ينضج فهو من مقارنة النضج، و إن أريد المتفرق^{١٤} فلنقرب بعضه

/ ٥٦٥

- (١) زيد من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ « و » (٣) من ظ و م،
و فى الأصل: يخلطه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: محدودة (٥) فى ظ: انتصب.
(٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: يكون عادة (٧) من ظ و م، و فى الأصل:
لا (٨) فى ظ: كقائىب (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: موضع صديق .
(١٠) من ظ و م، و فى الأصل: من (١١-١١) من ظ و م، و فى الأصل:
الكتاب كالكسحاب (١٢) زيد فى الأصل: منه قسميته به لانه مجتمع، و لم
تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (١٣-١٣) تكرر ما بين الرقيين فى الأصل قط .
(١٤) من ظ و م، و فى الأصل: المتفرقة .

من بعض لأن الإراك نفسه صغير الشجر، وكبت اللحم - كفرح :
 بات مغموما فتغير أو أروح ' أى جمع ' على إنائه الذى هو فيه إناء.
 آخر، أو جمع ما هو فيه حتى تضايق فهو من الجمع لهذا، وأما
 الكبت كقنفذ والثاء مؤخرة : الصلب الشديد، فهو فى الغالب من جمع
 أجزائه وتداخل بعضها فى بعض، وتكبيث ' السفينة أن تبجح إلى ه
 الأرض، هو من الجمع والقرب معا، وأما كبت كئنته - بمعنى
 نكبتها، فكان فعل استعمل هنا للإزالة، أى أزال اجتماعها أو بمعنى
 أنه قربها من رمية بتسييرها لسرعة التناول .

ولما كان الكبيث ربما أطلق مجازا على ما ارتفع وإن لم يكن
 ناعما قال : (مهילה) أى رملا سائلا رخوا لينا مشورا، من هاله - إذا ١٠
 نشره، وقال الكلبي : هو الذى إذا أخذت منه شيئا تبعك ' ما بعده .
 ولما ذكر العذاب ووقته وقدمها ليكون السامع أقبل لما يطلب منه،
 أتبعها السبب فيه مشيرا إلى ما به إصلاح أمر الآخرة التى فيها المعاد
 وإليها ' المنتهى والمآب '، فقال مؤكدا لأجل تكذيبهم :
 (أنا أرسلنا) أى بما لنا من العظمة (اليكم) يا أهل مكة شرقا ١٥
 لكم خاصة، وإلى كل من بلغته الدعوة عامة (رسولا) [أى - ']

- (١-١) من ظ وم، وفى الأصل : بجمع (٢) من ظ وم، وفى الأصل : تكبيث .
 (٣) من ظ وم، وفى الأصل : الى (٤) من ظ، وفى الأصل : معك، وفى م :
 ينفك (٥-٥) من ظ وم، وفى الأصل : المآب والمنتهى (٦) فى ظ : تعذيبهم .
 (٧) زيد من ظ وم .

جدا [و - '] هو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين و إمامهم
صلى الله عليه وسلم (شاهدنا عليكم) أى بما تصنعون ليؤدى الشهادة
عند طلبها منه ^٢ بما هو الحق ^١ يوم ننزع من كل أمة شهيدا وهو
يوم القيامة .

٥ ولما كانت هذه السورة من أول ما نزل و الدين ضعيف و أهله
فى غاية القلة و الذلة ليعتبر بهم من آل [به - '] أمره إلى ان كان ^٣
فى زمان صار فيه الدين غريبا كفرته إذ ذاك ، و كان فرعون أعتى ^٤
الناس فى زمانه و أجبرهم ، و أشد هم خداعا و أمكرهم ، [و - '] كان
بنو إسرائيل فى غاية الذل له و الطواغية لأمره ، و مع ذلك فلما أرسل الله
١٠ إليه موسى عليه السلام الذى ذبح فرعون أبناء بنى إسرائيل لأجل أن
يكون فى جملة من ذبحه لأنه قيل له انه يولد لبنى ^٥ إسرائيل مولود
يكون هلاك القبط على يده أظهره به و أهلكه على قوته و أنجى منه
بنى إسرائيل على ضعفهم ، قال [تعالى - '] تنبئهم لقريش و العرب
و غيرهم على أن من كان الله معه لا ينبغي أن يقاوى ^٦ و لو أنه أضعف
١٥ الخلق ، و تنبئهم لهم على الاعتبار بحال ^٧ هذا الطاغية الذى يزيد عليهم
بالملك و كثرة الجنود و الأموال ^٨ : (كما أرسلنا) أى بما لنا من

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٣) من ظ و م ،
و فى الأصل : صار (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اعز (٥) من ظ و م ، و فى
الأصل : فى بنى (٦) فى ظ : يقاويه (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بحالة (٨)
(٨) زيد فى الأصل : فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .

العظمة (الى فرعون) أى ملك مصر (رسولا^١) و لعله نكره
للتنيه على أنه ليس من قوم فرعون^٢ فلا مانع له منه من حيم ولا شفيع
يطاع^٣ ، ليعلم أنه^٤ من كانت / له قبيلة تحامى عنه أولى بالنصرة .

٦٦ /

ولما كان الإرسال سببا للقبول أو الرد قال : (فعصى فرعون)
أى بما له من تعوج الطباع (الرسول) أى الذى تقدم أنا أرسلناه ه
إليه فصار معهودا لكم بعد ما أراه من المعجزات البينات^٥ والآيات
الدامغات - بما أشار إليه مظهر العظمة ، ولذلك سبب عن عصيانه قوله :
(فاخذته) أى بما لنا من العظمة ، وبين أنه^٦ أخذ قهر و غضب^٧
بقوله : (اخذا ويلا^٨) أى^٩ ثقيلًا شديدًا متعبًا^{١٠} مضيقًا ردئ العافية ،
من قولهم^{١١} : طعام ويل - إذا كان وخما لا يستمرى أى لا ينزل^{١٢} فى ١٠
المرى ولا يخف عليه ، وذلك^{١٣} بأن أهلكتناه ومن معه أجمعين لم ندع
منهم أحدا ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى « الم نشرح » قاعدة إعادة
النكرة^{١٤} والمعركة .

ولما علم بهذا أنه سبحانه شديد الأخذ ، وأنه لا يغنى ذا
الجد منه الجد ، سبب عن ذلك قوله محذرا لهم الاقتداء بفرعون :

-
- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : مصر (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : ان (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اخذه قهرا و غضبا وكيدا .
(٥-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : شديدا مثقلا متعبا (٦) زيدت الواو فى
الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يترك .
(٨) من ظ و م ، وفى الأصل : كذلك (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : التنكير .

(فكيف تتقون) أى توجدون الوقاية التى تقى انفسكم ، و [لا - ١]
 كان التنفير^٢ من سبب التهديد أهم لأنه أدل على رحمة المحذر وأبعث
 على اجتنابه ، قال مشيرا بأداة الشك إلى أن كفرهم بالله مع ما نصب
 لهم من الأدلة العقلية المؤيدة بالنقلية ينبغى أن لا يوجد بوجه ، وإنما
 ٥ يذكر على سبيل الفرض والتقدير : (ان كفرتم) أى أوقعتم الستر
 لما غرس فى فطركم من أنوار الدلائل القائدة إلى^٣ الإيمان فبقيتهم على
 كفرهم - على أن العبارة مشيرة إلى أنه عفا عنهم الكفر الماضى فلا
 يعده^٤ عليهم رحمة منه وكرما ولا يعد عليهم إلا ما أوقعه بعد مجيء
 الرسول صلى الله عليه وسلم (يوم) [اى - ١] هو مثل فى الشدة
 ١٠ بحيث [أنه - ١] يقال فيه (يجعل) لشدة أهواله وزلزاله وأوجاله
 (الولدان) أى عند الولادة أو بالقرب منها (شياطين) جمع أشيب
 وهو من ابيض شعره ، وذلك كناية عن كثرة الهموم فيه لأن
 العادة جارية بأنها إذا تفاقمت أسرع بالشيب ، والمعنى إنكار أن يقدرُوا
 على أن يجعلوا لهم وقاية بغاية جهدم تقيهم عذاب ذلك اليوم الموصوف
 ١٥ بهذا الهول الأعظم ، وذلك حين يقول الله : يا آدم قم فابعث^٥ بعث
 النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، وأسند الجعل إلى اليوم
 لكونه واقعا فيه كما جعله المتقى ، وإنما المتقى العذاب الواقع فيه .

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل وظ : التنكير (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : على (٤) من م ، وفى الأصل وظ : بعيد (٥) من ظ و م ، وفى
 الأصل : وابعث .

ولما كان هذا امرا عظيما ، صور بعض احواله زيادة في عظمه
 فقال ^١ : ﴿ السماء ﴾ أى على عظمها و علوها وشدة إحكامها . ولما كان
 المراد الجنس ^٢ الشامل لكل ذكر فقال : ﴿ منفطر ﴾ أى منشق متزايل
 من هية الرب تزايل المنفطر من السلك ، ولو أنث لكان ظاهرا في
 واحدة من السماوات ، وفي اختيار التذكير ايضا لطيفة / أخرى ، ٥
 ٥٦٧ / وهى إضمار الشدة الزائدة في الهول المؤدى إلى انقطاعه ^٣ ما هو في
 غايه الشدة لان الذكر في كل شيء أشد من الأنثى ، وذلك كله تهويلا
 لليوم المذكور ^٤ ﴿ به ^٥ ﴾ أى بشدة ذلك اليوم وباؤه اللآلة ، ويجوز
 كونها بمعنى فيه ، أى يحصل فيه التفطر والتشقق بالغمام ونزول
 الملائكة وغير ذلك من التساقط والوهى على شدة وثاقها ^٦ فاذنك ١٠
 بغيرها . ولما كان هذا عظيما ، استأنف بيان هوانه ^٦ بالنسبة إلى عظمته
 سبحانه وتعالى فقال : ﴿ كان ﴾ أى على [كل - ^٧] حال وبكل
 اعتبار ﴿ وعده ﴾ أى وعد الله الذى تقدم ذكره في مظاهر العظمة ،
 فالإضافة للمصدر إلى الفاعل ﴿ مفعولا ^٨ ﴾ أى سهلا مفروغا ^٩ منه في
 أى شيء كان ، فكيف إذا كان بهذا اليوم الذى هو محط الحكمة ، ١٥

(١) زيد في الأصل : مشيرا اليه ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

(٢) من ظ و م ، وفي الأصل : لذكر (م) من ظ و م ، وفي الأصل : الانقطاع .

(٣) سقط من ظ و م (هـ) من ظ و م ، وفي الأصل : وثاقها (٦) من ظ

وم ، وفي الأصل : هوله (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، وفي

الأصل : مطروفا .

أو الضمير لليوم فالإضافة إلى المفعول ، إشارة إلى أن الوعد الواقع به وفيه لا بد منه ، و معلوم أنه لا يكون إلا من الله .
 و لما كان ما مضى من هذه السورة من الاحكام و الترغيب و التهيب مرشدا^١ إلى معالى الأخلاق منقذا من كل سوء ، قال مستأنفا
 ٥ مؤكدا تنبيها على عظمها و أنها بما يبغي التنبيه عليه : (ان هذه) أى القطعة^٢ المقدمة من هذه السورة (تذكرة^٣) أى تذكير عظيم هو أهل لأن يتعظ به المتعظ و يعتبر به المعتبر ، و لا سيما ما ذكر فيها بأهل الكفر من أنواع العقاب . و لما كان سبحانه قد جعل للانسان عقلا يدرك به الحسن و القبيح ، و اختيارا يتمكن به من اتباع ما يريد ،
 ١٠ فلم يبق له مانع من جهة اختيار الأصلح و الاحسن إلا قسر المشيئة التى لا اطلاع له عليها و لا حيلة [له - ٢] فيها ، سبب عن ذلك قوله :
 (فمن شاء) أى التذكر ، للاتعاظ (اتخذ) أى أخذ^٤ بغاية جهده (الى ربه) أى خاصة ، لا إلى غيره (سيلا) أى طريقا يسلبه حظوظه لكونه لا لبس فيه ، فيسلك على^٥ وفق ما جاءه من التذكرة ،
 ١٥ و ذلك الاعتصام حال السير بالكتاب و السنة على وفق ما اجتمعت عليه الامة ، و متى زاغ عن ذلك هلك .

و لما كان ربما تعالى بعض الناس فى العبادة و شق على نفسه ،

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : برشد (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : العظيمة .
 (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : التذكير (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : اخذا (٦) زيد فى الأصل : غير ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

وربما شق على غيره، أشار سبحانه و تعالى إلى الاقتصاد تخفيفا لما يلحق الإنسان من النصب، مشيرا إلى ما يعمل حالة اتصال الروح بالجسد وهي حالة الحياة، لأن منفعتها تزود من ' كل خير لما أدناه ' هول المقابر، فإن الروح في غاية اللطافة، و الجسد في غاية الكثافة، لأنها من عالم الأمر، و هو ما يكون الإيجاد فيه بمرة واحدة من غير ه تدرج و تطوير، و الجسد من عالم الخلق فهي غريبة فيه تحتاج إلى التأنيس، و تأنيسها بكل ما يقربها / إلى العالم الروحاني المجرد عن علائق الأجسام، و ذلك بصرف ^٢ القلب كله ^٢ عن هذه الدنایا و التلبس بالأذكار و الصلوات و جميع الأعمال الصالحات، فإن ذلك هو المعين على اتصالها بعالمها العالی العزیز العالی ^٤، و أعون ما يكون على ذلك ١٠ الحكمة، و هي العدل في الأعمال و الاقتصاد في الأقوال و الأفعال، فقال مستأنفا الجواب عن تيسير السيل و بنائه على الحنيفة السمحة بحيث صار لا مانع منه إلا يد القدرة: ﴿ ان ربك ﴾ أى المدبر لأمرك على ما يكون إحسانا إليك و رققا بك و بأمتك ﴿ يعلم انك تقوم ﴾ أى فى الصلاة كما أمرت به أول السورة .

١٥

ولما كانت كثرة العمل بمدوحة و قلته بخلاف ذلك، استعار للقل [قوله - °] : ﴿ ادنى ﴾ أى ^٦ زمانا أقل، و الأدنى ^٧ مشترك (١) من ظ و م، و فى الأصل « و » (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اردناه من . (٣-٣) فى م: القلب، و ما بين الرقین ساقط من ظ (٤) سقط من ظ (ه) زيد من ظ و م (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ، و فى الأصل و م: أدنى .

بين الأقرب ، والأدون للازل^١ رتبة لأن كلا منهما^٢ يلزم منه قلة المسافة (من ثلثي الليل) في بعض الليالي (ونصفه وثلثه) [أى -^٣] وأدنى من كل منهما في بعض الليالي - هذا على قراءة الجماعة ، والمعنى على قراءة ابن كثير والكوفيين بالنصب تعيين النصف و الثلث ٥ الداخل تحت الأدنى^٤ من الثلثين ، وهو على القراءتين مطابق لما وقع التخيير فيه في أول السورة بين قيام النصف بتمامه أو الناقص منه وهو الثلث أو الزائد عليه وهو الثلثان ، أو الأقل من الأقل من النصف وهو الربع .

ولما ذكر سبحانه قيامه صلى الله عليه وسلم ، أتبعه قيام أتباعه ، ١٠ فقال عاطفاً على الضمير المستكن^٥ في " تقوم " وحسنه الفصل : (وطائفة) أى ويقوم كذلك جماعة فيها أهلية التحلق بأقبالهم^٦ عليك^٧ وإقبال بعضهم على بعض . ولما^٨ كانت العادة أن^٩ صاحب ربما أطلق [على -^{١٠}] من مع الإنسان بقوله دون قلبه عدل إلى قوله : (من الذين معك) أى بأقوالهم وأفعالهم ، أى على الإسلام^{١١} ، وكأنه

-
- (١) من ظ وم ، وفي الأصل : لك ازل (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : منها .
 (٣) زيد من ظ وم (٤) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ وم لحذفها .
 (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : المستتر (٦) من ظ وم ، وفي الأصل : بأقبالها .
 (٧) زيد في الأصل : بأقبالهم عليها ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها .
 (٨-٩) في ظ وم : كان (٩) زيد من م (١٠) من ظ وم ، وفي الأصل : الانسان .

اختار هذا دون ان يقول "من المسلمين" لانه يفهم ان طائفة لم تقم بهذا 'القيام' فلم يرد^١ ان يسميهم مسلمين ، والمعية اعم .

ولما كان [القيام - ٢] على هذا التفات مع الاجتهاد في السبق

في^٢ العبادة دالا على عدم العلم بالمقادير على ما هي عليه قال تعالى :

(والله) أى يقومون هكذا لعدم^٣ علمكم بمقادير الساعات على^٥

التحرير و الحال أن الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلما وحده

(يقدر) أى تقديرا عظيما هو في غاية التحرير (الليل و النهار)

فيعلم كل دقيقة منهما على ما هي عليه لانه خالقهما^٦ ولا يوجد شيء

منهما إلا به " الا يعلم من خلق " .

ولما علم من هذا المشقة عليهم في قيام الليل على هذا الوجه علما^{١٠}

و عملا ، ترجم ذلك بقوله : (علم) أى الله سبحانه (ان لن تحصوه)

أى تطبيقوا التقدير علما و عملا ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم

/ استقيموا ولن تحصوا ، (قتاب) أى فتسبب عن هذا العلم أنه سبحانه / ٥٦٩

رجع بالنسخ عما كان أوجب (عليكم) بالترخيص لكم في ترك القيام

المقدر أول السورة ، أى رفع التبعة^٨ عنكم في ترك القيام على ذلك^{١٥}

(١ - ١) في ظ : هذا (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : فلم يراد (م) زيد من

ظ و م (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : على (٥) من ظ و م ، وفي

الأصل : لعلم (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : خلقهما (٧) زيد في الأصل :

الى آخره ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٨) من ظ و م ، وفي

الأصل : نسخته .

التقدير الذى قدره كما رفع عن التائب، وكأنه سماه توبة وإن لم يكن ثم مفسية إشارة إلى أنه من شأنه لثقله أن يجر إلى المعصية

ولما رفعه سبب عنه أمرهم بما يسهل عليهم فقال معبرا عن الصلاة بالقراءة لأنها أعظم أركانها إشارة إلى أن التهجد مستحب لا واجب :
 ٥ (فاقروا) أى فى الصلاة أو غيرها فى الليل والنهار (ما تيسر) أى سهل وهان إلى الغاية عليكم ولأن واقاد لكم (من القرآن) أى الكتاب الجامع لجميع ما ينفعكم، قال القشيري : يقال : من خمس آيات إلى ما زاد، ويقال : من عشر آيات إلى ما يزيد، قال البغوى^٢ : قال قيس بن أبى حازم : صليت خلف ابن عباس رضى الله عنهما بالبصرة ، ١٠ ققرأ فى أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ، ثم قام فى الثانية ققرأ بالحمد والآية الثانية . وقيل : إنه أمر بالقراءة مجردة إقامة [لها - ٢] مقام ما كان يجب عليهم من الصلاة بزيادة فى التخفيف ، ولذلك روى أبو داود^٤ وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قام^٥ بعشر آيات^٥ لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين^٦ . قال المنذرى : من سورة الملك إلى آخر القرآن ألف آية .

(١) من ظ وم، وفي الأصل : زاد (٢) راجع المعالم ١٤٢/٧ (٣) زيد من ظ وم .

(٤) راجع السنن ٢٠٥/١ (٥ - ٥) من ظ وم والسنن ، وفي الأصل : بآيات .

(٦) من ظ وم والسنن ، وفي الأصل : المقطين .

ولما كان هذا نسخا لما كان واجبا من قيام الليل اول السورة
لعلمه سبحانه بعدم إحصائه، فسر ذلك العلم المجمل بعلم مفصل يانا
لحكمة أخرى للنسخ فقال: ﴿ علم ان ﴾ أى أنه ﴿ سيكون ﴾^١ يعنى
بتقدير لا بد لكم^٢ منه ﴿ منكم مرضى^٣ ﴾ جمع مريض، وهذه السورة
من أول ما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم، ففى هذا بشارة بأن أهل
الإسلام يكثررون جدا.

ولما ذكر عذر المريض وبدأ به لكونه أعم ولا قدرة للمريض
على دفعه، أتبعه السفر للتجارة لأنه يليه في العموم، فقال مبشرا
مع كثرة أهل الإسلام باتساع الأرض لهم: ﴿ و'آخرون ﴾
[أى-] غير المرضى ﴿ يضربون ﴾ أى يقعون الضرب ﴿ فى الأرض ﴾ ١٠
أى يسافرون لأن الماشى يجد واجتهاد يضرب^٤ الأرض برجله، ثم استأنف
بيان علة الضرب بقوله: ﴿ يتغنون ﴾ أى يطلبون طلبا شديدا، وأشار
إلى سعة ما عند الله بكونه فوق أمانهم فقال: ﴿ من فضل الله لا ﴾
أى بعض ما أوجده الملك الأعظم لعباده ولا حاجة^٥ به إليه^٦ بوجه
من الربح فى التجارة أو تعلم العلم ﴿ و'آخرون ﴾ أى منكم أيها المسلمون ١٥
﴿ يقاتلون ﴾ أى يطلبون ويقعون قتل أعداء الله، ولذلك بينه بقوله:

(١) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٢) سقط من ظ
وم (٣) زيد من ظ وم (٤) زيد فى الأصل: فى، ولم تكن الزيادة فى ظ
وم لحذفها (٥ - ٥) من ظ وم، وفى الأصل: له اليكم.

(في سبيل الله) أى ذلك القتل مطروف لطريق الملك الاعظم
ليزول عن سلوكه المانع لقتل قطاع الطريق المعنوى والحسى ، وأظهر
ولم يضمن تعظيما للجهاد ولثلا يلبس بالعود إلى المتجر ، وهو ندب لنا
من الله إلى رحمة العباد والنظر فى أعذارهم ، فمن لا يرحم لا يرحم ،
٥ قال البغوى^٢ : روى إبراهيم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : أيا رجل
جلب شيئا من مدينته من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه
كان عند الله بمنزلة الشهداء ، ثم قرأ عبد الله ” و'آخرون يضربون فى
الارض يبتغون “ الآية . وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنها [أنه -^٢]
قال : ما خلق الله مودة أموتها بعد القتل فى سبيل الله أحب إلى من أن
١٠ أموت بين شعبي رجل اضرب فى الأرض أبتنى من فضل الله .

ولما كانت هذه أعذارا أخرى مقتضية للتريخيص أو أسبابا لعدم
الإحصاء ، رتب عليها الحكم السابق ، فقال مؤكدا للقراءة يانا لمزيد
عظمتها : (فاقروا) أى كل واحد منكم (ما تيسر) أى لكم (منه)
أى القرآن ، أضمره ' إعلاما بأنه عين السابق ، فصار الواجب قيام شيء
١٥ من الليل على وجه التيسير ، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس . ولما كان
صالحا لأن يراد به الصلاة لكونه أعظم أركانها وأن يراد [به -^٢]
نفسه من غير صلاة زيادة فى التخفيف ، قال ترجيحاً لإرادة هذا الثانى

(١) من م ، وفى الأصل وظ : بطريق (٢) راجع معالم التنزيل ١٤٢ / ٧ .

(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : مضى .

أو تنصيحا على إرادة الأول : ﴿ و اقيموا ﴾ أى أوجدوا إقامة ﴿ الصلوة ﴾ المكتوبة بجميع الأمور التى تقوم بها من أركانها وشروطها ومقدماتها ومتمماتها وهيئاتها ومحسناتها ومكملاتها .

ولما ذكر بصفة الخالق التى هى [أحد - ١] عمودى الإسلام البدنى والمالى ، أتبعها العمود الآخر وهو الوصلة بين الخلاق فقال : ه ﴿ و اتوا ﴾ من طيب أموالكم التى أنعمنا بها عليكم ﴿ الزكاة ﴾ أى المفروضة ، ولما كان المراد الواجب المعروف ، أتبعه سائر الانقاقات المفروضة والمندوبة ، فقال : ﴿ و اقرضوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له جميع صفات الكمال التى منها ' الغنى المطلق ، من أبدانكم وأموالكم فى أوقات صحتكم ويساركم ﴿ قرضا حسنا ﴾ من نوافل الخيرات كلها ١٠ فى جميع شرعه برغبة تامة وعلى هيئة جميلة فى ابتدائه وانتهائه وجميع أحواله ، فانه محفوظ لكم عنده ٢ مبارك فيه ليرده عليكم مضاعفا ٣ أحوج ما تكونون إليه .

ولما كان هذا الدين جامعا ، وكان هذا القرآن حكيما لأن منزله ٤ له صفات الكمال ٥ فأمر فى هذه الجمل بأمهات الأعمال اهتماما بها ٦ ، ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فيها (٣) زيد فى الأصل : وانه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) زيد فى الأصل : وانتم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٥) زيد فى الأصل : يكون ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الكلام (٧) زيد فى الأصل : ثم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .

أتبع ذلك أمرا عاما بجميع شرائع الدين فقال: ﴿ وما تقدموا ﴾
 وحث على إخلاص النية بقوله: ﴿ ألا تنفسم ﴾ أى خاصة سلفا لأجل
 ما بعد الموت لا تقدرون على الأعمال ﴿ من خير ﴾ أى أى خير
 كان من عبادات^٢ البدن و المال^٢ ﴿ تجدوه ﴾ محفوظا لكم ﴿ عند الله ﴾
 هـ أى المحيط بكل شئ. قدرة و علما ﴿ هو ﴾ أى لا غيره^٤ ﴿ خيرا ﴾
 أى لكم، و جاز وقوع الفصل بين غير معرفتين لأن «أفعل» من، كالمعرفة،
 ولذلك يمنع دخول أداة التعريف^٦ عليها .

ولما كان [كل - ٧] من عمل خيرا جوزى عليه سواء كان
 عند الموت^٨ أو فى^٨ الحياة سواء كان كافرا أو مسلما^٩ مخلصا أو لا ،
 ١٠ إن كان مخلصا كان جزاؤه فى الآخرة و إلا فى الدنيا، [قال - ٧] :
 ﴿ واعظم اجرا^٤ ﴾ أى مما لمن أوصى فى مرض الموت، [و كان - ٧]
 بحيث يجازى [به - ٧] فى الدنيا .

ولما كان الإنسان إذا عمل ما يمدح عليه ولا سيما إذا^{١٠} كان المادح

(١) سقط من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م وفى الأصل : المال و البدن .
 (٣) زيد فى الأصل : الله تعالى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) زيد
 فى الأصل : يدخر لكم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) من م ، وفى
 الأصل ، الأفعال ، وفى ظ : أفعال (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : انصرف .
 (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : أم (٩) من ظ و م ،
 وفى الأصل : المسلم (١٠) فى م : إن ، والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة
 من ظ إلى « بوجه على » .

له ربه ربما أدركه الإعجاب ، بين له أنه لا يقدر بوجه على أن يقدر الله
حق قدره ، فلا يزال مقصرا فلا يسعه إلا العفو بل الغفر فقال حائا
على أن يكون ختام الأعمال بالاستغفار والاعتراف بالتقصير في خدمة
المتكبر الجبار مشيرا إلى حالة انفصال روحه عن بدنه وأن صلاحها
الراحة من كل شر: ﴿ واستغفروا لله ﴾ أى اطلبوا وأوجدوا ه
ستر الملك الأعظم الذى لا تحيطون بمعرفته [فكيف - '] بأداء حق
خدمته لتقصيركم عينا واثرا بفعل ما يرضيه واجتتاب ما يسخطه .

ولما علم من السياق ومن التعبير بالاسم الأعظم أنه سبحانه
بالغ في العظمة إلى حد يؤس من إجابته ، علل الأمر بقوله مؤكدا
تقريبا لما يستبعده من يستحضر عظيمته سبحانه وشدة^٢ انتقامه وقوة^{١٠}
بطشه: ﴿ ان الله ﴾ وأظهر لإعلاما بأن^٢ صفاته لا تقصر آثارها على
المستغفرين ولا على مطلق السائلين ﴿ غفور ﴾ أى بالغ الستر لأعيان
الذنوب و آثارها حتى لا يكون عليها عتاب ولا عقاب ﴿ رحيم ﴾
أى بالغ الإكرام بعد الستر إفضالا وإحسانا وتشريفا و امتنانا ، وقد
اشتملت هذه السورة على شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما أوتى^{١٥}
من جوامع الكلم ، [اللهم - '] أصلح لى دينى الذى هو عصمة
أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى إليها
(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : قدرة (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : ان .

منقلبي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي
 من 'كل شر' كما أشير إلى كل جملة منها في محلها، ولقد رجع آخر
 السورة - بالترغيب في العمل وذكر جزائه - على أولها الأمر بالقيام بين
 يديه وبإشارة^٢ الاستغفار إلى عظم المقام وإن جل العمل ودام وإن
 كان بالقيام في ظلام الليالي والناس نيام، فسبحان من له هذا الكلام
 المعجز لسائر الأنعام لإحاطته بالجلال والإكرام، فسبحانه من إله جابر
 القلوب المنكسرة^٣.

(.)

(١ - ١) من ظ و م، وفي الأصل: مشر (٢) من ظ و م، وفي الأصل:
 بالاشارة الى (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ و م.

سورة المدثر^١

مقصودها الجد والاجتهاد في الإنذار بدار البوار لاهل الاستكبار،
وإثبات البعث في أنفس المكذبين الفجار، والإشارة بالبشارة لاهل
الادكار، بحلم العزيز / الغفار، واسمها المدثر^٢ أدل ما فيها على ذلك، هـ / ٧٢
وذلك واضح لمن تأمل النداء^٣ والمنادى به والسبب ﴿ بسم الله ﴾
الملك الأعلى الواحد القهار ﴿ الرحمن ﴾ الذي عم بنعمتي الإيجاد
والبيان الأبرار والفجار ﴿ الرحيم هـ ﴾ الذي خص اهل اصفياه
بالاستبصار، والتوفيق إلى ما يوصل إلى دار القرار.

لما ختمت "المزمل" بالبشارة لأرباب^٤ البصارة بعد ما بدئت
بالاجتهاد^٥ في الخدمة المهيبة للقيام بأعباء الدعوة، افتتحت هذه
[بمحط - ^٦] حكمة الرسالة وهي النذارة لأصحاب^٧ الخسارة، فقال
معبرا بما فيه بشارة بالسعة في المال والرجال والصلاح وحسن الحال
في الحال والمآل، ومعرفا بأن المخاطب في غاية اليقظة بالقلب وإن

(١) الرابعة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ست
ونمسون (٢) زيد في الأصل وظ : على ، ولم تكن الزيادة في م لحذفها .
(٣) من م ، وفي الأصل وظ : النداء (٤) زيد في الأصل : اى ، ولم تكن
الزيادة في ظ وم لحذفها (هـ) من م ، وفي الأصل وظ : ولما (٦) من ظ
وم ، وفي الأصل : لأهل (٧) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ وم
لحذفها (٨) زيد من ظ وم (٩) من ظ وم ، وفي الأصل : لأرباب .

ستر القالب: ﴿يَايَا المدثر﴾ المشتمل بثوبه، من تدثر^١ بالثوب: اشتمل به، و الدثار - بالكسر ما فوق الشعر من الثياب، والشعار ما لاصق البدن "الأنصار شعار والناس دثار" و الدثر: المال الكثير، و دثر الشجر: أورق، و تدثير الطائر: إصلاحه عشه، و التعبير بالآداة

٥ الصالحة للقرب و البعد يراد به غاية القرب بما عليه السياق و إن كان التعبير بالآداة فيه نوع ستر^٢ لذلك مناسبة للتدثر^٣، و اختير التعبير بها^٤ لأنه لا يقال بعدها إلا ما جل و عظم من الأمور، و كان الدثار لم يعم بدنه الشريف بما دل عليه التعبير بالإدغام دون^٥ الإظهار الدال على المبالغة لأن المراد إنما كان ستر العين ليجتمع القلب، فيكفي في

١٠ ذلك ستر الرأس و ما قاربه من البدن، و الإدغام شديد المناسبة للدثار .

ولما كان [في - °] حال تدثره قد لزم موضعا واحدا فلزم من ذلك إخفاء نفسه الشريفة، أمره صلى الله عليه وسلم بالقيام، و سبب عنه الإنذار إشارة إلى أن ما يراد^٦ به من أنه يكون أشهر الخلق بالرسالة العامة مقتضى لتشمير الذيل و الحمل على النفس بغاية الجد

١٥ و الاجتهاد اللازم عنه كثرة الانتشار، فهو مناف للتدثر بكل اعتبار فقال: ﴿قم﴾ أى مطلق قيام، و لا سيما من محل تدترك بغاية العزم و الجد .

(١) من ظ و م، وفي الأصل: تدثره (٢-٢) تكرر ما بين الرقنين في الأصل فقط (٣) من م، وفي الأصل وظ: به (٤) من ظ و م، وفي الأصل: بدون . (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م، وفي الأصل: يرا .

ولما كان الأمر عند نزول هذه السورة في أوله والناس قد
عمهم^١ الفساد، ذكر أحد وصفي الرسالة إيذانا بشدة الحاجة إليه
فقال مسيباً عن قيامه: { فأنذرهم } أى فافعل الإنذار لكل من يمكن
إنذاره فأنذر من كان راقداً في غفلته، متدثراً بأثواب^٢ سكراته، لاهياً
عما أمامه من أهوال يوم القيامة، و لذا من كان مستيقظاً ولكنه
متدثر بأثواب تشويهاً وأغشية قتراته، فانه [يجب - ٢] على كل^٣
مربوب أن يشكر ربه وإلا عاقبه بعناده له أو غفلته عنه^٤ بما أمله
الإعراض عنه، وحذف المفعول إشارة إلى عموم الإنذار لكل من
يمكن منه المخالفة عقلاً وهم جميع الخلق، وذلك / أنه صلى الله عليه
وسلم كان^٥ نزل عليه جبريل عليه السلام بـ "اقرأ باسم ربك"^٦ ونحوها ١٠
فكان بذلك نبياً^٧ ثم نزلت^٨ عليه هذه [الآية - ١] فكان بها
رسولاً، وذلك أنه نودي وهو في جبل حراء، فلما سمع الصوت نظر^٩
يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً، فرفع رأسه^{١٠} فاذا جبريل عليه الصلاة والسلام
جالس على عرش بين السماء والأرض، ففرق^{١١} من ذلك^{١٢} أشد الفرق،

(١) في م: عم (٢) من ظ وم، وفي الأصل: في أثواب (٣) زيد من ظ وم.
(٤) زيد في الأصل: من كان، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها.
(٥) من ظ وم، وفي الأصل: منه (٦) زيد في الأصل: اذا، ولم تكن الزيادة
في ظ وم لحذفها (٧) زيد في الأصل: الذى خلق خلقى، ولم تكن الزيادة في
ظ وم لحذفها (٨ - ٩) ما بين الرقيين بياض في الأصل ملأناه من ظ وم.
(١٠) من ظ وم، وفي الأصل: نزل (١١) زيد من ظ (١٢) من ظ وم،
وفي الأصل: طرته.

فبادر المجيء إلى البيت ترجف بوادره^١ وقال: دثرون دثروني، لقد خشيت على نفسي، صبوا على ماء بارداً .
 ولما كان الإنذار يتضمن مواجهة الناس بما يكرهون، وذلك عظيم على الإنسان، وكان المقتر عن^٢ اتباع الداعي أحد أمرين: تركه بما يؤمر به، وطلبه عليه الأجر، كما أن الموجب لاتباعه عمله بما دعا إليه، وبعده عن أخذ الأجر عليه، أمره بتعظيم من أرسله سبحانه فانه إذا عظم حق تعظيمه صغر كل شيء دونه، فهان عليه الدعاء^٣ وكان له معينا على القبول فقال: ﴿ وربك ﴾ أى 'الرب لك' خاصة ﴿ فكبريائه ﴾ أى 'وقم' فتسبب عن قيامك بغاية الجدا^٤ والاجتهاد أن تصفه وحده بالكبرياء قولاً واعتقاداً على كل حال، وذلك تنزيهه عن الشرك أول كل شيء، وكذا عن كل ما لا يليق به من وصل وفصل، ومن سؤال غيره، والاشتغال بسواه .

[و - ٧] قال الإمام أبو جعفر بن الزبير: ملائمتها^٥ لسورة المزمل واضحة، واستفتاح السورتين من نمط واحد، وما ابتدئت به كل واحدة منهما من جليل خطابيه عليه الصلاة والسلام وعظيم تكريمه "يا أيها المزمل" "يا أيها المدثر" والأمر فيهما بما يخصه "قم الليل إلا قليلاً نصفه" الآتى، وفي الأخرى "قم فأنذر

(١) من ظ وم، وفي الأصل: فواده (٢) من ظ وم، وفي الأصل: على (٣) زيد في الأصل: لما، ولم تكن الزيادة في ظ وم لخذناها (٤ - ٥) إسقط ما بين الرقین من ظ (٥ - ٥) من م، وفي الأصل: وظ: فقم (٦) من ظ وم، وفي الأصل: الجهد (٧) زيد من ظ وم (٨) من ظ وم، وفي الأصل: للائمتها (٩ - ٩) سقط ما بين الرقین من م .

و ربك فكبر“ اتبعت في الأولى بقوله ”فاصبر على ما يقولون“ وفي الثانية بقوله ”و لربك فاصبر“ وكل ذلك قصد واحد، و اتبع أمره بالصبر في المزمّل بتهديد الكفار ووعيدهم ”و ذرني والمكذّبين“ الآيات، وكذلك في الأخرى ”ذرني ومن خلقت وحيدا“ الآيات، فالسورتان واردتان في معرض واحد و قصد متحد - انتهى . ٥

ولما كان تنزيه العبد عن الأدناس لأجل تنزيه المعبود، قال آمرا بتطهير الظاهر و الباطن باستكمال القوة النظرية في تعظيمه سبحانه ليصلح أن يكون من أهل حضرته و هو أول مأمور به من رفض العادات المذمومة: ﴿و ثيابك فطهر ١﴾ أي و قم فخص ثيابك الحسية بإبعادها عن النجاسات بمجانبة عوائد المتكبرين من تطويلها، و بتطهيرها ١٠ لتصلح للوقوف في الخدمة بالحضرة القدسية، و^١ المعنوية و هي كل ما اشتمل على العبد من الأخلاق المذمومة و العوائد السقيمة من الفترة^٢ عن الخدمة والضجر و الاسترسال مع شيء من عوائد النفس، و ذلك يهون باستكمال القوة النظرية .

ولما أمر بمجانبة القنر في الثياب وأراد الحسية والمعنوية، / وكان ١٥ / ٧٤ / ذلك ظاهرا^٣ في الحسية، و جعل ذلك كناية عن تجنب الأقدار كلها لأن من جنب ذلك [ملبسه -^٤] أبعد عن نفسه من باب الأولى،

(١) زيد في الأصل: هي، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٢) من ظ و م، وفي الأصل: العمرة (٣) من ظ و م، وفي الأصل: ظاهر (٤) زيد من ظ و م .

حقق العموم وأكد فقال: ﴿و الرجز﴾ أى كل قذر فانه سبب الدنيا التى هى سبب العذاب، قال فى القاموس: الرجز بالكسر والضم: القذر و عبادة الأوثان [و العذاب] و الشرك. ﴿فاهجر من﴾ أى جانب جهارا و عبادة، ليحصل لك الثواب كما كنت تجنبها سرا و عادة، فحصل لك الثناء الحسن حتى أن قريشا إنما تسميك الامين ولا تناظر لك أحدا منها.

ولما بدأ بأحد سببي القبول^١، اتبعه الثانى المبعد عن قاصمة العمل من الإعجاب و الرياء و الملل فقال: ﴿ولا تمن﴾ [أى - ٢] على أحد بدعائك له أو بشئ تعطيه له على جهة الهبة أو القرض بأن تقطع لذة ١٠ من أحسنت إليه بالثقل عليه بذكرك على جهة الاستعلاء والاستكثار بما فعلته معه،^٢ أو لا تعط شيئا حال كونك ﴿تستكثر منه﴾ أى تطلب أن تعطى أجرا أو أكثر مما أعطيت - قاله ابن عباس رضى الله عنهما^٣، وهو من قولهم، من - إذا أعطى، وذلك لأن الألبق بالمعطى من الخلق أن يستقل ما أعطى، ويشكر الله الذى وفقه له، [و - ٢] بالأخذ أن ١٥ يستكثر [ما أخذ - ٢]، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يفعل شيئا لعله أصلا، بل لله خالصا، فانه إذا زال الاستكثار حصل الإخلاص، لأنه لا يتعلق همه بطلب الاستمثال، فكيف بالاستقلال، فيكون [العمل - ٢] فى غاية الخلو لا يقصد به ثوابا أصلا، ولا يراد لغير وجه الله تعالى، وهذا هو النهاية فى الإخلاص.

(١) من م، وفى الأصل و ظ: القول (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٢) من ظ و م، وفى الأصل: او (٤) راجع البحر المحيط ٨ / ٣٦٩.

ولما كان الإنذار شديدا على النفوس يحصل به من المعالجات ما الموت دونه، لأن ترك المألوفات أصعب شيء على النفوس، وكذا ترك الفوائد، قال أمرا بالتحلى بالعاصم^١ بعد التخلي عن القاصم، معلما^٢ بأن الأذى^٣ من المنذرين أمر لا بد منه فيدخل^٤ في الطاعة على بصيرة، فاقضى الحال لذلك أن الإنذار يهون^٥ بالغنا^٦ عن الفانين والكون^٧ مع الباقي وحده، فأشار إلى ذلك بتقديم الإله معبرا عنه بوصف الإحسان ترغيبا فقال: ﴿ ولربك ﴾ أى المحسن إليك، الربى لك، المدبر لجميع مصالحك وحده ﴿ فاصبر ﴾ [أى - °] على مشاق التكليف أمرا ونهيا وأذى^٨ المشركين وشظف^٩ العيش وجميع البلايا^{١٠}، فانه يحزل عطاءك من خير الدارين بحيث لا يحوجك إلى أحد، ويحوج^{١١} الناس إليك، ويهون عليك حمل المشاق فى الدارين ولا سيما أمر يوم البعث، فان [من - °] حمل العمل فى الدنيا حمله^{١٢} العمل فى الآخرة .

ولما كان المقام للإنذار، وكان من رد الأوامر تكذيبا كفر، ومن تهاون بها^{١٣} ما أطاع^{١٤} ولا شكر، حذر من الفتور عنها بذكر^{١٥}

(١) من ظ و م، وفى الأصل: بالعاصى (٢-٢) من م، وفى الأصل و ظ : بالأذى - كذا (٣) فى م : ليدخل (٤) من ظ و م، وفى الأصل : بالفا - كذا . (٥) زيد من م (٦-٦) من ظ و م، وفى الأصل : للمشركين وشظفا (٧) من ظ، وفى الأصل و م : العطايا (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م، وفى الأصل : حمل (١٠-١٠) من ظ و م، وفى الأصل : لا اطلاع .

ما للكذب بها ، فقال مسيبا عن ذلك باعثا على اكتساب الخيرات من
 غير كسل ولا توقف ، مذكرا بأن الملك^١ التقم القرن وأصنى بجهته
 انتظارا^٢ للأمر بالنفخ ، مشيرا بالبناء للفعل إلى هوانه لديه وخفته
 عليه مؤذنا بأداة التحقق أنه لابد من وقوعه : ﴿ فاذا نقر ﴾ أى نفخ
 ه و صوت بشدة و صلابة و نفوذ و إنكاه ﴿ فى الناقورة ﴾ أى الصور
 وهو القرن الذى اسرافيل عليه / السلام ملتقمه الآن وهو مصغ
 لا انتظار الأمر بالنفخ فيه للقيامة ، ويجوز أن يراد الأيام^٣ التى يقضى
 فيها بالذل على الكافرين كيوم بدر والفتح وغيرهما كما جعلت
 الساعة والقيامة كناية عن الموت ، فقال صلى الله عليه وسلم
 ١٠ « من مات فقد قامت قيامته » عبر عنه بالنقر إشارة إلى أنه فى شدته
 كالنقر فى الصلب فىكون عنه صوت هائل ، وأصل النقر القرع الذى
 هو سبب الصوت فهو أشد من صدعك لهم بالإنذار للحدار من
 دار البوار ، فهناك ترد الأرواح إلى أجسادها ، فيبحث الناس فيقومون
 من قبورهم كنفس واحدة ، وترى عاقبة الصبر ، ويرى أعداؤك عاقبة
 ١٥ الكبر ، والتعبير فيه بصيغة المبالغة وجعله فاعلا كالجاسوس إشارة إلى
 زيادة العظمة حتى كأنه هو الفاعل على هيئة هى فى غاية الشدة والقوة ،
 وحذر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه رضى الله عنهم من النفخ فى
 (١-١) من ظ ، وفى الأصل : الملتقم القرآن واضع جهته ، وليست العبارة
 واضحة فى م (٢) جاءت صفحة من الأصل مطموسة فانتسخناها من ظ .
 (٣) من م ، وفى ظ : للأيام (٤) فى م : شدة .

الصور وقربه فقالوا: كيف تقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل. ويجوز أن يكون التسبب عن الأمر بالصبر، أى اصبر فلأخذن بآرك فى ذلك اليوم بما يقر عينك، فيكون تسلياً له صلى الله عليه وسلم وتهديداً لهم.

ولما ذكر هذا الشرط هل (٥) الذى صورته [بصوره - ١] هائلة، ه أجابه بقوله: (فذلك) أى الوقت الصعب الشديد العظيم الشدة جدا البالغ فى ذلك مبلغا يشار إليه إشارة ما [هو - ١] أبعد بعيد، وهو وقت النقر، ثم ابدل من هذا المبتدأ زيادة فى تهويله قوله: (يومئذ) أى وقت إذ يكون ذلك النقر الهائل (يوم عسير) أى بالغ العسر (على الكافرين) أى الذين كانوا يستهينون بالإنذار ويعرضون عنه ١٠ لأنهم راسخون فى الكفر الذى هو ستر ما يجب إظهاره من دلائل الوحداية. ولما كان العسر قد يطلق على الشئ [و - ١] فيه يسر من بعض الجهات أو يعالج فيرجع يسيرا، بين أنه ليس كذلك بقوله: (غير يسير) لجمع فيه بين إثبات الشئ ونفى ضده تحقيقا لأمره ودفاً للجواز عنه، وتأيدا لكونه ولأنه غير منقطع بوجه، وتقييده ١٥ بالكافرين يشعر بتيسره على المؤمنين.

ولما آذن هذا بأن أكثر الخلق يوفى يوم القيامة على كفره وخبت طويته، وسوء أمره وكان ذلك مما بهم لشفقته صلى الله عليه (١) زيد من م (٢) من م، وفى ظ: النقيض (٣-٣) من م، وفى ظ: للجازة. (٤) من م، وفى ظ: طينته.

وسلم على الخلق، ولما يعلم من نصيهم^١ للعداوة، هون امرم عليه وحقر شأنهم لديه بوعده بالكفاية بقوله مستأنفا منها على أسباب الهلاك التي أعظمها الغرور وهو شبهة زوجته شهوة: (ذرى) أى أتركنى على أى حالة اتفقت (ومن) أى مع كل من (خلقت) أى أوجدت من العدم و أنشأت فى أطوار الخلقة، حال كونه (وحيدا لا) لا مال له ولا ولد^٢ / ولا شيء، و حال كونى أنا واحدا شديد الثبات فى صفة الوحداية لم^٣ يشاركنى فى صنعه^٤ أحد فلم يشكر هذه النعمة بل كفرها بالشرك بالله سبحانه القادر على إعدامه بعد إيجاده^٥.

/ ٥٧٦

ولما كان المطفى للانسان المسكنة^٦ التى قطب دأرتها المال قال:
 ١٠ (وجعلت له) [أى -^٧] بأسباب أوجدتها أنا وحدى^٨ لا حول منه^٩
 ولا قوة بدليل أن غيره أقوى منه بدنا وقلبا وأوسع فكرا وعقلا
 وهو دونه فى ذلك (ملا مـدودا لا) أى مبسوطا واسعا ناميا^{١٠}
 [كثيرا جدا -^{١١}] عاما لجميع أوقات وجوده، والمراد به كما يأتى الوليد
 ابن المغيرة، قال ابن عباس رضى الله عنهما^{١٢}: كان له بين مكة والطائف
 ١٥ إبل^{١٣} وحجور ونعم وجنان وعبيد وجوار.

(١) من م، وفى ظ: نصيهم (٢) وإلى هنا انتهى الطمس فى الأصل.
 (٣) من ظ وم، وفى الأصل: لا (٤) من ظ وم، وفى الأصل: صنعى.
 (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ وم (٦) زيد فى الأصل: هى، ولم تكن
 الزيادة فى ظ وم لحذفناها (٧) زيد من ظ وم (٨) زيدت الواو فى الأصل
 ولم تكن فى ظ وم لحذفناها (٩) من ظ وم، وفى الأصل: له (١٠) راجع
 البحر المحيط ٣٧٣/٨.

[ولما كان اول ما تمتد إليه النفس بعد كثرة المال الولد ،
وكان أحب الولد الذكر - '] ، قال : ﴿ وبين ﴾ ولما كان الاحتياج
إلى فراقهم ولو زمانا يسيرا شاقا ، وكان الزمهم له واغنام عن
الضرب في الأرض نعمة أخرى قال : ﴿ شهودا ﴾ أي حضورا معه
لغناه عن الأسفار بكثرة المال وانتشار الخدم [و - '] قوة الأعوان ،
وهم مع حضورهم في الذروة من الحضور بتمام العقل وقوة الخدق ،
فهم في غاية المعرفة بما يزيدهم الاطلاع عليه حينما أرادهم وجدهم وتمتع
بقيامهم ، ومع ذلك فهم أعيان المجالس و صدور المحافل كانه لا شاهد
بها غيرهم . منهم خالد الذي من الله بإسلامه ، فكان سيف الله تعالى
وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم .

١٠

ولما كان [هذا كناية - '] عن سعة الرزق وعظم الجاه ،
وكان من بسط له في المال والولد والجاه تنرق نفسه إلى إتمام ذلك
بالحفظ والتيسير ، قال مستعظفا لمن كان هكذا * بالتذكير بنعمه :
﴿ ومهدت ﴾ أي بالتدرج والمباغلة ﴿ له ﴾ أي وطأت وبسطت
و هيات في الرئاسة بأن جمعت له إلى ملك الأعيان ملك المعاني التي ١٥
منها القلوب ، وأطلت عمره ، وأزلت عنه موانع الرغد في العيش ،
ووفرت أسباب الوجاهة له حتى دان لذلك الناس ، وأقام يبلده
مطمئنا يرجع إلى رأيه الأكبر ، قال ابن عباس رضي الله عنهما :

(١) زيد من ظ وم (٢) في الأصل : الزامهم (٣) من ظ ، وفي الأصل وم :

للاطلاع (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : هم (٥) من ظ وم ، وفي الأصل :

كهدا (٦) راجع البحر المحيط ٨ / ٣٧٣ .

وسعت له ما بين اليمن إلى الشام^١ فأكلت له من سعادة الدنيا ما
أوجب التفرد في زمانه من أهل بيته ونفذه بحيث كان يستغنى الوحيد
وريحانة قريش فلم يزع هذه النعمة العظيمة : [ون^٢] أكد ذلك
بقوله : (تمهيدا^٣) .

و لما كان قد فعل به ذلك سبحانه ، فأورثته هذه النعمة من أبطر
والاستكبار على من خوله فيها ضد ما كان ينبغي له من الشكر
والازدجار^٤ ، قال محققا أنه سبحانه هو الذي وهبها له وهو الواحد
القهار ، مشيرا بأداة التراخي إلى استبعاد الزيادة له على حاله هذه من
عدم الشكر : (ثم) /^٥ أى بعد الأمر العظيم الذى ارتكبه من

/ ٥٧٧

١٠ تكذيب رسولنا صلى الله عليه وسلم (بطمع) أى بغير سبب يدلى^٦
به إلينا مما جعلناه سبب^٧ المزيد من الشكر : (ان ازيد^٨) أى فيما
آتيته من دنياه أو آخرته وهو يكذب رسول^٩ صلى الله عليه وسلم .

و لما كان التقدير : إنه ليطمع فى ذلك لأن المال والجاه يجران
الشرف والعظمة بأيسر سعى ، هذا هو المعروف المتداول المألوف ،
١٥ استأنف زجره عن ذلك بمجتمع الزجر ، علما من أعلام النبوة ،
وزنهانا قاطعا على صحة الرسالة ، فقال ما لا يصح أن يقوله غيره سبحانه

(١) فى ظ : الشمال (٢) زيد من ظ وم (م) من ظ وم ، وفى الأصل : الادخار .
(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : الريادة (٤) جاءت العبارة هنا مطبوعة فى
الأصل فانسجناها من ظ (٥) من م ، وفى ظ : بدل (٦) من م ، وفى ظ :
سببها (٨) من م ، وفى ظ : رسول الله :

لأنه منع أنه لا ترد فيه ولا امتراء طابق الواقع، فلم يزد بعد ذلك شيئاً، بسـل لم يزل في نقصان حتى هلك وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا، لا مبدل لكلماته: ﴿كلا﴾ أى وعوتنا وجلالنا لا تكون له زيادة على ذلك أصلا، وأما النقصان فسيرى إن استمر على تكذيبه فليرتدع عن هذا الطمع، ويزدجر و ليرتجع^٢، فانه حق محض، هـ وزخرف بحت، وغرور صرف . ولما ردعه هذا الردع المقتضى ولا بد للاذعان و صادق الإيمان ممن لم يستول عليه الحومان، عله بقوله مؤكدا الإنكارهم العناد^٣ و المعاد: ﴿انه﴾ أى هذا الموصوف ﴿كان﴾ بخلق كأنه جلة [له -^٤] وطبع لا يقدر على الانقكاك عنه ﴿لأيتنا﴾ على ما لها من العظمة خاصة لكونها هادية إلى الوحدةانية، ١٠ لا لغيرها من الشبه القائدة إلى الشرك ﴿عندائه﴾ أى بالغ العناد على وجه لا يعد عناده لغيرها بسبب مزيد قبجه عنادا، و العناد - كما قال الملوى: من كبر في النفس أو ببس في الطبع أو شراسة في الأخلاق أو خبل في العقل، وقد جمع ذلك كله إبليس، لأنه خلق من نار. وهى من طبعها اليوسة و عدم الطواعية، و حقيقة ميل عن الجادة، و مجاوزة ١٥ للحد مع الإصرار و اللزوم، و منه مخالفة الحق مع المعرفة بأنه حق . ولما كان هذا محرا للتشوف إلى بيان هذا الردع، و كان العناد غاظة في الطبع و شكاسة في الخلق يوجب النكد و المشقة جعل

(١) استقظ من م (٢) ق م : ليرجع (م) من م ، و ق ط : العنادة (٤) آزيد متن م .
(هـ) ق ط بياض ملأناه من م .

جزاءه^١ من جنسه فقال: ﴿ - اارهقه ﴾ أى الحقه بعنف و غلظة و اقهر إلخاقا
 يغشاه و يحيط به بوعيد لا خلف فيه ﴿ صعودا^٢ ﴾ أى شيئا^٣ من
 الداهى و الانكاد كأنه عقبة ، فان الصعود لغة العقبة شاق المصعد جدا ،
 و روى الترمذى^٤ عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم
 ه أنه جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا تم يهوى ، و فى رواية^٥ : أنه
 كلما وضع يده فى معالجة الصعود ذابت ، فاذا رفعها عادت و كذا رجله ،
 و قال الكلبي^٦ : إنه صخرة ملساء فى^٧ / النار يكلف أن يصعدا يجذب
 / ٥٧٨
 من أمامه بسلاسل الحديد ، و يضرب من خله بمقامع^٨ الحديد
 فيصعدا^٩ فى أربعين [عاما - ^{١٠}] ، فاذا بلغ ذروتها أسقط إلى^{١١} أسفلها
 ١٠ ثم يكلف أن يصعدا ، فذلك دأبه أبدا .

و لما حصل التشوف إلى بعض ما عاند به الآيات ، قال ميثا
 لذلك مؤكدا لاستبعاد العقلاء لما صنع لبعده عن الصواب و معرفته
 كل ذى لب أنه كذب : ﴿ انه ﴾ أى هذا العنيد ﴿ فكر ﴾ أى
 ردد^{١٢} فكره و اداره تابعا لهواه لاجل الوقوع على شيء يظن به فى
 ١٥ القرآن ﴿ و قدر^{١٣} ﴾ أى أوقع تقديرا للامور التى يظن بها فيه و قايتها

(١) من م ، و فى ظ : جزاء (٢ - ٢) ما بين الرقين بياض فى ظ ملائاه من م .
 (٣) راجع الجامع ١٦٨/٢ (٤) راجع المعالم ١٤٦/٧ (٥) وإلى هنا انتهى الطمس فى
 الأصل (٦) من ظ و المعالم ، و فى الأصل : مقامع (٧) من ظ و المعالم ، و فى
 الأصل : فصعد (٨) زيد من ظ و المعالم (٩) من م و المعالم ، و فى الأصل
 و ظ : فى (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : رد .

في نفسه ليعلم أيها أقرب ' إلى القبول ' . ولما كان تفكيره و تقديره
قد أوقع غيره في الهلاك بمنعه من حياة الإيمان أصيب هو بما منعه ^٢
من حياة نافعة في الدارين ، وذلك هو الهلاك ^٣ الدائم . ولما كان الضار
إنما هو الهلاك لا كونه من معين ؛ سبب عن ذلك بانبا للفعول قوله
مخبرا [و - '] داعيا دعاءا مجابا لا يمكن تخلفه : ﴿ قتل ﴾ أي هلك ولعن ^٥
و طرد في دنياه هذه . ولما كان التقدير غاية التفكير ، وكان التفكير
ينبغي أن يهديه إلى الصواب ، فقاد به إلى الغي ، عجب منه فقال منكرا
عليه معبرا بأداة الاستفهام إشارة إلى أنه مما يتعجب منه ويسأل عنه ؛
﴿ كيف قدر لا ﴾ أي على أي كيفية أوقع تقديره هذا ، وإذا أنكر
[مطلق - '] الكيفية لكونها لا تكاد ابطالانها تتحقق ، كان إنكار ^{١٠}
الكيف أحق .

ولما كان وقوعه في هذا الطعن عظيما [جدا لما فيه من الكذب
المفضوح ومن معاندة من هو القوى المتين المنتقم القهار العظيم - ']
ومن غير ذلك من الوجوه المبعدة عن الوقوع فيه ، أكد المعنى زجرا
عن مثله و حثا على التوبة منه ، فقال معبرا بأداة البعد دلالة على عظمة ^{١٥}
هذا القتل بالتعبير بها وبالتكرار : ﴿ ثم قتل ﴾ أي هلك ولعن هذا
العنيد هلاكا ولعنا هو في غاية العظمة فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة
﴿ كيف قدر لا ﴾ ولما كان ^{١٠} الماهر بالنظر إذا فكر و صحح فكره نظر في

(١-١) في ظ : للقبول (٢) في ظ : يمنعه (م) من ظ وم ، وفي الأصل : النعيم .
(٤) زيد من ظ وم (٥) زيد في ظ : الانسان (٦) زيدت الواو في الأصل ولم
تكن في ظ وم لحذفها .

لوازمه قال مشيرا إلى طول ترويه: ﴿ثم نظرا﴾ أى فيما يدفع به امر القرآن مرة بعد أخرى، وفى ذلك إشارة إلى قبح أفعاله، فظهور الحق له مع إصراره^١ فان تكرار النظر فى الحق لا يزيده على كل حال إلا ظهورا، وفى الباطل لا يزيده إلا ضعفا وقورا.

٥ ولما كان من فعل كذلك^٢ فظهر له فساد رأيه ووقف مع حظ نفسه يصير يعبس^٣ ويفعل أشياء تتغير لها خلقته من غير اختياره قال: ﴿ثم عبس﴾ أى قطب وجهه وكبح قتريد وجهه مع تقبض جلده^٤ ما بين العينين بكراهة شديدة كالمهتم المتفكر^٥ فى شيء وهو لا يجد فيه فرجا لأنه ضاقت عليه الحيل لكونه لم يجد فيما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مطعنا ﴿وبسرا﴾ إلتباع لعبس تأكيدا لها، وربما افهمت أنه سبر^٦ ما قاله ووزنه بميزان الفكر وتبعه تبعا مفرطا^٧ حتى رسمت فيه قدمه، كذا قالوا إنها إلتباع إن أريد به التأكيد وإلا فقد وردت مفردة، قال فى القاموس: بسر - إذا عبس، و بسر الحاجة: طلبها فى غير أوانها، و بسر الدين: تقاضاه قبل محله، فكأنه لما طال عليه التفكير صار يستعجل حصوله إلى مراده، ويقال: بسر - إذا ابتدأ الشيء، فكأنه لما عبس خطر له السحر فابتدأ فى إبداء ما سئح له من امره، قال ابن برجان:

(١) فى ظ: اضطرابه (٢) من ظ و م، وفى الأصل: بذلك (٣) من م، وفى الأصل و ظ: يعبس (٤) فى م: الجلد (٥) فى ظ و م: التفكير (٦) جاءت العبارة هنا مطموسة فى الأصل فانتسخناها من ظ (٧) من م، وفى ظ: بصره (٨) من م، وفى ظ: فيه - كذا.

البسور هية في الوجه تدل على تحزن في القلب .

ولما كان هذا النظر على هذا الوجه أمدح شيء للنظر فيه إذا لم يوصل^١ منه إلى طعن، وكان ظاهره أنه لتطلب الحق، فكان الإصرار معه على الباطل في غاية البعد، قال دالا على ذلك من المدح وعدم وجدان الطعن معبرا بأداة البعد: ﴿ ثم ﴾ أي بعد هذا التروى العظيم ٥ ﴿ ادبر ﴾ [أي - ٢] عما أداه إليه فكره من الإيمان بسلامة المنظور فيه وعلوه عن المطاعن، فخذ عن وجوه الأفكار إلى أفتانها ﴿ واستكبر ﴾ أي [و - ٢] أوجد الكبر عن الاعتراف بالحق إيجاد من هو في غاية الرغبة فيه، وكان هذا غاية العناد، فكان معنى العنيد ﴿ فقال ﴾ أي عقب ما جره إليه طبعه الخبيث من إيقاع الكبر على هذا الوجه لكونه ١٠ رآه نافعا لهم في الدنيا ولم يفكر في عاقبة^٢ ذلك من جهة الله، وأنه سبحانه لا يهدي كيد الخائنين ولا ينجح مراد الكاذبين، ونحو هذا مما جربوه في دنياهم فكيف رقى نظره إلى أمر الآخرة، وأكد الكلام لما يعلم من إنكار من يسمعه فقال: ﴿ ان ﴾ أي ما ﴿ هذا ﴾ أي [الذي - ٢] أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ الاسحر ﴾ أي أمور ١٥ تخيلية لا حقائق لها، وهي لدقتها بحيث تخفى أسبابها .

ولما كان من العلوم لهم^٣ أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما سحر قط ولا تعلم سحرا، فكان من ادعى ذلك علم كذبه بأدنى نظر بعد

(١) زيد في ظ : شيئا، ولم تكن الزيادة في م فخذفناها (٢) زيد من م (٣) من م، وفي ظ : عاقبة (٤) سقط من م .

الامر بقدر استطاعته فقال : ﴿يُؤْتِرُهُ﴾ أى من شأنه ان ينقله السامع له عن غيره ، فهو لقوة سحرية وإفراطها فى بابها يفرق^١ بمجرد الرواية بين المرء وزوجه وبين المرء وأبيه وابنه إلى غير ذلك من العجائب التى تنشأ عنه . ولما كان السامع يجوز أن يكون مأثورا عن الله فيوجب له ذلك الرغبة فيه ، قال من غير عاطف كالمبين للأول والمؤكد له ، وساقه على وجه التأكيد بالحصر لعله أن كل ذى بصيرة ينكر كلامه : ﴿ان﴾ أى ما ﴿هذا﴾ أى القرآن ﴿الا قول البشر﴾ أى ليس فيه شيء عن الله فلا يعتر أحد به ولا يعرج عليه ، وقد مدحه بهذا الذم بعد هذا التفسير كله من حيث انه اثبت أنه معجوز عنه لأغلب الناس^٢ / ١٠ / ٥٨٠ / كما يعجزون عن السحر فسكت ألفا ونطق خلفا ، فكان شديدا من بعض الوجوه بنا قاله بعضهم^٣ :

لو قيل كم خمس وخمس ، لا غدى يوما وليلته يعد ويحسب
ويقول معضلة عجيب أمرها ولئن عجت لها لأمرى أعجب
حتى إذا خدرت ، يدها وعورت عيناه^٤ بما قد يخط ويكتب
أوفى على شرف^٥ وقال ألا انظروا ويسكاد من فرح يحن ويسلب
خمس وخمس ستة أو سبعة قولان قالها الخليل وثلث
وهكذا كل حق يحمد المبالغ فى ذمه لا ينفك ذمه عن إفهام مدح له

(١) من م ، وفى ظ : يفرط (٢) وإلى هنا انتهى الطمس فى الأصل (٣) زيد فى الأصل : حيث قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فخذنها (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : اخدرت (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : يماه (٦) من م ، وفى الأصل وظ : خطر .

ينقض كلامه ، و لكن أين النقاد المعداد من الأفراد بين العباد^١ ، وهذا الكلام صالح لمعوم كل من خلقه سبحانه هكذا في الروغان من الحق لما تفضل الله به عليه من الرئاسة لأن أهل العظمة في الدنيا هم في الغالب القائمون في رد الحق والتعاضم على أهله كما ذكر هنا ولا ينافي ذلك^٢ ما قالوه : إنها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي ، بل ذلك من إعجاز كلام الله تعالى أن تنزل^٣ الآية في شخص قتيبن حاله غاية البيان ويعم غيره ذلك البيان ، قالوا : كان للوليد هذا عشرة من البنين ، كل واحد منهم كبير قبيلة ، ولهم عبيد يسافرون في تجاراتهم ويعملون احتياجاتهم ، ولا يحوجونهم إلى الخروج من البلد لتجارة ولا غيرها ، وأسلم منهم ثلاثة : الوليد بن الوليد وخاله وهشام ، وقيل^٤ : أنه لما نزل^٥ على النبي صلى الله عليه وسلم أول سورة غافر إلى قوله ” المصير “ أو أول ” فصلت “ قرأها النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والوليد يسمعه ، فأعاد القراءة فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بنى مخزوم ، فقال : والله لقد سمعت من محمد صلى الله عليه وسلم [آتفا -^٦] كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، إن له الحلاوة وإن عليه اطلاوة ، ١٥ وإن أعلاه لمثمر^٧ وإن أسفله لمعذب^٨ ، وإنه ليعلو ولا يعلى^٩ ، ثم انصرف

(١) من ظ ، وفي الأصل وم : الأفراد (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : ذكر (٣) من م ، وفي الأصل وظ : تنزلت (٤) راجع العالم ١٤٦/٧ (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : نزلت (٦) سقط من ظ وم (٧) زيد من ظ وم والعالم . (٨) من ظ وم والعالم ، وفي الأصل : لم - كذا (٩) زيد في الأصل وظ : عليه ، ولم تكن الزيادة في م والعالم فحذفناها .

فقلت قريش: صبا والله الوليد، والله لتصبون قريش كلها،^١ وكان يقال للوليد^١ ريحانة قريش، فقال ابن أخيه أبو جهل: أنا اكفيكموه، فقمعد إلى جنب الوليد حزينا، فقال الوليد: مالي أراك حزينا يا ابن أخي؟ قال: وما يمنعني وهذه قريش تجمع لك نفقة تعينك بها على كبر سنك ٥ وتزعم أنك صبوت، لتدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتتال^٢ من فضل طعامهم، فغضب الوليد وقال: ألم تعلم قريش أني^٣ من أكثرها^٢ مالا وولدا، وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل؟ ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه و^٤ أداروا الرأي^٤ فيما يقولونه في القرآن فقالوا له: ما تقول^٥ في هذا [الذي - ٦]

١٠ جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال: قولوا أسمع لكم، قالوا: شعر، قال: ليس بشعر، قد علنا الشعر كله، وفي رواية: هل [رأيتموه - ٦] يتعاطى شعرا؟ قالوا: كهاته، قال: ليس بكهاته، هل رأيتموه يتكهن؟ فعدوا أنواع البهت التي رموا بها القرآن فردها، وأقام الدليل على ردها، وقال: لا تقولوا شيئا من ذلك إلا أعلم أنه كذب، قالوا: فقل ١٥ أنت وأقم لنا فيه رأيا نجتمع عليه، قال: أقرب ذلك إليه السحر، هو يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء^٦ وزوجه وعشيرته، فافترقوا على ذلك، وكان

(١-١) من ظ و م والمعلم، وفي الأصل: لونه الوليد (٢) من ظ و م، وفي الأصل: لتناول (٣-٣) من ظ و م، وفي الأصل: اعظمهم، وفي المعالم: من أكثرهم (٤-٤) من ظ وفي الأصل: دارونها - كذا، ومن هذا يتحول السياق من المعالم (٥ - ٥) من ظ، وفي الأصل: انك، وهنا سقطت في م (٦) زيد من ظ و م (٧) زيد في الأصل: وابنه، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

قوله هذا سبب هلاكه فكان كما قال بعضهم :

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغك إنه ثعبان

كم في المقابر من قيل لسانه كانت تخاف لقاءه الشجعان

ولما انقضى بيان عناده لحصل التشوف لتفصيل جزائه في معاده ، قال

مينا لبعض ما أفهمه إرهابه الصعود : (ساصيله) أى بوعيد لابد ه

منه عن قرب (سقره) أى الدركة النارية التى تفعل فى الأدمغة

من شدة حوها ما يحل عن الوصف ، فأدخله إياها و ألوحه فى الشدائد

حرها و أذيب دماغه بها ، و أسيل ذهنه و كل عصاراته بشديد حرها

جزاء على تفكيره هذا الذى قدره و تخيله و صوره بإدارته فى طبقات

دماغه ليحرق أكباد أولياء الله و أصفياه .^{١٠}

ولما أثبت له هذا العذاب عظمه و هوله بقوله : (و ما أدرك)

أى أعلمك و إن اجتهدت فى البحث (ما سقر)^{١١} يعنى أن علم هذا

خارج عن طوق البشر لا يمكن^{١٢} أن يصل اليه أحد منهم إلا بأعلام الله

له لأنه أعظم من أن يطلع عليه بشر . ولما أثبت لها هذه العظمة ،

زادها عظما ببيان فعلها دون شرح ماهيتها [فقال - '] : (لا تبق)^{١٥}

أى "سقر هذه لا تترك" شيئا يلقى فيها على حالة البقاء على ما كان

(١) فى ظ : تهاب (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : من (٣) من ظ و م ، وفى

الأصل : تنقص (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٥) من م ، وفى الأصل

و ظ : غصاراته (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بإداراته (٧-٧) فى ظ و م :

أصفياه الله وأوليائه (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يقدر (٩) زيد من ظ و م .

(١٠-١٠) فى ظ و م : لا تترك سقر .

عليه ﴿ولا تدرج﴾ أى تترك على حالة من الحالات ولو كانت أقبح الحالات فضلا عما دونها ، بل هى دائمة الإهلاك لكل ما أذن لها فيه ، والتغير لأحوال ما أذن لها فى عذابه ، ولم يؤذن فى محقه بالكلية ، لكل شيء فترة وملا ل دونها .

٥ ولما كان تغير حال الإنسان إلى دون ما هو عليه غائظا له موجهه إذا كان ذلك تغير لونه لأن الظاهر عنوان الباطن ، قال الله تعالى دالا على شدة فعلها فى ذلك : ﴿لواحة﴾ أى شديدة التغير بالسواد والزفرة واللح والاضطراب [والتعطيش ونحوها - ٢] من الإفساد من شدة حرها ، تقول العرب : لاحت النار الشيء - إذا أحرقت وسودته ١٠ ﴿للبرية﴾ أى للناس أو الجلودهم ، جمع بشرة وجمع البشر أبشار ﴿عليها﴾ أى مطلق النار بقرينة ما يأتى من الحزنة ﴿تسعة عشر﴾ أى ملكا ، لطبقة المؤمنين وهى العليا ملك واحد ، ولست ٢ الباقية ثمانية عشر ، لكل واحدة ثلاثة ، لأن الواحد يؤزر بثن ، وهما يعززان بثلث ، فلذا والله أعلم كانوا ثلاثة ، أو لأن الكفر يكون بالله وكتابه ورسوله ١٥ صلى الله عليه وسلم ، فكان لكل تكذيب فى كل طبقة من طبقاتها الست ملك أو صنف من الملائكة ، وعلى الأول فى كونهم أشخاصا بأعيانهم أكثر المفسرين ، وقد علم بما مضى أنهم غلاظ شداد ٣ كل واحد منهم يكنى ٤ لأمله الأرض كلهم كما أن ملكا واحدا وكل

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : ان (٢) زيد من ظ ، والعبارة فى م مطموسة .
(٣) من ظ ، وفى الأصل وم ، للسنه (٤-٤) فى ظ : يكنى كل واحد منهم

يقبض جميع الأرواح، وجاء في الآثار^١ ان أعينهم كالبرق الخاطف،
 و أنيابهم كالصياصي، يخرج لهب^٢ النار من أفواههم، ما بين منكبى
 أحدهم مسيرة سنة، نزع منهم الرحمة^٣، يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم
 حيث أراد من جهنم، قال عمرو بن دينار: إن واحدا^٤ منهم يدفع
 بالدفة الواحدة^٥ أكثر من ربيعة ومضر . وقيل: إن هذه العدة هـ
 لمكافأة ما في الإنسان من القوى التي بها يتنظم قوامه، وهي الحواس
 الخمس الظاهرة: السمع والبصر والشم والذوق واللس، والخمس الباطنة:
 المتخيلة والواهمة والمفكرة والحافظة والذاكرة، وقوت الشهوة
 والغضب، والقوى الطبيعية السبع: الماسكة والمأخضة والجاذبة والدافعة
 والغاذية والنامية والمولدة، وقيل: اختير هذا العدد لأن التسعة نهاية
 الآحاد، والعشرة بداية العشرات، فصار مجموعهما^٦ جامعا لا أكثر القليل
 وأقل الكثير، فكان^٧ أجمع الأعداد، فكان إشارة إلى ان خزنتها أجمع
 المجموع، ويروى^٨ عن ابن مسعود رضي الله عنه أن قراءة البسمة تنجي

(١) راجع المعالم ٧ / ١٤٧ (٢) من ظ والمالم، وفي الأصل وم: لهيب .
 (٣) زبدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ وم والمالم لحذفها (٤) من ظ
 وم والمالم، وفي الأصل: الواحد (هـ) زيد في الأصل: فيجمع فيها عدد، ولم
 تكن الزيادة في ظ وم لحذفها، وزيد في المعالم: جهنم (٦) زيد في الأصل:
 وهي، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٧) من ظ وم، وفي الأصل:
 مجموعا (٨) من ظ وم، وفي الأصل: وكان (٩) من م، وفي الأصل وظ: روى.

من خزنة النار^١ فانها تسعة عشر حرفا، كل حرف منها ملك منهم .
ولما كان هذا غير مميز للعدود^٢، وكانت الحكمة في تعيين هذا^٣
العد غير ظاهرة ، وكان هذا العدد بما يستقله المتخنت فيزيده كفرا،
[قال تعالى - ٤] مينا لذلك : (وما جعلنا) أى بما لنا من العظمة
٥ و إن خفي وجه العظمة فيه على من عمى قلبه * (اصحب النار) أى
خزنتها (الا ملائكة ص) أى^٦ إنهم ليسوا^٧ من جنس المعذنين فيرقوا
لهم و يطبق المعذبون محاولتهم أو يستريحوا إليهم وهم أقوى الخلق،
وقد تكرر عليكم ذكرهم و علمتم أو صافهم وأنهم ليسوا بالبشر بل
الواحد منهم يصبح صيحة واحدة فيهلك^٨ مدينة كاملة كما وقع لثمود،
١٠ فكيف إذا كان كل واحد من هؤلاء الخزنة رئيسا^٩ تحت يده من
الجنود ما لا يحصىه إلا الله تعالى (وما جعلنا) على ما لنا من العظمة
(عدتهم) أى مذكورة و محصورة فيما ذكرنا (الا فتة) أى
حالة مخالطة بملة محيلة (للذين كفروا) أى أوجدوا هذا الوصف
ولو على أدنى الوجوه، فانهم يستقلوه و يستهزؤن [به - ٩] و يتعتون
١٥ أنواعا من التعتن بحيث أن^{١٠} بعض أغبياء قريش^{١١} و هو أبو جهل،

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : جهنم (٢) من ظ ، وفي الأصل و م : للحدود .
(٣) من ظ ، وفي الأصل و م : هذا تعيين (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ،
وفي الأصل : عليه (٦-٧) في ظ : فليسوا (٧) زيد في الأصل : أهل ، ولم تكن
الزيادة في ظ و م لحذفها (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : رئيس (٩) زيد من
ظ و م (١٠) ومن هنا تعرضت صفحة من الأصل للطمس فانتسخناها من ظ ،
و نسخة م أيضا مطنوسة بعض الطمس (١١) راجع العالم ٧ / ١٤٧ .

قال: ثكلتم امهاتكم، اسمع ابن ابى كبشة يقول كذا و أنتم الدم،
 أيعجز كل عشرة منكم أن ييطشوا برجل منهم، فقال أبو الأشد بن
 أسيد بن كعدة الجمحى - وكان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر
 فاكفوني أنتم اثنين، وهذا كله على سبيل الاستهزاء، فانهم مكذبون
 بالبعث الذى هذا من آثاره، و كان فى علم أهل الكتاب^١ أن هذه
 العدة عدتهم، و أن العرب إذا سمعوا هذه العدة كانت سببا لشك أكثرهم
 و موضعا للتعنّت، فلذلك علق بالفتنة أوب^٢ "جعلنا" قوله: (ليستيقن)
 لمى يوجد اليقين لإيجادا تاما كأنه بغاية الرغبة (الذين اتوا الكُتب)
 بناه للفعل لأن مطلق الإتياء^٣ كاف فى ذلك من غير احتياج إلى تعيين
 المؤتى^٤ مع أنه معروف أنه هو الله، قال البغوى^٥: مكتوب فى التوراة ١٠
 و الإنجيل أنهم تسعة عشر. (ويزدا الذين امنوا) أى أوجدوا هذه
 الحقيقة و لو على أدنى الوجوه إلى ما عندهم من الإيمان (إيماناً)
 بتصدق ما لم يعلوا وجه حكمته لاسيما مع اقتنان غيرهم به و كثرة
 كلامهم فيه، فان الإيمان بمثل ذلك يكون أعظم.

و لما أثبت لكل من الجاهل و العالم ما أثبت، اكده بنى ضده ١٥
 مينا للفتنة فقال: (ولا يرتاب) أى يشك شكاً يحصل بتعمد و تكسب
 (الذين اتوا الكُتب) لما^٦ عندهم من العلم المطابق لذلك، قال
 ابن برجان: و روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن قوماً من أهل

(١) زيد فى ظ: به، ولم تكن الزيادة فى م فخذناها (٢) من م، وفى ظ: الاعطاء.

(٣) من م، وفى ظ: المعطى (٤) فى العالم ٧ / ١٤٨ (٥) من م، وفى ظ: ما.

الكتاب جاؤا اليه في قضية - فيها طول، وفيها انهم^١ سالوه عن خزنة جهنم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده هكذا وهكذا، في مرة عشرة وفي مرة تسعة، فقالوا: بارك الله فيك يا أبا القاسم، ثم سألهم: ما خزنة الجنة؟ فسكتوا هية [ثم - ٢] قالوا: خزنة ه يا أبا القاسم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الخزنة من الهرمك ﴿والمؤمنون لا﴾ أى لا يرتاب الذين رسخ الإيمان عندهم لما راوا من من الدلائل التى جعلتهم فى^٢ مثل ضوء النهار ﴿وليقول الذين﴾ استقر ﴿فى قلوبهم﴾ مرض أى شك أو تقاع وإن قل، ونزول هذه السورة قبل وجود المناهقين علم من أعلام النبوة، ولا ينكر جعل الله تعالى بعض الامور علة لمصالح ناس وفساد آخرين، لانه لا يسئل عما يفعل على أن العلة قد تكون مقصودة لشيء بالقصد الاول، ثم يرتب عليها شيء آخر يكون قصده بالقصد الثانى تقول: [خرجت - ٢] من البلد لمخالفة أكثر ومخافة الشر لا يتعلق بها الغرض ﴿والكافرون﴾ أى ويقول الراضون فى الكفر الجازمون بالتكذيب المجاهرون به ١٥ الساترون لما دلت عليه الادلة من الحق ﴿ماذا﴾ أى أى شيء ﴿اراد الله﴾ أى الملك الذى له جميع العظمة ﴿بهذا﴾: أى العدد القليل فى جنب عظمتة ﴿مثلاً﴾ أى من جهة أنه صار بذلك مستغراباً استغراب المثل، أو أن ذلك إشارة إلى أنه ليس المراد به ظاهره بل (١) فى م: ان (٢) زيد من م (٣) من م، وفى ظ: من (٤) الى هنا انتهى الطمس فى الأصل.

٨٤ /

مثل شيء لم يفهموه وفهموا أن / بين استجماعه للعظمة وهذا العدد
 عناوا، وما علموا أن القليل من حيث العدد ^١ قد يكون أعظم بقوته
 من الكثير العدد، ويكون أدل على استجماع العظمة . ولما كان
 التقدير ^١ : أراد بهذا إضلال من ضل ^٢ وهو لا يبالي، وهداية من اهتدى
 وهو لا يبالي، ^٣ كان كأنه ^٤ قيل : هل يفعل ^٥ مثل هذا في غير هذا ؟ ه
 فقال جوابا : (كذلك) أى مثل هذا المذكور من الإضلال والهداية
 (يضل الله) أى الذى له مجامع العظمة ومعاقد العز (من يشاء)
 بأى كلام شاء (ويهdy) بقدرته التامة (من يشاء ^٦) بنفس ذلك
 الكلام أو ^٧ بغيره ، وذلك من حكم جعل الخزنة تسعة عشر والإخبار
 عنهم بتلك العدة فان إبراز الأحكام على وجه الغموض من أعظم ١٠
 المهلكات والمسعدات، ^٨ لأن المنحرف ^٩ الطباع يبحث عن عللها بحث
 متعنت، فاذا عمت عليه قطع يطلان تلك الأحكام أو شك، وربما
 أبى الانقياد، وذلك هو سبب كفر إبليس، والمستقيم المزاج [يبحث - ^{١٠}]
 مع التسليم فان ظهر له الأمر ازداد تسليما وإلا قال : آمنت بذلك
 كل من عند ربنا - فكان فى غاية ما يكون من تمام الانقياد لما ^{١١} ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اصل .

(٣ - ٣) من ظ و م ، وفى الأصل : كأنه كان (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :

الفعل (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : قال (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :

« و » (٧ - ٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لا من مسخرف (٨) زيد فى ظ ،

لا - كذا .

يعلم سره - رزقنا الله التسليم لامره و أعاننا على ذكره وشكره .
ولما كان هذا بما يوم^١ قلة جنوده تعالى ، أتبعه ما^٢ يزيل ذلك
فقال : ﴿ وما ﴾ أى و الحال انه ما ﴿ يعلم جنود ربك ﴾ أى المحسن
إليك بأنواع الإحسان المدبر لأمرك بغاية الإتقان من جعل النار وخزنتها
ه و جعلهم على هذه العدة و غير ذلك ، فلا تعلم عدتهم لأجل كثرتهم
و خروجهم عن طوق المخلوق و ما هم عليه من الأوصاف فى الأجساد
و المعانى ﴿ الا هو ﴾ أى الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال ، فلو أراد
لجعل الخزنة اكثر من ذلك ، فقد روى أن البيت المعمور يدخله كل
يوم سبعون ألفا من الملائكة لا تعود إليهم^٣ نوبة أخرى ، و قد ورد أن
١٠ الأرض فى السماء كحلقة ملقاة [فى فلاة -^٤] و كل سماء فى التى فوقها
كذلك ، و قد ورد فى الخبر^٥ : أطت السماء و حق لها أن تنط^٦ ما فيها
موضع قدم إلا وفيه^٧ ملك قائم يصلى . و إنما خص هذا العدد لحكم لا يعلمها
إلا هو ، و من اراده^٨ إطلاعه على ذلك من عباده مع أن^٩ الكفاية تقع
بدون ذلك ، فقد كان فى^{١٠} الملائكة من اقتلع مدائن قوم لوط و هى
١٥ سبع^{١١} و رفعها^{١٢} إلى عنان السماء . و كل ما فى الإنسان من الجواهر

- (١) من ظ ، و فى الأصل : يفهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : بما (م) من ظ
و م ، و فى الأصل : اليه (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع جامع الترمذى - الزهد
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : نوط (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فيها .
(٨) من م ، و فى الأصل و ظ : اراده (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : من .
(١٠) فى الأصل : سبعة ، و زيد فى الأصل بعد : مدائن و لم تكن الزيادة فى
ظ و م لحذفها (١١-١٢) سقط ما بين الرقعين من ظ .

و الإعراض من جنود الله ' لو سلب ' عليه شيء من نفسه لأهلكه :
لو تحرك عرق ساكن أو سكن متحرك أو انسد مجوف أو تجوف
منسد لهلك .

ولما ذكر شيئا من أمرار سوق الأخبار عنها غامضا ، و كان ذلك
من رحمة العباد ليفتح لهم بابا إلى التسليم لما يغمض من تذكيرهم .
بأمر ملبسهم لأن العاجز لا يسعه في المشي على قانون الحكمة إلا التسليم
للقادر و إلا أهلك نفسه و ما ضر غيرها ، خص أمرها في التذكير تأكيدا
للاعلام تذكيرا^٢ بالنعمة لأجل ما^٣ لأغلب المخاطبين من اعوجاج
الطباع المقتضى للرد و الإنكار ، المقتضى / لسوق الكلام على وجه
٥٨٥ /
التأكيد فقال : (و ما هي) أي النار التي هي [من - ٢] أعظم جنوده ١٠
سبحانه و تعالى (الا ذكرني للبشر) أي تذكرة عظيمة ' لكل من '
هو ظاهر البشارة فبدنه أقبل شيء للتأثر بها لأجل ما يعرفون منها في
دنيائهم ، و إلا فهو سبحانه و تعالى قادر على إيجاد ما هو أشد منها و أعظم
و أكثر إبلا ما بما لا يعلمه الخلائق .

ولما كان حصرها في الذكرى ربما أوهم نقصا في أمرها بوجب ١٥
لبعض المعاندين رية في عظمه و بأنه لا حقيقة لها و لا عذاب فيها ،
قال رادعا من ذلك و منها على الاستعداد^٤ و الحذر^٥ بكلمة الردع

(١-١) من ظ و م ، و في الأصل : يسلب (٢-٢) من ظ ، و في الأصل و م :
للعنة يجعل ما (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ ، و في الأصل و م : لمن .
(٥) من ظ ، و في الأصل و م : لو (٦-٦) من ظ ، و في الأصل و م : فالحذر .

والتنبيه: ﴿كلا﴾ أى إياك أن ترتاب فى 'أحوالها و عظيم أمرها
وأحوالها و أوجالها لأن الأمر أطم و أعظم مما يخاطر بالبال ، فليدع
السامع^٢ وليزجر^٢ .

ولما حصر^٣ أمرها فى الذكرى و نفي أن يظن بها^٤ قص فيما جعلت
هـ له تأكيداً للكلام إشارة إلى ما لأغلب المخاطبين من الشكاسة و العوج
إيقاظاً مما هم فيه من الغفلة و تلطيفاً لما لهم من اللوم و السكاسة و تنبيهاً
لهم على السعى فى تقويم أنفسهم بما يستعملونه من الأدوية التى يرشدهم
سبحانه إلى علاج أمراض القلوب بها ، زاد الأمر تأكيداً فأقسم على
ذلك بما هو ذكرى للناس و لا يظهر معه ظلام الليل كما أن ضياء القرآن
١٠ لا يظهر معه ظلام الجهل لمن اعمل عين فكرته ، و التى حظوظ نفسه ،
فقال: ﴿والقمر لا﴾ [أى الذى - °] هو آية الليل الهادية لمن ضل
بظلامه ﴿واليل اذا دبر لا﴾ أى مضى فأقلب راجعاً من حيث جاء
فانكشف ظلامه فزال الجهل بانكشافه ، وانصرفت^٦ الريب و الشكوك
بانصرافه ﴿والصبح اذا اسفره﴾ فأقبل ضياؤه لجل العلم بحلوله ، و حصلت
١٥ الهداية بحصوله ، أو دبر بمعنى 'أقبل' ، قال قطرب^٧: تقول العرب : دبرنى
فلان أى جاء خلفى .

ولما أقسم على ما أخبر به من ذكرها ، و أكدته لإنكارهم العظيم لبلاياها

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٢-٢) تكرر ما بين الرقين فى الأصل .

(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : عظم (٤) العبارة من هنا جاءت مطموسة فى

الأصل فانتسخناها من ظ (٥) زيد من م (٦) من م ، وفى ظ : انصرف .

(٧) راجع المعالم ١٤٨/٧ .

استأنف تعظيمها والتخويف منها تأكيذا للتخويف لما تقدم من الإنكار فقال: ﴿ انها ﴾ أى النار التى سقر دركة من دركاتها، وزاد فى التأكيد على مقتضى زيادتهم فى الاستهزاء فقال: ﴿ لاحدى الكبر ﴾ أى من الدوامى والعظام، جمع كبيرة وكبرى، وهو كناية عن شدة هولها كما يقال: هو أحد الرجال أى لا مثل له، أو ' المراد بها واحدة ه سبع هى غاية فى الكبر أى دركات النار، وهى جهنم فلفظى فالحطمة فالسعر فسقر فالجحيم فالهاوية، هى إحداها فى عظيم أقطارها^٢ وشديد إيلامها وإضرارها، حال كونها ﴿ نذيرا ﴾ عظيما أو من جهة نذارتها أو إنذارا بالغا: فعيل بمعنى المصدر مثل " فكيف كان نكير " أى إنكارى؛ وعبر بقوله: ﴿ للبشر ﴾ لما تقدم من الإشارة إلى إسراع الجسم ١٠ العادى فى قول^٣ التأثر / لا سيما بالنار .

٥٨٦ /

ولما كان التقدم^٤ عند الناس لا سيما العرب محبوبا والتأخر^٥ مكروها، وكان سبحانه وتعالى قد خلق فى الإنسان قوة واختيارا بها يفعل ما قدره^٦ الله له وغطى عنه علم العاقبة حتى صار الفعل ينسب إليه وإن كان إنما هو بخلق الله، قال تعالى باعنا لهم على الخير ومبعدا ١٥ من^٧ الشر مستانفا أو مبدلا جوابا لمن يقول: وما عسى أن تفعل؟ أو ينفع

(١) من م، وفى ظ " و " (٢) فى م: شدايد (٣) إلى هنا انتهى الطمس فى الأصل (٤) من ظ و م، وفى الأصل: التقدير (ه) من ظ و م، وفى الأصل: ان المتأخر (٦) من ظ و م، وفى الأصل: يقدره (٧) من م، وفى الأصل وظ: عى .

الإنذار وقد قال إنه هو الهادي المصل "يضل الله من يشاء [ويهدي من يشاء - ٢]: ﴿ لمن شاء ﴾ أي بارادته، وصرح بالمقصود لثلاثت متعتهم فيقول: المراد غيرنا، فقال: ﴿ منكم ﴾ أي أيها المعاندون ٢ ﴿ ان يتقدم ﴾ أي إلى الخيرات ﴿ او يتأخره ﴾ أي عنها فيصل إلى ٥ غضب الله تعالى والنار التي هي أثر غضبه، التي جعل ما عندنا من مؤلم الحر ومهلك البرد متأثرا عن نفسها تذكيرا لنا ورحمة بنا، وحذف المفعول لأن استعماله كثير حتى صار يعرف وإن لم يذكر، وترجمة ذلك: لمن شاء أن يتقدم التقدم بما له من المكنة والاختيار في ظاهر الأمر، ولمن شاء أن يتأخر التأخر، و"أن يتقدم" مبتدأ، وهو مثل ١٠ ﴿ لمن يتوصاً ٥ أن يصل ٥، ويجوز أن تكون الجملة بدلا من «للبشر» على طريق الالتفات من الغائب إلى الحاضر ليصير كل مخاطب به كأنه هو المقصود بذلك بالقصد الأول فيتأمل المعنى في نفسه فيجده صادقا ثم يتأمل فلا يجد مانعا من تعديته إلى غيره من جميع البشر، ويكون «أن» والفعل على هذا مفعولا لـ «شاء» .

١٥ ولما كان التقدم [والتأخر - ٢] بالأفعال، وكان أكثر أفعال الإنسان الشر لما جبل عليه من النقصان، قال مينا لما يقدم وما يؤخر: ﴿ كل نفس ﴾ أي ذكر أو أنثى على العموم ١ ﴿ بما كسبت ﴾ أي خاصة

(١) زيد في الأصل: او، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٤ - ٤) من ظ و م، وفي الأصل: عتا (٥ - ٥) من ظ و م، وفي الأصل: ليصل (٦) زيد في الأصل: ما، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

لا بما كسب غيرها (رهينة ٥) أى مرتهنة بالفعل ، اسم بمعنى الرهن كما فى [قول - ١] الحماسى ٢ :

أبعد الذى بالنصف نفع كويكب ٢ رهينة رسم ذى تراب و جندل
لا تأنيك " رهين " الذى هو وصف ، لأن فعلا بمعنى [مفعول ٤ -]
يستوى مذكره و مؤنثه ، و لو كانت الفواصل التى يعبرون بها عن السجع ه
تأدبا زاعى فى القرآن بوجه لقليل : [رهين - ٥] - لأجل يمين ، و لكن
لا نظرا فيه لغير المعنى ، و يجوز ان تكون [الهاء - ٥] للبالغة بمعنى
موثقة إثاقا بليغا محبوسة حبسا عظيما فهى فى النار ، فجعل الأصل فى
الكسب الموثق ٦ .

ولما كان الرهن تارة يفك و تارة يغلّق ، و كان أكثر الخلق هالكا ، ١٥
جعل 'رهينة' بمعنى 'هالكة' ، ثم استثنى المدحوح فقال : (إلا اصحب اليمين له)
أى الذين تقدم وصفهم و هم الذين تحبّزوا إلى الله فاستمروا ٧ بأوامره
و انتهوا ٨ بنواهيهم ، فأنهم لا يرتهنون بأعمالهم ، بل يرحمهم الله فيقبل
حسناتهم و يتجاوز عن سيئاتهم .

ولما أخرجهم عن حكم الارتهان الذى أطلق على الإهلاك لانه ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : حيث قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ
و م لخذفناها (٣) من البحر المحيط ٣٧٩/٨ وروح المعاني ٢٢٦/٩ ، وفى الأصل :
بكوكب (٤) زيد من ظ (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : نظيره .
(٧) فى م : الموفق (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : ياتمرون (٩) من ظ و م ،
وفى الأصل : ينتهون .

سبه، استأنف بيان حالهم فقال: ﴿فِي جَنَّتٍ قَدْ﴾ أي بصاتين في غاية العظم لأنهم اطلقوا أنفسهم وفكوا رقابهم فلم يرتهنوا، فالآية من الاحتباك: أثبت أولا الارتهان دليلا على حذف ضده ثانيا، وأثبت ثانيا الجنة دليلا على حذف ضدها أولا.

٥ ولما كان السؤال عن حال الغير دالا دلالة واضحة على الراحة والفراغ عن كل ما بهم النفس، عبر عن راحتهم في أجل وعظ والطف تحذير بقوله: ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي فيما بينهم يسأل بعضهم بعضا ﴿عَنِ الْمَجْرِمِينَ﴾ أي ' أحوال العريقين في قطع ما أمر الله به أن يوصل.

١٠ ولما كان يوم القيامة في غاية الصعوبة^٢ وكان أحد مشغولا بنفسه، فكان لا علم له بتفاصيل ما يتفق لغيره، وكان أولياء الله إذا دخلوا دار كرامته أرادوا العلم بما فعل بأعدائهم فيه سبحانه، فتساءلوا عن حالهم^٣ فقال بعضهم لبعض: لا علم لنا، فكشف [الله - '] لهم عنهم حتى رأوهم في النار^٤ وهي^٥ تسعر بهم ليقر الله أعينهم بعذابهم، ١٥ زيادة في نعيمهم و ثوابهم، كما تقدم في الصفات عند قوله " قال قاتل منهم اني كان لى قرين " وكان [بساط - '] الكلام دالا على هذا كله، أشار لنا سبحانه إليه بقوله حكاية عما يقول لهم أولياؤهم تويخا

(١) زيد في الأصل: عن، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٢) زيد في الأصل: يصير، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٣) من ظ و م، وفي الأصل: احوالهم (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

و بتعنيفا و شتماته و تقریبا تصديقا لقوله تعالى " قالوم الذين امنوا من الكفار يضحكون " - الآية ، و لتكون حكاية ذلك موعظة للسامعين و ذكرى للذاكرين : (ما) هي محتملة للتوبيخ و التعجيب ^٢ (سلككم) أى أدخلكم أيها المجرمون إدخالا هو فى غاية الضيق حتى كأنكم السلك فى الثقب (فى سقره) فكان هذا الخطاب مفهما لأنهم لما تساءلوا ه نفوا العلم عن أنفسهم ، و كان من المعلوم أن نفى العلم لأنهم شغلوا ^٣ عن ذلك بأنفسهم ^٤ و أنهم ما شغلوا - مع كونهم من أهل السعادة - إلا لأن ذلك اليوم عظيم الشواغل ، و كان من المعلوم أنه إذا تعذر عليهم علم أحوالهم من أهل الجنة و هم غير مریدین ^٥ الشفاعة فيهم فلم يبق لهم طريق إلى علم ذلك لا يظن به التعريض للشفاعة إلا السؤال ١٠ منهم عن أنفسهم فى أنهم يخاطبونهم ^٦ بذلك ^٦ فيعلون عليهم ^٦ ليزدادوا بذلك غبطة و سرورا بما نجاهم الله من مثل حالهم و يكثرُوا ^٧ من الثناء على الله تعالى بما وفقهم له و ليكون ذلك عظة لنا بساعنا إياه فحكى الله أنهم لما سألوهم (قالوا) ذاكرين علة دخولهم النار بافساد قوتهم العملية ^٨ فى التعظيم لأمر الله فذلكه ^٩ لجميع ما تقدم [من - ١٠] ١٥

- (١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : التعجب (٣ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بذلك لأنفسهم . (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : مریدون (٥) فى ظ : مخاطبون (٦ - ٦) من ظ و م ، وفى الأصل : فعملوا عملهم (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يكثرُونَ . (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : العلية (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : لذلك . (١٠) زيد من ظ و م .

مهمات السورة بما حاصله أنهم لم يتحلوا بفضيلتين ولم يتخلوا عن
 رذيلتين تعريفا بأنهم كانوا مخاطبين بفروع الشريعة^١، وفي البداية
 بالعمل تنبيه على أنه يجب على العاقل المبادرة^٢ إلى ما يأمره به الصادق^٣
 لأنه المصدق لحسن^٤ الاعتقاد، والمبادرة إلى التلبس بالعمل أسهل
 من المبادرة إلى التلبس بالعلم، لأن العمل له صورة و حقيقة، و مطلق
 التصوير أسهل من التحقيق، و من صور شيئا كان أقرب إلى تحقيقه
 ممن لم يصوره، فكان أجدر بتحقيقه ممن لم يباشر تصويره، ففيه حث
 على المسابقة إلى الأعمال الصالحة وإن^٥ لم تكن النية خالصة، وإيدان
 بأن من أدمن ترك الأعمال^٦ قاده إلى الانسلاخ من حسن الاعتقاد،
 ١٠ وورطه في الضلال: ﴿لم نك﴾ حذفوا النون دلالة^٧ على ما هم^٨
 فيه من الضيق عن النطق حتى يحرف يمكن الاغتناء عنه، و دلالة
 على أنه لم يكن لهم نوع طبع جيد^٩ يحثهم على الكون في عداد
 الصالحين، وكان ذلك مشيرا إلى عظيم ما هم فيه من الدواهي الشاغلة
 بضد ما فيه أهل الجنة من الفراغ الحامل لهم على السؤال عن أحوال
 ١٥ غيرهم^{١٠}، و كان ذلك منبها على فضيلة العلم: ﴿من المصلين﴾ [أى-^{١١}]
 (١) من ظ و م، وفي الأصل: الشرع (٢) من ظ و م، وفي الأصل: البداية.
 (٣-٣) من ظ و م، وفي الأصل: لأن الصدف بحسن (٤-٤) من ظ و م،
 وفي الأصل: تكون (٥) زيد في الأصل: له، ولم تكن الزيادة في ظ و م
 لحذفها (٦-٦) من ظ و م، وفي الأصل: عما (٧) من ظ و م، وفي الأصل:
 حيلة (٨) من ظ و م، وفي الأصل: العبر (٩) زيد من م.

- صلاة يعتد بها، فكان هذا^١ تنبيها على أن رسوخ القدم [في الصلاة - ٢] مانع من مثل^٢ حالهم، وعلى أنهم يعاقبون على فروع الشريعة وإن كانت لا تصح منهم^٣، فلو فعلوها قبل الإيمان لم يعتد بها، وعلى أن الصلاة [أعظم - ٢] الأعمال، وأن الحساب بها يقدم على غيرها.
- ولما نفوا الوصلة^٤ بالخالق، أتبعوه إفساد القوة العملية بعدم وصلة^٥ الخلائق بترك الشفقة على خلق الله [فقالوا - ٢] : ﴿ ولم نك ﴾ بحذف النون أيضا لما^٦ هم [فيه - ٢] من التكدر ونقيا لأدنى شيء من الطبع الجيد ﴿ نطعم المسكين ﴾ أى لأجل مسكنته، نفوا هنا وجود إطعامه لأنهم إن اتفق إطعامهم له فلعله أخرى غير المسكنة، وأما الصلاة فهم يوجدونها [لله - ٢] بزعمهم، لكن [لما - ٢] ١٠ كانت على غير ما^٧ أمروا به^٨ لم تكن مقبولة فلم يكونوا^٩ من الراضين^{١٠} في وصفها. ولما سلبهم التحلى بلباس الأولياء أثبت لهم التحلى بلباس الأشقياء بإفساد القوة النطقية جامعا القول إلى الفعل فقالوا : ﴿ وكنا ﴾ أى بما جبلنا عليه من الشر ﴿ نخوض ﴾ أى نوجد الكلام الذى هو فى غير مواقعه ولا علم لنا به لإيجاد المشي [من الخائض فى ماء غمر - ٢] ١٥

(١) من ظ و م، وفى الأصل : ذلك (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفى الأصل : مثلهم (٤) من ظ و م، وفى الأصل : منه (٥) من م، وفى الأصل و ظ : الوصل (٦) من ظ و م، وفى الأصل : لم (٧ - ٧) فى ظ و م : أمر . (٨ - ٨) من ظ و م، وفى الأصل : راضين .

(مع الخائضين لا) ^١ بحيث صار لنا هذا [وصفا راسخا فنقول في القرآن: إنه سحر، وأنه شعر، وأنه كهانة وغير هذا ^٢] من الأباطيل، لا تتورع عن شيء من ذلك، ولا تقف مع عقل، ولا ترجع إلى صحيح نقل، فليأخذ الذين يادرون إلى الكلام في كل ما يسألون عنه
 ٥ من أنواع العلم من غير تثبت منزلتهم [من - ^٣] هنا .

ولما كان الإدمان على الباطل يجر إلى غلبة الهوى والسخرية، وغلبة ذلك ولا بد توجب إفساد القوة العلية ^٤ بتصديق الكذب وتكذيب الصدق، قالوا يانا لاستحبابهم ^٥ الخلود: (وكنا نكذب) أى بحيث صار لنا ذلك وصفا ثابتا (يوم الدين لا) ولما كان التقدير:
 ١٠ واستمر تكذيبنا لصيرورته لنا أوصافا ثابتة، بنوا عليه قولهم:
 (حتى ^٦ اثنا) أى قطعا (اليقين ^٧) أى بالموت أو مقدماته التى قطعنا
 عن [دار - ^٨] العمل فطاح الإيمان بالغييب .

ولما أقروا / على أنفسهم بما أوجب العذاب الدائم، فكأنوا بمن
 ٥٨٩ / فسد مزاجه فتعذر علاجه، سبب عنه ^٩ قوله: (فا تنفهم) أى فى حال
 ١٥ اتصافهم بهذه الصفات وهى حالة لازمة لهم دائما (شفاعة الشفعين ^{١٠})
 أى لو شفعوا فيهم . ولما كان هذا الإخبار بنعيم النعم وعذاب المعذب

(١) زيد فى الأصل: فى مساء عمر مع الخائضين، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
 فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: ^{١١}
 العملية (٥) من م، وفى الأصل: لاستحقاقهم، وفى ظ: لاستحباب (٦) من م،
 وفى الأصل وظ: يوجب (٧) من ظ وفى الأصل: عن .

موجبا للتذكر ، سبب عنه الإنكار عليهم فقال : ﴿ فإ ﴾ أى اى شىء
 يكون ﴿ لهم ﴾ حال كونهم ^١ ﴿ عن التذكرة ﴾ أى التذكر العظيم خاصة
 بالقرآن خصوصا وبغيره عموما ﴿ معرضين ﴾ وعلى الباطل وحده مقبلين ،
 وذلك من أعجب العجب ، لأن طبع الإنسان إذا حذر من شىء حذره
 أشد الحذر كما لو حذر المسافر من سبع في طريقه فانه يبذل جهده في الحيدة
 عنه والحذر منه ^٢ وإن كان المخبر كاذبا ، فكيف يعرضون عن هذا
 المحذور الأعظم والمخبر أصدق الصادقين ^٣ ، فاعراضهم هذا دليل على
 اختلال ^٤ عقولهم واختبال فهمهم ^٥ ، وزاد ذلك عجبا شدة نفارهم حتى
 ﴿ كانهم ﴾ فى إعراضهم عن التذكرة من شدة الغفلة والإسراع فى
 الغفلة ^٦ ﴿ حمر ﴾ أى من حمر الوحش وهى أشد الاشياء نفارا ، ولذلك ^٧
 كان أكثر تشبيهات ^٨ العرب فى وصف الإبل بسرعة السير بالحر فى
 عدوها إذا وردت ماء فأحست عليه ما يريها ، وفى تشبيه الكفرة
 بالحر ولاسيما فى هذه الحالة مذمة ظاهرة وتهجين لحالم بين ، وشهادة
 عليهم بالبله وقلة العقل وعدم الثبوت ^٩ ﴿ مستنفرة ﴾ أى موجدة للنفار

(١) زيد فى الأصل ، فى غفلة دائمة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .

(٢) من ظ و م ، وفى الأصل : عنه (م) من ظ و م ، وفى الأصل : القائلين .

(٤) زيد فى الأصل : عن ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (ه) من ظ

و م ، وفى الأصل : اختلاف (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : قولهم (٧) من

ظ و م ، وفى الأصل : العرة - كذا (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : تشبيها

من تشبيها (٩) فى ظ و م : التثيت .

بغاية الرغبة فيه حتى كأنها تطلبه من انفسها لانه من شأنها وطبعها - هذا على قراءة الجماعة، وقرأ أهل المدينة والشام بالفتح بمعنى أنه نقرأها منفرداً . ولما كان ذلك لا يكون إلا لسبب عظيم يتشوف إليه ، استأنف قوله : ﴿ فرت من قسورة^١ ﴾ أى أسد شديد القسر عظيم القهر فتشبت هـ في حبال سقر أو صيادين .

ولما كان الجواب قطعاً : لا شيء لهم في إعراضهم هذا ، أضرب عنه بقوله : ﴿ بل يريد ﴾ أى [على - '] دعواهم وبزعمهم ﴿ كل امرئ منهم ﴾ أى المعرضين ، مع ادعائه^٢ الكمال في المروءة ﴿ ان يؤتى ﴾ أى من السماء ، بناء للفعول لأن مرادهم معروف ﴿ صحفاً ﴾ ١٠ أى قراطيس مكتوبة ﴿ منشرة^٣ ﴾ أى كثيرة جدا وكل واحد منها منشور لا مانع من قراءته وأخذة ، وذلك أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : لن تبعلك حتى تأتى كلامنا بكتاب من السماء^٤ فيه : من الله^٥ إلى فلان اتبع محمداً صلى الله عليه وسلم .

ولما كان ذلك إنما هو تعنت^٦ ، لا أنه على حقيقة قال : ١٥ ﴿ كلا^٧ ﴾ أى ليس لهم غرض في الاتباع بوجه من الوجوه لا بهذا الشرط ولا بغيره : ﴿ بل ﴾ علتهم الحقيقية في هذا الإعراض^٨ أنهم ﴿ لا يخافون ﴾ أى في زمن من الأزمان^٩ ﴿ الآخرة^{١٠} ﴾ ولما كان

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : ادعائهم (٣-٢) من ظ و م ، وفي الأصل : من الله فيه (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : تقلب وتقلب . (٥) زيد في الأصل : كون ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٦) زيد في الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

فعلهم هذا فعل / من يعتقد في القرآن انه ليس بوعظ صحيح يستحق ان يتبع ، قال رادعا^١ لهم عن هذا اللازم : ﴿ كلاً ﴾ أى ليس الأمر قطعاً كما تزعمون من أن هذا القرآن لا يستحق الإقبال عليه ، ثم استأنف قوله مؤكداً لأجل ما تضمن هذا الفعل من إنكارهم : ﴿ انه ﴾ أى القرآن ﴿ تذكرة ﴾ أى موضع وعظ عظيم يوجب إيماناً عظيماً اتباعه ٥ وعدم الاضغالك عنه بوجه فليس لاحد أن يقول : أنا معذور لأنى لم أجد مذكراً ولا معرفاً فان^٢ عنده أعظم مذكر وأشرف معرف .

ولما كان فى غاية السهولة والحلاوة لكل من عرفه بوجه من الوجوه ، و كان الله سبحانه قد خلق القوى والقدرة ، وجعل للبعد ١٠ اختياراً ، قال مسنياً عن كونه موضعاً للتذكر : ﴿ فن شاء ﴾ أى أن يذكره ﴿ ذكره ﴾ ثبت^٣ فى صدره وعلم معناه وتخلق به ، فليس أحد [يقدر - °] أن يقول : إنه صعب التركيب عظيم التعقيد عسر الفهم ، يحتاج فى استخراج المعانى منه إلى علاج كبير وممارسة طويلة فأنا معذور فى الوقوف عنه ، بل [هو - °] كالبحر الفرات ، من شاء ١٥ اغترف ، لأنه خوطب به أمة أمية لا ممارسة لها شئ من العلوم ، فسهل فى لفظه ومعناه غاية السهولة مع أنه لا يوصل^٤ إلى قراره ولا

(١) فى ظ : ردعا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اى (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فانه (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : فيثبت (٥) زيد من ظ و م .
(٦) من ظ و م ، وفى الأصل : يوصل بها .

يطمع في مناظرة أثر من آثاره، بل كلما زاد الإنسان فيه تأملا زاده ' معاني .

و لما كان [هذا - ٢] ربما أوم أن للعبد استقلالاً بالتصرف، قال معلماً بأن هذا إنما هو كناية عما له من السهولة و الحلاوة و العذوبة ٥ التي توجب عشقه لكل ذى لب منها على ترك الإعجاب و إظهار الذل و الالتجاء و الافتقار إلى العزيز الغفار في طلب التوفيق لأقوم طريق : (و ما يذكرون) أى [و - ٢] لا واحد منكم هذا القرآن و لا غيره في وقت من الأوقات (إلا ان يشاء الله) [أى - ٣] الملك الأعظم الذى لا أمر لاحد معه ، و هو صريح فى أن فعل العبد من المشيئة ، و ما ينشأ عنها [إنما هو - ٢] بمشيئة الله . و لما ثبت أنه سبحانه الفعال لما يريد و أنه لا فعل لغيره بدون مشيئته ، و كان من المعلوم أن أكثر أفعال العباد بما لا يرضيه ، فلولا حله ما قدروا على ذلك ، و كان عفو القادر مستحسناً ، قال مبيناً لانه أهل [للرهبه و - ٢] الرغبة : (هو) أى وحده (أهل التقوى) أى أن يتقوه عباده ١٥ و يحذروا غضبه بكل ما تصل قدرتهم إليه لما له من الجلال [و - ٢] العظمة و القهر ، و يجوز أن يكون الضمير للثقى (و أهل المغفرة)

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لاده - كذا (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من ظ (٤ - ٤) من م ، و فى الأصل : أثبت ان ، و فى ظ : أثبت انه (٥) زيد فى الأصل : امره و . ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : العبد .

أى لأن يطلب غفرانه للذنوب لا سيما إذا اتقاه المذنب لأن له الجلال^١
 والطف وهو قادر ولا قدرة لغيره ولا ينفعه شيء ولا يضره شيء،
 فهو الحقيق بأن يجعل موضع^٢ الإنذار الذى امر^٣ به أدل السورة
 البشارة، ويوفق عباده لتكبيره وهجران الرجز/، وكذا فعل سبحانه
 يقوم هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، روى أحمد^٤ والترمذى^٥
 والنسائي وابن ماجه^٦ والطبرانى فى الأوسط والحاكم^٧ وأبو يعلى
 والبغوى^٨ والبزار عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
^٩ أنه قرأ هذه الآية ثم قال: يقول الله: أنا أهل أن أتق، فمن اتقى
 أن يشرك بى غيرى فأنا أهل [أن - ١٠] اغفر له . وقال الترمذى
 وابن عدى والطبرانى: تفرد به سهل ابن [أبى - ١١] حزم القطعى، فقد
 رجع آخر السورة على أولها، وانطبق مفصلها على موصلها، بضم
 البشارة^{١٢} إلى النذارة، وصار كأنه قيل: انذر العاصى فانه أهل لأن يرجع
 إلى طاعاته، فيكون سبحانه أهلاً لأن يعود عليه بستر زلاته .



-
- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : الجلال (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : مع .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : امره (٤) راجع السند ٣ / ١٤٢ و ٢٤٣ .
 (٥) راجع الجامع - التفسير (٦) راجع السنن - الزهد (٧) راجع المستدرک ٢ / ٨٠٠ .
 (٨) راجع المعالم ٧ / ١٥٠ (٩ - ٩) من ظ و م ، وفى الأصل : ان فراره .
 (١٠) زيد من م (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : الاشارة .

سورة القيامة

مقصودها الدلالة على عظمة المدثر المأمور بالإندار صلى الله عليه وسلم لعظمة مرسله سبحانه وتعالى اقتداره بأنه كشف له العلوم حتى صار إلى الأعيان^٢ بعد الرسوم^٣ بشرح آخر سوره من أن هذا القرآن تذكرة عظيمة لما أودعه [الله -] من وضوح^٤ المعاني وعذوبة الألفاظ وجلالة النظم^٥ ورويق السبك وعلو المقاصد، فهو لذلك معشوق لكل طبع، معلوم ما خفي من أسرار^٦ وإشاراته بصدق النية وقوه العزم بحيث يصير بعد كشفه إذا أثر^٧ كأنه كان^٨ منسيا بعد حفظه فذكر^٩ فمن شاء ذكره، لحفظه^{١٠} وعلم معانيه وتخلق بها، وإنما المانع عن ذلك مشيئة الله تعالى، فمن شاء حجب عنه أصلا ورأسا، ومن شاء حجب عنه^{١١} بعضه، ومن شاء كشف عنه الحجاب، وجعله يعينه على

-
- (١) الخامسة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها أربعون.
 (٢) من ظ وم، وفي الأصل: العيان (٣) من ظ وم، وفي الأصل: رسول.
 (٤) زيد من ظ وم (٥) من ظ وم، وفي الأصل: عظيم (٦) من ظ وم،
 وفي الأصل: المنظوم (٧) من ظ وم، وفي الأصل: إشاراته (٨-٨) من ظ وم، وفي الأصل: كان كأنه (٩) من ظ وم، وفي الأصل: لحقه (١٠) من ظ وم، وفي الأصل: من .

اعظم صواب، دون شك ولا ارتياب، وجلى عليه أوانسه وعرائسه
 وجباه جواهره ونفائسه، وحلاه به؛ فكان ملكه وسائسه، كما كان^١
 المدثر صلى الله عليه وسلم حين كان خلقه القرآن، واسمها القيامة واضح
 في ذلك جدا، وليس فيها ما يقوم بالدلالة عليه غيره إذا تؤملت الآية
 مع ما أشارت إليه دلا، النافية للقسم أو المؤكدة مع أنها في الوضوح ٥
 في حد لا يحتاج إلى الإقسام [عليه - ٢] لأنه لا يوجد أحد يدع من
 تحت يده يعدو بعضهم على بعض، ويتصرفون فيما خولهم فيه من غير
 حساب، فكيف بأحكم الحاكمين الذى وكل بعبيده أضعافهم من الملائكة
 فهم يدبرون في كل لحظة فيهم كؤوس المنايا، يأخذون من أمرهم به
 سبحانه إلى داره^٢ البرزخ للتهيئة للعرض ويسوقونهم زمرا بعد زمر ١٠
 إلى العود في الأرض حتى ينتهى الجمع في القبور، و يقيمهم بالنقر^٣
 في الناقور، والنفع في الصور، إلى ساحة الحساب للثواب والعقاب،
 / ولم يحجب عن علم ذلك حتى ضل عنه أكثر الخلق إلا مشيئته سبحانه
 بتغليب النفس الامارة حتى صارت اللوامة منهمكة في الشر شديدة
 اللوم عن الإقصار عن^٤ شئ منه كما أن ما جللاه لنبه محمد صلى الله ١٥
 عليه وسلم حتى كان خلقه، ولمن أراد من أتباعه إلا إرادته سبحانه
 (١) من ظ وم، وفي الأصل: ان (٢) زيد من ظ وم (٣) من ظ وم، وفي
 الأصل: دارا (٤) من ظ وم، وفي الأصل: في النقر (٥) من ظ وم، وفي
 الأصل: أو (٦) من ظ وم، وفي الأصل: ف .

بتغليب^١ المطمئنة حتى صار الكل روحا صرفا [و-^٢] نورا خالصا
 بحنا ﴿ بسم الله ﴾ الذى شرف رسوله صلى الله عليه وسلم فأعجز
 الخلق بكتابه بما له من الجلال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمتى الإيجاد
 واليان أهل الهدى والضلال ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أهل العناية
 بالسداد فى الأقوال والأفعال .

لما ذكر سبحانه الآخرة أول سورة^٣ المدثر^٤ وخوف منها بالتعبير
 بالناقور وما تبعه، ثم أعاد أمرها آخرها، وذكر التقوى التى هى
 أعظم أسباب النجاح فيها والمغفرة التى هى الدواء الأعظم لها، وكان
 الكفار يكذبون بها، وكان سبحانه قد أقام عليها من الأدلة من
 أول القرآن إلى هنا تارة مع الإقسام وأخرى مع الخلو عنه ما صيرها
 فى حد البديهيات، وكانت^٥ العادة قاضية بأن المخبر إذا كذبه السامع
 حلف على ما أخبره به، وكان الإقسام مع تحقق العناد لا يفيد،
 أشار سبحانه وتعالى إلى أن الأمر قد صار غنيا عن الإقسام
 لما له من الظهور الذى لا ينكره [إلا-^٦] معاند، فقال مشيرا إلى
 ١٥ تعظيمها والتهويل فى أمرها بذكرها^٧ وإثبات أمرها بعدم^٨ الإقسام
 أو تأكيده : ﴿ لا أقسم ﴾ أى لا أوقع^٩ الإقسام أو أوقعه^{١٠} مؤكدا
 ﴿ يوم القيمة لا ﴾ على وجود يوم القيامة أو بسبب وجوده لأن الأمر^{١١}

(١) من م، وفى الأصل و ظ : بالارادة (٢) زيد من ظ و م (٣) سقط من
 ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل : كان وكان (٥) سقط من ظ (٦) من
 ظ و م، وفى الأصل : بعد (٧) من ظ و م، وفى الأصل : اقم (٨) من ظ
 و م، وفى الأصل : اقمه (٩) من ظ و م، وفى الأصل : امر .

غنى فيه [عن ذلك - ١] ، و على القول بأنه قسم هو مؤكد بالناسى ،
 و دخوله فى التأكيد سائق بل شائع فى كلامهم جدا ، و جاز القسم
 بالشيء على وجوده إشارة إلى أنه فى العظمة فى الدرجة العليا كما يقول
 الإنسان : والله ان الله موجود ، أى لا شيء أحلف به على وجوده
 - يا أيها المنكر- أعظم منه [حتى - ١] أحلف به و لا بد لى من الحاف ه
 لاجل إنكارك فأنا أحلف به عليه ، فالمعنى حيثذ انه لا شيء أدل على
 عظمة الله من هذين^١ الشئين فلذا أوقع القسم بهما^٢ ، و سر التأكيد
 [ب- ولا - ١] - كما قال الرازى فى اللوامع : ان الإثبات من طريق النفى
 أكد كأنه رد على المنكر أولا ثم أثبت القسم ثانيا ، فان الجمع بين
 النفى و الإثبات دليل الحصر .

١٠

و لما كان من المقرر المعلوم الذى هو فى أقصى غايات الظهور
 أن من طلبه^٣ الملك [طلب - ١] عرض و حساب [و ثواب - ١]
 و عقاب يلوم نفسه فى كونه لم يبالغ فى العمل بما يرضى الملك و الإخلاص
 فى مولاته ، و التحيز إليه و مصافاته . و كان أكثر لوم النفس واقعا
 فى ذلك اليوم ، و كان إدراكها للوم المرتب على إدراك الأمور الكلية ١٥
 و الجزئية و معرفة الخير و الشر ، و التمييز بينهما / من أعظم الدلائل
 على تمام^٤ قدرة الخالق و كمال عظمتة الموجب لإيجاد ذلك اليوم

٥٩٣ /

- (١) زيد من ظ و م (٢) م ظ و م ، وفى الأصل : هذا (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : فيها (٤) زيد من م (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : طلب .
 (٦) من م ، وفى الأصل : عموم ، والكلمة ساقطة من ظ .

لإظهار عظمته و [حكمه و - '] حكمته قال : ﴿ و لآ أقسم بالنفس ' ﴾
 على حد ما مضى في [أن - '] الباء صلة أو سبب ﴿ اللوامه ' ﴾ أى
 التى تلوم صاحبها و هى خيرة و شريرة ، فالخيرة [تكون - '] سببا
 للنجاة فيه و الأخرى تكون سببا للهلاك فيه ، فان لامت على الشر
 ه أو^٢ على التهاون^١ بالخير أنجحت^١ ، و إن لامت على ضد ذلك أهلكت^٢ ،
 وكيفما كانت لابد أن تلوم ، و هى [بين - '] الأمانة و المطمئنة ، فما
 غلب عليها^٣ منها كانت فى حيزه ، قال الرازى^٤ فى اللوامع^٥ : فالمطمئنة
 التى^٦ انقادت لأوامر الله ، و الأمانة المخالفة لها المتبعة للهوى ، و اللوامه
 هى المجاهدة^٧ ، فتارة لها اليد و تارة عليها ، و هى نفس الإنسان خاصة
 ١٠ لأنها بين طورى^٨ الخير و الشر و الكمال و النقصان و الصعود و الهبوط
 و الطاعة و العصيان ، قال الإمام السهروردى فى الباب السادس^٩ و الخمسين
 من معارفه : و هى نفس واحدة لها صفات متغايرة ، فالملائكة فى درجة
 الكمال ، و الحيوانات^{١٠} الأخرى فى دركة النقصان ، و لهذا جمع بين القيامة
 و [بين - '] اللوامه ، لأن الثواب و العقاب اللآدمى دون الملائكة

-
- (١) زيد من ظ و م (٢) وقع فى الأصل قبل « اللوامه » و الترتيب من ظ و م .
 (٣) فى م : « و » (٤ - ٤) من ظ و م ، وفى الأصل : فى الخير نجت (ه) من
 ظ و م ، وفى الأصل : هانكت (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : عليه (٧ - ٧) - فقط
 ما بين الرقمن من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : قامت و ، ولم تكن الزيادة فى
 ظ و م لحذفناها (٩) فى ظ : المجاهدة (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : ظهورى .
 (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : الخامس (١٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الحيوان .

والحيوانات^١ العجم ، واللوامة يشند لومها في ذلك اليوم على عدم الخير أو عدم الزيادة منه ، لا أقسم على ذلك بهذا الذي هو من أدل الأمور على عظمته سبحانه فان^٢ الأمر في ذلك غنى عن القسم .

ولما كان التقدير قطعاً بما يرشد إليه جميع ما مضى جواباً للقسم :

إنك والله صادق في إنذارك فلا بد أن ينقر في الناقور بالنفخ في ه الصور . قال بانيا عليه بعد الإشارة إلى تعظيم أمر القيامة بما دل عليه حذف الجواب من أنها في وضوح الأمر وتحتم الكون على حالة لا تخفى على أحد منكرها على من يشك فيها بعد ذلك : (يحسب الإنسان)

أى هذا النوع الذى يقبل^٣ [على - ٤] الأنس بنفسه و النظر فى عطفه والسرور بحسبه ، وأسند الفعل إلى النوع كله لأن أكثرهم كذلك لغلبة ١٠

الحظوظ على العقل إلا من عصم الله (ان) أى أنا .

ولما كان فيهم من يبالغ فى الإنكار ، عبر * أيضاً بأداة التأكيد فقال : (لن نجمع) أى على ما لنا من العظمة (عظامه) أى التى هى قالب بدنه و عماده من الأرض فيعيدنها كما كانت^٥ بعد تمزقها و تفتتها و اقتراقها و بلاها و انمحاقها ، وقد سدت المخفقة مسد مفعولى ١٥

« يحسب ، المقدرين به » يحسبنا ، غير جامعين .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم قوله مخبراً عن اهل

- (١) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : قال (م) فى ظ : جبل (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل : يقوه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : انت .

الكفر « و لنا نكذب يوم الدين » ثم تقدم في صدر السورة قوله تعالى « فاذا نقر في الناقور » إلى قوله « غير يسير » والمراد به يوم القيامة ، و الوعيد به لمن ذكر بعد في قوله « ذرني و من خلقت وحيدا ، الآيات / و من كان على حاله في تكذيب وقوع ذلك اليوم ، ثم تكرر ذكره عند جواب من سئل بقوله ” ما سلككم في سقر “ ٥ فبسط القول في هذه السورة في بيان ذكر ذلك اليوم و أهواله ، و أشير إلى حال من كذب به في قوله تعالى ” يسأل ايان يوم القيامة “ و في قوله تعالى ” يحسب الإنسان ان لن نجتمع عظامه “ ثم أتبع ذلك بذكر أحوال الخلائق في ذلك اليوم ” ينأ الإنسان يومئذ بما قدم و آخر “ انتهى .

١٠ و لما أسند الحسبان إلى النوع لأن منهم من يقول : لا نبعث لأنا نتفتت و نتمحق ، قال مجيبا له : ﴿ بلى ﴾ أى لنجمن عظامه و جمع أجزائه لأنا قدرنا على تفصيل عظامه و تفتيتها من بعد ارتفاقها حال كونها نظفة واحدة لأن كل من قدر على التفصيل قدر على الجمع و التوصيل حال كوننا ﴿ قديرين ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ على ان ﴾ .

١٥ و لما كانت تسوية الصغير أصعب ، قال : ﴿ نسوى بنانه ﴾ أى أصابعه [أو - ٢] سلامياته و هى عظامه الصغار التى فى يديه ورجليه كل منها طول إصبع و أقل ، خصها ٢ لأنها أطرافه و آخر ما يتم [به - ٢] خلقه بأن نجتمع بعضها إلى بعض على ما كانت عليه قبل الموت سواء ، فالكبار

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : حالة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : حصتها .

بطريق الأولى لأنها آيين، ولا فرق بين تسويتنا ذلك من النطفة
و تسويتنا له من التراب، وهي لا تكون مسواة وهي قالب البدن^١
إلا بتسوية ما عليه من لباس اللحم والعصب والجلد كما يعهدا العاهد،
فتسوية البنان كناية عن تسوية جميع البنان كما لو قيل لك: ^٢ هل تقدر^٣
على تأليف هذا الخنظل، فقلت: نعم، و^٤ على تأليف الخردل، مع^٥
ما يفهم من تخصيصها من التنبيه على ما فيها من بديع الصنع المتأثر عنه
ما لها من لطائف المنافع، أو أن نسويها الآن فنجمعها على ما كانت
عليه حال^٦ كونها نطفة من الاجتماع قبل فتقها و تفريقها حتى تكون
كحف البعير، فإن القادر على تفصيل الأنامل حتى تنهأ^٧ للأعمال
لللطيفة قادر على جمعها، فزول عنها تلك المنفعة. ومن قدر على تفصيل^٨
الماء بعد [اختلاطه - ^٩] و جمعه بعد انفصاله قادر على جمع التراب
بعد افتراقه، وكيفما كان فهو تنبيه على التأمل في لطف تفصيل الأنامل
و بديع صنعها الموجب للقطع بأن صانعها قادر على كل ما يريد، قال في
القاموس: البنان: الأصابع أو أطرافها، والسلامى - وزن جبارى: عظام
صغار طول إصبع أو أقل في اليد والرجل.

١٥

ولما تقدم ما^{١٠} أشار إلى أن القيامة في غاية الظهور، أضرب
عن هذا الإنكار فقال بأننا على ما تقديره: إنه لا يحسب عدم ذلك

(١) من ظ و م، وفي الأصل: الابدن (٢-٣) في ظ و م: اتقدر (٣) من ظ
وفي الأصل: أو (٤) من ظ و م، وفي الأصل: حالة (٥) من ظ و م، وفي
الأصل: تنهأوه (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، وفي الأصل: بما.

/ ٥٩٥

لأنه من الظهور في حد لا يحتاج إلى كبير تأمل فلو مشى مع عقله عرف الحق: ﴿ بسل يريد ﴾ أى بوقع الإرادة ﴿ الانسان ﴾ أظهر في موضع الإضمار للتصريح بالتعميم لمقتضى الطبع الموجب له عدم الفكر فى الآخرة مع شدة ظهورها لأنه^١ معنى شهواته فلا نجاة إلا بعصمة الله تعالى، وحذف مفعول يريد، إشارة إلى أن كل ما يريده بمقتضى طبعه وشهواته خارج عن طوره فهو معاقب عليه لأنه عبد، والعبد يجب عليه أن يكون مراقبا للسيد، لا يريد إلا ما يأمره به، فإذا أراد ما أمره به لم تنسب إليه إرادة بل الإرادة للسيد لا له^٢.

ولما كان ذلك،^٣ وكانت^٤ إرادته الخارجة عن الأمر معصية،^٥ قال معللا: ﴿ ليفجر امامه ﴾ أى يقع منه الإرادة ليقع منه الفجور فى المستقبل من زمانه بأن يقضى شهواته ويمضى راكبا رأسه فى هواه، ونفسه الكاذبة تورد^٦ عليه الأمانى وتوسع له فى الأمل وتطمعه فى الغفوة من دون عمل، قال الحسن^٧: المؤمن ما تراه إلا يلوم نفسه [ويقول: ما أردت بكلامى؟ وما أردت بأكلى؟ والفاجر يمضى] ١٥ قدما لا يحاسب نفسه -^٨ ولا يعاتبها. ويجوز أن يعود الضمير على الله تعالى ليكون المعنى: ليعمل الفجور بين [يدى -^٩] الله تعالى

- (١) من ظ وم، وفى الأصل: لأنها (٢) من ظ وم، وفى الأصل: للعبد انتهى.
(٣-٢) سقط ما بين الرقن من ظ (٤) لمن ظ وم، وفى الأصل: هو نفسه.
(٥) من ظ وم، وفى الأصل: ترد (٦) راجع العالم ١٥١/٧ (٧) زيد من ظ وم.
(٨) من م، وفى الأصل وظ: الى

و بمراى منه و مسمع و يطمع فى أن لا يؤاخذ به بذلك أو يجازيه
بفجوره، قال فى القاموس: والفجر^١: الانبعاث فى المعاصى
و الزنا كالفجور .

و لما كان عريقا فى التلبس بهذا الوصف، أنتج له الاستهزاء بهذا
الخطب الأعظم فترجم ذلك بقوله: ﴿ يسئل ﴾ [أى - ٢] سؤال ه
استهزاء و استبعاد، و رضع موضع مفعول يسأل جملة اسمية من خبر
مقدم و مبتدأ مؤخر فقال: ﴿ ايان ﴾ [أى - ٢] أى وقت يكون
﴿ يوم القيمة^{هـ} ﴾ و لما كان الجواب: [يوم - ٢] يكون كذا و كذا،
عدل عنه إلى ما سبب عن استبعاده لأنه أهول، فقال دالا على خراب
العالم لتجرد الإنسان عن مسكنه و ما ألقه من أحواله^١ فيكون أهول ١٠
معبرا بأداة التحقق لأنها موضعتها: ﴿ فاذا برق البصر^{لا} ﴾ أى شخص
و وقف^و فلا يطرف من هول ما يرى - هذا على قراءة نافع بالفتح،
و هى إشارة إلى مبدأ حاله، و قراءة الجماعة بالكسر مشيرة إلى مآله
فان معناها: تحير و دهش و غلب، من برق الرجل - إذا نظر إلى البرق
لحسر بصره و تفرق تفرق الشيء فى المايح إذا انفتح^٦ عنه وعاؤه ١٥
بدليل قراءة بلى من بلى الباب - إذا انفتح، و بلى الباب كنصر: فتحه

(١) من ظ و القاموس، و فى الأصل و ظ؛ الفجور (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد
من ظ (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الاحوال (هـ) من ظ و م، و فى الأصل:
وصف (٦) من ظ و م، و فى الأصل: تفخه .

كله ، أو شديدا كما بلقه فانبلق ، و بلى كفجر : تخير - قاله في القاموس^١ .
 ولما كانت آيات السماوات أخوف ، ذكرها بادئا بما طبعه البرد^٢ ،
 إشارة إلى شدة الحر والتوهج و الأخذ بالإنقاس الموجب لشدة اليأس
 فقال : ﴿ وخسف القمر لا ﴾ أى وجد^٣ خسفه بأن خسفه الله تعالى
 ٥٩٦ / ٥ / فأذهب صورته كما تذهب صورة الأرض المخسوفة ، وذلك باذهاب
 ضوئه من غير سبب لزوال ربط المسيات في ذلك اليوم بالأسباب
 وظهور الخوارق بـ دليل قوله : ﴿ وجمع ﴾ أى جمعا هو في غاية
 الإحكام و الشدة كما أفهمه التذكير [و - ^٤] على أسير الوجوه
 وأسفلها ﴿ الشمس ﴾ أى آية النهار ﴿ والقمر ^٥ ﴾ مع عدم إمارته
 ١٠ و إن كان نوره الآن من نورها فذهب^٦ الارتفاع بها وهما^٧ مع
 ذهاب النور و تفرق البصر مدركا^٨ لوجود الكشف التام عن
 الخفيات كما قال تعالى : فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد^٩
 وبعد جمعها يلقيان^{١٠} في النار كأنهما ثوران عقيران ، و بنى الفعل للمفعول
 لأن المهول مطلق جمعها المخرج لها عن العادة و للدلالة^{١١} على السهولة .
 ١٥ ولما عظم أمر يوم^{١٢} القيامة بما تقدم ، أكد ذلك بأن الأمر

(١) زيد في الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفناها (٢) من ظ
 وم ، وفي الأصل : البرودة (٣) من ظ وم ، وفي الأصل : اوجد (٤) زيد من
 ظ وم (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : فانه يكون قد ذهب (٦) من ظ وم ،
 وفي الأصل : هو (٧) من ظ وم ، وفي الأصل : مدركا (٨) من ظ وم ،
 وفي الأصل : يلتقيان (٩) من ظ وم ، وفي الأصل : لدلالت (١٠) سقط
 من ظ وم .

فيه على غير ما عهدته في الدنيا من وجدان مهرب أو حاكم غير الذي يخافه المطلوب أو شيء من تشعب الكلمة وتفرقها [فقال - ١] :
 ﴿ يقول الانسان ﴾ أى بشدة روعه جرياً مع طبعه ﴿ يومئذ ﴾ أى إذا كان هذا الخطب الأجل والقادح الأكبر، وحكى يقول جملة اسمية من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر فقال : ﴿ ابن المفرج ﴾ أى الفرار والموضع الذى إليه الفرار والزمان القابل لذلك، قول آيس مدهوش قاده إليه الطبع، وذلك حين تقاد جهنم بسبعين ألف سلسلة، كل سلسلة بأيدي سبعين ألف ملك، لها زفير وشهيق .

ولما كان ذلك اليوم يوم انقطاع الاسباب، قال نافيا بما سأل عنه بأداة^٢ الردع : ﴿ كلا ﴾ أى لا يقال هذا فانه لا سبيل إلى وجود ١٠ معناه وهو معنى ﴿ لا وزرته ﴾ أى ملجأً ومعتصم ولا حصن ولا التجاء واعتصام، وكون هذا من كلام الإنسان رجوعاً من طبعه إلى عقله أقعد وأدل على الهول لانه لا يفهم انه بعد أن سأل من عظيم الهول نظر في جملة الأمر فتحقق أن لا حيلة بوجه أصلاً، فقال معبراً بالأداة الجامعة لمجامع^٢ الردع .

١٥

ولما كان المعنى : لا مفر من الله إلا إليه، لأن ملكه محيط وقدرته شاملة، قال مترجماً عنه ذاكرًا صفة الإحسان لوما لنفسه على عدم الشكر : ﴿ الى ربك ﴾ أى المحسن إليك بأنواع الإحسان وحده، لا

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، وفى الاصل : بإدارة (٣) من ظ وم .
 وفى الاصل : بمجامع .

إلى شيء غيره ﴿يومئذ﴾ أى إذا كانت هذه الأشياء ﴿المستقررة﴾ أى
استقرار الخلق [كلهم - ٢] ناطقهم وصامتهم و مكان قرارهم وزمانه
إلى حكمه^٢ سبحانه ومشيته ظاهرا وباطنا لا [حكم - ٢] لأحد
غيره بوجه من الوجوه فى ظاهر و [لا - ٢] باطن كما هو فى الدنيا.
ولما كان / موضع السؤال عن علة هذا الاستقرار، قال مستأنفا
بانيا للفعول لأن المنسكى إنما هو كشف الأسرار لا كونه من كاشف
معين، وللدلالة على سر ذلك عليه سبحانه وتعالى بأن [من - ٢]
ندبه إلى ذلك فعله كائنا من كان: ﴿يَبْشُرُوا﴾ أى ينجز تخيرا عظيما
مستقصى ﴿الانسان يومئذ﴾ [أى - ١] إذا كان هذا الزلزال الأكبر
١٠ ﴿بما قدم﴾ أى من عمله العظيم ﴿واخره﴾ أى فى أول عمره
وآخره - كناية عن الاستقصاء أو بما قدمه فأثره على غيره هل هو الشرع
أو الهوى أو بما عمل فى مدة عمره و^١ بما أخر عمله لمعالجة^٢ الموت
له عنه فيخبر^٣ بما^٤ كان يعمل من^٥ أملة لو مد فى أجله، أو الذى
قدمه هو ما عمله بنفسه و ما أخره هو ما سته فعل به الناس من بعده

-
- (١) من م، وفى الأصل و ظ : اذا (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م،
وفى الأصل : حكمته (٤) من ظ و م، وفى الأصل : احد (٥) زبدت الواو فى
الأصل ولم تكن فى ظ و م فخذفناها (٦) من ظ و م، وفى الأصل : داه .
(٧) من ظ، وفى الأصل و م : لمعالجة (٨) من ظ و م، وفى الأصل : فيخبره .
(٩) زيد فى الأصل : هما ه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذفناها (١٠) من ظ
و م، وفى الأصل : فى .

من خير أو شر - قاله ابن عباس رضى الله عنهما^١ ،^٢ و عليه^٣ مشى الغزالي
 فى الباب الثالث من كتاب البيع^٤ من الإحياء .
 و لما عظم القيامة بكشف الأسرار فيها و الإنباء بها ، و كان الشأن
 أن الإنسان لا ينبأ إلا بما هو جاهل له أو غائب عنه ، و [كان -^٥]
 مما يخف على الإنسان فى الدنيا النسيان ، و كان ذلك اليوم يوم كشف ه
 الغطاء ، زاده عظم بالإعلام^٦ بأنه يجلو بصيرة الإنسان حتى يصير مستحضرا
 لجميع ما له من شأن ، فكان التقدير : و ليس جاهلا بشيء من ذلك
 و لا محتاجا إلى الإنباء به ، قال بانبا عليه : (بل الانسان) [أى كل -^٧]
 واحد من هذا النوع (على نفسه) خاصة (بصيرة^٨) أى حجة
 بينة على أعماله ، فالهاء للبالغة - يعنى أنه فى غاية المعرفة لأحوال نفسه ١٠
 فانه إذا تأمل و أنعم^٩ النظر و لم يقف مع الحظوظ عرف جيد فعله
 من رديته ، أما فى الدنيا فلان الفطر الأولى شاهدة بالخير و الشر - كما
 أشار إليه صلى الله عليه و سلم بقوله : البر ما^{١٠} سكنت إليه النفس
 و اطمأن اليه القلب^{١١} ، و الإثم ما حاك فى الصدر و ترددت فيه النفس
 و إن أفنك الناس و أفتوك - رواه الإمام أحمد عن أبي ثعلبة [الحشفي -^{١٢}] ١٥

(١) راجع معالم التنزيل ١٥٣/٧ (٢-٣) من م ، وفى الأصل وظ : مشى عليه .

(٣) من م ، وفى الأصل وظ : البيوع - و راجع الاحياء ٥٠/٣ (٤) زيد من

ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بالأعظام (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :

أمن (٧-٧) من ظ و م و مسند الإمام أحمد ١/ ١٩٤ و راجع أيضا ٢٢٨ ،

وفى الأصل : اطمأن اليه القلب و سكنت النفس .

رضى الله عنه وقوله صلى الله عليه وسلم: إنما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى "إذا لم تستح فاصنع ما شئت" - رواه البخاري^١ عن ابن مسعود رضى الله عنه، وأما في الآخرة فإن الله يعطيه في^٢ ذلك [اليوم - ٢] قوة الذكرى حتى تصير أعماله كلها بين عينه لانه تعالى ينق عنه الشواغل البدنية ويكشف عنه الحجب النفسانية حتى تصير أعماله بمثابة له كأنه يراها ولا تنفعه معذرتة، لأن كل شيء يعتذر به عن نفسه يعرف كذبه بنفس وجوده لا بشيء^٣ خارج عنه تارة يكون خالقه أوجده^٤ على ما هو عليه من العلم / وسلامة الأسباب المزالة للعلل^٥ وتارة بانطاق^٦ جوارحه .

/ ٥٩٨

- ١٠ ولما كان الإنسان يعتذر في ذلك اليوم عن كل سوء عمله، ويجادل أعظم مجادلة، وكان المجادل في الغالب [يظن - ٨] أنه لم يذنب أو لا يعلم له ذنبا، قال: ﴿ولو ألقى﴾ أى ذكر بغاية السرعة ذلك الإنسان من غير تلعم دلالة^١ على غاية الصدق والاهتمام والتعلق ﴿بمعافيره﴾ أى كل كلام يمكن أن يخلص به، جمع عذر أو معذرة ١٥ وهو إيساع الحيلة في دفع الخلل^٢: وقال في القاموس: المعافير:

(١) في ظ و م: الشيخان، وراجع كتاب الأنبياء من الصحيح (٢) - فقط من ظ و م (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و م، وفي الأصل: شيء (٥) من ظ و م، وفي الأصل: واحد (٦) من ظ و م، وفي الأصل: للعل (٧) من ظ و م، وفي الأصل: باستنطاق (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م، وفي الأصل: دالا (١٠) من ظ و م، وفي الأصل: الحال .

الستر والحبج جمع معذار^١ ، وذلك لاشتراكهما في مطلق الستر بالفتح والستر بالكسر في ستر^٢ المذنب والحجة في ستر الذنب^٣ فالعنى أنه حجة على نفسه ولو احتج عنها واجتهد في ستر عيوبها ، فلا تقبل منها الأعذار ، لأنه قد أعطى البصيرة فأعماها بهوى النفس وشهواتها ، وتلك البصيرة هي نور 'المعرفة المركوز' في الفطرة الأولى وهي هـ لقوله تعالى : لا ترفع الظالمين معذرتهم .

ولما كان معنى هذا كله أن الإنسان محجوب في هذه الدار عن إدراك الحقائق بما فيه من الحظوظ والكسل والفتور ، لما فيه من النقائص ، وكانت النبي صلى الله عليه وسلم مبرأ من ذلك لخلق [الله - °] له كاملاً وترقيته بعد ميلاده كل يوم في مراقى الكمال ١٠ حتى صار^١ إلى حد لا يشغله [عن العلوم - °] شيء فكان يبحث يرى مواقع الفتن خلال البيوت كمواقع القطر ، ويرى من ورائه كما يرى من أمامه ، ويقول : والله لا يخفى على^٢ خشوعكم ولا ركوعكم إنى أراكم من وراء ظهري ، و^٣ كان صلى الله عليه وسلم يرى^٤ في أشد الظلام وغير ذلك مما له صلى الله عليه وسلم^٥ من رقة الجوهر الذى لم ينله ١٥ أحد غيره وذلك^٦ مما يدل على الكشف التام ولكنه [كان - °]

(١) من ظ و م واقاموس ، وفي الأصل : معذر (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : تلك (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : نفسه (٤-٥) من ظ و م ، وفي الأصل : المرة المذكورة (هـ) زيد من ظ و م (٦) زيد في الأصل : في ميلاده ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧-٨) في ظ و م : يرى صلى الله عليه وسلم (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

صلى الله عليه وسلم لتعظيمه لهذا القرآن لما له في نفسه من الجلالة^١
ولما فيه من خزائر السعادة والعلوم التي لا حد لها فستقصي ، ولأنه
كلام الملك الأعظم ، وبأمره نزل إليه^٢ صلى الله عليه وسلم مع رسوله
جبريل عليه الصلاة والسلام^٣ ، يعالج عند سماعه أول ما يأتيه شدة ، فكان
ه يحرك به لسانه استعجالا بتعهده ليحفظه ولا يشذ عنه منه شيء . وكان
قد ختم سبحانه ما قبلها بالمعافير ، وكانت العجلة بما يعتذر عنه^٤ ، وكان
الحامل على جميع ما يوجب الملامة والاعتذار ما^٥ طبع عليه الإنسان
من حب العاجل ، قال سبحانه نتيجة عن هذه المقدمات الموجبة لانكشاف
/ الأشياء للإنسان الموجب للاخبار بها والخوف من عواقبها لتلايميل
١٠ إلى العاجلة ولا يقع في مخالفة لولا ما شغله^٦ به من الحجب إعلاما
بأنه سبحانه وتعالى قد دفع عن النبي صلى الله عليه وسلم تلك الحجب
وأوصله من رتبة^٧ ولو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ، إلى أنهاها ،
وأنه قادر على ما يريد من كشف ما يريد لمن يريد كما يكشف لكل
إنسان عن أعماله في القيامة حتى يصير يعرف^٨ ما قدم منها^٩ وما أحر ،
١٥ وتنبئها على أنه^{١٠} صلى الله عليه وسلم لا كسب له في هذا القرآن

/ ٥٩٩

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : الخلاوة (٢-٢) ما بين الرقين في ظ و م : مم
رسوله صلى الله عليه وسلم (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : عنها (٤) من ظ و م ،
وفي الأصل : بما (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : يشغله (٦) من ظ و م ، وفي
الأصل : رتبته (٧) زيد في الأصل : بها ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .
(٨) من ظ و م ، وفي الأصل : منه (٩) في ظ و م : أن النبي .

بغير حسن^١ التلقى إبعادا له عن قول البشر و تمهيدا بما يعرك من لسانه
بالقرآن قبل تمام الإلقاء لئلا ما طبع عليه الإنسان : ﴿ لا تحرك به ﴾
أى القرآن الذى هو تذكرة من شاء ذكره لو لا حجاب المشيئة ، وقد
كشف سبحانه و تعالى حجاب المشيئة لهذا النبي الكريم صلى الله عليه
وسلم و شاء أن يذكره حين قال ” و ما تشاؤون الا ان يشاء الله “ ه
لأنه^٢ ما زله^٣ إليه بغير اكتساب منه إلا و قد شاء ذلك ﴿ لسانك ﴾
الذى ليست^٤ له حركة إلا فى ذكر الله تعالى .

و لما لم يكن لهذا التحريك فائدة مع حفظ الله له على كل حال إلا قصد
الطاعة بالعجلة ، و كانت العجلة هى الإتيان بالشئ قبل أوانه الأليق به ،
و إن كان النبي صلى الله عليه وسلم مثابا على ذلك أعظم الثواب . لأنه ١٠
لا حامل له عليه إلا حب الله و حب ما يأنى منه ، جعلها الله سبحانه
و تعالى علة و إن لم تكن مقصودة فقال : ﴿ لنعجل به^٥ ﴾ أى بحمله
و أخذه قبل أن يفرغ^٦ من إلقائه إليك^٧ رسولنا جبريل عليه الصلاة
و السلام مخافة ان ينفلت منك ، لأن هذه العجلة و إن كانت من
الكلمات بالنسبة إليك و إلى إخوانك من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ١٥
كما قال موسى عليه الصلاة و السلام ” و عجلت إليك رب لترضى “

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : حسب (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل ؛
نزل (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ليس (٤) زيد فى الأصل : الملك ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) زيد فى الأصل : و هو ، ولم تكن الزيادة فى
ظ و م لحذفها .

لأنها من النفس اللوامة التي تلوم على ترك المبادرة إلى أفعال الخير
 فغيرها من أفعال المطمئنة أكمل منها، فنقل صلى الله عليه وسلم من
 مقام كامل إلى ' اكمل منه، و كان هذا الكلام^٢ المتعلق بالقرآن
 والذي بعده فرقانا بين صفى اللوامة في الخير واللوامة في الشر،
 ٥ والآية ناضرة^٣ إلى قوله تعالى في المدر حكاية وإن هذا الا قول البشر
 وما بينهما اعتراض في وصف حال القيامة جر إليه قوله تعالى "سأصليه
 سقر" أى ان الذى خيل به المقول^٤ في القرآن أمران: أحدهما
 انه سحر والآخر انه قول البشر، والعلم اليقين حاصل باتقاء الأول،
 وأما الثانى فكان النبي صلى الله عليه وسلم يخشى أن لا يتقن حفظه
 ١٠ / ٦٠٠ فتدخل عليه كلمة مثلا فيكون من قول البشر / فهناك الله تعالى عن العجلة
 وضمن له الحفظ، ثم علل هذا النهى بقوله^٥ مؤكدا لأنه من مجراته:
 ﴿ان علينا﴾ أى بما [لنا -^٦] من العظمة، لا على أحد سوانا
 ﴿جمعه﴾ أى فى صدرك حتى^٧ نشبته وحفظه^٨ ﴿وقرأته﴾ أى
 إطلاق لسانك به وإثباته فى رتبته من الكتاب حال كونه مجموعا أتم
 ١٥ جمع ميسرا^٩ أحسن تيسير فأرح نفسك بما^{١٠} تعالج فى أمره^{١١} من المشقة
 وتكأبده من العناء.

(١) زيد فى الأصل: مقام، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فخذناها (٢) من ظ وم،
 وفى الأصل: الكمال (٣) من ظ وم، وفى الأصل: ظاهرة (٤) من ظ وم،
 وفى الأصل: المقوم (٥) سقط من ظ وم (٦) من ظ وم، وفى الأصل:
 فقوله (٧) زيد من ظ وم (٨ - ٨) من ظ وم، وفى الأصل: نحفظه ونشبهه.
 (٩ - ٩) من ظ وم، وفى الأصل: تعالجهما به.

ولما نهاء امره فقال: ﴿ فاذا قرأته ﴾ اى أقدرنا^١ جبريل عليه الصلاة والسلام على تأديته إليك كما حملناه إياه بما لنا من العظمة وعلى حسبها ﴿ فاتبع ﴾ اى بغايته جهداً بالقائه سمعك وإحضار ذهنك ﴿ قرأته ڤ ﴾ اى قراءته بمجموعة^٢ على حسب ما أداه اليك رسولنا وجمعناه لك فى صدرك، وكرر تلاوته حتى يصير لك به ملكة عظيمة واعمل به حتى يصير لك خلقاً فيكون قائدك إلى كل خير، فالضمير يجوز ان يكون للقرآن، يكون القرآن هنا بمعنى القراءة، عبر به عنها تعظيماً لها، اى اتبع قراءة القرآن اى قراءة جبريل عليه السلام [له -^٤]، ولو كان على بابه لم يكن محذورا، فان المراد به خاص والضمير عام، ويجوز أن يكون الضمير* لجبريل عليه السلام ١٠ [اى -^٥] اتبع قراءته ولا زاسله .

ولما كان بيان كلماته ونظومه على أى وجه سمعه من مثل صلصلة الجرس وغيرها وبيان معانيه وما فيه من خزائن العلم من العظمة بمكان^٦ يقصر عنه الوصف، أشار إليه بأداة التراخي، فقال دالا على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة، مشعرا ١٥ بأنه كان يعجل بالسؤال عن المعنى كما كان يعجل بالقراءة: ﴿ ثم ﴾ وأكد ذلك إشارة إلى أنه لعظمه مما يتوقف فيه فقال: ﴿ ان علينا ﴾

(١) فى ظ : قدرنا (٢) من ظ و م ، وفى الاصل : مجموعا (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : قراءته (٤) زيد من ظ و م (هـ) من ظ و م ، وفى الأصل : بالضمير (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بما كان .

أى بما لنا من العظمة ﴿ بيانه ١ ﴾ أى يسان ألفاظه و معانيه لب سواء سمعته من جبريل عليه الصلاة والسلام على مثل صلصلة الجرس أو بكلام الناس المعتاد بالصوت والحرف، و لغيرك^١ على لسانك و على السنة العلماء من أمتك، [و الآية - ٢] مشيرة إلى ترك مطلق العجلة .
 ٥ لأنه إذا نهى عنها فى أعظم الأشياء و أهمها كان غيره بطريق الأولى .
 روى البخارى فى تفسير الآية فى أول صحيحه و آخره^٢ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة ، كان يحرك شفثيه ، قال سعيد بن جبیر : قال ابن عباس رضى الله عنهما : فانا أحركهما لك كما كان رسول الله عليه وسلم يحركهما^٣ - فأزل الله عز وجل الآية حتى قال : جمعه فى صدرك ثم نقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرأته ، قال : فاستمع / له و أنصت ثم إن علينا ان نقرأه ، قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام استمع مطرقا ، فاذا انطلق جبريل عليه الصلاة والسلام قرأه النبى صلى الله عليه وسلم كما أقرأه جبريل عليه الصلاة والسلام كما وعده الله بكفالة قوله تعالى ” فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا ليعلم أن قد ابلفوا رسالات ربهم و أحاط بما لديهم و أحصى كل شيء عددا “ .

/ ٦٠١

ولما كان سبحانه و تعالى قد ختم الكلام فى المكذبين بأن أعمالهم

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : غير ذلك - كذا (٢) زيد من م (٣) راجع ١/ ٣ و ٢/ ١١٢٢ (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يحرك .

محفوظة. وإن كل أحد على نفسه شاهد، لأنه يعلم جميل ما يفعل من فيحه وإن اعتذر، ولولاه^١ ما اشتد اتصاله به، وخ^٢ بضمان البيان للقرآن، فكان شاهداً بينا على كل^٣ إنسان بما له من عظيم البيان. قال نافيا لما يظن من جهلهم بقيح أفعالهم الذي اقتضاه اعتذارهم مشعراً بأن الآدمي مطبوع على الاستعجال بعد النهي عن العجلة في أعز الأشياء^٥ وأعلامها وأهمها وأولاهما، لأنه أصل الدين ليكون ذلك مؤكداً للنهي عن العجلة بالقرآن ومؤكداً لدمهم بحب العاجلة مغالطاً لتوبيخهم على الميل مع الطبع وترك ما يقتضيه العلم والعقل: ﴿كلا﴾ أى لا يجهل أحد منهم قبائح ما ارتكبه وإن اعتذر وما ارتكب شيئاً^٢ منها عن^٤ جهل ﴿بل﴾ هم ﴿يجبون﴾ أى محبة متجددة مستمرة على جدد^{١٠} الزمان ﴿العاجلة لا﴾ بدليل أنهم يقبلون^٩ غاية الإقبال عليها فيأخذونها، وحبها أوجب لهم ارتكاب ما يعلمون قبحه فإن الآخرة والأولى ضررتان^٦ من أحب إحديهما فعل ولا بد ما يساعده عن الأخرى، فإن دحك للشيء يعنى ويصم، وهذا بخلاف فيينا صلى الله عليه وسلم في مطلق العجلة فكيف بالعاجلة فانما طبعناه على الكمال، فكان يعالج من العجلة^{١٥} بالقراءة شدة فحين نهيناه عن ذلك انتهى رجوعاً إلى طبعه الكامل الذى

(١) من م، وفي الأصل وظ: أولاه (٢) من ظ وم، وفي الأصل: إن كان (٣) من ظ وم، وفي الأصل: عن شيء (٤) من ظ وم، وفي الأصل: من (٥) من ظ وم، وفي الأصل: يقبل (٦) زيد في الأصل: لو اقتضاه، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها.

لا يشوبه نقص، وكذا كان امره تكوينيا^١ لا إباء معه ولا كلمة،
 فان نفسه المطمئنة هي الغالبة ولها السلطان الأكبر، ولأجل تضارر
 الدارين وكونهم يحجون العاجلة قال: ﴿ ويذرون ﴾ أى يتركون
 على أى وجه كان ولو أنه غير مستحسن ﴿ الآخرة ﴾ لأنهم ينفسونها
 ٥ لارتكابهم ما يضر بهم فيها، وجمع الضمير وإن كان مبنى الخطاب
 مع الإنسان نظرا للمعنى إشارة إلى أنه لا يسلم من العجلة المذمومة
 [إلا - ٢] أفراد حفظهم الله بقدرته الباهرة، والآية من الاحتباك:
 ذكر الحب أولا دليلا على البغض ثانيا، والترك ثانيا دليلا على الإقبال
 والأخذ أولا، فأنفسهم^٢ اللوامة تلومهم على التقصير في الشر كما أن
 ١٠ / ٦٠٢ نفسك تحثك على الازدياد / من الخير والمبادرة إليه، فنعم النفس هي
 وتعلمين مقامها، وأما أنفسهم فانها تحثهم لأجل اللوم على التقصير في
 الشر على الإخلاد إلى العاجل^٣ الفانى والإفلاخ عن الباقي لكونه غائبا
 فبئس الأنفس هي .

ولما ذكر الآخرة التى أعرضوا عنها، ذكر ما يكون فيها يائسا
 ١٥ بجهلهم وسفاههم وفلة عقلهم، ترهيبا لمن أدبر عنها وترغيبا لمن أقبل
 عليها لطفًا بهم ورحمة لهم فقال: ﴿ وجوه ﴾ أى من المحشورين ومن
 جميع الخلائق ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ تقوم القيامة ﴿ ناضرة ﴾ لا من

(١) من ظ وم، وفي الأصل: تكوينا (٢) زيد من ظ وم (٣) من ظ وم،
 وفي الأصل: فأنقسم (٤) من ظ وم، وفي الأصل: العاجلة .

النصرة^١ بالصاد ، وهى النعمة والرفاهية أى^٢ هى بهمة مشرقة ظاهر عليها
 أثر^٣ النعمة بحيث يدل^٤ ذلك على^٥ نعمة أصحابها (إلى ربها) أى
 المحسن لها خاصة باعتبار أن مُعَدَّ النظر إلى غيره كلاً نظر (ناظرة)
 أى دائماً هم محدقون أبصارهم^٦ نحو جوده بالتجلى لا غفلة لهم عن ذلك
 فاذا رفع الحجاب عنهم أبصروه بأعينهم بدليل التعدية به^٧ إلى ، وذلك ، هـ
 النظر جبهة من غير اكتام ولا تضام ولا زحام - كما قاله ابن عباس
 رضى الله عنهما^٨ وأكثر المفسرين وجميع أهل السنة ، وروى عن النبي
 صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث الصحاح من وجوه كثيرة بحيث
 اشتهر غاية الشهرة ، وتكون الرؤية كما مثلت فى الأحاديث^٩ كما يرى
 القمر ليلة البدر ، كل من يريد رؤيته من بيته مخلياً^{١٠} به - هذا وجه ١٠
 الشبه ، لا أنه فى جهة ولا فى حالة لها شبيه - تعالى الله عن التشبيه ،
 وهكذا رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام من الأشخاص المستكثرة
 فى البلاد المتباعدة فى الوقت الواحد ، وقدم الجار الدال على الاختصاص
 إشارة إلى أن هذا النظر مبين للنظر إلى غيره فلا يعد ذلك نظراً
 بالنسبة إليه ، وإلى أن تلك الوجوه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث ١٥
 لا تقتصر عن ذلك ، ولا يعد نظرها إلى ما سواه شيئاً ، وهى آمنة من

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : النصر (٢) زيد فى الأصل : الرفاهية ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ وم لحذفها (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : آثار (٤-٤) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : بابصارهم (٦) راجع
 المعالم ١٥٤ / ٧ (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : محتلياً .

أن يفعل بها فاقرة، و عبر بالوجوه عن اصحابها لانها^١ ادل ما يكون
 على السرور، وليكون ذكرها اصرح في أن المراد بالنظر حقيقته،
 وزاده صراحة بالتعدية به الى^٢، فان الانتظار لا يعدى بها^٣، قال الإمام
 حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب^٤ المحبة من الإحياء^٥
 ه بعد أن جَوَّز أن يخلق الله النظر في الجهة وغيرها: والحق ما ظهر
 لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون
 لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره
 إذ لا يجوز إزالة الظواهر إلا لضرورة - انتهى، وأهل الجنة متفاوتون
 في النظر: روى أن منهم من ينظر إلى الله بكرة وعشية، وفي خبر
 ١٠ آخر، وما بين القوم [وبين - °] أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء
 الكبرياء على وجهه / في جنة عدن، ومتفاوتون في مقدار الكشف

/ ٦٠٣

في الجلال والآنس والبهجة التي يكون عنها اللذة بحسب أعمالهم .
 ولما ذكر أهل النعمة، أتبعه أضدادهم من أهل النقمة فقال:
 ﴿ ووجوه يومئذ ﴾ أي في ذلك اليوم بعينه ﴿ باسرة لا ﴾ أي شديدة
 ١٥ العبوس^١ والكلوخ^٢ والتكره^٣ لما هي^٤ فيه من الغم كأنها قد غرقت
 فيه فرسبت^٥ بعد أن سبرت^٦ أحوالها، فلم يظهر لها وجه خلاص .

(١) من ظ و م، وفي الأصل: لانه (٢) العبارة من هنا إلى «بضرورة انتهى»
 ساقطة من ظ (٣) من ظ و م، وفي الأصل: كتابه (٤) راجع ٢٠٦/٤ (ه) زيد
 من ظ و م (٦) من ظ و م، وفي الأصل: العبوسة (٧) من ظ و م، وفي الأصل:
 الفكركه (٨) من ظ و م، وفي الأصل: لها (٩-١٠) - قطه بين الرقين من ظ .

والباسل

والباسل أبلغ من البامر لكنه غلب في الشجاع لا تتداد كلوحه عند
العراك ، و تلك الوجوه عن ربها محجوبة ، و إلى أنواع العذاب ناظرة .
ولما كان ظن الشر كافيا في الحفر منه و المبالغة في استعمال
ما يحى منه ، قال دالا على أنه عبر بالوجه عن الجملة : (تظن) أى
توقع بما ترى من الخايل : (ان يفعل) بناء للفعل لأن المحذور ه
وقوع الشر لا كونه من معين (بها) أى بهم فانه إذا أصيب الوجه
الذى هو أشرف ما فى الجملة كان ما عداه أولى (فاقرة ه) أى داهية
تكسر الفقار و هو عظم سلسلة الظهر الذى هو أصلب ما فى العظام
فتكون قاصمة الظهر ، فالآية من الاحتباك : ذكر النظر فى الأولى دليل
على ضده فى الثانية ، و ذكر الفاقرة فى الثانية دليل على ضدها فى الأولى . ١٠
ولما ذكر محبتهم للعاجلة بالمضارع الدال على التجدد و الاستمرار ،
فاقتضى ذلك أنه حب غير منفك التجدد اصلا ، أخبر أنه * ينقطع
عن^٦ هول المطلاع [مع - ٧] الدلالة على تمام القدرة ، وأنه لا يرد
قضاؤه ، فقال رادعا لمن يظن عدم انقطاعه : (كلاً) أى لا يدوم هذا
الحب بل لا بد أن ينقطع انقطاعا قبيحا جدا . ولما كان الحب للدنيا ١٥
هو النفس ، أضمرها لذلك و لدلالة الكلام [عليها - ٨] فقال ذاكرة

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بما (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : واهية .

(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ما اظهر (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : أخبره .

(٥) زيد فى الأصل : ذكر ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) فى ظ و

عند (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد من ظ .

ظرف ما افهم حرف الردع تقديره من عدم المحبة : ﴿ اذا بلغت ﴾
 أى النفس المقبلة على العاجلة بأمر محقق - بما أفهمته أداة التحقق
 ﴿ التراقي ﴾ أى عظام اعلى الصدر ، جمع رقوة وهى العظام التى
 حول الحلقوم عن يمين ثغرة النحر و شمالها بين الثغرة و بين العاتق ،
 ه و لكل إنسان رقوقتان ، وهو موضع الحشرجة ، لعله جمع المثني إشارة
 إلى شدة انتشارها بغاية الجهد لما هى فيه من الكرب لاجتماعها من
 أقاصي^٢ البدن الى هناك و ضيق المجال عليها كأنها تريد أن تخرج من
 أدنى موضع يقرب منها ، وهذا^٣ كناية عن الإشفاء على الموت وما
 أحسن قول حاتم الطائي و أشد التثامه مع ما هنا من أمر الروح :
 ١٠ أماوى ما يغنى الثراء عن الفقى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
 و لما كان أهل الميت يشتد انزعاجهم اذذاك و يشتد تطلبهم لما ينجى
 المحتضر من غير أن يفيدهم ذلك شيئا ، فكان قولهم كأنه لا قاتل له
 على التعيين^٤ ، بنى للفعول / قوله* : ﴿ وقيل ﴾ أى من كل قاتل يعز
 عليه الميت استفهام استبعاد : ﴿ من سكة راق لا ﴾ أى من هو الذى يتصف
 ١٥ برسوخ القدم فى أمر الرقى الشافية ليرقيه فيخلصه^٥ مما هو فيه فانه صار

/٦٠٤

(١) من ظ ، وفى الأصل وم : له (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : افاصم .

(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : هكذا (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : اليقين .

(٥) من ظ وم ، وفى الأصل : قولهم (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : فيخلصه .

إلى حالة لا يحتمل فيها دواء فلا رجاء إلا^١ في الرقي، وعن ابن عباس
رضي الله عنهما^٢ أن هذا القول^٣ من بعض الملائكة للاستفهام عن^٤ يرقى
بروحه إلى السماء: أم ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ فالأول اسم فاعل
من رقى يرقى بمعنى الرقية بالفتح في الماضي والكسر في المضارع، [و الثاني
الذي بمعنى الصعود بالكسر في الماضي والكسر في المضارع - °] ٥ .
ولما كان الإنسان مطبوعاً^٦ على الترجع بين الأمور الممكنة
تعلق لما يغلب عليه من طبع الإلف وشدة^٧ الركون لما يألفه
بأدنى شيء، عبر عما هو أهل للتحقق بالظن فقال: ﴿ وظن ﴾ أى
المختصر لما لاح له من أمور الآخرة أو القائل «هل من راق» من
أهله ﴿ انه ﴾ أى الشأن العظيم الذى هو [فيه - °] ﴿ الفراق^٨ ﴾ ١٠
أى لما كان فيه من محبوب العاجلة الذى هو الفراق^٩ الأعظم الذى
لا فراق مثله، ففى الخبر أن العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وأن
مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول: السلام عليك تفارقتى وأفارتك إلى
يوم القيامة . ﴿ والتفت الساق ﴾ أى هذا النوع ﴿ بالساق^{١٠} ﴾ أى
انضمت إليها واتصلت [بها - °] و دارت إحداها بالآخرى فكأنتا ١٥

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الى (٢) راجع البحر المحيط ٨ / ٣٨٩ (٣) فى
الأصل يياض ملأناه من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : من .
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : مطبوع (٧) زيد
فى الأصل : الى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٨) من ظ و م ، وفى
الأصل : اقران .

كالشيء الواحد، وهو كناية عن الموت لأن المشى لا يكون إلا
 'مع انفصال' إحدى الساقين عن الأخرى، أو عن اشتداد الأمر جدا.
 وبعده عن الخلاص، فإن العرب لا تذكر الساق في مثل هذا السياق
 إلا في أمر شديد مثل «شمر عن ساق»، وإذا اشتد حراب المتحاربين؛
 ه «دنت» السوق بعضها من بعض، فلا افتراق إلا عن موت أحدهما
 أو اشد من موته من هزيمته^٢، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه
 كناية عن اختلاط شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة، وجواب
 "إذا" محذوف تقديره: زال تعلقه الذي كان بالدنيا وجه لها
 وإعراضه عن الآخرة.

١٠ ولما صور وقت تأسفه على الدنيا وإعراضه عنها، ذكر غاية ذلك
 فقال مفردا النبي صلى الله عليه وسلم بالخطاب إشارة إلى أنه لا يفهم
 هذا حق فهمه غيره: ﴿إلى ربك﴾ أى موعده وحكم المحسن إليك
 بارسالك وتصديقك في جميع ما بلغته عنه ونصرك على كل من نواك^٣،
 لا إلى غيره ﴿يومئذ﴾ أى إذ وقع هذا الأمر ﴿المساقفة﴾ [أى
 ١٥ السوق -^٤] وموضع السوق وزمانه، كل ذلك داخل في حكمه، قد

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل: بالانفصال من (٢) من ظ و م، وفي الأصل:
 رنت (٣) من ظ و م، وفي الأصل: هزيمة (٤) راجع البحر المحيط ٨/ ٣٩٠.
 (٥) من م، وفي الأصل و ظ: للنبي (٦-٧) من ظ و م، وفي الأصل: الموعد
 والحكم بين بدى (٧) من م، وفي الأصل و ظ: نواك (٨) زيد من ظ و م.

انقطعت عنه أحكام أهل الدنيا، فاما أن تسوقه الملائكة إلى سعادة
بينه وإما^١ إلى شقاوة بينه، أو هو كناية عن عرضه بعد الموت على الله
تعالى فلا ينفعه إذا حقق له الوعظ بالموت قوله^٢؛ أموت فاستريح،
فانه يرجع بالموت إلى سيده، فان كان مطيعاً لقيه بما يرضيه، وان
كان عاصياً لقيه بما يلقي به العبد الآبق على قدر أباقه .

ولما ذكر كراهته للآخرة ذكر أن سيئه إفساده ما آتاه الله من
قوى العلم والعمل بتعطيلهما^٣ عن الخير واستعمالهما في الشر فقال مينا
عمل العبد الموافق والآبق، عاطفاً على ويستل إيان، الذي معناه جحد
البعث: (فلا صدق) أى هذا الإنسان [الذى الكلام فيه -]
الرسول فيما أخبره^٤ بما كان يعمل من الأعمال الخبيثة، ولا إيمانه^٥
بالإنفاق في وجوه الخير التى ندب إليها واجبة كانت أو مسنونة، وحذف
المفعول لانه أبلغ في التعميم .

ولما ذكر أصل الدين، أتبعه فروعه دلالة على أن الكافر مخاطب
بها فقال: (ولا صلى) أى ما أمر به من فرض وغيره، فلا
تمسك بجبل الخالق ولا وصل إلى جبل الخلاق على حد ما شرع له .
ولما نفى عنه أفعال الخير، أثبت له أفعال الشر فقال: (ولكن)

- (١) من ظ وم، وفي الأصل: او (٢) زيد في الأصل: او، ولم تكن الزيادة
في ظ وم لحذفها (٣) زيد في الأصل: له، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها.
(٤) من ظ وم، وفي الأصل: يرضى (٥) من ظ، وفي الأصل وم: للدين .
(٦) من ظ وم، وفي الأصل: بتعظيم بما (٧) زيد من ظ وم (٨) من ظ وم،
وفي الأصل: أخبر به .

أى فعل ضد^١ التصديق بأن (كذب) أى بما اتاه [من -^٢] الله
 (وتولى^٣) أى [و -^٤] فعل ضد الصلاة التى هى [صلة -^٥]
 بين المخلوق و الخالق، فاجتهد فى خلاف ما تدعوه اليه فطرته الأولى
 المستقيمة من الإعراض عن الطاعة من الصلاة وغيرها حتى صار
 له ذلك^٦ ديدنا، فصارت الطاعة لا تخطر له^٧ بعد ذلك^٨ على بال^٩
 لموت الفطرة الأولى و حياة النفس الامارة بالسوء^{١٠}، و ليس هذا
 بتكرار لأنه لا يلزم من عدم التصديق التكذيب.

ولما كان الإصرار على هذا عظيما يبعد كل البعد أن يعمل^{١١}
 أحد فكيف بالاقتدار به و التكبر^{١٢} لأجله، أشار إليه بأداة البعد
 ١٠. فقال مؤذنا بأن الحال على التكذيب الكبر، و الحامل على الكبر الترف،
 و سبب ذلك الاقبياد أولا مع الطبع فى إفساد القوتين^{١٣} : العملية
 و العلمية^{١٤} حتى نشأ عنهما هذا الخلق السيئ، و هو عدم المبالاة،
 و لم يزل به ذلك حتى صار ملكه يفتخر به (ثم ذهب) أى هذا الإنسان
 بعد توليه^{١٥} عن الحق (الى أهله) غير مفكر^{١٦} فى عاقبة ما فعل

(١) من ظ و م، وفى الأصل : فعل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م،
 وفى الأصل : و (٤ - ٤) من ظ و م، وفى الأصل : ذلك له (ه - ه) من
 ظ و م، وفى الأصل : ببال بعد ذلك وذلك (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد فى
 الأصل : كل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٨) من ظ و م، وفى
 الأصل : التكذيب (٩ - ٩) من ظ و م، وفى الأصل : العملية و العلمية .
 (١٠) من ظ و م، وفى الأصل : القولية (١١) من ظ و م، وفى الأصل :
 متفكر .

من التكذيب [حال كونه - '] ﴿ يَمْطَىٰ ۞ ﴾ أى يفتخر افتخارا
بتكذيبه وإعراضه وعدم مبالاته بذلك ، من المط ، أبدل الحرف
الثانى ألفا تخفيفا فصار من المطا و هو الظهر كأنه يساعده على [مد - ٢]
الخطا ، أو أن المتبخر إذا مشى لوى ظهره ، وإنما فعل هذا لمرونه
على المعصية بدل الاستحياء والتجمل والانكسار .

٥

ولما كان هذا غاية الفجور ، و كان أهل الإنسان يحبونه إذا أقبل

٦٠٦ /

إليهم ٣ لا سيما / إذا كان على هذه الحالة عند أغلب الناس ، أخبر بما
هو حقيق أن يقال له فى موضع دحية أهله ، من التهديد العظيم فقال :
﴿ أولى لك ﴾ أى ' أولاك الله ' ما تكره ، ودخلت اللام للتأكيد

الزائد والتخصيص ، وزاد التأكيد بقوله : ﴿ فأولى لا ﴾ أى ابتلاك الله ١٠
بداية عقب داهية ، و أبلغ ذلك التأكيد إشارة إلى أنه يستحقه
على مدى الأعصار ، فقال مشيرا بأداة التراخي إلى عظيم ما ارتكب
وقوة استحقاقه لهذا التأكيد : ﴿ ثم أولى لك ﴾ أى أيها الذى قد أحل
نفسه بالغفلة دون محل البهائم ﴿ فأولى ۞ ﴾ أى وصلت إلى هذا الهلاك

بداية تعقبها تارة متواليا وتارة متراخيا ، وبعضها أعظم من بعض ، ١٥
لحقك ذلك لا محالة ، فإن هذا دعاء بمن ' يده الأمر كله ، ويجوز أن

(١) زيد من م ، و موضعه فى ظ : مط (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : عليهم (٤ - ٤) من ظ و م ، وفى الأصل : أولى الله لك (٥) من
ظ و م ، وفى الأصل : التمديد (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : تعقب لها (٧) من
ظ و م ، وفى الأصل : من .

يكون المعنى^١: أولى لك أن تترك ما أنت عليه وتقبل على ما ينفعك ،
 وقال ابن جرير في تفسير المدثر^٢: إن أبا جهل لما استهزأ على جعل
 خزنة^٣ النار تسعة عشر أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن
 يأتيه فيأخذ يده في بطحاء مكة فيقول^٤ له: أولى لك - إلى آخرها ،
 فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل: والله لا تفعل
 أنت وربك شيئاً ، فأخزاه [الله -^٥] يوم بدر - انتهى . ويمكن تنزيل
 الكلمات الأربع على حالاته^٦ الأربع: الحياة ثم الموت ثم البعث ثم
 دخول النار، فيكون المعنى: لك المكروه الآن وفي الموت والبعث ودخول
 النار. قال البغوي^٧: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن لكل
 ١٠ أمة فرعوناً ، وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل . وقد أفهمت الآية
 أن من أصلح قوتى عليه وعمله بأن صدق بالله وملائكته وكتبه ورسله
 واليوم الآخر وأقبل وأقام الصلاة تبتعتها^٨ جميع الأعمال التي هي
 عمادها. فتشأ عن ذلك خلق حسن وهو الرجل مع الطاعة، فهناك^٩
 يقال له: بشرى لك فبشرى ثم بشرى [لك -^{١٠}] فبشرى .

١٥ ولما كان هذا فعل من أعرض عن الله أصلاً فلم يخطر^{١١} شيئاً
 من عظمته^{١٢} على باله ، فكان ظاناً أنه مهمل لا مالِك له^{١٣} وأنه هو

(١) راجع ٢٩ / ٨٧ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل: ملائكة (٣) في م :
 ويقول (٤) زيد من ظ و م والتفسير (٥) من ظ و م ، وفي الأصل: حاله .
 (٦) راجع المعالم ٧ / ١٥٦ (٧) من ظ و م ، وفي الأصل: تبتعتها (٨) من ظ
 و م ، وفي الأصل: هنالك (٩) زيد من ظ و م (١٠-١٠) من ظ و م ، وفي
 الأصل: من عظمته شيء (١١) من ظ و م ، وفي الأصل: لك .

السيد لا عبودية عليه ، فلا يؤمر^١ ولا ينهى [ولا يعمل - ^٢] إلا بمقتضى شهواته ، قال منكرا عليه معبرا بالحسبان الذي^٣ الحامل عليه نقص العقل : (ابحسب) أى أيجوز لقله عقله (الانسان) أى الذى هو عبد مروب ضعيف عاجو محتاج عما يرى فى نفسه وأبناء جنسه .
ولما كان الحامل على الجراءة مطلق الترك هملا ، لا كون الترك هـ من معين ، قال بانبا للفعول : (ان يترك) [أى يكون تركه بالكلية - ^٤] (سدى^٥) أى مهملا لا عابا لاهيا لا يكلف ولا يحارى ولا يعرض على الملك الاعظم الذى خلقه فيسأله عن شكره فيما / أسدى إليه ، فان ذلك مناف للحكمة ، فانها تقتضى الأمر بالمحاسن والنهى /
عن المساوى والجزاء على كل منهما ، وأكثر الظالمين والمظلومين ١٠ يموتون من غير جزاء ، فاقضت الحكمة ولا بد البعث للجزاء .

ولما كان الإنسان يجرى^٦ على ما^٧ فى طبعه^٨ من النقائص فيغفل عما خلق له فتراكم عليه ظلماته فيبعد عن علم ذلك إما بجهل بالحكمة أو بجهل بالقدرة ، رحمه^٩ سبحانه^{١٠} باعادة البرهان^{١١} على المعاد بأمر يجمع^{١٢} القدرة والحكمة^{١٣} ، وذلك أنه لا يجوز فى عقل عاقل ١٥

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فلا يامر (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : يجرأ (هـ - هـ) من ظ و م ، وفى الأصل : صنته (٥) زيد فى الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : البرهان (٨-٩) من ظ و م ، وفى الأصل ، الحكمة والقدرة .

ان صانعا يصنع شيئا و يتركه ضياعا و هو حكيم او حاكم فكيف باحكم
الحكماء و^١ الخاكين فقال منكرا^٢ عليه ظنه أنه يهمله سبحانه مع علمه
بصنائه^٣ المحكمة^٤ فيه، مقرر^٥ أحوال بدايته التي لا يسوغ معها إنكار
إعادته لأنها أدل دليل على أنه لا مانع منها أصلا، حاذقا نون الكون
ه. إعلاما بأن^٦ الأمر في هذه النتيجة العظمى ضاق عن أقل شيء يمكن
الاستغناء عنه كراهية التماهى من الموعوظ على ما وعظ لأجله فيحصل
له الهلاك، وإشارة إلى مهانة أصله وحقارته: (الم بك) أى
الإنسان (نطفة) أى شيئا يسيرا جدا (من منى) أى ماء من
صلب الرجل و ترائب المرأة مقصود و مقدر من الله للابتلاء^٧ و الاختبار
١٠ مثاله المنية التي هي الموت (تمنى^٨) أى سبب الله للإنسان المعالجة^٩
في إخراجها بما ركب فيه من الشهوة^{١٠} و جعل له من الروح التي يسرها
لقضاء وطره منها حتى أن وقت صباها في الرحم [انصبت -^{١١}] منه^{١٢}
بغير اختياره حتى كأنه لا فعل له [فيها -^{١٣}] أصلا، و لذلك بنى الفعل
لما لم يسم فاعله، و [لما -^{١٤}] كان تكثير تلك النطفة و تحويلها أمرا
١٥ عظيما عجيبا، أشار إليه بأداة البعد مع إفادتها للتراخي^{١٥} في الزمان أيضا

(١) من ظ و م، وفي الأصل د أو، (٢) من ظ و م، وفي الأصل: بصنائه
(٣-٣) من ظ و م، وفي الأصل: مقروا (٤) زيد في الأصل: هذا، ولم تكن الزيادة
في ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: للابتال (٦) من ظ و م،
وفي الأصل: المعالجة (٧) من ظ و م، وفي الأصل الشبه (٨) زيد من ظ
وم (٩) من ظ و م، وفي الأصل: منية (١٠) من ظ و م، وفي الأصل:
أداة التراخي.

فقال: ﴿ ثم كان ﴾ اى كونا محكما ﴿ علقه ﴾ اى دما احمر عيطا
شديد الحمرة والغلظة ﴿ فخلق ﴾ اى قدر^١ سبحانه عقب ذلك لحمه
وعظامه وعصبه و^٢ غير ذلك^٣ من جواهره وأعراضه ﴿ فسوى^٤ ﴾
اى عدل عن ذلك خلقا آخر غاية التعديل شخصا مستقلا .

و لما كان استبعادهم للقيامه إما لاستبعاد القدرة على إعادة الأجزاء^٥ هـ

بعد تفرقها أو لاستبعاد القدرة على تمييز ترابها من تراب الأرض بعد
الاختلاط، و كان تمييز النطفة إلى ذكر و أنثى كافيا فى [رد -^٦]
الاستبعادين قال: ﴿ فجعل ﴾ اى بسبب النطفة ﴿ منه ﴾ اى هذا الماء
الداق أو المخلوق المسوى و هما شئ واحد ﴿ الزوجين ﴾ اى القرينين^٧

الذين لا يمكن الانتفاع بأحدهما إلا بالآخر، ثم بينهما / بقوله: ١٠ / ٦٠٨
﴿ الذكر والانثى^٨ ﴾ و هما كما تعلون متباينان فى الطبائع مختلفان
فى أوصاف الأعضاء والآلات والمتاع^٩، كما لم يترك^{١٠} النطفة حتى
صيرها علقه ولا ترك العلقه حتى صيرها [مضغة و لا ترك المضغة حتى
صيرها -^{١١}] عظاما ولم يترك العظام حتى صيرها خلقا^{١٢} آخر إلى تمام^{١٣}
الخلقة لتمام الحكمة الظاهرة و فصلها إلى ذكر و أنثى و هى [ماء -^{١٤}]، ١٥

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: فقدّر (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: غيره.
- (٢) من ظ و م، وفى الأصل: الجزء (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل:
- اى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: اشاع.
- (٧) زيد فى الأصل: العظام، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٨) زيد من
- هامش ظ (٩-٩) من ظ و م، وفى الأصل: تمام آخر .

تميز ما يصلح منه للذكر و ما يصلح منه للانثى اشد^١ و اخفى من
تميز تراب الميت من تراب الارض ، فكذلك لا يترك الجسم بعد
موته حتى يعيده ثم يبعثه إلى آخر ذلك لتمام الحكمة الباطنة و هي
الجزء و الحكم الذى [هو - ٢] خاصة الملك .

٥ و لما تقرر من حيث إتيان^٢ الاصطناع أنه لا يجوز معه الإهمال
و انقطاع النزاع ، و كان ربما توقف من حيث ظن عدم القدرة على
ذلك بعد الموت ، قال منها على تمام القدرة مقرراً عليه منكراً على من
يتوقف فيه موبخاً له مرتباً على ما قام على القدرة على الإعادة من دليل
القدرة الشهودى على البداية : (ليس ذلك)^٣ أى الخالق المسوى
١٠ الإله الأعظم الذى قدر على * هذه الإنشاءات * و صنع هذه الصنائع
المتقنة التى لا يقدر غيره على شئ منها ، و أعرق فى التنى فقال :
(بقدر) أى عظيم القدرة (على^٤ ان يحى) أى كيف أراد دفعة
أوفى أوقات متعاقبة (الموتى^٥) فيقيم القيامة بل [و - ١] عزته
و جلاله^٦ و عظمته و كماله^٧ إنه على^٨ كل ما يريد^٩ قدير ، و قد رجع
١٥ آخر السورة على أولها أنم رجوع ، و التأم^{١٠} به آتم التام ، فتمت

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : و اشده (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى
الأصل : احكام ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) زيد فى الأصل : كله
دليلاً على قواه ليس ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٥-٥) من ظ
و م ، و فى الأصل : هذا الانشاء (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : جلالة .
(٧-٧) تكرر ما بين الرقيين فى الأصل فقط (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل :
شئ (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : الم .

معانيها أعظم تمام بجميع العظام و إيجاد القيام ليوم التغابن و الزحام -
 أعانا الله [فيه - ١] بحسن الحتام ، روى البغوي^٢ بسنده من طريق
 أبي داود عن أعرابي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : من قرأ منكم " والتين و الزيتون " فانهى إلى
 آخرها " اليس الله بأحكم الحاكمين " فليقل : [بلى - ٢] وأنا على ذلك من هـ
 الشاهدين ، ومن قرأ " لا اقسم بيوم القيامة " فانهى إلى قوله " اليس ذلك
 بقادر على أن يحيى الموتى " فليقل : بلى ، ومن قرأ المرسلات فقرأ فبأى حديث
 بعده يؤمنون . فليقل : آما بالله . [و - ١] رواه الترمذي و قال في آخر
 القيامة ه ان يحيى الموتى : بلى و عزة ربنا . وقال الحافظ نور الدين الهيثمي
 في مجمع الزوائد^٣ : و روى أحمد و فيه رحلان لم أعرفهما عن أبي هريرة ١٠
 رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ :
 والمرسلات عرفاً فبأى حديث بعده يؤمنون ، و من قرأ : والتين
 و الزيتون^٤ ، فليقل : وأنا على ذلك من الشاهدين ، و من قرأ : اليس ذلك
 بقادر على أن يحيى الموتى ، فليقل : بلى^٥ - ^٦ والله الهادي للصواب^٧ .

(١) زيد من ظ و م (٢) في المعالم ١٥٦/٧ (٣) زيد من المعالم (٤) من ظ و م ،
 وفي الأصل : نور (٥) راجع ١٣٢/٧ (٦) زيد في الأصل : الى قوله ، ولم تكن
 الزيادة في ظ و م والمجمع لحذفها (٧) زيد في الأصل : الى قوله اليس الله بأحكم
 الحاكمين ، ولم تكن الزيادة في ظ و م والمجمع لحذفها (٨) من ظ و م والمجمع ،
 وفي الأصل : بلى (٩-٩) سقط ما بين الرقين من ظ و م .

/ ٦٠٩

/ سورة الإنسان^١ وتسمى هل آتى والأمشاج والدهر

مقصودها ترهيب الإنسان بما دل عليه آخر القيامة من العرض^٢ على الملك الديان بتعذيب^٣ العاصي^٤ في النيران^٥ وتعيم المطيع في الجنان بعد جمع الخلائق [كلها - °] الإنس والملائكة والجان ° وغير ذلك من الحيوان ، ويكون لهم مواقف طوال وأهوال وزلزال ، لكل منها أعظم شأن ، وأدل ما فيها على ذلك الإنسان بتأمل آيته وتدبر^٦ مبدئه وغايته ، وكذا^٧ تسميتها بهل آتى وبالدهر وبالأمشاج من غير ميل ولا اعوجاج ﴿ بسم الله ﴾ الملك الذى خلق الخلائق لمعرفة أسمائه الحسنى ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمهم بنعمه الظاهرة ١٠ فرادى^٨ ومثنى ﴿ الرحيم ° ﴾ الذى خص منهم من اختاره لوداده^٩ بالنعمة الباطنة والمقام الأسنى .

لما تقدم فى " آخر القيامة " التهديد على مطلق التكذيب ، و آن

- (١) السادسة والسبعون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها ٣١ .
- (٢) زيد فى الأصل : الملك الجبار ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
- (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : من تعذيب (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بالنيران (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : تدبر (٧) من م ، وفى الأصل : لذا ، وفى ظ : ذلك (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : فراده (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : لوارده (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : من .
- (١١) زيد فى الأصل و ظ : من ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها .

المرجع إلى الله وحده، و الإنكار على من ظن أنه يترك سدى^١،
والاستدلال على البعث و تمام القدرة [عليه -^٢]، تلاه أول هذه بالاستفهام^٣
الإنكارى على ما يقطع معه بأنه لا يترك سدى، فقال مفصلا ما له سبحانه
عليه من نعمة الإيجاد و الإعداد و الإمداد و الإسعاد : ﴿ هل أتى ﴾
أى بوجه من الوجوه ﴿ على الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى شغله ه
عما يراد به و يراد له لعظم مقداره فى نفس الأمر الانس بنفسه، و الإعجاب
بظاهر حسه، و النسيان لما بعد حلول رسمه ﴿ حين من الدهر ﴾ أى
مقدار محدود و إن قل من الزمان الممتد الغير المحدود حال^٤ كونه
﴿ لم يكن ﴾ أى فى ذلك الحين كونا راسخا ﴿ شيئا مذكورا ﴾ أى ذكرا
له اعتبار ظاهر فى الملا^٥ الأعلى و غيره حتى أنه يكون متهاونا^٦ به غير ١٠
منظور إليه ليجوز أن يكون سدى بلا أمر و نهى، ثم يذهب [عدما -^٧]
بالكلية، ليس الأمر كذلك، بل ما أتى عليه^٨ شيء من^٩ ذلك بعد خلقه
إلا و هو فيه شيء مذكور، و ذلك ان الدهر هو الزمان، و الزمان هو
مقدار حركة الفلك^{١٠} كما نقله الرازى فى [كتاب -^{١١}] اللوامع فى
سورة يس، عند^{١٢} قوله تعالى^{١٣} و لا الليل سابق النهار، فانه قال : الزمان ١٥
ابتداؤه من حركات السماء فان الزمان مقدار حركات الفلك - ناتمى .
و آدم عليه السلام تم الخلق بتمام خلقه فى آخر يوم الجمعة أول جمعة

(١) زيد فى الأصل : حاشا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فخذفناها (٢) زيد من
ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل : الاستفهام (٤) من ظ و م، و فى
الأصل : حالة (هـ) فى م : متهاونا (٦-٧) من ظ و م، و فى الأصل : من شيء .
(٧-٧) سقط ما بين الرقین من ظ و م .

كانت ، وكانت [طينته - ١] قبل ذلك بمدة مخمرة هو فيها بين ٢ الروح
والجسد؛ قال / ابن مسعود رضى الله عنه : خلق الله آدم عليه السلام
من تراب فاقام أربعين سنة ثم من طين أربعين سنة ثم من صلصال
أربعين سنة ثم من حماء [مسنون - ١] أربعين سنة ثم خلقه ٢ بعد ستين
و مائة سنة ، [و قال البغوى : قال ابن عباس رضى الله عنهما : ثم خلقه
بعد عشرين ومائة سنة - ١] : فحينئذ ما أتى عليه زمان إلا و هو شئ مذكور
إما بالتخمير و إما ٦ بتمام التصوير ١ ، فالاستفهام على بابيه و هو إنكارى ،
و ليست «هل» بمعنى «قد» إلا إن قدرت قبلها الهمزة ، و كان الاستفهام
إنكاريا ليتنبى مضمون الكلام ، و المراد أنه هو المراد من العالم . فحينئذ
١٠ ما خلق الزمان إلا لأجله ، فهو أشرف ٢ الخلائق ، و هذا ١ أدل دليل على
بعثه للجزاء ، فهل يجوز مع ذلك أن يترك سدى فيبقى المظروف الذى
هو المقصود بالذات ، و يبقى الظرف الذى ما خلق إلا صوانا ١ له ،
و الذى يدل على ذلك من أقوال السلف أنه روى أن رجلا قرأها
عند ابن مسعود رضى الله عنه فقال : يا ليت ذلك لم ١١ يكن .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : علقه (٤) راجع المعالم ١٥٧/٧ (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فحين .
(٦-٦) من م ، وفى الأصل و ظ : بالتصوير (٧) من ظ و م ، وفى الأصل :
اشرف (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : هو (٩) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفها (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : صوانا (١١) من
ظ و م ، وفى الأصل : لن .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : قوله تعالى " هل أتى على
الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا " تعريف الإنسان بحاله
وابتداء أمره ليعلم أن لا طريق له للكبر واعتقاد السيادة لنفسه، وأن
لا يغلطه ما اكتشفه من الالطاف الربانية والاعتناء الإلهي والتكرمة فيعتقد
أنه يستوجب ذلك ويستحقه " وما بكم من نعمة فمن الله " ولما تقدم ه
في القيامة إخباره تعالى عن حال منكري البعث عنادا واستكبارا وتعاميا
عن النظر والاعتبار ^٢ " أيعسى الإنسان أن لن نجمع عظامه " وقوله
بعد " فلا صدق ولا صلي ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله
يتمطى " اى يتبختر عتوا^٣ واستكبارا ومرحاضا^٤ وتجبرا، و تعريفه بحاله
التي لو فكر فيها لما كان منه ما وصف، [و -] ذلك قوله " ألم يك ١٠
نطفة من منى يمنى ثم كان علقه مخلوق فسوى " اتبع ذلك بما هو أعرق
في التوبيخ وأوغل في التعريف وهو أنه [قد -] كان لا شيء فلا
نطفة ولا علقه، ثم أنعم الله عليه بنعمة الإيجاد ونقله تعالى من طور إلى
طور فجعله نطفة من ماء مهين في قرار مكين ثم كان علقه ثم مضغه إلى
إخراجه^٥ وتسويته خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين، فن اعتبر ١٥
اتصافه بالعدم ثم قلبه في هذه الاطوار المستنكف حالها والواضح

- (١) من ظ و م، وفي الأصل : المذكور (٢) من ظ و م، وفي الأصل :
اخبارا (٣) من ظ و م، وفي الأصل : علوا (٤) من ظ و م، وفي الأصل :
مراحا (٥) من ظ و م، وفي الأصل : الذى (٦) من ظ و م، وفي الأصل :
فيه (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، وفي الأصل : آخره .

فناؤها واضمحلالها، و^١ امدد الله تعالى بتوقيفه عرف حرمان من وصف
في قوله "ثم ذهب إلى أهله يتمطى" فسجان^٢ الله ما أعظم^٣ حله وكرمه
ورفقه، [ثم -^٤] بين تعالى أن ما جعله للإنسان^٥ من السمع والبصر
ابتلاء له، ومن^٦ أدركه أدركه^٧ الغلط و ارتكب الشطط - انتهى .

٥ ٥ ولما ذكر مطلق خلقه، وقرر^٨ أنه خلاصة الكون، شرع يذكر
كيفية خلقه ويدل على ما لازم من ذلك من أنه ما خلق الخلق إلا لأجله
و أنه لا يجوز أن يهمل^٩ فقال معلما بالحال التي هي قيد الجملة و محط الفائدة^{١٠}
أنه ما خلق إلا للآخرة، مفصلا أمر الإيجاد بالفاعل والصورة / والمادة
والغاية و^{١١} أكده لإنكارهم له^{١٢}: (أنا) أى على ما لنا من العظمة (خلقنا)
١٠ أى قدرنا وصورنا، و أظهر^{١٣} ولم يضمن لأن الثاني خاص والاول
عام لآدم عليه الصلاة والسلام وجميع ولده فقال: (الإنسان) أى
بعد خلق آدم عليه الصلاة والسلام (من نطفة) أى مادة هي ماء
يسير جسدا من الرجل والمرأة، وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة،
وهي المادة التي هي السبب الحامل للقوة المولدة .

/ ٦١١

(١) من ظ و م ، وفي الأصل: ثم (٢) من ظ و م ، وفي الأصل: بتوقيفه -
(٣-٢) ما بين الرقين في الأصل بياض ملائنه من ظ و م (٤) زيد من ظ و م -
(٥ - ٥) من ظ و م ، وفي الأصل: حصل الان (٦ - ٦) من ظ و م ، وفي
الأصل: ادرك ادرك (٧) من ظ و م ، وفي الأصل: ذكر (٨) من ظ و م ،
وفي الأصل: يهمله (٩) زيدت الواو في الاصل و ظ ولم تكن فيم لحذفناها -
(١٠-١٠) من ظ و م ، وفي الاصل: اكذلك (١١) من ظ و م ، وفي
الأصل: اظهرنا .

ولما كان خلقه على طبائع مختلفة و أمرجة متفاوتة أعظم لأجره إن
 جاهد ما يتنازعه من المختلفات بأمر ربه الذي لا يختلف، وكانت أفعاله تابعة
 [لأخلاقه وأخلاقه تابعة -^٢] لجليلته قال: ﴿امشاج طيء﴾ [أى أخلاط -^٣]
 جمع مشج أو مشيج مثل خدن و خدين و أخدان، و^٤أخط و خليط^٥
 و أخلاط، من مشجت الشيء - إذا خلطته، لأنه من منى الرجل و منى^٥
 المرأة، و كل منهما مختلف الأجزاء متباين الأوصاف فى الرقة و الثخن
 و القوام و الخواص تجتمع مع الأخلاط و هى العناصر الأربعة، ماء
 الرجل غليظ أبيض، و ماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان الشبه له،
 و ما كان من عصب و عظم فن نقطة الرجل، و ما كان من^٦ دم و لحم^٦
 و شعر فن ماء المرأة، و قال يمان^٧: كل لونين اختلطا فهو^٨ أمشاج،^٩
 و قال قتادة: هى أطوار الخلق من النطفة و ما بعدهما، و كما^{١٠} يشبه ما
 غلب عليه من باطن الأمشاج من^{١١} الطيب و الخبث^{١٢}، و كيفية تمشيجه أن
 الماء إذا وصل إلى قرار الرحم اختلط بماء المرأة ثم بدم^{١٣} الطمث و خثر
 حتى صار كالرائب^{١٤} ثم احمر و حينئذ يسمى علقه، فإذا اشتد ذلك الامتزاج
 و قوى و تمتمن حق استعد لأن يقسم فيه الأعضاء سمي^{١٥} مضغة، فإذا

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اتى (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى
 الأصل: خليط و خلط (٤-٤) فى ظ و م: لحم و دم (٥) هو أبو بشر الثعوى.
 (٦) من ظ و م، و فى الأصل: نهم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فكما.
 (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: الطين و الخشب (٩) من ظ و م، و فى
 الأصل: بما (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: كالترائب (١١) من ظ و م،
 و فى الأصل: يسمى.

أفيضت عليه صور^١ الأعضاء وتقسم كسأه حيثئذ مفيضه عز وجل لحما،
 فأفاض عليه القوة العاقلة، ويسمى حيثئذ جنينا، وذلك بعد تقسيم
 أجزائه إلى عظام وعروق وأعصاب وأوتار ولحم، فدور الرأس
 وشق في جانبيه السمع وفي مقدمه البصر والأنف والفم، وشق في
 ٥ البدن سائر المنافذ ثم مد اليدين والرجلين وقسم رؤسها^٢ بالأصابع،
 وركب الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة [والكبد - ٣] والطحال
 والرئة والمثانة، فدجان من خلق تلك الأشياء من نقطة سخيفة مهينة
 كَوْن منها العظام مع قوتها وشدتها، وجعلها عماد البدن وقوامه
 وقدرها بمقادير^٤ وأشكال مختلفة، فمنها صغير وكبير، وطويل وقصير،
 ١٠ وعريض ومستدير، ومجوف ومصمت، ودقيق ونخين، ولم يجعلها
 عظما واحدا لأن الإنسان محتاج إلى الحركة بجملة بدنه ويعض أعضائه،
 ثم جعل بين تلك العظام مفاصل ثم وصلها بأوتار أنبتها من أحد طرفي
 العظم / والصقها بالطرف الآخر بالرباط له ثم خلق في أحد طرفي
 ١١٢ / العظم زوائد خارجة، وفي الآخر حفرا^٦ مواقعة لشكل الزوائد لتدخل
 ١٥ فيها، وخلق الرأس مع كريمة من خمسة وخمسين عظما مختلفة الأشكال
 واللف بعضها مع بعض، فجعل في القحف ستة وفي اللحي الأعلى أربعة
 عشر، واثنان للأسفل، والباقي في الأسنان، وجعل [الرقبة - ٢]

(١) من ظ و م، وفي الأصل: صورة (٢) من ظ و م، وفي الأصل:
 رؤسها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفي الأصل: مثل لها (٥) من
 ظ و م، وفي الأصل: بها (٦) من ظ و م، وفي الأصل: حفر.

مركبا للراس و ركبها من سبع خرزات فيها تجويفات^١ و زيادات^٢
و نقصانات^٣ لينطبق بعضها على بعض ، و ركب الظهر من أربع وعشرين
خرزة و عظم العجز^٤ من ثلاثة أجزاء ، و جعل من أسفله عظم المصعص
أو اللفة من ثلاثة أجزاء مختلفة ، ثم وصل عظام الظهر بعظام^٥ الصدر
و عظام الكتف و غيرها حتى بلغ مجموع عظام بدن الإنسان مائتي عظم^٥
و ثمانية و أربعين عظما سوى العظام التي حشى بها خلل^٦ المفاصل ، و خلق^٧
سبحانه آلات التحريك للعظام و هي العضلات و هي خمسمائة و سبع
و عشرون^٨ عضلة كل منها على قدر مخصوص و وضع مخصوص لوتغير
[عن - ٩] ذلك أدنى تغير لاختلف مصالح البدن ، و كذا الأعصاب
و الأوردة و الشرايين ، ثم انظر كيف خلق الظهر أساسا للبدن و البطن^{١٠}
حاريا لآلات الغذاء و الرأس مجما للحواس ، ففتح العين و رتب طبقاتها^{١١}
و أحسن شكلها و لونها و أحكمها بحيث ينطبع في مقدار عدسة منها
صورة السماوات على عظمها ، و حماها بالاجفان لتسترها و تحفظها ، ثم
أودع الأذنين ماء مرا يدفع عنها الهوام و حاطها بصدين لجمع الصوت
ورده إلى الصماخ و ليحس بديب الهوام و جعل فيها^{١٢} تعريجا لتطويل^{١٥}

(١-١) سقط ما بين الرئتين من ظ (٢) من ظ و م ، و في الأصل : نقصان .
(٣) من ظ و م ، و في الأصل : العجم (٤) من ظ و م ، و في الأصل : بعظم .
(٥) من ظ و م ، و في الأصل : عظام (٦) من م ، و في الأصل : وظ : خلال .
(٧) زيد في الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٨) من ظ
و م ، و في الأصل : عشرين (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ و م ، و في
الأصل : طبقاتها (١١) من ظ و م ، و في الأصل : فيها .

الطريق ، فلا تصل الهوام إلى جرم الصباخ سريعا ، ثم رفع الاثف في
الوجه وأودع فيه حاسة الشم للاستدلال بالروائح على الأاطعمة والأغذية
ولاستنشاق الروائح الطيبة لتكون مروحة للقلب ، وأودع الفم اللسان
وجعله على كونه لحة واحدة معربا^١هما في النفس ، و زين الفم بالأسنان
٥ فخد بعضها لتكون آلة^٢ للنقب و حدد بعضها لتصلح للقطع ، وجعل
بعضها عريضا مفاطحا صالحا للطحن ويبيض ألوانها ورتب صفوفها وسوى
رؤسها ونسق ترتيبها حتى صارت كالدر المنظوم ، ثم اطبق على الفم الشفتين
وحسن لونها لتحتفظا منفذه^٣ وهما الخنجره لخروج الصوت ، وخالف أشكال
الحناجر في^٤ الضيق والسعة^٥ والحنشونة والملاسة والصلابة والرخاوة
١٠ والطول والقصر ، فاختلفت الأصوات بسببها ليميز السامع المصوتين
بسبب تميز أصواتهم فيعرفهم وإن لم يرم ، وسخر كل عضو من أعضاء
الباطن لشيء مخصوص ، فالمعدة لإيضاج / الغذاء ، والكبد لإحالة الدم^٦ ،
والطحال لجذب السواد ، والمرارة لجذب الصفراء ، والكلية لجذب الفضلة
المائية ، والمثانة لخدمة الكلية بقبول الماء عنها ثم إخراجها من طريقه ،
١٥ والعروق لخدمة الكبد في إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن ، وكان
مبدأ ذلك كله النطفة على صفرها في داخل الرحم في ظلمات ثلاث ،
ولو كشف الغطاء وامتد البصر إليه لرأى التخطيط^٧ والتصوير يظهر عليه

/ ٦١٣

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : معبرا (٢) زيد في الأصل : وآية ، ولم تكن
الزيادة في ظ و م فحذفنا (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : مقدرة (٤-٤) من
ظ و م ، وفي الأصل : السعة والضيق (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الكبد .
(٦) في ظ : التخطيط .

شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا الآله، فسبحانه ما أعظم شأنه وأبهراً^١
برهانه، فيا لله العجب^٢ ممن يرى نقشا حسنا على جدار فيتعجب من حسنه
وحذق صانعه ثم لا يزال يستعظمه ثم ينظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي
غيره ثم يغفل عن صانعه - [^٣] ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره
جلاله وحكمته .

٥

ولما كان الإنسان مركبا من روح خفيف ظاهر وبدن هو
مركب^٤ المحفوظ والشهوات واللوم والدينيات، فكان الروح بكماله
والبدن بنقصانه يتعالجان، كل منهما يريد أن يغلب صاحبه، قوى سبحانه
الروح بالشرع الداعى إلى معالى الأخلاق، الناهى عن مساوئها، المبين
لذلك غاية البيان على يد إنسان طبعه سبحانه على الكمال ليقدر على ١٠
التلقى من الملائكة، فيكمل أبناء نوعه، فدل على ذلك بحال بناها من
ضمير العظمة فقال مينا للغاية : (نبليه) أى تعامله بما لنا من العظمة
بالأمر والنهى والوعظ معاملة المختبر ونحن أعلم به منه، ولكننا
فعلنا ذلك لنقيم عليه الحجة على ما يتعارفه الناس، فإن العاصى لا يعلم
أنه أريد منه العصيان، وكذا^٥ الطائع، فصار التكليف بحسب وهمه لما ١٥
خلق^٦ الله له^٦ من القوة والقدرة الصالحة فى الجملة .

ولما ذكر للغاية، أتبعها الإعدادات المصححة لها فقال : (لجعلته)

(١) من ظ وم، وفى الأصل : أعز (٢) فى ظ وم : المعجب (٣) زيد من ظ
وم (٤) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٥) من ظ
وم، وفى الأصل : كذلك (٦-٦) فى ظ : له تعالى، وما بين الرقنين ساقط من م.

أى بما لنا من العظمة بسبب ذلك ﴿سَمِيعًا﴾ أى بالغ السمع ﴿بَصِيرًا﴾
 أى عظيم البصر و 'البصيرة ليتمكن' من مشاهدة 'الدلائل يبصره
 و سماع الآيات بسمعه، و معرفة الحجج ببصيرته، فيصح تكليفه و ابتلاؤه،
 'فقدم العلة الغائية' لأنها متقدمة 'في الاستحضار [على -]' التابع
 ٥ لها المصحح لورودها، و قدم [السمع -] لأنه أنفع في المخاطبات،
 و لأن الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية، قال الرازى فى
 اللوامع: و إلى هنا انتهى 'الحبر الفطرى' ثم يتبدئ منه 'الاختبار الكسبى -
 انتهى . و ذلك بنفخ الروح و هى حادثة^٤ بعد حدوث^٥ البدن بإحداث
 القادر المختار لها بعد تهيئة البدن لقبولها، ثم أفاض سبحانه [على الجملة
 ١٠ العقل، و جعل السمع و البصر اللتين له، و لعله خصهما لأنها أفق
 الحواس، و لأن البصر يفهم البصيرة و هى تتضمن الجميع، و جعل
 سبحانه -] له ذلك لاستقراء صور المحسوسات و انتزاع العلوم
 الكلية منها، و بذلك يكمل علمه الذى منه الدفع عن نفسه التى جعلها
 الله تعالى محل التكليف ليكمل تكليفه/، و ذلك أنه سبحانه ركبه
 ١٥ من العناصر الأربعة، و جعل صلاحه بصلاحها، و فساد به بفسادها

/٦١٤

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: البصير لا يتمكن (٢) من ظ و م، و فى
 الأصل: مشاهدات (٣ - ٣) من ظ و م، و فى الأصل: و قدم العلة الغاية .
 (٤) من ظ و م، و فى الأصل: مقدمة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد من ظ .
 (٧ - ٧) تكرر ما بين الرتين فى الأصل نقط (٨ - ٨) من م، و فى الأصل
 و ظ: بحدوث (٩) من ظ و م، و فى الأصل: إن الله .

لتغالبها

لتعالبها ، فاضطر إلى قوى يدرك بها المائى فيجتنبه و الملائم فيطلبه ،
 فرتب له سبحانه الحواس الخمس الظاهرة ، فجعل السمع فى الاذن ،
 و البصر فى العين ، و الذوق فى اللسان ، و الشم فى الأنف ، و بث
 اللس فى سائر البدن ، ليدفع به عن جميع الاعضاء ما يؤذيها ، و هذه
 الحواس ^١ الظاهرة تنبعث ^٢ عن قوة باطنة تسمى الحس المشترك بحمل ^٥
 ما أدركته فيرتسم هناك و هو فى مقدم البطن ^٢ الاول من الدماغ
 و ينتقل ما ارتسم هنا إلى خزانه الخيال و هى فى مؤخر هذا البطن من الدماغ
 فتحفظ فيها صورته و إن غابت عن الحواس ، و ثم قوة أخرى من
 شأنها إدراك المعانى الجزئية المتعلقة ^٤ بالمحسوسات الشخصية كعداوة
 زيد و صداقته تسمى الوهم و محلها الدماغ كله و الاخص ^٥ بها التجويف ^٥
 الأوسط و خصوصا مؤخره ، و قوة أخرى أيضا شأنها خزن ما أدركته ^{١٠}
 القوة الوهمية من المعانى الجزئية تسمى الحافظة باعتبار ، و الذاكرة
 باعتبار ، و محلها التجويف ^٦ المؤخر فى الدماغ ^٦ ، و قوة أخرى من شأنها
 تفتيش تلك الخزائن و تركيب ^٧ بعض مودعاتها مع بعض و تفصيل
 بعضها مع بعض و محلها و سلطانها فى أول التجويف الأوسط ، و تلك

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الخمسة (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : تبعث .
 (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : البطر (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : التعلق
 بالقرائن المخصوصة (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بالتجويف .
 (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : و الأخرى بالدماغ (٧) من ظ و م ، و فى
 الأصل : تأييف .

القوة^١ تسمى مخيلة باعتبار تصريف الوهم لها و^٢ مفكرة باعتبار استعمال النفس^٣ لها ، وقد اقتضت الحكمة الربانية تقديم ما يدرك الصور الجرمية وتأخير ما يدرك المعاني الروحانية ، و توسط المتصرف فيهما بالحكم والاسترجاع للامثال المنحجية من الجانبين ، ثم لا زال هذه القوى
 ٥. تخدم ما فوقها^٤ كما خدمتها الحواس الخمس^٥ إلى أن تصير عقلا مستفادا ، وهو قوة للنفس^٦ بها يكون لها^٦ حضور المعقولات [بالفعل ، وهذا العقل هو غاية السلوك الطلبي للإنسان وهو الرئيس المطلق المخدم للعقل بالفعل ، وهو القوة التي تكون للنفس بها اقتدار على استحضار المعقولات - ٧] الثانية وهو المخدم للعقل الهولاني المشبه بالهيولي
 ١٠. الخالية في^٨ نفسها عن جميع الصور ، وهو قوة من شأنها الاستعداد المحض لدرك المعقولات باستعمال^٩ الحواس في تصفح الجزئيات واستقرائها المخدمات كلها للعقل العملي ، وهو القوة النظرية المخدم للوهم^{١٠} المخدم لما بعده من الحافظة وما قبله من التخيلة المخدمتين للخيال المخدم للحواس المشتركة المخدم للحواس الظاهرة .

١٥. ولما كان كأنه [قيل - ٧] : هبه خلق هكذا فكان ما ذا ؟ قال

(١) من م ، وفي الأصل وظ : القوى (٢) زيد في الأصل : تسمى ، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفنا (٣ - ٣) من ظ وم ، وفي الأصل : بالوهم (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : فرقها (٥) سقط من ظ وم (٦ - ٦) من ظ وم ، وفي الأصل : يكون بها (٧) زيد من ظ وم (٨) من ظ وم ، وفي الأصل : عن (٩) من ظ وم ، وفي الأصل : بالاستعمال (١٠) من ظ وم ، وفي الأصل : للوهم .

شفاء^١ لى هذا السؤال و يانا لعمدة الإمداد: (انا) اى بما لنا من
العظمة (مدينه) اى بنا له لاجل الابتلاء (السيل) اى الطريق
الواضح الذى لا طريق فى الحقيقة غيره ، و هو طريق الخير الذى من
حادثه ضل ، و ذلك بما أنزلنا من الكتب و أرسلنا من الرسل
و نصبتنا / من الدلائل فى الانفس و الآفاق . و جعلنا له من البصيرة ٥
٦١٥/ التى يميز بها بين الصادق و الكاذب و كلام الخلق و كلام الخالق و الحق
و الباطل^٢ و ما أشبهه^٣ .

و لما كان الإنسان عند البيان قد كان منه قسان ، و كان السياق
ليان تعظيمه^٤ بأنه خلاصة الكون و المقصود من الخلق ، قال بانبا
حالا من ضميره فى "مدينه" مقسما له مقدما القسم الذى آتم عليه بالبيان ١٠
نعمه الهداية بخلق الإيمان ، لأن ذلك أنسب بذكر تشريفه للإنسان ،
بجعله خلاصة الوجود و بقوله ١٠ إن رحمتى سبقت غضبى ، فى سياق ابتداء
الخلق ، معبرا باسم الفاعل^٥ الخالى عن المبالغة ، لأنه لا يقدر أحد أن
يشكر جميع النعم ، فلا يسعى شكورا^٦ إلا بتفضل [من - ١] ربه
عليه: (اما شاكرا) اى لإنعام ربه عليه .
١٥

و لما كان الإنسان ، لما له من النقصان ، لا ينفك غالبا عن كفر
ما ، أتى بصيغة المبالغة تنبيها له على ذلك معرفا له أنه^٧ لا يأخذه إلا

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : تبعاً (٢-٢) سقط ما بين الرقيبتين من ظ و م .

(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : العظمة (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : شكرا .

(٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ان .

- بالتوغل^١ فيه ليعرف نعمة الحلم عنه فيحمله الحجل على [الإقبال على -^٢]
 من يرضى منه بقليل الشكر، ويحتمل أن يفهم ذلك أنه من كفر
 نعمة واحدة قد كفر الجميع فصار بليغ الكفر فقال: (و اما كفورا^٣)
 أى بليغ الكفر بالإعراض والتكذيب و عبادة الغير والمعادنة^٤
 ٥. فاحسانه غير موفد وإساءته مفرطة، وبدأ بالشكر لأنه الأصل، روى
 الشيخان^٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه^٦ -
 الحديث، ورواه أحمد بن منيع عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه
 الإمام أحمد^٧ عن جابر رضي الله عنه ولفظه: كل مولود يولد على
 الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكرا وإما كفورا - رواه الإمام أحمد
 أيضا وأبو يعلى^٨ عن الأسود بن مريع رضي الله عنه .
 ولما قسمهم إلى القسمين^٩، ذكر^{١٠} جزء كل قسم فقال مستأنفا
 جواب من يسأل عن ذلك مبشرا للشاكر الذي استعد بعروجه في مراقب
 العبادات إلى ملكوت العلويات لروح وريحان وجنة نعيم، ومنذرا
 (١) من ظ ، وفي الأصل : بالتقول ، وفي م : بالتقول (٢) زيد من ظ و م :
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الاعادة والمادة (٤) من ظ و م ، وفي
 الأصل : لاسل - كذا (٥) و للحديث من الشهرة ما يغنينا عن التعليق عليه .
 (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : يمجسانه (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : روى .
 (٨) راجع المسند ٣ / ٣٥٣ ، وفيه بعض الزيادة (٩) من ظ و م ، وفي الأصل :
 أبو يحيى (١٠) من م ، وفي الأصل و ظ : قسمين (١١) من ظ و م ،
 وفي الأصل : بين .

للكافر الذى استعد بالمهبط فى دركات المخالفات إلى التقيد بالسفليات
 لنزل من حميم و تصلية جحيم ، مقدما للعاصي لأن طريق النشر المشروش
 أصبح ، و ليتبادل البداة بالشاكر فى أصل التقسيم ليتعادل الخوف والرجاء ،
 و ليكون الشاكر أولا و آخر ، و لأن الانقياد بالوعيد آثم لأنه أدل
 على القدرة لإسماء فى حق أهل الجاهلية الذين بددت عنهم معرفة
 التكليف الشرعية ، و أكثر فى القران العظيم من الدعاء بالترغيب
 و الترهيب لأنه الذى يفهمه الجهال الذين هم أغلبية الناس دون الحجج ٦١٦/
 و البراهين ، فانها لا يفهمها إلا الخواص ، و أكد لأجل تكذيب
 الكفار : (انا) أى على ما لنا من العظمة (اعتدنا) أى هيأنا
 و أحضرنا بشدة و غلظة (للكافرين) أى العريقين فى الكفر خاصة ، ١٠
 و قدم الأسهل فى العذاب فالأسهل ترقيا فقال : (سلسلا)^٢ يقادون
 و يرتقون^٣ بها ، و قراءة من نون مشيرة إلى أنها عظيمة جدا ، و كذا
 وقف أبى عمرو عليه بالالف مع المنع من الصرف (و اغللا) أى
 جوامع تجمع أيديهم إلى أعناقهم فيها فيهانون^٤ بها (و سعيراه) أى
 نارا حامية^٥ جدا شديدة الانتقاد .

١٥

و لما أوجز فى جزاء الكافر ، أتبعه جزاء الشاكر و أطنب فيه

(١) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) زيد فى
 الأصل و ظ : الى و ، و لم تكن الزيادة فى م لحذفها (٣) من م ، و فى الأصل :
 يوقنون ، و فى ظ : يتاقون (٤) فى ظ : يهانون (٥) زيد فى الأصل و ظ :
 شديدة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

تاكيدا للترغيب، فان النفوس بعد كسر الوعيد لما تهتز^١ لادنى وعد
واقفه فكيف بآئمه وأجله. فقال مستأنفا مؤكدا لتكذيب^٢ الكافر
مينا بذكر الجزر على هذه الصفة أنهم في أنهى ما يكون من رعد العيش
لأنه يلزم^٣ من شرها جميع مقدماتها ومنتوماتها: (ان الابرار)
بخصوصهم من عموم الشاكرين جمع بر كأرباب جمع رب، اوبار
كأشهاد جمع شاهد، وهم الذين سمع منهم عن المستحقرات فظهرت^٤
في قلوبهم يتابع^٥ الحكمة فأقنوا من مساكنة الدنيا (يشربون) أى
ما يريدون شربه (من كأس) أى نحر - قاله الحسن وهو اسم
لقدح تكون فيه^٦ (كان مزاجها) أى الذى^٧ تمزج به (كافورا)
أى لبرده^٨ وعذوبته وطيب عرقه، وذكر فعل الكون يدل على أن^٩
له شأنا^{١٠} في المزج عظيما^{١١} يكون فيه كأنه من نفس الجبل لا كما يعهد.
ولما كان الكافور [أعلى - ١٢] ما نهده جامدا، بين أنه هناك
ليس كذلك، فقال مبدلا من كافوره: (عينا يشرب بها) أى بمزاجها^{١٣}

- (١) من ظ و م، وفي الأصل: يتعق (٢) من ظ و م، وفي الأصل: لتاكيد.
(٣) من م، وفي الأصل وظ: لا يلزم (٤) من ظ و م، وفي الأصل: فظهر.
(٥) من ظ و م، وفي الأصل: يتابع (٦) من ظ و م، وفي الأصل: هم.
(٧) من ظ و م، وفي الأصل: فيها (٨) من ظ و م، وفي الأصل: التى.
(٩) من ظ و م، وفي الأصل: كبرده (١٠) من ظ و م، وفي الأصل: انه.
(١١) من ظ و م، وفي الأصل: شان (١٢) من ظ و م، وفي الأصل:
عظم (١٣) زيد من ظ و م (١٤) من م، وفي الأصل: بمزاجها، وفي ظ: بمزاجها.

كما تقول: شربت الماء بالعسل ﴿ عباد الله ﴾ أى خواص الملك الأعظم وأولياؤه أى شراب أرادوه^١.

ولما كان المزاج^٢ يتكلف لنقله^٣ قال: ﴿ يفجرونها تفجيها ﴾ أى حال كونهم يشققونها ويمجرونها بغاية الكثرة إجراء حيث أرادوا من مساكنهم وإن علت وغيرها .
٥

ولما ذكر جزاءهم على برهم المبين لشكرهم ، أتبعه تفصيله فقال : مستأنفا يانا لأن شكرهم بالتعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله وعمارة الظاهر والباطن لأنهم جمعوا بين كرم الطبع ولطافة المزاج الحامل على تجويز الممكن المقتضى للإيمان بالغيب : ﴿ يوفون ﴾ أى على سبيل الاستمرار ﴿ بالنذر ﴾ وهذا كناية عن وفائهم بجميع أنحاء العبادة ١٠ لأن من وفى بما أوجبه على نفسه كان بما أوجبه الله من غير واسطة أوفى ، ويجوز أن يكون النذر كل ما تقدم إليهم فيه سبحانه .

ولما^٤ دل وفاؤهم على سلامة طباعهم ، قال عاطفا دلالة على جمعهم الأمرين المتعاطفين فهم يفعلون الوفاء لأجل الخوف بل لكرم الطبع : ﴿ ويخافون ﴾ أى مع فعلهم للواجبات ﴿ يوما كان ﴾ أى كونا هو فى ١٥

(١) فى ظ وم : أرادوا (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : النرج (٣) من ظ وم ؛ وفى الأصل : نقله (٤) زيد فى الأصل : أيضا ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : هو (٦) زيد فى الأصل : كان قد ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها .

جلته ﴿شره﴾ أى ما فيه من الشدائد ﴿مستطيراه﴾ أى موجود
الطيران وجوداً كأنه بغاية الرغبة فيه فهو فى غاية الانتشار. والخوف
أدل دليل على عمارة الباطن، قالوا: وما فائق الخوف قلباً إلا خرب،
من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، فالخوف لاجتناب الشر والوفاء
٥ لاجتلاب الخير.

ولما كان من خاف شيئاً سعى فيه الآمن منه بكل ما عساه ينفع
[فيه - ٢]، وكان قد ذكر تدرعهم بالواجب، أتبعه المندرب دلالة على
أنهم لا ركون لهم إلى الدنيا ولا وثوق بها. فبعد جمعوا إلى كرم الطبع
بالوفاء ورقبة القلب شرف النفس بالانسلاخ من الغاي فقال:
١٠ ﴿ويطعمون الطعام﴾ أى على حسب ما تيسر لهم من عال ودون على
الدوام. ولما كان الإنسان قد يسمع بما لا يلد له قال: ﴿على حبه﴾
أى حبه إياه حبا هو فى غاية المسكنة [منهم - ٢] والاستعلاء على قلوبهم
لقلته وشهوتهم [له - ٢] وحاجتهم إليه كما قال تعالى: "لن تالوا
العز حتى تففقوا عما تحبون" لفهم أنهم للفضل أشد بذلاً، ولهذا قال
١٥ صلى الله عليه وسلم: "ولو اتفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم
- أى الصحابة رضى الله عنهم - ولا نصيفه، لقلة الموجود إذ ذاك وكثرته".

(١) من ظ و م، وفى الأصل: لاجتناب (٢) من ظ و م، وفى الأصل: من
كل (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: تراهم (٥) زيد فى
الأصل: لهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) راجع مسند الإمام
أحمد ١١/٢ (٧) من ظ، وفى الأصل: أكثرهم، وفى م: أكثره.

بعد ﴿ مسكيناً ﴾ أى محتاجاً احتياجاً يسيراً ، فصاحب الاحتياج الكثير
أولى ﴿ ويتيماً ﴾ أى صغيراً لا أب له ذكر كان أو أنثى ﴿ وأسيراً ﴾
أى فى أيدي الكفار أى أعم من ذلك ، فيدخل فيه المملوك والمسجون
والكافر الذى فى أيدي المسلمين ، وقد نقل فى غزوة بدر أن بعض
الصحابة رضى الله عنهم كان يؤثر أسيره على نفسه بالحبس ، وكان الحبس
إذاً ذاك عزيزاً حتى كان [ذلك - ٢] الأسير يعجب من مكارمهم
حتى كان ذلك مما دعاه إلى الإسلام ، وذلك لأن النبي صلى الله عليه
وسلم لما دفعهم إليهم قال : استوصوا بهم خيراً . ومن حكم الأسير الحقيقى
كل مضرور ، يفعلون ذلك والحال أنهم يقولون بلسان الحال أو القال
إن أحتج إليه إراحة لنوم المن أو توقع المكافأة مؤكدين إشارة إلى أن
الإخلاص امر عزيز لا يكاد احد يصدق أنه يتأى لاحد : ﴿ انما نطعمكم ﴾
أى أيها المحتاجون ﴿ لوجه الله ﴾ أى لذات الملك الذى استجمع الجلال
والإكرام لتكونه أمراً ، وبذلك ، وعبر به لأن الوجه يستحى منه ويرجى
ويخشى عده وقوته .

ولما اثبتوا بهذا الإخلاص . حققوه بنفى / ما يغير فيه ، وفسرده ١٥ / ٦١٨

- (١) من ظ ، و فى الأصل و م : يد (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فى الحبس .
(٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ : مكارمه (٥) من ظ ، وفى الأصل و م : أن .
(٦) زيدت او او بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفها (٧) فى ظ
و م : الم قال (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : يتوقم (٩) من ظ ، وفى الأصل
و م : أمرا (١٠) زيد فى م : الذى .

بما لا يكون إلا به فقالوا: ﴿لا نريد منكم﴾ أى لأجل ذلك ﴿جزاء﴾
 أى لنا من أعراض الدنيا ﴿ولا شكورا﴾ بشئ من قول^١ ولا فعل،
 وكأنه اختير هذا المصدر [المزيد -^٢] كالدخول والخروج والعود
 إيماء إلى أن المنى ما يتكلف له، وأما مثل المحبة والدعاء فلا، ولو أرادوا
 شيئا من ذلك لما كان لله؛ وروى^٣ في سبب نزول هذه الآية أن
 عليا وابنيه وامهما فاطمة رضى الله عنهم أجمعين آثروا على أنفسهم
 ثلاثة أيام، وأصبحوا الرابع يرتعشون، فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم
 ساءه ذلك، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه السورة مهنتا^٤ له بها،
 ولا يستبعد الصبر على الجوع هذه المدة لأنه ربما كانت للنفس هيئة قوية
 ١٠ من استغرق في محبة الله تعالى أو غير ذلك، فهبطت إلى البدن فشغلت
 الطبيعة عن تحليل الأجزاء فلا يحصل الجوع كما أنا نشاهد الإنسان يبقى
 في المرض الحاد مدة من غير تناول شئ من غذاء ولا يتأثر بدنه لذلك،
 فلا بدع أن [تقف -^٢] الأفعال الطبيعية في حق بعض السالكين وهو
 أحد القولين في قول النبي صلى الله عليه وسلم «إني أبيت عند ربى
 ١٥ يطعمنى ويؤسقنى»

ولما كانت الأنفس مجبولة على حب الجزاء والثاء، فكان لا يكاد
 يصدق أحد أن أحدا^٥ يفعل ما لا يقصد^٦ به شيئا من ذلك،^٧ وكان^٨
 (١) من ظ و م، وفى الأصل: القول (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع أيضا
 العالم ١٥٩/٧ (٤) فى ظ: مرسل (٥) من ظ و م، وفى الأصل: أحد (٦) من
 ظ و م، وفى الأصل: يصدق (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: فكان.

الله سبحانه و تعالى قد من علينا بأن جعل العبادة لأجل خوفه و رجائه
لا يقدح^١ في الإخلاص^٢، عللوا قولهم هذا على وجه التأكيد بقولهم :
(انا نخاف) و لما كان الخوف من المحسن بالنظر إلى إحسانه موجبا
للخوف منه بالنظر إلى عزه و جبروته و سلطانه من باب الادلى قالوا :
(من ربنا) أى الخالق لنا [المحسن إلينا - ٢] (يوما) أى أهوال ه
يوم [هو - ٢] في غاية العظمة ، و يبنوا عظمتهم بقولهم : (عبوسا) أى
ضيقا - قاله ابن عباس رضى الله عنهما^٣، نسبوا العبوس إليه لأنه في
شدته كالأسد الغضوب، فهو موجب لعبوس الوجوه فيه أو [هو - ٢]
لعبوسة أهله كدليله قائم و نهاره صائم و عيشة راضية، (قطيراه) أى
طويلا - قاله ابن عباس^٤ رضى الله عنهما، أو شديد^٥ العبوس مجتمع^٦ الشر ١٠
كالذى يجمع [ما - ٥] بين عينيه - مأخوذ من القطر لأن يومه يكون
عابسا، و زيد فيه الميم و بولغ فيه بالصيغة، و هو يوم القيامة، يقال : اقطر
اليوم فهو مقطر - إذا كان صعبا شديدا .

و لما كان فعلهم هذا خالصا لله، سبب عنه^٦ جزاءهم فقال مخبرا
أنه دفع عنهم المضار و جلب لهم المسار : (فوقهم الله) أى الملك ١٥
الاعظم^٧ بسبب خوفهم^٨ (شر ذلك اليوم) أى العظيم، و أشار إلى
نعيم^٩ الظاهر بقوله / : (ولقهم) أى تلقية عظيمة فيه و في غيره (نضرة)

١١٩ /

(١) من ظ و م ، و في الأصل : الاخلاق (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع الدرر
المنثور ٦ / ٢٩٩ (٤ - ٤) من ظ و م ، و في الأصل : العبوسة بجمع (٥) زيد
من ظ (٦) من ظ و م ، و في الأصل : عنهم (٧ - ٧) سقط ما بين الرقين من
ظ و م (٨) من ظ و م ، و في الأصل : تعميم .

أى حسنا و نعمة تظهر على وجوههم و عيشا هنيئا، و إلى نعم الباطن بقوله :
 ﴿ و سرورا ﴾ أى دائما فى قلوبهم فى مقابلة خوفهم فى الدنيا
 و عبوس السكفار فى الآخرة و خزيهم - و هذا يدل على أن وصف
 اليوم بالعبوس^١ للدلالة على المبالغة فى عبوس أهلها، و أشار إلى
 ٥ المسكن بقوله : ﴿ و جزئهم بما صبروا ﴾ أى بسبب ما أوجدوه من الصبر
 على العبادة من لزوم الطاعة و اجتناب المعصية و منع أنفسهم الطيات
 و بذل المحبوبات ﴿جنة﴾ أى بستانا جامعا يأكلون منه ما يشتهون جزاء
 على ما كانوا يطعمون . و لما ذكر ما يكسو الباطن، ذكر ما يكسو الظاهر
 فقال : ﴿ و حريرا ﴾ أى هو فى غاية العظمة .

١٠ و لما ذكر أنه كفاهم المخوف و حباهم الجنة، أتبعه حالهم فيها و حالها^٢
 فقال دالا على راحتهم الدائمة : ﴿ متكئين فيها ﴾ أى [لأن - ٢] كل
 ما أرادوه حضر إليهم^٣ من غير حاجة إلى حركة أصلا، و دل على الملك
 بقوله : ﴿ على الأرائك ﴾ أى الأسرة العالية التى فى الحجال، لا تكون
 أريكه إلا مع وجود الحجلة، [و - ٥] قال بعضهم : هى السرير المنجد
 ١٥ فى قبة عليه^٤ شواره و نجده أى متاعه، و هى مشيرة إلى الزوجات لأن
 العادة جارية بأن الأرائك لا تخلو عنهن بل هى لهن^٥ لاستمتاع الأزواج
 بهن فيها . و لما كانت بيوت الدنيا و بساتينها تحتاج إلى الانتقال منها

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بالعبوسة (٢) زيد فى الأصل : معهم ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : فيها ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م ، وفى
 الأصل : عالية (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بمن .

من موضع إلى موضع لأجل الحر أو^١ البرد، بين ان جميع ارض الجنة
و غرفها سواء في لذه العيش و سبوغ الظل و اعتدال الامر، فقال
نافيا ضر الحرثم البرد: ﴿ لا يرون فيها ﴾ أى بأبصارهم و لا بصائرهم
أصلا ﴿ شمس ﴾ أى و لا قرا ﴿ ولا ﴾ أى و لا يرون فيها ايضا^٢
يصارهم أى لا يحسون بما يسمى^٣ ﴿ زمهريراج ﴾ أى يردا شديدا مزعجا^٤
و لا حرا، فالآية من الاحتباك: دل بنفى الشمس أولا على نفى القمر،
لأن ظهوره بها^٥ لأن نوره اكتساب من نور الشمس^٦، و دل بنفى
الزمهرير الذى هو سبب البرد ثانيا على نفى الحر الذى سببه الشمس،
فأفاد هذا أن الجنة غنية عن النيرين، لأنها نيرة بذاتها و أهلها غير محتاجين
إلى معرفة زمان لأنه لا تكليف فيها بوجه، و أنها ظليلة و معتدلة دائما^٧
لأن سبب الحر الآن^٨ قرب الشمس من مسامتة^٩ الرأس، و سبب البرد
بعدها عن ذلك.

و لما كانت ترجمة هذا كما مضى: جنة ظليلة و معتدلة، عطف عليه
بالوار دلالة على تمكن هذا الوصف و على اجتماعه مع ما قبله قوله:
﴿ ودانية ﴾ أى قرية من الارتفاع ﴿ عليهم ظللها ﴾ من غير أن^{١٠}
يحصل منها ما يزيل الاعتدال ﴿ و ذلت قطوفها ﴾ جمع قطف بالكسر

(١) من م، و فى الأصل و ظ « و » (٢) سقط من ظ و م (٣-٢) سقط ما
بين الرقيين من ظ و م (٤) وقع فى الأصل قبل « سبب الحر » و الترتيب من
ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: مسانه (٦) وقع فى الأصل قبل « بالوار
دلالة » و الترتيب من ظ و م.

/ ٦٢٠

وهو العنقود / واسم للثمار المقطوفة أى المجنية (تذليله) أى سهل
تناولها تسهيلا عظيما لا يرد البد عنها بعد ولا شوك لكل من يريد أخذها
على أى حالة كان^١ من انكاه وغيره، فإن كانوا قعودا تذكّر إليهم^٢،
وإن كانوا قياما [و - ٣] كانت على الأرض ارتقت^٤ إليهم، وهذا
جزاء لهم على ما كانوا يذللون أنفسهم لأمر الله .

ولما كان الدوران بالآنية متجددا، عبر فيه بالمضارع، وبناء للفعل
أيضا لأنه المقصود مطلقا من غير تعيين طائف فقال: (ويطاف)
أى من أى طائف كان لكثرة الخدم (عليهم بآنية) جمع إناء جزاء
على طوافهم على المحتاجين بما يصلحهم .

١٠ ولما كان المقصود هذه السورة تهيب الإنسان الموبخ في سورة
القيامة من الكفر، وكان الإنسان أدنى أسنان المخاطبين في مراتب
الخطاب، اقتصر في الترغيب في شرف الآنية على الفضة دون الذهب
المذكور في فاطر والحج المعبر فيها بالناس، فعمل هذا لصف^٥
[وذاك لنصف - ٢] أعلى منه^٦ مع إمكان الجمع والمعاقبة، وأما من
١٥ هو أعلى من هذين الصنفين من الذين آمنوا ومن فوقهم فلم يرد فوق هذين
الجوهريين من الجواهر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على

(١) من ظ و م، وفي الأصل: كانت (٢) من ظ و م، وفي الأصل: عليهم .
(٣) زيد من ظ و م (٤) في ظ: ارتفعت (٥) من ظ و م، وفي الأصل: من
أكثر (٦-٦) في م: مقصودها (٧) من ظ و م، وفي الأصل: النصف .
(٨) زيد في الأصل: على، ولم تكن الريادة في ظ و م فحذفناها .

قلب بشر فقال : ﴿ من فضة ﴾ أى اسمه ذلك ، واما الحقيقة فأين الثريا من يد المتناول .

ولما جمع الآية خص فقال : ﴿ واكواب ﴾ جمع كوب وهو كوز لاعروة له ، فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج عند تناول إلى إدارة ﴿ كانت ﴾ أى تلك الاكواب كونا هو من جبلتها ﴿ قوارير لا ﴾ ه أى كانت بصفة القوارير من الصفاء والرقّة والشفوف والإشراق والزهارة^١ ، جمع قارورة وهى ما قرفيه الشراب ونحوه من كل إناء رقيق صاف ، وقيل : هو خاص بالزجاج .

ولما كان هذا رأس آية ، وكان التعبير بالقارورة ربما أفهم^٢ أو أوم^٣ انها من الزجاج . وكان فى الزجاج من النقص سرعة الانكسار لإفراط^٤ الصلابة ، قال معيدا للفظ أول الآية الثانية ، تأكيداً للاتصاف بالصالح من أوصاف الزجاج وبياناً لنوعها : ﴿ قواريراً من فضة ﴾ أى جمعت صفى الجواهرين المتباينين : صفاء الزجاج [وشفوفه^٥] وبريقه وياض الفضة وشرفها ولينها ، وقراءة من تَوَنّ الاثنان صارفاً ما من حقه المنع مشيرة إلى عظمتها وامتداد^٦ كثرتها وعلوها^٧ فى الفضل والشرف ، وقراءة ابن كثير فى الاقتصار على تنوين الأول للتنبيه على أنه رأس آية والثانى أول^٨ التى بعدها مع إفهام العظمة لأن الثانى إعادة للأول لما

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الزهارة (٢-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : اراهم (٣) زيد من ظ (٤-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : علوها وكثرتها . (ه) زيد فى الأصل : الآية ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

تقدم من الإفادة، فكأنه منون، ووقف أبو عمرو^١ على الأول بالآلاف مع المنع من الصرف لأن ذلك كاف في الدلالة على أنه 'رأس آية'.

ولما كان / الإنسان لا يجب أن يكون الإناء ولا ما فيه من ما كول

/ ٦٢١

أو مشروب زائدا عن حاجته ولا ناقصا عنها قال: (قدروها) أي في الذات والصفات (تقديره) أي على مقادير الاحتياج من غير زيادة ولا نقص لأن ما^٢ أراد كل منهم كان، لا كلفة ولا كدر ولا نقص.

ولما ذكر الأكواب، أتبعها غايتها فقال تخصيصا بالعطف على ما

تقديره: يسقون فيها^٣ ما تشتهي أنفسهم وتلذ أعينهم: (ويسقون) عن أرادوه من خدمهم الذين لا يحصون كثرة (فيها) أي الجنة أو تلك الأكواب (كاسا) أي خمراني إناء (كان مزاجها) على غاية الإحكام (زنجيلا) هو في غاية اللذة؛ وكانت العرب تستلذ الشراب الممزوج

[به - ٦] لمضمه و تطيبه الطعم و النكهة .

ولما كان الزنجيل عندنا شجرا يحتاج في تناوله إلى علاج، أبان^٤

أنه هناك عين لا يحتاج في صيرورته زنجيلا إلى أن تحيله الأرض بتخميره

١٥ فيها حتى يصير شجرا ليتحول عن طعم الماء إلى طعم الزنجيل خرقا للعوائد

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : أبي عمرو (٢-٢) من ظ و م ، وفي الأصل :

رايه (٣) زيد في الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) تكرر

في الأصل فقط (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : و (٦) زيد من ظ و م .

(٧) من ظ و م ، وفي الأصل : أقد .

فقال: ﴿عينا فيها﴾ أى ' الجنة يمزج فيها شرابهم كما يمزج بالماء .
 ولما كان الزنجيل بلذع^٢ الخلق فتصعب إساغته قال: ﴿تسلى﴾
 [أى - ٣] سهولة إساغتها ولذة طعمها وسمو وصفها^٤ ﴿سلسيلا﴾
 والسلسيل والسلسل والسلسال ما كان من الشراب غاية في السلاسة،
 زيدت فيه^٥ الباء دلالة على المبالغة في هذا المعنى، قالوا: وشراب الجنة ه
 في برد الكافور وطعم الزنجيل وريح المسك من غير لذع .
 ولما ذكر المطوف به لانه الغاية المقصودة ، وصف الطائف لما في
 طوافه من العظمة المشهودة تصورا لما هم فيه من الملك بعد ما نجوا منه
 من الهلك^٦: ﴿ويطوف عليهم﴾ أى بالشراب وغيره من
 الملاذ والمحاب ﴿ولدان﴾ أى غلمان هم في سن^٧ من هو دون البلوغ ١٠
 وأقل أهل الجنة من يخدمه ألف غلام، ﴿مخلدون ج﴾ أى قد حكم من
 لا يرد حكمه بأن يكونوا كذلك [دائما - ٨] من غير غلة ولا ارتفاع
 عن ذلك الحد مع أنهم مزينون بالخلد وهو الخلق والاساور والقرطة
 والملابس الحسنة ﴿إذا رأيتهم﴾ أى يا أعلى الخلق صلى الله عليه وسلم
 وأنت أثبت الناس نظرا أو^٩ أبها الراى من كان في أى حالة رأيتهم ١٥

(١) زيد في الأصل: ف، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) تكرر في
 الأصل فقط (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفي الأصل: طبعها ووضعها.
 (٥ - ه) من ظ و م، وفي الأصل: في غاية السلامة (٦) من ظ، وفي الأصل
 و م، فيها (٧) من م: وفي الأصل و ظ: الهلاك (٨) من ظ و م، وفي
 الأصل: سنن (٩) من ظ و م، وفي الأصل: الخدمة (١٠) من ظ و م، وفي
 الأصل: لو .

فيها ﴿حسبتهم﴾ من بياضهم و صفاء ألوانهم و لمع أنوارهم^١ و انعكاس شعاع بعضهم إلى بعض و انبثاثهم في المجالس ذهابا و إيابا ﴿أولوا مشورا﴾ و ذلك كناية عن كثرتهم و انتشارهم في الخدمة و شرفهم و حسنهم ؛ و عن [بعضهم] أن أولوا الجنة في غاية الكبر و العظمة و اختلاف الأشكال ، و كأنه عبر بالحسبان إشارة إلى أن ذلك مطلق^٢ تجوز لا مع ترجيح ، قال بعض المفسرين : هم غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين / ، و قال بعضهم : هم أطفال المشركين^٣ لأنهم ماتوا على الفطرة ؛ و قال ابن برجان : [و -^٤] أرى والله أعلم [أنهم -^٥] من علم الله سبحانه و تعالى لإيمانه من أولاد الكفار يكتفون خدما لأهل الجنة كما كانوا لهم في الدنيا ١٠ سينا و خداما ، و أما أولاد المؤمنين فيلحقون بأبائهم سنا و ملكا سرورا لهم ، و يؤيد هذا قوله صلى الله عليه و سلم في ابنه إبراهيم عليه الصلاة و السلام «إن له لظئرا يتم رضاعه في الجنة» فانه يدل على استقبال شأنه فيما هنالك و تنقله في الأحوال كالدينا ، و لا دليل على خصوصيته بذلك .

١٥ ولما ذكر المخدم و الخدم ، شرع في ذكر المكان فقال : ﴿واذا رآيت﴾ أي أجلت بصرك ، و حذف مفعوله ليشيع و يعم ﴿نعم﴾ أي هناك في أي مكان كان و أي شيء كان ﴿رأيت نعيما﴾ أي ليس فيه كدر بوجه من الوجوه . ولما كان النعيم قد يكون في حالة وسطى قال :

(١) من ظ و م ، و في الأصل : انواعهم (٢) من ظ و م ، و في الأصل : مطلع (٣) من ظ ، و في الأصل و م : المؤمنين (٤) زيد من ظ و م . (٥-٥) - سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

- (وملكا كبيرا) أى لم يخطر [على بال-^١] مما هو فيه من السعة وكثرة الموجود والعظمة أذناهم وما^٢ فيهم ذنى الذى ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أذناه ومهما أرادته كان .
- ولما ذكر الدار وساكنيها من مخدوم وخدم ، ذكر لباسهم بأننا
- حالا^٣ من الفاعل والمفعول: (عليهم) أى حال كون الخادم والمخدوم ه
- 'يلو أجسامهم' على سبيل الدوام . وسكن نافع وحزمة الباء على أنه مبتدأ وخبر شارح للملك على سبيل الاستئناف (ثياب سندس) وهو مارق من الحرير (خضر) رفعه الجماعة صفة لثياب ، وجره ابن كثير وحزمة والكسائى وأبو بكر عن عاصم صفة لسندس حملا على المعنى فانه
- اسم جنس (و استبرق ذ) وهو ما غلظ من الديباج يعمل بالذهب ، ١٠
- أو هو ثياب حرير صفاق نحو الديباج - قاله فى القاموس^٤ ، رفعه ابن كثير ونافع وعاصم نسقا على ثياب ، وجره الباقون على سندس .
- ولما كان المقصود لأرباب اللباس الفاخر الحلية ، أخبر عن تحليتهم ،
- وبنى الفعل للفعل دلالة على تيسر ذلك لهم وسهولته عليهم فقال:
- (وحلوا) أى وجدت تحلية المخدومين والخدم (اساور من فضة ج) ١٥
- وإن كانت تتفاوت بتفاوت الرتب ، وتقدم سر تخصيص هذه السورة بالفضة والأساورة بجمع^٥ ما فيها من لذة الزينة لذة اتساع الملك فانها
-
- (١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : هم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
- لحذفها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : حالهم (٤ - ٤) من ظ و م ، وفى
- الأصل : حسامهم (٥) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م لحذفها .
- (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بجمع .

كناية عنه فانه - كما قال المولى - كان في الزمن [القديم -^١] إذا ملك
ملك أقاليم عظيمة كثيرة لبس سوارا وسمى الملك المسور لانساع ملكته
وعظمتها وكثرة أقاليمها ، وإن لم تجمع أقاليم لم يسور فما ظنك بمن
أعطى من ذلك جمع الكثرة ، وهي بالغة من الأعضاء ما يبلغه التحجيل
ه في الوضوء كما قال صلى الله عليه وسلم « تبلغ الحلية من المؤمن حيث
يلبغ الوضوء ، فلذا كان أبو هريرة رضى الله عنه يرفع الماء^٢ إلى المنكبين
وإلى الساقين .

وما كان / ربما ظن بما تقدم من ذلك المزوج شيء من نقص
لأجله يمزج كما هو في الدنيا ، وكان قد قال أولا " يشربون " بالبناء
١٠ للفاعل ، وثانيا « يسقون » بالبناء للفعل ، قال بانبا للفاعل بيانا لفضل ما
يسقونه في نفسه وفي كونه من عند الإله الأعظم المتصف بغاية الإحسان
على^٣ صفة من العظمة تليق بأحسانه سبحانه بما أفاده إسناد^٤ الفعل إليه :
(وسقئهم) وعبر بصفه الإحسان تأكيداً [لذلك -^٥] فقال :
(ربهم) أى الموجد لهم المحسن إليهم المدبر لمصالحهم (شراباً طهوراً)
١٥ أى ليس هو كشراب الدنيا سواء كان من الخمر أو من الماء أو^٦ من
غيرهما ، بل هو بالغ الطهارة والوصف بالشرابية من العذوبة واللذة
واللاطفة ، وهو مع ذلك آلة للتطهير البالغ للغير فلا يبقى^٧ في بواطنهم^٨
(١) زيد من ظ و م (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل ؛
غير (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : استاده (٥) من ظ و م ، وفي الأصل
« و » (٦ - ٧) في ظ : بيواطئهم .

غش ولا وسواس ، ولا يريدون إلا ما يرضى مليكهم بما أسس^١ على غاية
الحكمة وفاق كامل ومجايًا مطهرة وأخلاق مصطفاة لا عوج فيها ، ولا يستحيل
شيء من شرابهم إلى نجاسة من بول ولا غيره ، بل يصير رشحا كرشح المسك
ويعطى الرجل شهوة مائة رجل في الأكل وغيره ، فإذا أكل شرب
فظهر باطنه ورشح منه المسك فعادت الشهوة ، بل الحديث يدل على ه
أن شهوتهم لا تنقضي أصلا فانه قال : ويجد لآخر لقمة من اللذة ما
يجد لأولها ، يفعل [بهم -^٢] هذا سبحانه قائلًا لهم مؤكدا تسكينًا لقلوبهم
ثلاثا يظنون أن ما هم فيه على وجه الضيافة ونحوها فيظنون انقطاعه (أن هذا)
أى الذى تقدم من الثواب كله (كان) أى كونا ثابتا (لكم) بتكوينى
إياه من قبل موتكم (جزاء) أى على أعمالكم التى كنتم تجاهدون ١٠
فيها أنفسكم عن هواها إلى ما يرضى ربكم فكنتم كلما عملتم عملا كونت
من هذا ما هو جزاء له (و كان) أى على وجه الثبات (سعيكم)
ولما كان المقصود القبول لأن القابل الشاكر هو المعمول له ، بنى للفعول
قوله : (مشكورا^٣) أى لا يضيع شيئاً منه ويحازى بأكثر منه أضعافا
مضاعفة .

١٥

ولما ذكر أنه بين للناس السبيل فانقسموا^٤ إلى مبصر شاكر^٥ وأعمى

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : اسر (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
وفي الأصل : شيء (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : بل (٥) من ظ و م ،
وفي الأصل : فانقلبوا (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : شاكرا .

كافراً، و اتبعه جزاء الكافرين و الشاكرين، و ختمه بالشراب الطهور
الذى من شأنه أن يحيى ميت^٢ الاراضى كما أن العلم الذى منبه القرآن
يحيى ميت القلوب، و سكن القلوب بتأييد الجزاء، و ختم الكلام بالشكر
كما بدأه به، و كان نصب ما يهدى جميع الناس أمراً لا يكاد يصدق،
قال ذاكرنا لما شرف^٣ به النبي صلى الله عليه و سلم فى الدنيا قبل الآخرة،
و جعل الشراب الطهور جزاء [له - ^٤] لما بينهما من المناسبة على سبيل
التأكيد، و أكدده ثانياً بما أفاد التخصيص لما لهم من الإنكار و لتطمئن
أنفس أتباعه بما حث عليه من الصبر إلى وقت الإذن / فى القتال :

/ ٦٢٤

(انا نحن) أى على ما لنا من العظمة التى لا نهاية لها، لا غيرنا (نزلنا عليك)
و انت أعظم الخلق إنزالاً [استعلى - ^٥] حتى صار المنزل خلقاً لك
(القرآن) أى الجامع لكل هدى، الحافظ من الزيغ، كما يحفظ الطب
للصحيح صحة المزاج، الشافى لما عساه يحصل من الادواء بما يهدى إليه من
العلم و العمل، و زاد فى التأكيد لعظيم إنكارهم فقال: (تنزيلاً) أى
على التدرج بالحكمة جواباً للسائل و رقاً بالعباد^٦ فدرجهم فى وظائف
الدين تدريجاً موافقاً للحكمة، و لم يدع لهم شبهة إلا أجاب عنها، و علمهم
جميع الاحكام التى فيها رضائنا، و أنامهم من المواعظ و الآداب و المعارف

(١) من ظ و م، وفى الأصل: كافراً (٢) من ظ و م، وفى الأصل: موت .

(٣) من ظ و م، وفى الأصل: شرف (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م،

وفى الأصل: للعباد (٦) من ظ و م، وفى الأصل: وصايا .

بما ملا^١ الحافقين وخصصناك^٢ به^٣ شكرنا على^٤ سيرتك الحسى التى
كانت قبل النبوة، وتجنبك كل ما يدنس، فلما كان بتنزيلنا^٥ كان
جامعا للهدى بما لنا من إحاطة^٦ العلم والقدرة، فلا عجب فى كونه جامعا
لهدى^٧ الخلق كلهم، لم يدع لهم فى شيء من الأشياء لبسا، وهى ناظرة
إلى قوله فى القيامة "لا تحرك به لسانك" الملتفتة إلى ما فى المدر من
أن هذه تذكرة، الناظرة إلى "أنا سنلقى عليك قولا ثقيلا، المشيرة إلى
ما فى سورة الجن من [أمر-^٨] القرآن، فالحاصل أن أكثر القرآن
فى تقرير عظمة القرآن، فانه المقصود بالذات لانه^٩ الآية الكبرى التى
إذا ثبتت تبعها جميع المراد من الشريعة وتقرير شأنه أتقن
ما يكون فى إحكام أمره. وذلك أن الحكيم إذا اهتم بشيء افتتح
الكلام به، فاذا رأى من ينكره انتقل إلى غيره على قانون الحكمة، ثم
يصير يرى [به-^{١٠}] فى خلال ذلك ربما كأنه غير قاصد له، ولا
يزال يفعل ذلك حتى يتقرر^{١١} أمره غاية التقرر^{١٢} ويثبت فى النفس
من حيث لا يشعر.

ولما تقرر أن من الناس من ترك الهدى الذى هو البيان، فعنى ١٥

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: خصصنا (٢-٣) تكرر ما بين الرقين فى الأصل
نقط (٣) من ظ و م، وفى الأصل: بينى بينا - كذا (٤) من ظ و م، وفى
الأصل: الاحاطة (٥) من ظ و م، وفى الأصل: هدى (٦) من ظ و م، وفى
الأصل: نظرة (٧) ريد من ظ و م (٨) من م، وفى الأصل و ظ: فان.
(٩) من ظ و م، وفى الأصل: بقدر (١٠) من ظ و م، وفى الأصل: التقرير.

عنه لإعراضه عنه^١، سبب عن هذا الإنزال وذاك الضلال قوله
منها على أمراض القلوب، و مرشدا إلى دوائها: ﴿ فاصبر لحكم ربك ﴾
أى المحسن إليك بتخصيصه^٢ لك بهذه النعمة على ضلال من حكم
بضلاله، وعلى كل ما ينوبك [وأطعه -^٣] فى التبع له بجميع^٤
٥ ما أمرك به من الرفق إلى أن يأمرك بالسيف، واستعن على مر
الصبر باستحضار أن المربى الشفيق يربى بما^٥ يشاء من المر والحلو
على حسب علمه وحكمته، والصبر: حبس النفس وضبطها على مقاومة
الموى لثلا تنقاد إلى شيء من قبائح اللذات .

و لما أمره سبحانه بالصبر، وكان الأمر به مفهوما وجوده للخالف،
١٠ و كان المخالفون له صلى الله عليه وسلم هم القسم المضاد للشاكر وهم
الكفرة، و كان ما يدعونه إليه تارة مطلق إثم، و أخرى كفرا و تارة^٦
غير ذلك، ذكر النتيجة ناهيا عن^٧ القسمين الأولين ليعلم أن المسكوت
عنه لا نهى فيه فقال: ﴿ ولا تطع منهم ﴾ أى الكفرة الذين هم ضد
الشاكرين ﴿ آثما ﴾ أى داعيا إلى إثم سواء كان مجردا عن مطلق
١٥ الكفر أو مصاحبا له ﴿ أو كفورا ﴾ أى مبائعا فى الكفر / و داعيا
إليه و إن كان كبيرا و عظيما فى الدنيا فان الحق أكبر من كل كبير.

(١) زيد فى الأصل: بسبب، ولم تكن الزيادة فى ظ و لم نغذفها (٢) من ظ و م،
وفى الأصل: المخصص (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: فى
جميع (٥) من ظ و م، وفى الأصل: من (٦) من ظ و م، وفى الأصل: ما.
(٧) من ظ و م، وفى الأصل: أخرى (٨) من ظ و م، وفى الأصل: على ؟

وذلك أنهم كانوا مع شدة الأذى له صلى الله عليه وسلم يذلون له
الغائب من الأموال، والتمليك والتزويج لأعظم نسايمهم على أن
يتبعهم على دينهم ويكف عما هو عليه والنهي عن الأحاد المبهم
نهي عن كل منهما، فإن كلا منهما في أنه يجب اجتنابه في رتبة واحدة
وذرؤا ظاهر الآثم وباطنه، وكذا الانتهاء عنه لا يتحقق إلا بالانتهاء ٥
عن كل منهما، ولو عطف بالواو لم يفسد ذلك لأن نفي الاثنين
لا يستلزم نفي كل منهما، وأهم ترتيب النهي^١ على الوصفين أنه إذا دعاه
الكفار إلى ما لا يتعلق به^٢ لائم ولا كفر^٣ جاز له قبوله .

ولما نهى عن طاعتها القاطعة عن الله، أمر بملازمة^٤ الموصل
إلى الله وهو الذكر من غير عائق الذي هو دواء لما عساه يلحق^٥ من ١٠
الآدواء لمجرد رؤية الآثم أو الكفور لأرباب القلوب الصافية، والذكر
مقدم على كل عبادة وإن وضع العبادة لما كان طلبا للتوصل إلى نيل
معرفة الله سبحانه، وكان التصور بحسب الاسم أول مراتب التصور
طبعاً بدأ به وضعاً، وذلك لأن النفس تحب السفول لما لها من النقائص،
فاحتاجت إلى سبب مشوق لها إلى الأعلى فوضعت لها العبادات، واجلها ١٥
العبادة المشفوعة بالفكر، لأنه السبب الموصل إلى المقصود ولا تفيد
العبادة بدونه فقال: ﴿ واذكر ﴾ أي بلسانك ﴿ اسم ربك ﴾ أي المحسن

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : هم (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : النفي .

(٣ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) في ظ : بلازمه ، وفي م : بلازم .

(٥) تكرر في الأصل فقط .

إليك 'بكل جميل' (بكرة) عند قيامك من منامك الذي هو الموتة
 الصغرى و تذكرك أنه يحيى الموتى و يحشرهم جميعا (و اصيلا ج) عند
 اقراض نهارك و تذكرك اقراض دنياك و طى هذا العالم^٢ لأجل إيجاد^٣
 يوم الفصل، و فى ذكر^٤ الوقتين أيضا إشارة إلى دوام الذكر، و ذكر
 اسمه لازم لذكره، و يجوز أن يكون أمرا بالصلاة لأنها أفضل^٥
 الأعمال البدنية لأنها أعظم الذكر لأنها ذكر اللسان^٦ و الجنان و الأركان
 فوظفت فيها أذكار لسانية و حركات و سكنات على هيئة مخصوصة
 من عاداتها ألا تفعل إلا بين أيدي^٧ الملوك، فكان تفيها على وجود
 الصانع و الاعتراف بالاهيته و تفرده أكثر فكانت^٨ أفضل، فيكون^٩
 ١٠ هذا على هذا أمرا بصلاتي الصبح و العصر، فانه لم يكن أمر في أول
 الإسلام بغيرهما و بهما أمر من كان قبلنا، و هما^{١١} أفضل الصلوات^{١٢}
 و كانتا ركعتين ركعتين، و يجوز أن يكون أمرا بصلاتي الصبح
 [و الظهر - ١٠] و العصر فان الأصل يقتناول وقيها لأنه مطلق العنى،
 و أما المغرب و العشاء و نافلة الليل فدخلت^{١٣} فى قوله: (و من أيل)

- (١-١) من ظ و م، وفى الأصل: بجمعيل احسانه (٢-٢) من ظ و م، وفى
 الأصل: لايجاد (٣) من ظ و م، وفى الأصل: ذلك (٤) من م، وفى الأصل
 و ظ: فضل (٥) من م، وفى الأصل و ظ: باللسان (٦) من ظ و م، وفى
 الأصل: يدى (٧) من ظ و م، وفى الأصل: وكان (٨-٨) تكرر ما بين
 الرقيين فى الأصل فقط (٩-٩) من ظ و م، وفى الأصل: أول الصلاة.
 (١٠) زيد من ظ و م (١١) من ظ و م، وفى الأصل: فدخلت.

اى بعضه و الباقي للراحة بالنوم ﴿ فاسجد له ﴾ اى فصل له صلاتى
 المغرب والعشاء، وذكرهما بالسجود تنبيها / على أنه افضل الصلاة،
 فهو إشارة إلى ' أن الليل ' موضع الخضوع، و تقديم الظرف لما فى
 صلاة الليل من مزيد الكلفة و الخلوص و مزيد الفضيلة لأن الالتفات
 فيه إلى جانب الحق آثم لزوال الشاغل للحواس من حركات الناس ه
 وأصواتهم و سائر الاحوال الدنيوية، فكان أبعد عن الرياء فكان
 [الخشوع - ٢] فيه [و - ٢] اللذة التامة بملاوة العبادة أوفى ﴿ و سبحه ﴾
 [أى - ٢] بالتهجد ﴿ ليلا طويلا ﴾ نصفه أو أكثر منه أو أقل،
 ولعله سماه تدييحا لأن مكابدة القيام فيه و غلبة النوم تذكر بما لله من
 العظمة بالنزاهة عن كل نقیصة، و لانه لا يترك محبوبه من الراحة بالنوم ١٠
 إلا من كان الله عنده فى غاية النزاهة، و كان له فى غاية المحبة .

ولما أنهى امره بلازم النهى، علل النهى بقوله محقرا باشارة القريب
 مؤكدا لما لهم من التعنت بالطعن فى كل ما يذكره صلى الله عليه وسلم :
 ﴿ ان هؤلاء ﴾ أى الذين يغفلون عن الله من الكفرة و غيرهم فاستحقوا
 المقت من الله ' ﴿ يحبون ﴾ أى محبة تتجدد عندهم زيادتهم فى كل وقت ١٥
 ﴿ العاجلة ﴾ أى و يأخذون منها و يستخفون لما حفت به من الشهوات
 زما قليلا لقصور نظرهم و جهودهم على المحسوسات التى الإقبال عليها
 منشأ البلادة و القصور، و معدن الأمراض للقلوب التى فى الصدور،
 [و - ٢] من تعاطى أسباب المرض مرض و سمي كفقورا، و من
 (١-١) من ظ و م، و فى الأصل : انه (م) زيد من ظ و م (م) زيد من ظ .
 (٤-٤) سقط ما بين الرقعين من ظ .

تعاطى ضد ذلك شقى وسمى شاكرا، ويكرهون الآخرة الآجلة ﴿و يفرّون﴾
 أى يتركون منها على حالة هى [من - ١] أقبح ما يسوءهم إذا راوه
 ﴿ورآهم﴾ أى أمامهم أى^٢ قدامهم على وجه الإحاطة بهم وهم عنه
 معرضون كما يعرض الإنسان عما وراءه، أو خلفهم لأنه يكون بعدم لا بد
 ٥ أن يدركهم ﴿يوما﴾ أى منها . ولما كان ما أعيا الإنسان وشق
 عليه قليلا قال: ﴿ثقيلا﴾ أى شديدا جدا لا يطيقون حمل ما فيه من
 المصائب بسبب^٣ أنهم لا يعدون له عدته . فالآية من الاحتباك^٤ : ذكر
 الحب والعاجلة أولا دلالة^٥ على ضدتها ثانيا، والترك [و - ١] الثقل
 ثانيا دلالة على ضدتها أولا، وسر ذلك أن ما ذكره أدل على سخافة
 ١٠ العقل بعدم التأمل للعواقب .

ولما كان تركهم لليوم^٦ الثقيل على وجه التكذيب الذى هو
 أقبح الترك، و كان تكذيبهم لاعتقادهم عدم القدرة عليه^٧ قال دالا
 على الإعادة بالابتداء من باب الأولى: ﴿نحن خلقناهم﴾ . بما لنا من
 العظمة لا غيرنا ﴿وشددنا أسرهم﴾^٨ أى قوينا و اتقنا^٩ ربط مفاصلهم
 ١٥ الظاهرة والباطنة بالأعصاب على وجه الإحكام بعد كونهم نطفة أمشاجا^{١٠}

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م . وفى الأصل : (٣) من ظ و م ، وفى
 الأصل : ثقیل (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : تسبب (٥) زیدت الواو فى
 الأصل و ظ ولم تكن فى م فخذناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ديلا .
 (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م . وفى الأصل : اليوم (٩) من ظ و م ،
 وفى الأصل : عليهم (١٠) من م ، وفى الأصل و ظ : أو ثقنا (١١) من ظ و م ،
 وفى الأصل : أمشاج .

٦٣٧ /

في غاية الضعف، واصل الأسر: القدر يشد به الأفتاب أو الربط
والتوثيق، ولا شك أن من قدر على إنشاء شخص من نقطة قادر على
أن يعيده كما كان [لأن - ١] جسده الذي أنشأه / إن كان محفوظا
فالامر فيه واضح، وإن كان قد صار ترابا فإبداعه منه مثل إبداعه
من النقطة، وأكثر ما فيه أن يكون كأييه^٢ آدم عليه السلام بل هو ه
أولى فانه ترابه له أصل في الحياة [بما كان حيا، و تراب آدم عليه
السلام لم يكن له أصل قط في الحياة - ١] والإعادة أهون في مجارى
عادات^٣ الخلق من الابتداء، [و - ١] لذلك قال معبرا بأداة التحقق:
(وإذا شئت) أى بما لنا من العظمة أن نبدل ما نشاء من صفاتهم
أو ذواتهم (بدلنا أمثالهم) أى بعد الموت في الخلقة وشدة الأسر ١٠
(تبدلناه) أى المعنى: جئنا بأمثالهم بدلا منهم وخلاف لهم، أو يكون
المراد - وهو أقعد - بالمثل الشخص أى بدلنا اشخاصهم لتصير بعد القوة
إلى ضعف وبعد الطول إلى قصر وبعد البياض إلى سواد وغير ذلك
من الصفات كما شوهد في بعض الاوقات في المسخ وغيره، وكل
ذلك دال على تمام قدرتنا وشمول علمنا .

١٥

ولما كان هذا دليلا عظيما على القدرة على البعث مخزيا لهم،
قال مؤكدا لإنكارهم عنادا: (إن هذه) أى الفعلة اليدائية، أو المواعظ

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: لاييه (٣) من ظ و م،
وفي الأصل: العادات (٤) من م، وفي الأصل: وظ و و .

التي ذكرناها^١ في هذه السورة وفي جميع القرآن (تذكرة^٢) أي موضع
 ذكر عظيم للقدرة على البعث و تذكر عظيم لما فعلت في الإنشاء أولا ،
 وموعظة عظيمة فان في تصفحها تنبيهات عظيمة^٣ للقائلين ، وفي تدبرها
 وتذكرها فوائد جمة للطالبين السالكين عن ألقى سمعه | واحضر نفسه ،
 ٥ وكانت نفسه مقبلة على ما ألقى إليه سمعه^٤] ، فن أقبل هذا الإقبال
 علم انا آتيته من الآلات والدلائل ما إن سلك معه مجتهدا وصل دون
 ضلال ولذلك سبب عن كونها^٥ تذكرة قوله من خطاب البسط : (فن شاء)
 أي ان يجتهد في وصوله إلى الله سبحانه وتعالى (اتخذ) أي أخذ
 بجهد من مجاهدة نفسه ومغالبة هواه (إلى ربه) أي المحسن إليه
 ١٠ الذي ينبغي له أن يحبه بجميع قلبه ويجتهد في القرب منه (سيلا)
 أي طريقا * واسعا واضحا * سهلا بأفعال الطاعة التي أمر بها لانا بينا الأمور
 غاية البيان وكشفنا^٦ اللبس وأزلنا جميع موانع^٧ أنفسهم عن شئنا وركزنا
 ذلك في الطباع ، ولم يبق مانع من استطراق الطريق أصلا غير مشيتنا ،
 والفطرة الأولى أعدل شاهد بهذا .

١٥ ولما أثبت لهم المشيئة التي هي مناط التكليف ، وهي الكسب .
 وكان ربما ظن ظان أو ادعى مدع في خلق الأفعال كما قال أهل

(١) من ظ وم ، وفي الأصل : ذكرها (٢) سقط من م (٣) زيد من ظ (٤) من
 ظ وم ، وفي الأصل : كونه (٥-هـ) في ظ : واضحا واسعا (٦) من ظ وم ،
 وفي الأصل : بينا (٧) زيد في الأصل : اللبس ، ولم تكن الزيادة في ظ وم
 لحذفناها (٨) زيد في الأصل : الكمال ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفناها .

الاعتزال ، قال نافيا^١ عنهم الاستقلال ، لافتا القول إلى خطابهم ، و هو مع كونه خطاب قبض استعطافا بهم إلى التذكر في قراءة الجماعة وبالعيب على الأسلوب الماضي في قراءة ابن كثير وابن عامر : ﴿ وما تشآون ﴾ اى فى وقت من الأوقات مشيئة من المشيئات^٢ لهذا وغيره^٣ على سبيل الاختراع والاستقلال ﴿ الآ ﴾ وقت ﴿ ان يشآ الله ﴾ اى الملك ٥ الأعلى الذى له الأمر كله ، ولا أمر لأحد معه ، فيوجد المعانى فى أنفسكم على حسب ما يريد ويقدر على / ما يشاء من آثارها ، وقد صح بهذا ما قال الأشعرية و سائر أهل السنة من أن للعبد مشيئة تسمى كسبا لا تؤثر إلا بمشيئة الله تعالى وتحريكها لقدرة العبد ، واتقن مذهب القدرية الذين يقولون : إنا نحن [نخلق -^٤] أفعالنا ، ومذهب الجبرية القائلين : ١٠ لا فعل لنا أصلا ، ومثل الملوى ذلك بمن يريد قطع بطيخة [فحدد سكينها وهياها وأوجد فيها أسباب القطع وأزال عنها موانعه ثم وضعها على البطيخة -^٥] فهي لا تقطع دون أن يتحامل عليها التحامل المعروف لذلك ، ولو وضع عليها ما لم يصلح للقطع كخطبة مثلا لم تقطع ولو تحامل ، فالعبد كالسكين خلقه الله وهياها بما أعطاه من القدرة للفعل ، ١٥ فن^٦ قال : أنا أخلق فعلى^٧ مستقلا به ، فهو كمن قال : السكين تقطع بمجرد وضعها من غير تحامل ، ومن قال : الفاعل هو^٨ الله ، من غير

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : نافعا (٢-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لهذه وغيرها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : فلو (هـ) زيد فى الأصل : فعلا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) سقط من ظ و م .

نظر إلى العبد أصلاً^١ كان كمن قال: هو يقطع البطيخة بتحمل يده
أو قسبة ملساء من غير سكين، والذي يقول: إنه بائر بقدرته المهيأة
للفعل بخلق الله لها وتحريكها في ذلك الفعل كان^٢ كمن قال: إن
السكين قطعت بالتحمل [عليها -^٣]، بهذا أجرى سبحانه عادته في الناس،
و لو شاء غير ذلك فعل، ولا يخفى أن هذا هو الحق الذي لا مرية
فيه، ثم علل ذلك باحاطته بمشيئتهم قاتلاً: ﴿ان الله﴾ أي المحيط
علماً و قدرة ﴿كان﴾ أي أزلاً و أبداً ﴿عليها حكيماً﴾ أي بالغ
العلم والحكمة، فهو يمنع منعا محكما من أن يشاء غيره ما لم يأذن فيه،
فن علم في جلته خيراً أعانه عليه، ومن علم منه الشر ساقه إليه وحله
١٠ عليه، وهو معنى ﴿يدخل من يشاء﴾ أي ممن؛ علمه أملاً للسعادة،
ليس بظالم ﴿في رحمته﴾ بحكمته فييسر له اتخاذ السبيل الموصل إليه بأن
يوفقه للعدل، ويعد له ثواباً جسيماً.

ولما بشر أهل العدل بالفعل المضارع المؤذن بالاستمرار، ولم
يجعله ماضياً لئلا يتعنت متعنت ممن هو متلبس بالضلال فيقول: أنا لا
١٥ أصلح لأنه ما ادخلني، عطف عليه ما لأضادهم* في جملة فعلية بناها
على الماضي إعلالاً بأن عذابهم موجود قد فرغ منه [فقال -^٤]:
﴿الظلمين﴾ أي و أهان العريقين في وصف المشي على غير سن
مرضى كالماشى في الظلام فهو يدخلهم في نقمته وقد ﴿اعد لهم﴾

(١) من ظ و م، وفي الأصل: اصل (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ
و م (٤) في ظ: من (٥) من ظ و م، وفي الأصل: لأضاده.

[اى - '] إعدادا امضاء بعظمته . فلا يزداد فيه ولا ينقص أبدا^٢
 ﴿عذابا أليما﴾ فالآية من الاحتباك : ذكر الإدخال والرحمة أولا دلالة
 على الضد ثانيا ، والعذاب ثانيا دلالة على الثواب أولا ، وسر ذلك أن
 ما ذكره أولى بترغيب أهل العدل فيه وإن ساءت حالهم في الدنيا ،
 وبترهيب أهل الظلم منه وإن حسنت حالهم في الدنيا ، فقد رجع هذا ه
 الآخر المفصل إلى السعادة والشقاوة على أولها المؤذن بأن الإنسان
 معتنى به غاية الاعتناء ، وأنه ما خلق إلا للابتلاء ، فهو إما كافر مغضوب
 عليه ، وإما شاكر منظور بعين الرضى إليه^٢ - فسبحان من خلقنا ويميتنا
 ويحيينا بقدرته^١ والله الهادى .



(١) زيد من ظ و م (٢) زيد في الأصل : فعلا ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
 فحذفناها (٣) وقع في الأصل بعد «منظور» والترتيب من ظ و م (٤-٤) سقط
 ما بين الرقین من م ، وموضعه بما فيه « والله الهادى » وقم في ظ : يصل الله
 عليه وسلم .

/ سورة المرسلات' وتسمى العرف

مقصودها الدلالة على [آخر - ٢] الإنسان من إثابة الشاكرين بالنعيم، وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم، في يوم الفصل بعد جمع الأجساد وإحياء العباد بعد طي هذا الوجود و تغيير العالم المعهود بما له سبحانه من القدرة على إنبات النبات وإنشاء الأقوات وإزال العلوم وإسعاد الفهوم لإحياء الأرواح* وإسعاد الأشباح بأسباب خفية وعلل مرئية وغير مرئية، وتطوير الإنسان في أطوار الاسنان، وإيداع الإيمان فيما يرضى من الأبدان، وإيجاد الكفران في أهل الحية والخسران، مع اشتراك الكل في أساليب هذا القرآن، الذي عجز الإنس والجان، عن الإتيان بمثل آية [منه - ٢] على كثرتهم وتناول الزمان، واسمها المرسلات و [كذا - ١] العرف واضح الدلالة على ذلك لمن تدبر الأقسام، وتذكر ما دلت عليه من معاني الكلام ﴿ بسم الله ﴾^٦ الذي له القدرة التامة على ما يريد ﴿ الرحمن ﴾ الذي له عموم الإنعام على سائر العبيد ﴿ الرحيم ﴾ الذي خص أهل رضوانه بآتمام ذلك الإنعام وعنده المزيد .

١٥ لما ختمت سورة الإنسان بالوعد لأوليائه والوعيد لأعدائه، وكان

(١) زيدت الواو في ظ (٢) السابعة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكينة وعدد آياتها خمسون (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : احتياط . (٥) من ظ وم ، وفي الأصل : الروح (٦) زيد في الأصل : اه ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها .

الكفار يكذبون بذلك ، افتتح هذه بالإقسام على أن ذلك كائن فقال :
 ﴿ والمرسلات ﴾ أى من الرياح ^١ و الملائكة ﴿ عرفاء ﴾ أى لأجل
 إلقاء المعروف من القرآن ^٢ و السنة و غير ذلك من الإحسان ، و من
 إلقاء الروح و البركة و تيسير الأمور فى الأقوات ^٣ و غيرها ، أو حال
 كونها متتابعة متكاثرة بعضها فى أثر بعض ، من قول العرب : الناس إلى ه
 فلان عرف واحد - إذا توجهوا إليه فأكثروا ، و يقال : جاؤا عرفا واحدا ،
 و هم عليه كعرف الضبع ^٤ - إذا تألبوا عليه .

و لما كان العصفوف للعواصف يتعقب الهبوب ، عطف بالقاء
 تعقيا و تسعيا فقال : ﴿ فالعصف ﴾ أى الشديديات من الرياح
 عقب هبوبها و من الملائكة عقب شقها للهواء بما لها من كبر الأجسام ^{١٠}
 و القوة على الإسراع التام ﴿ عصفاء ﴾ أى عظيم بما لها من
 النتائج الصالحة .

و لما كان نشر الرياح للسحاب متراخيا عن هبوبها و متباطئا فى
 الثوران و كذا نشر الملائكة لأجنحتها كما يفعل الطائر القوى فى طيرانه ،
 عطف بالواو الصالحة للعبة و التعقب بمهلة و غيرها قوله : ﴿ والنشأت ﴾ ^{١٥}
 أى للسحاب و الأجنحة على وجه اللين فى الجو و للشرائع التى / تنشر
 العدل بين الناس ﴿ نشرال ﴾ و إذا راجعت أول الذاريات ازدادت فى
 هذا بصيرة -

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الروح (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 الكتاب (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الأوقات (٤) من ظ و م ، وفى
 الأصل : الصبح (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : العصفوف .

ولما كان السحاب يجتمع بعد الثوران من مجال البخارات و يتكاثف ثم يحمل الماء، وكان ذلك^١ - مع كونه معروفا - قد تقدم في الذاريات والروم وغيرهما ثم بعد الحمل تضغط^٢ السحاب حتى يتحامل بعضه على بعض فتتفرق هناك فُرج يخرج منها، طوى ذلك وذكر هذا فقال
 ٥ بالفاء الفصيحة: (فالفِرْقَتِ فرقا لا) أى للسحاب حتى يخرج الودق من خلاله واللاجنة و بين الحق والباطل والحب والنوى - وغير ذلك من الأشياء .

ولما كانت السحاب عقب الفرق ينزل منها^٣ ما فى ذلك السحاب من ماء أو ثلج أو برد أو صواعق أو غير ذلك بما يريد الله بما يبعث ١٠ على ذكر الله ولا بد والملائكة تلقى ما معها من الروح المحيى للقلوب، قال معبرا بفاء التعقيب والتسبيب: (فالملقى ذكرا لا) أطلق عليه الذكر لانه سبه إن كان محمول السحاب أو محمول الملائكة، وقد يكون محمول الملائكة ذكر الله حقيقة، ولا يخفى أنها سبب لإصلاح الدين والدنيا .
 ولما ذكر هذه الأقسام عللها بقوله: (عذرا أو نذرا لا) وهما ١٥ منصوبان على الحال جمان لعذر بمعنى المعذرة أو العاذر، والنذر بمعنى الإنذار أو المنذر، أى كانت هذه منقسمة إلى عذر إن كانت ألقت

(١) من ظ و م، وفى الأصل: هذا (م) من م، وفى الأصل: تضطط، وفى ظ: تسقط (م) من ظ و م، وفى الأصل: فيه (ه) من ظ و م، وفى الأصل: التسبب (ه) من ظ و م، وفى الأصل: ذكره .

مطرا نافعا^١ مريتا مريعا غير ضار كان بعد قحط فانه يكون كانه
اعتذار عن تلك الشدة، وإن كانت الملائكة ألقت بشار فهي واضحة
في العذر لاسيما إن كانت بعد إنذار، وإلى نذر إن كانت ألقت صواعق
أو ما [هو-^٢] في معناها من البرد الكبار ونحوها، وكذا الملائكة،
والكل سبب لذر الله وهو سبب لاعتذار^٣ ناس بالتوبة، وسبب ه
لعذاب الذين يغفلون عن الشكر، ويستقبلون ذلك بالمعاصي أو ينسبون
ذلك إلى الانواء.

ولما تمت هذه الأقسام مشتملة على أمور عظام منبهة على ان أسبابها
من الرياح والمياه كانت مع الناس وهم لا يشعرون بها كما أنه يجوز
أن تكون القيامة كذلك سواء بسواء، [قال-^٢] ذاكرا للقسم عليه ١٠
مؤكدًا لأجل إنكارهم: ﴿انما﴾ أى الذى ﴿توعدون﴾ [أى-^٢]
من العذاب فى الدنيا والآخرة ومن قيام الساعة ومن البشار لأهل
الطاعة، وبناء للفعول لأنه المرهوب لا كونه من^٤ معين مع أنه معروف
أنه بما توعده^٥ به الله^٥ على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لواقع^٥﴾
أى كائن لا بد من وقوعه وأسبابه عتيدة عندهم وإن كنتم لا ترونها ١٥
كما فى هذه الأشياء التى أقدم بها وما تأثر عنها.

(١) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) زيد من ظ
وم (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لا اعتداد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل
« و » (هـ-ه) ظ و م ، وفى الأصل : الله به .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : أقسم تعالى بالملائكة المتابعين
 في الإرسال ، والرياح المسخرة ، وللايته بالمطر و الملائكة الفارقة^١ بمائه
 بين الحق و الباطل ، و الملقيات الذكر / بالوحي إلى الأنبياء لإعذارا من
 الله وإندارا ، أقسم تعالى بما ذكر من مخلوقاته على صدق الموعود به في قوله
 ه " انا اعتدنا للكافرين سلاسل و اغلالا و سعيرا " الآيات و قوله " انا
 نخاف من ربنا يوما عبوسا قطيريا " و قوله " و جزايم بما صبروا جنة
 و حريرا " الآيات إلى " و كان سعيكم مشكورا " و قوله " و يذرون وراءهم
 يوما ثقيلا " و قوله " يدخل من يشاء في رحمته و الظالمين اعد لهم عذابا
 اليما " و لو لم يتقدم إلا هذا الوعد و الوعيد المحتتم به السورة لطابقه^٢
 ١٠ افتتاح الأخرى قسما عليه أشد المطابقة ، فكيف و سورة " هل أتى على
 الانسان " مواعد أخراوية و أخبارات جزائية ، فأقسم سبحانه و تعالى
 على صحة الوقوع ، و هو المتعالى الحق و كلامه الصدق - انتهى .

ولما كان من المعلوم أنهم يقولون استهزاء : متى هو ؟ و كان وقته
 ١٥ بما استأثر الله بعلمه لأن إخفاءه عن كل أحد^٣ أوقع في النفوس و أهيب
 عند العقول ، سبب عن [ذلك - ١] قوله ذاكر ما لا تحتمله العقول
 لتزداد الهيبة و يتعاضم الخوف معبرا بأداة التحقق^٤ : (فاذا النجوم)

(١) من ظ و م ، و في الأصل : العارة (٢) من م ، و في الأصل و ظ : لطابقة .

(٣) زيد في ظ : راسها (٤) من ظ و م ، و في الأصل : فيما (٥) من ظ و م ، و في

الأصل : حد (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و في الأصل : التحقيق .

أى على كثرتها ﴿طمست لا﴾ أى أذهب^١ ضوءها بأيسر امر فاستوت مع بقية السماء ، فدل طمسها على أن لفاعلها غاية القدرة ، و أعاد الظرف تأكيداً للمعنى زيادة فى التخويف فقال : ﴿و اذا السماء﴾ [أى -^٢] على عظمتها ﴿فرجت لا﴾ أى انشقت فخربت السقوف وما بها من القناديل بأسهل أمر ﴿و اذا الجبال﴾ أى على صلابتها ﴿نسفت لا﴾ أى ذهب بها كلها ه بسرعة فقرقتها الرياح ، فكانت هباء منبثاً فلم يبق لها أثر^٣ ، و ذلك كما ينسف الحب ، فزال ثبات الأرض بالأسباب التى هى الرواسى ، لأن تلك الدار ليست بدار أسباب .

و لما ذكر تغيير السماء و الأرض ، ذكر ما^٤ فعل ذلك لأجله فقال : ﴿و اذا الرسل﴾ أى الذى أنذروا الناس ذلك اليوم فكذبوهم ﴿اقتله﴾ ١٠ أى بلغها الذى لا قدر^٥ سواه بأيسر امر ميقاتها الذى كانت تنتظره ، و هو وقت قطع الأسباب و إيقاع الرحمة و الثواب للأحباب و النعمة و العقاب للاعداء بشهادتهم بعد جمعهم على الأمم بما كان منهم من الجواب ، و حذف العامل فى « إذا » تهويلاً له^٦ لتذهب النفس فيه كل مذهب ، فيمكن أن يكون تقديره : وقع ما توعدون فرأيتم من هذا الوعيد ما لا يحتمل و لا يثبت لوصفه العقول ، و على ذلك دل قوله^٧ ملقنا لما^٨ ينبغى

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : ذهب (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و ، الأصل : عظمتها (٤) فى الأصل بياض ملاءمه من ظ و م (٥) زيد فى الأصل : كان سبب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لا قدر (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لهم (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : ملقنا على ما .

أن يقال، و هو' (لأى يوم) أى عظيم (اجلت هـ) أى. وقع تأجيلها به، بناء للفعول لأن المقصود تحقيق الآجل لا كونه من معين، و تقيها على أن المعين له معلوم^٢ أنه الله الذى لا يقدر عليه سواه^٣، ثم أجاب عن هذا السؤال بقوله مبدا من 'لأى يوم': (ليوم الفصل ج) أى الذى إذا أطلق ذلك لم ينصرف إلا إليه لأنه لا يترك فيه شيئا إلا وقع الفصل فيه^٥ بين جميع الخلق من كل جليل و حقير، ثم هوله و عظمه بقوله: (و ما أدرك) أى و أى شئ. أعلمك و إن اجتهدت فى التعرف، ثم زاده^٦ تهويلا بقوله: (ما يوم الفصل هـ) أى إنه امر يستحق أن يسئل عنه و يعظم، و كل ما عظم بشئ فهو أعظم منه^٧، و لا يقدر أحد من الخلق على^٨ الوصول إلى عليه لأنه لا مثل له يقاس عليه.

ولما هول أمره ذكر ما يقع فيه من الشدة على وجه الإجمال فقال: (ويل) أى هلاك عظيم جدا (يومئذ) أى إذ يكون يوم الفصل (للكاذبين هـ) أى بالمرسلات التى أخبرت بذلك اليوم و غيره من أمر الله، و الويل فى الأصل مصدر منصوب باضممار فعله، عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات معناه، و قد كررت هذه الجملة بعدة المقسم به و ما ذكر هنا بما يكون فى يوم الفصل من الطمس و ما بعده و هو تسعة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: هى (٢) زيد فى الأصل: وقت، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٥) فى ظ و م: زاده (٦) زيد بهامش م: أى أى شئ عظم به يوم الفصل أى يوم الفصل أعظم منه أى من ذلك الشئ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: من، مع يسير من البياض قبله.

أشياء، وزادت واحدة فتكون كل جملة بواحدة من المذكورات، والعاشرة للتأكيد دلالة على أن لهم من الويل ما لا ينتهى [كما أن الواحد لا ينتهى - '] على أنها لو كانت كلها لتأكيد الأول لكان ذلك حسنا، فإن من كذبك فى أشياء كان من البلاغة أن تقرره بواحدة منها ثم تقول له عند قيام الدليل « ويل لك »، ثم تفعل فيها بعده كله كذلك وتعيد عليه ذلك القول بعينه تأكيداً له وتحقيقاً لوقوع^٢ معناه دلالة على أن الغيظ قد بلغ متناه والفجور وانقطاع العذر لم يدع موضعاً للتصل منه والبعد عنه، وذلك فى كلام العرب شائع معروف سائغ.

ولما أقسم على وقوع^٣ الوعد والوعيد مطلقاً أعم من أن يكون فى الدنيا أو فى الآخرة لأنه قادر على كل ما يريد بأقسام ذلك على القدرة عليه دلالة جلية^٤، أتبعه دلالة أجلى منها بما يشاهد من خراب العالم النفسى فقال [منكراً - *] على من يكذب به تكذيبهم مع ما كان منه^٥ سبحانه إلى من كذب الرسل ومن آمن بهم: (ألم نهلك) أى بما لنا من العظمة (الأولين^٦) أى إهلاك عذاب وغضب بتكذيبهم الرسل عليهم الصلاة والسلام كقوم نوح^٧ ومن بعدهم أمة بعد أمة وقرناً بعد قرن، لم ندع منهم أحداً^٨.

ولما كان إهلاك من فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم إن

(١) زيد من م (٢) من م، وفى الأصل وظ : لوقوعه (٣) من ظ وم، وفى الأصل : بلوغ (٤) من ظ وم، وفى الأصل : جلية (٥) زيد من ظ وم . (٦-٧) من ظ وم، وفى الأصل : كانه (٧) من ظ وم، وفى الأصل : احد .

لم ينقص عن إهلاك الأولين لم يزد ، وكان جواب هذا التقدير : بل قد
أهلكتهم ، قال عاطفا على هذا الذى أرشد السياق إليه إرشادا ظاهرا
جملة كالمنطوق ما تقديره : نعم أهلكناهم ﴿ ثم ﴾ أى بعد إهلاكنا لهم .
ولما كان الفعل مرفوعا ، علمنا أنه ليس معطوفا على . تهلك ، ليكون تقديرا ،
بل هو إخبار للتهديد / تقديره : نحن إن شئنا ﴿ يتبعهم الآخرون ﴾ أى
الذين فى زمانك من كفار العرب وغيرهم لتكذيبهم لك أو الذين
قربوا من ذلك الزمان كأصحاب الرس وأصحاب القيل .

ولما هدد من واجه الرسل بالتكذيب تسلية لهم ، سلى من قطعوه
من أتباعهم مما^١ يجب وصله بهم من المعروف [فقال - ٢] مستأقفا
١٠ منها على الوصف الموجب لذلك الإهلاك : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك
الإهلاك ﴿ تفعل بالمجرمين ﴾ أى جميع الذين يفعلون فعل أولئك الذين
يقطعون ما أمر الله به أن يوصل وهم عريقون فى ذلك القطع ، وذلك
مثبت لنا القدرة على جمعهم ليوم الفصل كما قدرنا على جمعهم لوقت
الإجرام وعلى فصلنا فى الإهلاك والإنجاء بين مكذبى الأمم ومصدقهم
١٥ فلا بد من إيجادنا ليوم الفصل : ﴿ ويل يومئذ ﴾ أى إذ يوجد
﴿ للمكذبين ﴾ أى بالعاصفات التى أهلكنا بها تلك الأمم تارة بواسطة
القلب وإمطار الحجارة وأخرى بواسطة الماء وتارة بالرجفة [وتارة - ٢]
بغير واسطة .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : وما (٢) زيد من ظ و م .

ولما ذكر الإهلاك على ذلك الوجه الدال على القدرة التامة^١ على
البحث [وعلى-^٢] ما يوعد به بعد البحث ، أتبعه الدلالة بابتداء الخلق وهو
أدل فقال^٣ مقررا ومنكرا^٤ على من يخالف^٥ عليه بذلك عمله :
(الم تخلقكم) أى أيها المكذبون بما لنا من العظمة التى لا تعسرهما^٦ عظمة
(من ماء مهين^٧) أى نطفة مذرة ذليلة ، وهو [من-^٨] مهن^٩ بالفتح ، قال هـ
فى القاموس : والمهين : الحقير والضعيف والقليل (لجعلته) أى بما لنا
من العظمة بالإنزال لذلك الماء فى الرحم (فى قرار مكين^{١٠}) أى محفوظ
بما يفسده من الهواء وغيره ومددنا^{١١} ذلك لأجل التطوير فى أطوار
الحلقة والتدوير فى أدار^{١٢} الصنعة (الى قدر) أى مقدار من الزمان
قدره الله تعالى [للولادة -^{١٣}] (معلوم^{١٤}) أى عندنا من تسعة أشهر ١٠
للولادة إلى ما فوقها أو دونها لا يعلمه^{١٥} غيره .

ولما كان هذا عظيما ترجمه وبينه معظما له بقوله : (فقدردنا^{١٦}) أى
بعظمتنا على ذلك أو لجعلناه على مقدار معلوم من الارزاق والآجال
والأحوال والأعمال (فنعم القُدرون^{١٧}) نحن مطلقا على ذلك وغيره ،
أو المقدرون^{١٨} فى تلك المقادير لما لنا من كمال العظمة بحيث نجعل ذلك ١٥

- (١) زيد من م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : منكرا ومقررا (٣) من
ظ و م ، وفى الأصل : يخالفه (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : نفسرها (٥) من م ،
وفى الأصل و ظ : مهين (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : عددنا (٧) من ظ و م ،
وفى الأصل : ازوار (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، وفى الأصل :
لا يعلم (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : المقدرون .

بمباشرة من أردناه منه بطوعه و اختياره . ولعل التعبير بما قد يفيد مع
العظمة الجمع لما أقام سبحانه في ذلك من الاسباب بالملائكة وغيرها ،
' فيه مع ' ذلك ابتلاء للعباد الموحد منهم و المشرك : ﴿ ويل يومئذ ﴾
أى إذ^١ كان ذلك ﴿ للكاذبين ﴾ أى بالناشورات التى نشرت تلك
النفوس و كل ما يراد نشره و هم يعلمون قدرتنا على ما ذكر^٢ و تقديره
من ابتدائنا لخلقهم و غيره مما يفيد كمال القدرة و هم يكذبون بالبعث
و لا يقيسونه بمثله . و لما دل / بابتداء الخلق على تمام قدرته ، أتبعه

/ ٦٣٤

الدلالة بانتهاء أمره و أثنائه و ما دبر فيها من المصالح فقال : ﴿ الم نجعل ﴾
أى نصير بما سينبأ لنا من العظمة ﴿ الارض كفاتا ﴾ أى وعاء
١٠ قابلة للجمع^٣ ما يوضع فيها [و ضمه جمعا فيه -^٤] فك و هدم ، و هو اسم
لما يكفت من الحديد مثلا أى يغلف بالفضة و يضم و يجمع ، كالضام و الجامع
لما يضم و يجمع ، أو^٥ هو مصدر نعت به أو جمع كافة ، كصائمة و صيام
أو جمع كفت و هو الوعاء ، و لو شئنا لجعلناها ناشرة لكم إذا وضعتم
فيها كما تنشر النبات ، و سنجعل ذلك إذا أردنا البعث ، و لما^٦ كان من
١٥ المعلوم انه حذف المفعول و هو لكم ، أبدى حالة دالة أيضا عليه [فقال -^٧] :
﴿ احياء ﴾ [أى -^٨] على ظهرها فى الدور و غيرها ﴿ و امواتا ﴾ أى

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : اذا .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكرنا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : على
انتهاء (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : لجميع (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ
و م ، و فى الأصل « و » (٨) من ظ ، و فى الأصل و ظ : او .

في بطنها في القبور وغيرها كما كنتم قبل خلق آدم عليه السلام .
ولما ذكر ما تنفيه من جبال العلم والملك وغيرهما ، أتبعه ما تبرزه
من الشواقي لإعلاما بأنه لو كان الفعل للطبيعة ما كان الأمر هكذا ، فانه
لا يخرج هذه الجبال العظيمة على ما لها من الكبر ' والرسوخ ' والثقل
والصلابة وغير ذلك من العظمة إلا الفاعل المختار ، هذا إلى ما يحفظ ه
في أعاليها من المياه التي تنبت الأشجار وتخرج العيون والأنهار ، بل
أكثر ما يخرج من المياه هو منها ، وكذا غالب المنافع من المعادن وغيرها
قال : ﴿ وجعلنا ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ فيها ﴾ أي الأرض
﴿ رواسي ﴾ لولاها لمادت بأهلها ، ومن العجائب أن مراسيها من فوقها
خلافاً لمراسي السفن ﴿ شمنت ﴾ أي [هي - ٢] مع كونها ثوابت ١٠
في أنفسها مثبتة لغيرها طوال جدا عظيمة الارتفاع كأنها قد تكبرت
على بقية الأرض : على من يريد صعودها ، وتكبره للتعظيم .
ولما كان من العجائب الخارقة للعوائد فوران الماء الذي من طبعه
أن يغور لا أن يفور لما له من الثقل واللاطافة التي أفادته قوة السريان ٢
في الأعماق وفي كون ذلك منه من موضع من الأرض دون آخر ، ١٥
و كونه من الجبال التي هي أصلب الأرض ومن صخورها غالباً دلالة
ظاهرة على أن الفعل للواحد المختار الجبار القهار لا للطبائع ٣ قال :
﴿ واسقيسكم ﴾ أي جعلنا لكم بما لنا من العظمة شراباً لسقيكم وسقى
ما تريدون سقيه من الأنعام والحراث وغير ذلك ﴿ ماء ﴾ ٤ من الأنهار
(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ وم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ وم ، وفي
الأصل : السريان (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : للطباع (٥) زيد في الأصل :
أي ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها .

والعدوان ، العور ، لأبار ، غيرها ﴿ ورتاه ﴾ أى عظما عدما سائعا وقد
كان حقيقا بأن يكون ملحا أجاجا لما للأراضى المسكة له من ذلك^١
ولما كان فى هذا دلالة ظاهرة على قدرته على البعث وغيره قال :
﴿ ويل يومئذ ﴾ [أى ٢] يوم إذ تقوم الساعة ليكون الفصل بين العباد
ه مساقها مساق ما هو ثابت لا نزاع فيه إشارة إلى أنه لا يكذب بها بعد
ظهور الأدلة / إلا من لامسكه له ﴿ للكذابين ه ﴾ أى الذين هم فى غاية
الرسوخ فى التكذيب حتى كذبوا بما لنا فى هذا من الفرق الذى فرقنا
به بين أرض وأخرى حتى جعلنا بعضها صالحا لافراق أرضه عن الماء ،
وبعضها غير صالح وجعلنا بعضها قابلا للجبال وبعضها غير قابل - إلى غير
١٠ ذلك من الفروق البديعة .

ولما وصلت أدلة الساعة فى الظهور إلى حد لا مزيد عليه ، وحكم
على المكذابين بالويل مرة ، وأكد ثلاث ، فكان من حق المخاطب أن
يؤمن فلم يؤمن ، امر بما يدل على الغضب فقال تعالى 'معلما لهم' بما يقال
لهم يوم القيامة إذ يحل بهم الويل : ﴿ انطلقوا ﴾ أى أيها المكذبون
١٥ ﴿ الى ما كنتم ﴾ أى بما هو لكم كالجبله ﴿ به تكذبون ﴾ أى فى الدنيا
من العذاب تكديبا هو من عظمه بحيث يعد غيره من التكذيب بالنسبة
إليه عدما ، ويجددون ذلك التكذيب مستمرين عليه .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الأدبار (٢) ريد فى الأصل : انتهى ،
ولم تكن ازبادة فى ظ و م فدفناها (٣) ريد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م ،
وفى لاصل معللا

ولما كان المراد زيده بكيثهم^١ و تفرعهم و التهويل عليهم، كرر
 الأمر وأصفا ما^٢ أمروا بالانطلاق إليه فقال: ﴿ انطلقوا ﴾ هذا على
 قراءة الجماعة، و^٣ قراءة رويس عن يعقوب بصيغة الماضي للدلالة على تمام
 انقيادهم هناك، و انه لا شيء من منعه عندهم^٤ أصلاً، و هي استنافية
 لجواب من يقول: ما كان حالهم عند هذا الأمر الفظيع؟ ﴿ الى ظل ﴾ أى ٥
 من دخان جهنم الذى سمي بالجموم لما ذكر فى الواقعة ﴿ ذى ثلث شعب لا ﴾
 ينشعب من عظمه^٥ كما ترى الدخان العظيم يتفرق دوائب، و خصوصية
 الثلاث لأن التكذيب بالله و كتبه و رسله، فتعذيبهم كل واحدة منها عذاباً
 يعلمون هناك لاى تكذيبه منها هى، أو لأن الحاجب عن أنوار القدس
 الحس و الخيال و الوهم، أو لأن السبب فيه القوة الوهمية^٦ الحالة فى ١٠
 الدماغ، و الغضبية التى فى عين القلب، و الشهوية التى فى يساره، و قيل^٧:
 تخرج عنق من النار تكون ثلاث فرق: نار و نور و دخان، يقف النور
 على المؤمنين، و اللهب الصافى على الكافرين، و الدخان على المناققين،
 تكون كذلك إلى حين^٨ الفراغ من الحساب، و قال الرازى: الشعب لهب
 و شرر و دخان .

١٥

(١) من ظ و م، وفى الأصل: تكديهم (٢) من ظ و م، وفى الأصل:
 بما (٣) ريدى الأصل: اما على، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها .
 (٤) من ظ و م، وفى الأصل: عليهم (٥) ريدت الواو فى الأصل ولم تكن
 فى ظ و م فخذناها (٦) من ظ . وفى الأصل و م: الواهمة (٧) راجع المعالم
 ٧ / ٦٤ . (٨) سقط من ظ و م

و لما كان المتبادر من الظل ما يستروح إليه فظنوا ذلك^١، ازال
 عنهم هذا التوهم على طريق التهكم بهم ليكون أشد في النكال فقال واصفا
 لـ ذى : ﴿ لا ظليل ﴾ أى من الحر بوجه من الوجوه . و لما كان ما
 اتفق عنه^٢ غزارة الظل التى أفهمتها صيغة المبالغة قد يكون فيه نفع ما
 قال : ﴿ ولا يغنى ﴾ أى شيئا من إغناء ﴿ من اللهب^٣ ﴾ أى هذا الجنس .
 و لما بين أن هذا الظل زيادة في العذاب ، و كان من المعلوم أنه
 لا يكون دخان إلا من نار ، قال مينا / انه لو كان هناك ظل ما أغنى :
 ﴿ انها ﴾ أى النار التى دل عليها السياق ﴿ ترمى ﴾ أى من شدة الاستعار
 ﴿ شرر ﴾ و هو ما تطاير من النار إذا التهب ، واحدها شرارة و هى
 ١٠ صواعق تلك الدار ﴿ كاقصره ﴾ أى كل شرارة^٤ منها كأنها قصر مشيد
 من عظمها . و قيل : هو الغايظ من الشجر^٥ ، الواحدة قصرة مثل جمر
 و جرة . و هى اسم جنس جمعى لم يستعمل إلا فى جمع فهو شامل لكثير
 الجوع و قليلها ، و كذا كل ما فرق بين واحدة و جمعه التاء و ليس بجمع
 لأنه ليس بجمع سلامة و هو ظاهر ولا تكسير لأن^٦ أوزانه معروفة
 ١٥ و ليس منها^٧ فعل و ليس بجنس ، فانه لا يشمل^٨ ما دون الجمع و من عظمة
 شرارها تعرف عظمة جمرها .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لك (٢) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و م لحدفها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : شرر (٤) من ظ و م ،
 وفى الأصل : كانه (٥) من ظ و م : الشجرة (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
 لا (٧) من م ، وفى الأصل : فيها ، وفى ظ : بها (٨) من ظ و م ، وفى الأصل :
 يشمل .

ولما شبهه في عظمه ، شبهه في لونه فقال : ﴿ كأنه جُمِلْتُ ﴾ جمع جمالة جمع جل مثل 'حجارة' و'حجر' للدلالة مع كبره على كثرتة وتابعه واختلاطه وسرعة حركته . ومن قرأ بضم الجيم فهو عنده جمع جمالة وهي الجبل الغليظ من جبال السفينة - شبهه [به - ^١] في امتداده والتفافه ، ولا تنافي فإن الشرر منه ما هو هكذا و [منه - ^٢] ما هو كما تقدم هـ ﴿ صفره ﴾ جمع أصفر اللون^٣ المعروف ، وقيل : المراد به سواد يضرب إلى صفرة كما هي ألوان الجبال^٤ .

ولما كان هذا أمراً هائلاً كانت ترجمته : ﴿ ويل يومئذ ﴾ أي إذ يكون ذلك ﴿ للكاذبين ﴾ أي العريقين في التكذيب بإلقاء الذكر على الأنبياء للبشارة والندارة .

ولمادات قراءة " انطلقوا " بالفتح على امتثالهم للأمر من غير أن ينسوا^٥ بكلمة ، صرح به فقال دالاً على ما هم فيه من المقت والغضب : ﴿ هذا ﴾ أي الموقف الذي^٦ هو بعض مواقف ذلك اليوم ، سمي يوماً لتمام أحكامه ، فلذا قال مخبراً عن المبتدأ : ﴿ يوم لا ينطقون لا ﴾ أي يثبت شفة^٧ من^٨ شدة الحيرة والدهشة^٩ في بعض المواقف ، وينطقون في بعضها ١٥

-
- (١-١) من ظ و م ، وفي الأصل : حجر واحجار (٢) زيد من ظ و م .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : اللون (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : الجبال .
 (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : سوا - كذا (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : أى .
 (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : شفثيه (٨-٨) في ظ و م ؛ فرط الدهشة والحيرة .

فانه يوم طويل ذو الوان - كما قاله^١ ابن عباس رضى الله عنهما، او لا يتلقون
 بما ينفعهم لانهم كانوا في الدنيا لا يتلقون بالترجيد الذى ينفعهم .
 و لما كانوا لا يقدرّون على شىء ما إلا باذن الله، و كان الموضع
 لهم عدم الإذن، بنى للمفعول قوله [دلالة -^٢] على عدم ناصر لهم
 ه أو فرج يأتيهم : ﴿ ولا يؤذن ﴾ أى من^٣ آذن ما ﴿ لهم ﴾ أى فى
 كلام اصلا . و لما كان المراد انه لا يوجد لهم إذن ولا يوجد منهم
 اعتذار من غير أن ينظر إلى تسببه عن عدم الإذن لثلا يفهم أن لهم
 عذرا و لكنهم لم يبدوه لعدم الإذن، قال رافعا عطفا على " يؤذن "^٤
 ﴿ فيعتذرون ه ﴾ فدل ذلك على نفي الإذن و نفي الاعتذار عقبه مطلقا،
 ١٠ و لو نصبه لدل على أن السبب فى عدم اعتذارهم عدم الإذن
 فينقض المعنى .

و لما كان هذا أمرا فظيحا / ترجمه بقوله : ﴿ ويل يومئذ ﴾ أى
 إذ كان هذا الموقف ﴿ للكاذبين ه ﴾ أى العريقين فى التكذيب بالإخبار
 بطمس النجوم فجعلت عقوبتهم سكوتهم الذى هو ذهاب نور الإنسان
 ١٥ ليكون كالطمس كذبوا به .

و لما ذكر^١ حيرتهم و^٢ دهشتهم التى هى أمانة قول الحكم، وكانت

(١) فى ظ و م : قال (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م فخذناها (٤) زيد فى الأصل : لهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ
 و م فخذناها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : قطعيا (٦-٧) سقط ما بين الرقيين
 من ظ و م .

مواطن ذلك اليوم تسمى أياما لتمام الاحكام في كل موطن منها ، وتميزه
 بذلك عما عداه ، قال : (هذا) أى ذلك اليوم كله (يوم الفصل^٥)
 أى بين ما اختلف فيه العباد من الحق والباطل والعالي والسافل ؛ ثم
 استأنف قوله : (جمعنكم) أى يا مكذبي هذه الامة بما لنا من العظمة
 (والاولين^٦) أى الذين تقدم أنا أهلكنام . وقد كانوا أكثر منكم
 عددا واعظم عددا لفصل^٧ بين المتنازعين ونصلي^٨ العذاب ونجزي^٩ بالثواب ،
 وقد كان منكم من يقول : أنا أكفى عشرة من ملائكة النار ، ثم أشار
 إلى انقطاع الأسباب فقال مسييا عن ذلك : (فان كان لكم) أى ابها
 المكذبون على وجه هو ثابت من ذواتكم (كيد) أى مقاومة بنوع حيلة
 او شدة (فكيدون^{١٠}) تقريع^{١١} لهم على كيدهم لأولياتنا المؤمنين في
 الدنيا - بما مكنهم به من الأسباب وتنبه على أنه من آذى وليه فقد
 آذنه بالحرب^{١٢} وعلى أنهم عاجزون .

ولما كانوا^{١٣} أقل من أن يجيئوا عن هذا وأحقر [من -^{١٤}] أن
 يمهلوا للكلام ، قال مترجما لحالهم بعد هذا الكلام منبها على أنهم لو عقلوا
 بكوا على أنفسهم الآن لانه^{١٥} لاحيلة لهم إذ ذاك^{١٦} : (ويل يومئذ) أى ١٥

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : للفصل (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : فعلى .

(٣) في ظ : أى تقريرا على (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : فقه وإيا^{١٧} (هـ) من

ظ و م ، وفي الأصل : في محاربه (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : كان طبعهم .

(٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : لأنهم (٩) من ظ

و م ، وفي الأصل : الآن .

إذ يقال لهم هذا الكلام فيكون زيادة في عذابهم ﴿للكاذبين﴾ أي
الراشخين في التكذيب [بأن السماء -^١] تفرج كما كانوا يكذبون بأنه
يفصل بينهم بعد الموت .

و لما كان الواقع بعد الفصل قرار كل في داره . و [كان -^١] قد
٥ بدا بالكاذبين لأن التحذير في السورة أعظم ففصلهم عن المصدقين
فقال : انطلقوا - إلى آخره ، ثنى باضدادهم الفريق الناجي المشار إليه في
آخر الإنسان بقوله تعالى «يدخل من يشاء في رحمته» فقال مؤكدا
لأجل تكذيب الكفار بتلك الدار و بأن يكون المؤمنون أسعد منهم :
﴿ان المتقين﴾ أي الذين كانوا يجعلون بينهم وبين كل ما يغضب الله
١٠ وقاية مما يرضيه لعراقهم في هذا الوصف يوم القيامة ﴿في ظلل﴾ هي
في الحقيقة الظلال [لا -^١] كما تقدم من ظل الدخان ، ولا يشبهها
أعلى ظل في الدنيا ولا أحسنه^٢ إلا بالاسم ، و دل [على -^٢] أنها على
حقيقتها بقوله : ﴿وعيون لا﴾ لأنها تكون عنها الرياض والأشجار
[الكبار -^١] كما دل على أن ذلك الظل المتشعب للتهكم بما ذكر بعده
١٥ من اوصاف النار ، فهذه العيون تبرد الباطن^٣ و تنبت الأشجار المظلة كما
أن اللهب يحرق الظاهر والباطن و يهلك ما قرب منه من شجر وغيره
فلا / يبقى ولا يذر .

/ ٦٣٨

- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : حسنه (٣) زيد من م .
(٤) من ظ و م ، وفي الأصل : الباطل (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : يحرق .
(٦) من ظ و م ، وفي الأصل : أو .

ولما ذكر العيون. أتبعها ما ينشأ^١ عنها فقال دالا على أن عيشهم كله لذة: ﴿وفواكه﴾ ولما^٢ كان يوجد^٣ في فواكه الدنيا الدون، قال^٤ دالا على^٥ أن عيشهم كله لذة و^٦ أنه ليس هناك دون: ﴿بما يشتهون^٧ه﴾ أى بغاية الرغبة .

ولما فهم^٨ من التعبير [بـ، فى، -^٩] أنهم متمكنون من هذا جميعه ه تمكن المظروف من ظرفه. قال منبها على أنه أريد بالفاكهة جميع المآكل، وإنما عبر بها لإعلاما بأن كل أكل فيها تفكه ليس منه شيء لجلب تقع غير اللذة^{١٠} ولا دفع ضرر: ﴿كلوا﴾ أى مقولا لهم: تناولوا جميع المآكل على وجه التفكه والتلذذ لا لحفظ الصحة فإنها حاصلة بدونه ﴿واشربوا﴾ أى من جميع المشارب^{١١} كذلك فإن عيونها ليست من الماء خاصة بل ١٠ من كل شراب أكلا وإشربا ﴿هينأ﴾ ليس فى شيء من ذلك توقع ضرر، وزاد فى نعيمهم بأن جعل ذلك عوضا فقال: ﴿بما كنتم﴾ أى بجبلاتكم التى جبلتكم^{١٢} عليها ﴿تعملون ه﴾ أى فى الدنيا من الأعمال الصالحة المبينة على أساس العلم الذى أفاد التصديق بالجنة فأوجب دخولها كما أوجب

(١) من ظ و م ، وفى الأصل: ببشها (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل: كانوا قد يجدوا (٣) من ظ و م ، وفى الأصل: فقال (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل: افهم (٦) زيد من ظ و م . (٧) من ظ و م ، وفى الأصل: الذره (٨) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م ، وفى الأصل: ضرر (١٠) من م ، وفى الأصل وظ: جبلكم .

تكذيب المجرمين بالنار دخولهم إياها وعذابهم بها، و تكذيبهم بالجنة طردهم عنها و حرمانهم لتعيمها جزاء وفاقا .

و لما كان ربما توهم متوهم أن هذا [لناس - ١] معينين في زمن^٢ مخصوص^٣، قال معلما بالتعميم مؤكدا ردا على من ينكر: ﴿ انا ﴾ أى بما^٤ لنا من العظمة^٥ ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الجزاء العظيم^٦ ﴿ نجزى المحسنين^٧ ﴾ أى كل من كان عريقا في وصف^٨ الإحسان لنا^٩ كملوك الدنيا، يعوقهم [عن - ١] الإحسان إلى^{١٠} بعض المحسنين عندهم بما يروونه جزاء لهم بعض أهل مملكتهم لما لهم من الأهوية و ملوكهم من الضعف .

١٠ و لما كان هذا النعيم عذابا [عظيما - ١] على من لا يناله قال: ﴿ وبل يومئذ ﴾ أى [إذ - ١] يكون هذا النعيم للتعين المحسنين ﴿ للمكذبين^{١١} ﴾ أى الذين يكذبون بأن الجبال تنسف فتكون الارض كلها سهلة دمنة مستوية لا عوج فيها أصلا صالحة للعبون و الأشجار و التبسط في أرجائها كيفما يريد صاحبها و يختار .

١٥ و لما ذكر نعيم أهل الجنة الذى لا ينقضى لأن لهم غاية المكنة فيه ، و كان ذلك آجلا ، و كان المكذبون فى اتساع فى الدنيا ، و تقدم قوله

(١) زيد من ظ و م (٢) من م . و فى الأصل وظ : وقت (٣) سقط من م . (٤) من م ، و فى الأصل : ما (٥) العبارة من « معينين » إلى هنا ماقطة من ظ . (٦) زيد فى الأصل : كذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧) سقط من ظ و م (٨) من م ، و فى الأصل وظ : على .

تعالى و ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع ، و كان الشقاء متى وقع بعد
 نعيم نسخه و عد النعيم - و لو كان كثيرا طويلا - قليلا ، قال نتيجة لجواب
 القسم ضد ما يقال للثقتين تسلية لهم و تحزينا للمكذبين بناء على ما تقديره :
 إن المكذبين في هذه الدنيا في استدراج و غرور ، و يقول لهم لسان
 الحال المعرب عن أحوالهم ' في المآل توينخا و تهديدا : ﴿ كلوا ﴾ / أى ه / ٣٩
 أيها المكذبون في هذه الدنيا ﴿ و تمتعوا ﴾ أى كذلك بمثل الجيفة ،
 فان المتاع من^٢ اسمائها كما مر غير مرة عن أهل اللغة ﴿ قليلا ﴾ أى
 و إن امتد زمنه فانه زائل مع قصر مدته في مدة الآخرة ، و لا يؤثر
 ذلك على الباقي النفيس إلا خسيس^٣ الهمة ، قال الرازى ، و قال بعضهم :
 التمتع بالدنيا^٤ من أفعال الكافرين ، و السعى لها من أفعال الظالمين ، ١٠
 و الاطمئنان إليها من أفعال الكاذبين ، و السكون فيها على حد الإذن
 و الأخذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين ، و الإعراض
 عنها من أفعال الزاهدين ، و أهل الحقيقة أجل خطرا من أن يؤثر فيهم
 حب الدنيا و بغضها و جمعها و تركها .

و لما أحلهم^٥ هذا المحل الخبيث ، و كان التقدير : فانه لا بد من وقوع ١٥

العذاب بكم يوم الفصل ، علل ذلك بقوله مؤكدا لأنهم ينكرون وصفهم
 بذلك : ﴿ انكم مجرمون ه ﴾ أى عريقون في قطع كل ما أراد الله به أن

(١) في ظ : اعمالهم (٢) من ظ و م ، و في الأصل : في (م) زيدت الواو في

الأصل و لم تكن في ظ و م لحذفناها (٤) من ظ و م ، و في الأصل : في الدنيا .

(ه) من ظ و م ، و في الأصل : احل .

يوصل ، فلا جائز أن تعاملوا معاملة المحسنين ، فلذلك كانت نتيجة هذا
 ﴿ويل يومئذ﴾ أى إذا تعذبون بأجرامكم ﴿للكاذبين﴾ أى يوصل
 الرسل إلى وقتها المعلوم الذى كانت تتوعد به المجرمين فى الدنيا حيث
 كذبهم لأجل تمتعهم هذا القليل الكدر ، وعرضوا أنفسهم للعذاب
 ٥ الدائم المستمر .

ولما كان التقدير : فانهم كانوا فى دار العمل إذا قيل لهم آمنوا
 لا يؤمنون ، عطف عليه قوله : ﴿وإذا قيل لهم﴾ أى لهؤلاء المجرمين
 من أى قائل كان ﴿اركعوا﴾ أى صلوا الصلاة التى فيها الركوع ، وأطلقه
 عليها تسمية لها باسم جزء منها ، وخص هذا الجزء لأنه يقال على الخضوع
 ١٠ والطاعة ، ولأنه خاص بصلاة المسلمين ، ولأن بمض العرب نقر عن
 الدين من أجله ، وقال : لا أجيء لأن فيه - زعم - إبرازاً للاستفهام
 ذلك مسبة ، وكذلك السجود ، قال فى القاموس : جئى نتجئة : وضع
 يديه على ركبتيه أو على الأرض أو انكب على وجهه ، والتجئة أن
 تقوم قيام الركوع ﴿لا يركعون﴾ أى لا يخضعون ولا يوجدون الصلاة
 ١٥ فلذلك كان وعيدهم ، وفيه دلالة على [أن - ٦] الأمر للوجوب
 ليستحق تاركه العذاب وعلى أن الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ويل يومئذ﴾

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : يومئذ (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 كوكبهم - كذا (٣) فى ظ : القدر (٤) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م فخذناها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الإبراز (٦) زيد
 من ظ و م .

أى إذا^١ يكون الفصل (للكذابين هـ) أى^٢ بذلك الذى تقدم^٣ فى هذه^٤ السورة أو بشىء منه أو بغيره مما جاءت به الرسل، وقد كررت هذه الجملة بعدد أجزاء طرف القسم أو أجزاء الجواب لتكون كل جملة منها وعيدا على التكذيب بواحد من [تلك - *] الأجزاء، وتكون هذه الجملة العاشرة مؤكدة لتلك التسع، وتكلمة^٥ بعدها ومعناها، ومعلمة بأن الويل^٥ لهم دائما من غير انقضاء كما أن الواحد لا انقضاء له.

ولما أعلم هذا^٦ أن لهم الويل دائما، / ذكر أن سببه عدم الإيمان ٦٤٠ / بالقرآن وان من لم يؤمن بالقرآن لم يؤمن بشىء أبدا، فقال مسيبا عن معنى الكلام: (فأى حديث) أى ذكر يتجدد نزوله على المرسل به فى كل وقت تدعو إليه حاجة (بعده) أى بعد هذا القرآن الذى ١٠ هو شاهد لنفسه عنه بصحة النسبة إلى الله تعالى من جهة ما حاز من البلاغة فى تراكيبه بالنسبة إلى كل جملة وبالنسبة إلى نظم^٧ الجمل بعضها مع بعض، وبالإخبار بالمغيبات والحمل على المعالى والتنبية على الحكم وغير ذلك من بحور العلم ورياض الفنون، فالله باعتبار ذلك هو الشاهد بأنه كلامه (يؤمنون ع) أى يجددون^٨ الإيمان بسببه^٩ بكل ما أتى به ١٥

(١) من ظ و م، وفى الأصل: ان (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل: بهذه (٤) زيد فى الأصل: بشىء منه وه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، وفى الأصل: تكلمة، وفى ظ: مكلمة (٧) من ظ و م، وفى الأصل: بهذا (٨) من ظ و م، وفى الأصل: نظر (٩) من م، وفى الأصل وظ: يجدد (١٠) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م لحذفها.

النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يؤمنوا بهذا الحديث الذي الله شاهد
بأنه كلامه بما اشتمل عليه بعد إعجازه من الدلائل الواضحة ، والمعاني
الشريفة الصالحة ، والنظوم الملائمة للطبع والرقائق المرققة لكل قلب ،
والبشائر المشوقة لكل سمع ، فمن لم يؤمن به لم يؤمن بحديث غيره ،
هـ فانه لا شيء يقاربه^٢ ولا يدانيه^٣ ، فكيف [بأن -^٢] يدعى شيء يباريه
أو يراقبه ، ومثل هذا إنما يقال عند مقارنة اليأس من الموعوظ والعادة
قاسية بحلول العذاب إذ ذاك وإنزال البأس ، فهو من أعظم أنواع
التهديد ، فقد رجع آخرها على أولها في وعيد المكذبين ، وانطبق
أولها على آخرها في إخزاء المجرمين - والله الهادي للصواب .

(٥)

- (١-١) من ظ و م ، وفي الأصل : المشوقة للسمع (٢-٢) سقط ما بين
الرقمين من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل « و » .
(٥) من ظ و م ، وفي الأصل : عظيم (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : اجره
(٧) سقط من ظ و م .

سورة عم يتساءلون^١ و تسمى سورة النبا

مقصودها الدلالة على أن يوم القيامة - الذي^٢ كانوا يجمعين على نفيه،
 وصاروا يعدون بيث النبي صلى الله عليه وسلم في خلاف فيه مع المؤمنين -
 ثابت ثباتاً لا يحتمل^٣ شكاً ولا خلافاً بوجه، لأن خالق الخلق مع أنه
 حكيم قادر على ما يريد ويرم أحسن تدبير، بنى لهم مسكناً وأقننه،^٥
 وجعلهم على وجه يبق به نوعهم من أنفسهم بحيث لا يحتاجون إلى
 أمر خارج يرويه، فكان ذلك أشد لألفتهم وأعظم لأنس بعضهم
 ببعض، وجعل سيقفهم وفراشهم كافلين لمنافعهم، والحكيم لا يترك
 عبده^٥ - وهو تام القدرة كامل السلطان - يرحون يعني بعضهم على بعض
 ويأكلون خيره ويعبدون غيره بلا حساب، فكيف إذا كان حاكماً^{١٠}
 فكيف إذا كان أحكم الحاكمين، هذا ما لا يجوز في عقل^١ ولا يخطر
 ببال أصلاً، فالعلم^٧ واقع به^٧ قطعاً، وكل من اسمها واضح في ذلك
 يتأمل آيته ومبدأ ذكره [و - ^٨] غايته (بسم الله) الحكيم العليم^٩

(١) الثامنة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدداً ٢٨٠ (٢) من
 ظ و م، وفي الأصل: الذين (٣) من ظ و م، وفي الأصل: لا يشمل (٤) من
 ظ و م، وفي الأصل: ثم (٥) من ظ و م، وفي الأصل: عبده (٦) زيد في
 الأصل: عاقل، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧-٧) من ظ و م، وفي
 الأصل: به واقع (٨) زيد من ظ و م (٩) في م: العظيم.

/ ٦٤١

الذى له جميع صفات الكمال ﴿الرحمن﴾ الذى^١ ساوى بين عباده
 / فى أصول النعم الظاهرة: الإيجاد^٢ والجاه^٣ والمال^٤، وبيان الطريق
 الأقوم بالعقل الهادى والإزال والإرسال ﴿الرحيم﴾ الذى خص من شاء
 بأتمام تلك النعم^٥ فوقهم لمحاسن^٦ الأعمال لما أخبر فى المرسلات
 بتكذيبهم يوم الفصل وحكم على أن لهم بذلك الويل المضاعف المكرر،
 وختمها بأنهم إن كفروا بهذا القرآن لم يؤمنوا بعده بشيء، افتتح هذه
 بأن^٧ ما خالفوا فيه وكذبوا الرسول^٨ فى أمره لا يقبل النزاع لما ظهر من
 بيان القرآن لحكمة الرحمن التى لا يختلف فيها اثنان مع الإعجاز فى البيان،
 فقال معجبا منهم غاية العجب زاجرا لهم ومنكرا عليهم ومتوعدا لهم
 ١٠ ومفخما للأمر بصيغة الاستفهام منها على أنه ينبغى أن لا يعقل خلافهم،
 ولا يعرف محل نزاعهم، فينبغى أن يسأل عنه كل أحد حتى العالم به
 إعلاما بأن ما يختلفون فيه^٩ لوضوحه لا يصدق ان عاقلا يخالف أمره^{١٠}
 فيه وأنه لا ينبغى التساؤل [إلا -^{١١}] عما هو خفى فقال: ﴿عم﴾ أى
 عن أى شيء - خفف لفظا وكناية بالإدغام، وحذف ألفه لكثرة الدور
 ١٥ والإشارة إلى أن هذا السؤال مما ينبغى أن يحذف، فإن لم يكن فيخفى
 ويستحى من ذكره ويخفف ﴿يتساءلون﴾ أى أهل مكة لكل من يسأل

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢ - ٢) من ظ و م، وفى الأصل: المال والجاه.

(٣) من ظ و م، وفى الأصل: النعيم (٤) من ظ و م، وفى الأصل: بالمحاسن.

(٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى الأصل: الرسل (٧) من ظ

و م، وفى الأصل: به (٨) سقط من م (٩) زيد من ظ و م.

عن شيء من القرآن سؤال شك و توقف و تلدد فيما بينهم و بين الرسول
صلى الله عليه و سلم و المؤمنين رضى الله عنهم ، و لشدة العجب سمي جداهم
و إنكارهم^١ و عنادهم - إذا تليت عليهم آياته و جليت بيناته - مطلق سؤال .
و لما نفخ ما يتساءلون عنه معجبا^٢ منهم فيه^٣ ، بينه بقوله لإعلاما
بأن ذلك الإيهام ما كان إلا للاعظام : (عن النبأ)^٤ أى من رسالة ه
الرسول و إتيانه بالكتاب المين ، و إخباره عن يوم الفصل ، و الشاهد
بكل شيء من ذلك الله باعجاز هذا الحديث ، و بوعده الجازم الحثيث .
و لما كان فى مقام التفخيم له ، وصفه تأكيداً بقوله : (العظيم لا)^٥ مع
أن النبأ لا يقال إلا لخبر عظيم [شأنه - ٢] ، ففى ذلك [كله - ٢] تنبيه
على أنه من حقّه أن يدعنه كل سامع و يهتم بأمره^٦ ، لا أن يشك فيه ١٠
و يجعله موضعاً للنزاع ؛ و عظم توبيخهم بقوله : (الذى هم)^٧ أى بضارهم
مع ادعائهم أنها أقوم الضمائر (فيه مختلفون^٨) أى شديد^٩ اختلافهم
و ثباتهم^{١٠} فبعضهم صدق و بعضهم كذب ، و المكذبون بعضهم شك
و بعضهم جزم و قال بعضهم : شاعر ، و بعضهم : ساحر - إلى غير ذلك
[من الأباطيل - ٢] ، و ذلك الأمر هو أمر النبى صلى الله عليه و سلم ١٥
الذى أهمه البعث بعد الموت اشتد التباسه عليهم و كثرت^{١١} مراجعتهم
فيه و مساءلتهم عنه مع^{١٢} عظمه و عظم ظهوره ، و العظيم لا ينبغي الاختلاف

(١) زيد فى الأصل : و عقايدهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

(٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : منه (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ،

و فى الأصل : به (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ثباتهم و اختلافهم .

(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كثرة (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فى .

فيه بوجهه، فإن ذا المروءة لا ينبغي له أن يدخل في أمر إلا وهو على بصيرة فكيف به إذا كان عظيماً فكيف به إذا تنهى عظمه فكيف به / إذا كان أهم ما يهمه فإنه يتعين عليه أن يبحث عنه غاية البحث و يطلب فيه الأدلة و يفحص عن البراهين و يستوضح الحجج حتى يهتد من أمره بعد 'علم اليقين' إلى عين اليقين من حين يبلغ مبلغ الرجال إلى أن يموت فكيف إذا كان بحيث تتلى عليه الأدلة و تجلى لديه قواطع الحجج و تجلب إليه الينات و هو يكابر فيها و يمارى^٢، و يعاند و يدارى .

/ ٦٤٢

قال الإمام أبو جعفر بن الزبير: سورة النبأ أما مطلقها فترتب على تساؤل^١ و استفهام وقع^٢ منهم و كأنه وارد هنا في معرض العدول ١٠ و الالتفات، و أما قوله " كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون " فتناسب للوعيد المتكرر في قوله "ويل يومئذ للكافرين" و كأن قد قيل: سيعلمون عاقبة تكذيبهم، ثم أورد تعالى من جميل صنعه و ما^٣ إذا اعتبره المعتبر علم أنه لم يخلق^٤ شيء منه^٥ عبثاً بل يعتبر به و يستوضح وجه الحكمة فيه، فلم أنه لابد من وقت ينكشف فيه الغطاء و يجازى الخلاق على نسبة من أحوالهم في الاعتبار و التدبير^٦ و الخضوع لمن نصب بمجموع

(١ - ١) تكرر ما بين الرقنين في الأصل فقط (٢) من ظ و م، وفي الأصل: تجلت (٣) من ظ و م، وفي الأصل: يمدى (٤ - ٤) من ظ و م، وفي الأصل: التساؤل (٥) من ظ و م، وفي الأصل: واقع (٦) من ظ و م، وفي الأصل: اما (٧ - ٧) من ظ و م، وفي الأصل: منه شيء (٨) من ظ و م، وفي الأصل: التدبير .

تلك الدلائل ، و يستشعر من تكرار الفصول و تجديد الحالات و إحياء الأرض بعد موتها ، جرى ذلك في البعث و اطراد الحكم ، و إليه الإشارة بقوله " كذلك نخرج الموتى " و قال تعالى منها على ما ذكرناه " الم نجعل الأرض مهادا - إلى قوله - و جنات الفاها " فهذه المصنوعات المقصود بها الاعتبار كما قدم ، ثم ' قال تعالى " ان يوم الفصل كان ه ميقاتا " أى موعدا لجزائكم لو اعتبرتم بما ذكر لكم اعلمتم منه وقوعه و كونه يقع جزاؤكم على ما سلف منكم « فويل يومئذ للكاذبين » و يشهد لهذا القصد بما بعد من الآيات قوله تعالى لما ذكر ما أعد للطاغين " انهم كانوا لا يرجون حسابا و كذبوا بآياتنا كذبا و كل شيء احصيناه كتابا " ثم قال بعد " ان للتقين مغازا حدائق و اعنابا " و قوله بعد " ذلك ١٠ اليوم الحق " و أما الحياة الدنيا فلعب و لهو و إن الدار الآخرة لهى الحيوان ، و قوله بعد " يوم ينظر المرء ما قدمت يداه و يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا " انتهى . و لما كان [الامر - ٢] من العظمة فى هذا الحد قال مؤكدا لأن ما اختلفوا فيه و سألوا عنه ليس موضعاً للاختلاف و التساؤل بأداة الردع ، فقال تهديدا لهم و توكيدا لو عيدهم : ﴿ كلا ﴾ ١٥ أى ليس ما سألوا عنه و اختلفوا فيه بموضع اختلاف أصلا ، و لا يصح أن يطرقة ريب بوجه من الوجوه فليزجروا عن ذلك و لا يرتدعوا قبل

(١) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يعد .

(٣) زيد من ظ و م ، و حيثما لا تذكر نسخة « م » فهذا يعنى أنها مطموسة

فى ذلك المكان (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لبيان .

حلول ما لا قبل لهم به .

و لما كان كأنه قيل : فهل^١ ينقطع ما هم فيه ؟ أجاب بقوله مهددا
 حاذفا متعلق العلم للتهويل لأجل ذهاب النفس كل مذهب : (سيعلمون^٢)
 أى يصلون / إلى حد يكون حالهم فيه فى ترك العناد حال العالم بكل
 ما ينفعهم ويضرهم ، وهذا عن قريب بوعد لاختلاف فيه^٣ ، ويكون لهم
 حينئذ عين اليقين الذى لا يستطيع دفاعه بعد علم اليقين الذى دافعوه ،
 وعظم رتبة هذا الردع والتهديد والزجر والوعيد بقوله : (ثم كلا)
 أى أن أمره فى ظهوره رادع عن الاختلاف^٤ فى أمره (سيعلمون^٥)
 أى بعد الموت بعد علمهم قبله ما يكون من أمره بوعد صادق لاشك
 ١٠ فيه ، و يصير حالهم إذ ذاك حال العالم فى كفهم عن العناد ، وهم بين
 ذلول و ذليل و حقير و جليل ، فأما من اخترناه منهم للإيمان فيكون
 ذلولاً ، و من اردنا شقاءه بالكفران قتره ناكساً ذليلاً ، و يشترك
 السكك بالذوق فى حق اليقين ، و [قد -^٦] كان هذا كما قال الجليل
 بعد زمن قليل عند ما أوقعتهم أيام الله وأرغمت منهم الأنوف^٧ و أذلت
 ١٥ الجباه ، و قراءة^٨ ان عامر على ما قيل عنه بتاء الخطاب أعظم فى^٩ الوعيد
 و أدل على^{١٠} الاستعطاف للتاب .

(١) من م ، و فى الاصل و ظ : هل (٢) فى م : له (٣) من ظ و م ، و فى
 الأصل : اختلاف (٤) ريد من ظ (٥) فى م : الأنف (٦) من ظ و م ، و فى
 الأصل : قرا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٨) من ظ و م ، و فى
 الأصل : و

و لما حقق^١ لهم أمره تحقيق من هو على غاية الوثوق بما يقول ،
 دل على ذلك بما لا يحتمل شكاً ولا وقفة أصلاً ، فقال مقرراً لهم و منكراً
 عليهم التساؤل [بما ندب إليه من التأمل و قرر به من النظر في باهر
 آياته و غرائب مخلوقاته التي أبدعها -^٢] من العدم دلالة تامة عظيمة على
 كمال القدرة مع تمام الحكمة الموجب للقطع بكل ما نهت عليه الرسل ه
 من الشرائع و البعث و الجزاء بادئاً بما هم [له -^٣] أشد ملابسة و هو
 الظرف : (الم نجعل) أى بما لنا من العظمة (الارض مهذا) أى
 فراشا لكم موطناً مذكلاً يمكن الاستقرار عليه لتصرفوا فيها كيف شئتم
 (والجبال) أى تعرفون شدتها و عظمتها و عجزكم عن أقل شيء من
 أمورها (اوتاداً) تثبتها كما أن البيت لا يثبت إلا بأوتاده ، قال الأوفى ١٠
 الأودى :

و البيت لا يبنى إلا له عمد و لا عماد إذا لم ترس أوتاد
 و ذلك لثلاثيمد [بكم -^٢] فانها معلقة على فضاء العلم بمسكة يد القدرة ،
 فلولا الجبال لعظم ثقلها لأنها بمنزلة السفينة العالية الفارغة على متن البحر
 فهي في غاية الحركة لاسيما إذا عظمت الريح فانها حينئذ لا يستقر عليها ١٥
 قائم و لا يثبت قاعد و لا نائم^٣ ، فالجبال بمنزلة الامتعة الثقيلة التي تنزلها في
 الماء فتحفظ عن^٤ كثرة الثقل فكيف يصح بوجه أن يتوقف في إخبار

(١) من ظ ، وفي الأصل : احق ، وفي م : حق (٢) زيد من ظ (٣) زيد من
 ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : لأنها (٥) من ظ و م ، وفي الأصل :
 قائم (٦-٧) من ظ و م ، وفي الأصل : فتحفظها من .

من هذه قدرته لاسيما إذا كان ذلك المخبر به بما ركز سبحانه أمره في
الفطر الأولى وقرر صحته في العقول التقرير الأوضح الأجل .

ولما ذكر بما في الظرف الذي هو فرشهم من الدلالة على تمام
القدرة ، أتبعه التذكير بما في المظروف وهو أنفسهم لتجتمع آيات الانفس
هـ و الآفاق فيتبين لهم أنه الحق فقال : ﴿ وخلقنكم ﴾ أى بما دل على
ذلك من مظاهر العظمة ﴿ ازواجاً ﴾ طوالاً وقصاراً وحساناً ودماماً
وذكرانا وإناثا لجميع أصنافكم على تباعد / أقطارهم وتنائي ديارهم لتدوم
أنواعكم إلى الوقت الذى يكون فيه انقطاعكم^٢ .

/ ٦٤٤

ولما ذكر ما هو سبب إبقاء النوع ، ذكر ما هو سبب لحفظه^٣
١٠ من إسراع الفساد فقال : ﴿ وجعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ نومكم ﴾
الذى ركبنا البدن على قبوله ﴿ سباتاً ﴾ [أى -^٤] قطعاً عن الإحساس
والحركة التى أتعبتكم فى نهاركم مع^٥ الامتداد والاسترسال إراحة للقوى
الحيوانية والحواس الجثمانية^٦ وإزاحة لكلاهما^٧ مع أنه قاطع لكمال الحياة ،
فهو مذكر^٨ بالموتة الكبرى^٩ والاستيقاظ مذكر بالبعث ، قال الزجاج^{١٠} :
١٥ السبات أن ينقطع عن الحركة والروح فيه .

(١) زيد فى الأصل : القدرة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٢) من
ظ و م ، وفى الأصل : انقطاعكم (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : حفظه .
(٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٦) من ظ و م ، وفى
الأصل : الجسمية (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لكلاهما (٨-٨) من ظ و م ،
وفى الأصل : بالموت الكبير (٩) راجع العالم ١٦٦/٧ .

ولما

(٤٩)

١٩٦

ولما ذكر النوم، اتبعه وقته الالقي به مذكرا بنعمة الظرف الزمانى
بعد التذكير بالظرف المكانى، فقال دالا^١ بمظهر العظمة على عظمه:
(وجعلنا آلبل) أى بعد ذهاب الضياء حتى كأنه لم يكن (لباسا) أى
غطاه و غشاه ساترا بظلمته^٢ ما أتى عليه عن العيون كما يستتره اللباس
لتسكنوا فيه عن المعاش (وجعلنا النهار) أى الذى آيته الشمس ه
(معاشا) أى وقتا للتقلب الذى هو من أسباب التحصيل الذى هو
من أسباب المعاش، وهو العيش و وقته وموضعه، ومظهرها لما استره الليل،
فالآية من الاحتباك: ذكر اللباس أولا دليلا على حذف ضده ثانيا،
و المعاش ثانيا دليلا على حذف ضده أولا .

ولما ذكر المهاد وما فيه، أتبعه السقف الذى بدورانه يكون الوقت ١٠
الزمانى وما يحويه من القناديل الزاهرة و المنافع الظاهرة لإحياء المهاد
ومن فيه من العباد فقال: (وبنينا) أى بناء عظيم (فوقكم) أى عاما
لجميع جهة فوق، وهى عبارة تدل على الإحاطة (سبعا) أى من
الساوات (شدادا) أى هى فى غاية القوة والإحكام، لاصدع فيها
ولا فتق، لا يؤثر فيها كالعصور ولا مر الدهور، حتى يأتى أمر الله باظهار ١٥
عظائم^٣ المقدور .

ولما ذكر السقف، ذكر [بعض -^٤] ما فيه [من أمهات المنافع -^٥]
فقال دالا بمظهر العظمة على عظمها: (وجعلنا) أى مما لا يقدر عليه غيرنا

(١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٢) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن
فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، وفى الأصل: عظام (٤) زيد من ظ و م .

(سراجا) اى نجمها منيرا جدا (وهاجاسيلا) اى هو مع تلاتوّه وشدة ضيائه حار مضطرم الاتقاد وهو الشمس، من قولهم: وهج الجوهر: تلاتلا، والجمر: اتقد.

ولما ذكر ما يمحى الرطوبة بحرارته، أتبعه ما يطفى الحرارة برطوبته و برودته فبنشأ عنه المأكّل والمشرب، التى بها تمام الحياة ويكون تولدها من الظرف بالمهاد والسقف، وجعل ذلك أشبه شىء بما يتولد بين الزوجين من الأولاد، فالسما كالزوج والارض كالمرأة، والماء كالنّى، والنبات من النجم [والشجر - ٢] كالاولاد فقال^١: (وانزلنا) اى بما يعجز غيرنا (من المعصرات) اى السحاب التى أثقلت بالماء فشارفت أن يعصرها الرياح فتطر كما حصد الزرع - إذا حان له أن يحصد، قال الفراء: المعصر^٢: السحابة التى تتحلّى بالمطر ولا تمطر كالمرأة المعصرة / وهى التى دنا حيضها ولم تحض، [و - ٢] قال الرازى: السحاب التى دنت أن تمطر كالمعصرة التى دنت من الحيض (ماء نجا جالا) اى منصبا بكثرة يتبع بعضه بعضا، يقال: نجه ونجج بنفسه.

/ ٦٤٥

ولما ذكر بدايته، أتبعها^٣ نهايته فقال: (لنخرج) اى بعظمتنا التى ربطنا بها المسيات بالاسباب (به) اى الماء [تسييا - ٢] (جبا)

(١ - ١) من ظ و م، وفى الأصل: الذى (٢) من ظ و م، وفى الأصل: تولد (٣) زيد من ظ و م (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م، وفى الأصل: تشاوقت (٦) راجع البحر المحبط ٤٠٩/٨ (٧) من ظ و م، وفى الأصل: المعصرات (٨) من ظ و م، وفى الأصل: واتبعه.

أى بجما ذا حب هو مقصوده لأنه يقتاته العباد، صرح به لأنه المقصود
وبدا به لأنه القوت الذى به البقاء كالخطة والشعر وغيرهما ﴿وبانالاً﴾
يتفكهون ويتزهون فيه وتعلقه البهائم. ولما كان من المشاهد
الذى لا يسوغ إنكاره أن فى الأرض من البساتين ما يفوت الحصر،
عبر بجمع^٢ القلة تحقيراً له بالنسبة إلى باهر العظمة وناقد الكلمة فقال: هـ
﴿وجئت﴾ أى بساتين نجمع أنواع الأشجار والنبات المقتات وغيره
﴿الفاقاه﴾ أى ملتفة الأشجار مجتمعة بعضها إلى بعض من شدة الرى،
جمع لف كجذع^٤، قال البغوى^٥: وقيل: هو جمع الجمع، يقال: جنة
لقاء، وجمعها لف - بضم اللام، وجمع الجمع ألقاف. وتضمن هذا
الذى ذكره المياه التابعة الجارية والواقفة، فاكفى بذكره عن ذكرها، ١٠
قال مقاتل: وكل من هذا الذى ذكر أعجب من البعث.

ولما^١ ذكر^٢ ما دل^٣ على غاية القدرة ونهاية الحكمة فدل قطعاً على
الوحدانية لأنه لو كان التعدد لم تكن الحكمة ولم تتم القدرة، فأثمر المحبة لمن
اتصف بذلك، فأتج للطائع الشوق إلى لقائه والتراعى إلى مطالعة كمال
نعمائه، وللعاصى ما هو حقيق به من الخوف من لقائه ليرده [ذلك - ^٤] ١٥

(١) من ظ و م، وفى الأصل: يعلقه (٢) من ظ و م، وفى الأصل: بجميع.
(٣) زبدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فخذناها (٤) من ظ و م،
وفى الأصل: كزرع (٥) فى معالم التنزيل ١٦٧/٧ (٦) زيد فى الأصل: كان ما،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٧ - ٧) من ظ و م، وفى الأصل:
دلالة (٨) زيد من ظ و م.

عن إعراضه وإيائه ، أتبعه ما أعلم انه ما ذكره إلا للدلالة على النبأ العظيم في لقاء العزيز الرحيم ، فقال مبتجيا عما مضى من الوعيد وما دل على تمام القدرة مؤكدا لأجل إنكارهم : ﴿ ان يوم الفصل ﴾ [أى - ١] الذى هو النبأ العظيم ، و تقدم الإنذار به فى المرسلات وما خلق الخلق إلا لجمعهم^٥ فيه وإظهار صفات الكمال ليفصل فيه^٦ بين كل ملبس فضلا لا شبهة فيه و يؤخذ للظلم من الظالم ﴿ كان ﴾ أى فى علم الله وحكمته كونا لا بد منه جعل فيه كالجبل فى ذرى الأرواح ﴿ ميقانا ﴾ أى حدا يوقت به الدنيا وتنتهى عنده مع ما فيها من الخلاق .

ولما ذكره ، ذكر ما فيه تعظيما له وحثا على الطاعة فقال مبدلا منه ١٠ أو مبينا له : ﴿ يوم ﴾ ولما كان الهائل المفزع النفخ ، لا كونه من معين ، بنى للفعول قوله : ﴿ ينفخ ﴾ أى من نافخ أذن الله له ﴿ فى الصور ﴾ وهو قرن من نور على ما قيل سعتة أعظم بما بين السماء والأرض ، وهى نفخة البعث وهى الثانية من النفخات الأربع * كما مر فى آخر الزمر^٧ ، ولذلك قال : ﴿ قاتون ﴾ أى بعد القيام من القبور إلى الموقف^٨ ١٥ أحياء كما كنتم أول مرة لا تفقدون من أعضائكم وجلودكم وأشعاركم وأظفاركم^٩ و ألوانكم الأصلية شيئا يجمعكم من الأرض بعد أن تمزقتم

/ ٦٤٦

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لجمعهم (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : به (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اذل (٥-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : على ما مر فى سورة الزمر فى آخرها (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : موقف (٧) زيد فى الأصل : و اطلاقكم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

فيها، واختلط تراب من بلى منكم بترابها و تراب بعضكم ببعض، وتميز ذلك وجمعه وتركيبه كما كان وإعادة الروح فيه يسير عليه سبحانه وتعالى كما فعل ذلك كله من نطفة بعد أن فعله في آدم عليه السلام من تراب لا أصل له في الحياة، حال كونكم ﴿ افواجاً ﴾ أى أمما وزمرا وجماعات مشاة مسرعين كل أمة بامامها، روى الثعلبي وابن مردويه عن البراء^١ رضى الله عنهم - وقال شيخنا ابن حجر في ترجمة محمد ابن زهير في لسان الميزان^٢: إنه ظاهر الوضع - أن معاذاً رضى الله عنه سأل عن هذه الأفواج فقال النبي^٣ صلى الله عليه وسلم: إن أمتي تحشر على عشرة أصناف: على صور^٤ القردة، وعلى صور^٥ الخنازير، وبعض منكسون يسحبون على وجوههم، وبعض عمي وبعض صم^٦ بكم، وبعض^٧ يمضغون ألسنتهم، فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرم أهل الجمع، وبعض منقطعة^٨ أيديهم وأرجلهم، وبعض مصلوبون^٩ على جذوع من نار، وبعض أشد تناساً من الجيف، وبعض ملبسون جبابا [سابقة - ^{١٠}] من قطران لازقة بجلودهم،^{١١} فسرهم بالقتات^{١٢} وآكل السحت وأكلة الربا والجارين^{١٣} في الحكم والمعجيبين بأعمالهم والعلماء^{١٤}

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : البزار (٢) راجع ١٧٠/٧ (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : قال (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : صورة (٥) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : منقطع . (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : مصلوبون (٨) زيد من ظ و م (٩ - ١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : فسر بالقيفات (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : الجبارين .

الذين يخالف 'قولهم فعلهم' و المؤذين للجيران و الساعين بالناس
 للسلطان، و التابعين للشهوات المانعين حق الله تعالى و المتكبرين خيلاء .
 و لما ذكر الآية في أنفسهم ذكر ^٢ بعض آيات ^٢ الآفاق، و بدأ
 بالعلوى لانه أشرف فقال بانيا للفعول لأن ^٢ المفزع مطلق التفتيح،
 ه و لأن ذلك أدل على قدرة الفاعل و هو أن 'الأمور عليه : (و فتحت السماء)
 أى شقق هذا الجنس تشقيقا كبيرا، و قرأ الكوفيون بالتخفيف لأن
 التكثير* يدل عليه ما سيب عن الفتح من قوله : (فكانت) أى
 [كلها - ^١] كينونة كأنها جلة لها (ابوابا لا) أى كثيرة جدا لكثرة
 الشقوق الكبيرة* بحيث صارت كأنها لاحقيقة لها إلا الأبواب .

١٠ و لما ذكر السقف، ذكر أقرب الأرض إليه و أشدها، فقال على
 طريقة كلام القادرين أيضا : (و سirt) أى حملت بأيسر أمر على
 السير (الجبال) على ما تعلمون من صلابتها و صوبتها فى الهواء كأنها
 الهباء المنثور، و على ذلك دل قوله : (فكانت) أى كينونة راسخة
 (مراباة) أى لا نرى فيها إلا خيالا يترأى* و هى سائرة تمر مر السحاب
 ١٥ ثم تخفى لتناثر أجزائها كالهباء - يا لها من عظمة تجب لها القلوب
 و تتعظم / الكروب

/ ٦٤٧

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل : فعلهم قولهم (٢-٢) من ظ و م، و فى
 الأصل : الآيات (٣) من ظ و م، و فى الأصل : لانه (٤) من ظ و م، و فى
 الأصل : أهون (٥) من ظ و م، و فى الأصل : النكر (٦) زيد من ظ و م .
 (٧) من ظ، و فى الأصل و م : الكثيرة (٨-٨) فى ظ و م : هو سائرهم .

و لما

ولما بين ان يوم الفصل هو النبا العظيم بعد ان دل عليه و ذكر
ما فيه من المسير ، ذكر ما إليه من الدارين المصير ، فقال بعد التذكير
بما في الجبال من العذاب بحزوتها^١ وما فيها من السباع والحشرات
والاشجار الشائكة والقواطع المشابهة وغير ذلك من عجائب التقدير
مؤكدًا^٢ تكذيبهم : (ان جهنم) أى النار التى تلقى أصحابها متجهة لهم^٣
بغاية ما يكرهون (كانت) أى^٤ جلة و^٥ خلقا (مرصادا^٦) أى موضع
رصد^٧ لأعداء الله ترصدهم فيها خزنة النار ، فاذا رأوهم كرسوم فيها ،
ولأولياء الله^٨ ترصدهم فيها خزنة الجنة لإنجائهم^٩ من النار^{١٠} عند ورودها
أوهى راصدة بليغة الرصد للكفار حتى صارت مجسدة^{١١} من الرصد^{١٢}
لتجمع أصحابها فلا يفوت منهم واحد كالمطعمان لكثير الطغن ، والمكثار^{١٣}
للبالغ^{١٤} فى الإكثار ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن على جسر جهنم
سبعة^{١٥} محابس يسئل عند^{١٦} أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله ، فان جاء بها
تامة جاز إلى [الثانى فيسئل عن الصلاة ، فان جاء بها تامة جاز إلى الثالث

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : يحرونها (٢) زيد فى الأصل : لانكارهم معجبا ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) سقط من ظ و م (٤) تكرر فى
الأصل فقط (٥-٥) من م ، وفى الأصل وظ : اما اولياء الله فان الجنة ترصدهم .
(٦-٦) فى ظ و م : منها (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : للرصد (٨) من ظ
و م ، وفى الأصل : ابكثير المبالغ (٩) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفها (١٠) من ظ ، وفى الأصل و م : سبع (١١) من
ظ و م ، وفى الأصل : على .

فيستل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز إلى -^١ [الرابع فيستل عن الصوم، فان جاء به تاما جاز إلى الخامس فيستل عن الحج، فان جاء به تاما جاز إلى السادس فيستل عن [العمرة فان جاء بها تامة جاز إلى السابع فيسأل عن -^٢] المظالم، فان خرج منها وإلا قيل: انظروا فان كان له تطوع
 ٥ تكمل به أعماله. فاذا فرغ انطلق به إلى الجنة.

ولما كان درء المفسد أولى من جلب المصالح، قدم ذكر المخوف فقال: (لظنن) أى المجاوزين^٣ لحدود الله^٤ (مأبلا) أى مرجعا ومأوى بعد أن كان الله ذراهم لها فكأنهم كانوا فيها ثم ميامم للخروج منها والبعث عنها بفطرم الأولى، ثم بما ازل الله من الكتب و^٥ أرسل من الرسل^٦ فكانه بذلك أخرجهم منها، ثم رجعوا إليها بما أحدثوا من التكذيب.

ولما^٧ ذكر مصيرهم إليها ذكر^٨ إقامتهم فيها فقال حالا من ضمير "الطاغين": (للبئين فيها) ولما كان جمع القلة يستعار للكثرة فكان الحقب يطلق على الزمان من غير حد، ويطلق على زمان محدود، فقيل على ثمانين سنة، وعلى سبعين ألف سنة، فكان السياق من تصدير السورة بالنباء وبوصفه مع التعبير بالنبا العظيم^٩ وما بعد ذلك يفهم أن المراد

(١) زيد من ظ وم (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ وم، وفي الأصل: الحدود.
 (٤) من ظ وم، وفي الأصل: لها (٥-٥) من ظ وم، وفي الأصل: الرسل
 الدين أرسلها (٦) من ظ وم، وفي الأصل: ثم (٧) من ظ وم، وفي
 الأصل: ذاكر (٨) من ظ وم، وفي الأصل: لكثرة (٩) في م: بالعظيم.

الدوام إن أريد ما لا حذله و أن المراد إن أريد المحدود جمع الكثرة،
 وأكثر ما فسر به^١ الحقب، و أنه للبالغة^٢ لا التحديد، كان جمع القلة هنا
 غير مشكل، فمن حمله على ما دون ذلك فكفاه زاجرا لم يضره التعبير
 [به-٣]، و من اجتراً عليه و استهان به كان فتنة له كما كان حصر
 عدد الحزنة للنار تسعة عشر^٤ فلم يضر إلا نفسه، فلذلك عبر عن ظرف ه
 اللبث بقوله^٥: ﴿ احقاباً ٥ ﴾ أى دهوراً عظيمة متتابعة لا انقضاء لها
 على أن التعبير به - ولو حمل على الأقل و جعل مقتضياً - لا ينافي
 ما صرح فيه بالخلود لانه أثبت شيئاً و لم ينف ما فوه، و عن الحسن^٦ أنه
 [قال-٧]: لا يكاد يذكر الحقب إلا حيث يراد تتابع الأزمنة / و تواليها
 من غير انقضاء .

١٠

و لما كان المسكر لا يصلح إلا بالاعتدال و الماء الذى هو حياة كل
 شىء، قال ذاكرًا حال هذا اللبث: ﴿ لا يذوقون ﴾ أى ساعة ما^٨ فكيف
 بما فوق الذوق ﴿ فيها ﴾ أى النار خاصة، و كأنه أشار بتقديمه^٩ إلى أنهم
 يذوقون فى دار أخرى الزمهرير ﴿ برداً ﴾ أى روحاً و راحة لنفهم
 من الحر أو مطلق البرد ﴿ و لا شراباً ١٠ ﴾ من ماء أو غيره يغنيهم من العطش ١٥

- (١) من ظ و م، و فى الأصل: فيه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: البالغة .
 (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: تسعة عشر (٥) زيد فى
 الأصل: فيها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) راجع العالم ١٦٧/٧ .
 (٧) زيد من ظ (٨) من ظ و م، و فى الأصل: من الساعات (٩) من ظ
 و م، و فى الأصل: تبغلية .

على حال من الاحوال ﴿الاي﴾ 'حال كون ذلك اشراب ﴿حما﴾ اى
ماء حارا يشوى الوجوه قد انتهى حره ﴿و﴾ حال كون ذلك الشراب
مع حرارته، أو البرد ﴿غساقا﴾ اى عصارة اهل النار من القيقح
والصديد البارد المتن، فالاستثناء على هذا موزع الحميم من الشراب
٥ والفساق من البرد، فالحميم شرابهم فى دولة السعير، و الفساق فى
دولة الزمهير .

ولما حكم عليهم بهذا العذاب [الذى لا يطاق، ذكر حكمته - ٢]
فقال، أنه جزاءهم بذلك ﴿جزاء وفاقا﴾ اى ذا وفاق لاعمالهم لأنهم
كانوا يأخذون أموال الناس فيحرقون صدورهم عليها و يبردون بها الشراب
١٠ و يصفونه و يخرونه، فهم يحرقون الآن بعصارة غيرهم المنتنة، وكأنهم
بعد الاحقاب - إن جعلت منقضية - يدلون عذابا غير الحميم و الفساق،
ثم [علل - ٢] عذابهم بقوله، مؤكدا تنبيها على ان الحساب من الوضوح
بحالة 'يصدق به' كل أحد، فلا يكاد يصدق ان أحدا يكذب به فلا
يجوزه فقال: ﴿انهم كانوا﴾ اى بما هو لهم كالجلبة التى لا تقبل غير
١٥ ذلك فهم يفسدون القوى العلية بأنهم ﴿لا يرجون﴾ اى فى حال من
الاحوال ولورأوا كل آية ﴿حسابا﴾ فهم لا يعملون^١ بغير الشهوات،

(١) زيد فى الأصل : اى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لغذناها (٢) سقط
من ظ (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : نجبرا، ولم تكن الزيادة فى
ظ و م لغذناها (٥) من ظ و م، وفى الأصل : جازاهم (٦) من ظ،
وفى الأصل و م : اعمالهم (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل : يصدق فيه (٨) من
ظ و م، وفى الأصل : لا يعلمون .

فوافق هذا خلودهم في النار ، وعبر عن تكذيبهم بنفي الرجاء لأنه ابلغ ،
وذلك لأن الإنسان يطمع في الخير بأدنى احتمال .

ولما دل^١ انتفاء رجائهم على تكذيبهم المفسد للقوة العلية ، صرح
به على وجه أعم فقال : ﴿ وكذبوا بآياتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة
الدالة^٢ أنها من^٣ عندنا ﴿ كذابا ﴾ أى تكذبا هو في غاية المبالغة بحيث ه
لو سمعوا أكذب^٤ الكذب ما كذبوا به^٥ كما كذبوا بها ، فكان^٦ تجريعهم لما
لا يصح^٧ أن يشربه أحد^٨ - وإن جرع منه [شيئا -^٩] مات في
الحال من غير موت - لهم جزاء على تكذيبهم بالحوارق التي يجرعون
بها الصادقين أنواع "الحرق ، وقرئ" بالتخفيف للدلالة على أنهم كذبوا
في تكذيبهم .

١٠

ولما كان التقدير : فكل شيء جعلناه وزانا ، عطف عليه قوله :
﴿ وكل شيء ﴾ أى مطلقا من أعمالهم وغيرها أو كل ما يقع عليه الحساب

-
- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : احتماله (٢) من م ، وفي الأصل وظ ادلت .
(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : ادال (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : على .
(٥) من ظ و م ، وفي الأصل : اكذ (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بها .
(٧) زيد في الأصل : فكان تقرينهم بما لا يوصف و : ولم تكن الزيادة في ظ
وم فخذناها (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : لا يوصف أيضا (٩) زيد في
الأصل : ويجزج منه ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (١٠) زيد من
ظ و م (١١-١١) من ظ و م ، وفي الأصل : الحرب و فراء .

(احصينه) ولما كان / الإحصاء موافقا للكتابة^١ في الضبط ، أكد^٢ فعله بها فقال : (كتب^٣) فلا جائز أن نترك شيئا من الأشياء بغير جزاء ، ويمكن تنزيل الآية على الاحتباك وهو أحسن : دل^٤ فعل الإحصاء على حذف مصدره ، وإثبات مصدر " كتب " عليه^٥ أى أحصيناه إحصاء ٥ وكتبناه^٦ كتابا ، وذلك الإحصاء والكتب لعدم الظلم .

ولما ذكر عذابهم ووجه موافقته لجزائهم ، سبب عن تكذيبهم ما يقال لهم بلسان الحال أو^٧ المقال إهانة وزيادة في الجزاء على طريق الالتفات المؤذن بشدة^٨ الحزى و^٩ العصب عليهم^{١٠} وكال القدرة^{١١} له سبحانه وتعالى^{١٢} فقال ، ويجوز أن يكون سببا عن مقدر بعد " كتابا " [نحو^{١٣}] : ١٠ ليجازيهم على كل شيء منه ، قاتلا لهم^{١٤} على لسان^{١٥} الملائكة أو لسان الحال : (فذوقوا) أى من هذا العذاب في هذا الحال بسبب تكذيبكم بالحساب ، وأكد ذوقهم في الاستقبال فقال : (فلن نزيدكم) أى شيئا من الأشياء [في وقت من الأوقات -^{١٦}] (الا عذابا^{١٧}) فان داركم ليس بها إلا الجحيم كما أن الجنة ليس بها إلا النعيم ، فأفهم هذا ان حصول^{١٨} شيء . ١٥ لهم غير العذاب محال .

(١-١) من ظ و م ، وفي الأصل : بالضبط (٢) زيد في الأصل : عليه أى على ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : عليهم . (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : كتبنا (٥) من ظ ، وفي الأصل و م « و » . (٦-٦) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٧) سقط من ظ و م (٨) زيد من ظ . (٩) زيد من ظ و م (١٠) تكرر في الأصل فقط .

ولما ذكر جزاء الكافرين وأشر آخره بكونه إخراجاً ، ذكر جزاء المؤمنين المخالفين لهم فقال مستأنفا مؤكداً لتكذيب الكافرين به :
 ﴿ ان للتقين ﴾ أى الراسخين فى الخوف المقتضى لاتخاذ الوقاية بما يخاف فوقوا أنفسهم من سخط الله بما يرضيه من الأعمال والأقوال والأحوال
 ﴿ مفازاً ﴾ أى فوزاً وموضع فوز وزمان فوز بالراحة الدائمة من هـ
 جميع ما مضى ذكره للطاعين الذين هم أضدادهم ، وقد كشفوا أنفسهم للعذاب كل الكشف ، ثم فسره أو أبدل منه على حذف مضاف [أى فوز - ١] :
 ﴿ حدائق ﴾ أى بساتين فيها أنواع الأشجار ذوات الثمار والرياحين لتجمع مع لذة المطعم لذة ^٢ البصر والشم ^٢ ، قد أحدثت بها الجدران وحوطت بها ، قال ابن جرير ^٣ : فان لم تكن بحيطان محدقة بها لم يقل لها ١٠
 حديقة . وخص أشجار العنب لطيبها وحسنها وشرفها وما فيها من لذة الذوق ، وعبر عن أشجارها بثمرتها إعلالاً بأنها لا توجد إلا موقرة حملاً وأن ثمرتها هى [جل - ١] منفعتها فقال : ﴿ واعتاباً ﴾ .

ولما ذكر المساكن النزهة المؤنقة المعجبة ، ذكر ما يتمتع به وهو جامع
 لالذائ الحواس : البصر واللس والذوق ^٤ فقال : ﴿ وكواعب ﴾ أى ١٥
 نساء كعبت ثديهن ﴿ أرباباً ﴾ أى على سن واحد ماس جلد واحدة التراب قبل الأخرى ، بل لو كن مولودات لكانت ولادتهن فى ان واحد .

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الشم والبصر .
 (٣) راجع جامع البيان ١١/٢٩ (٤) زيد فى الأصل : والشم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

ولما ذكر النساء ذكر الملائم لعشرتهن فقال : ﴿ وكاسا ﴾ [اى - ١]
من الخمر التى لأمثل لها فى لذة الذوق ظاهرا و باطنا و كمال السرور
وإنعاش^٢ القوى . ولما كانت العادة [جارية - ١] بأن الشراب الجيد
يكون قليلا ، دل على / كثرته دليلا على جودته بقوله : ﴿ دهاقا ﴾
ه اى بمثلة .

/ ٦٤٩

ولما كانت مجالس الخمر فى الدنيا بمثلة بما ينقصها من اللغو والكذب
٢ إلا عند من^٢ لا مروءة له فلا ينقصه القبيح ، قال نافيا عنها ما يكدر
لذة السمع : ﴿ لا يسمعون فيها ﴾ أى الجنة فى وقت ما ﴿ لغوا ﴾ أى لغطا
يستحق أن يلغى لانه ليس له معنى أعم من أن يكون مهملا ليس
١٠ له معنى أصلا ، أو مستعملا ليس له معنى موجود فى الخارج وإن قل ،
أوله معنى ولكنه لا يترتب [به - ٠] كبير فائدة . ولما اتقى الكذب
بهذه الطريقة ، [و - ١] كان التكذيب ذى للكذب ، فناه بقوله :
﴿ ولا كذبا ﴾ فان هذه الصيغة تقال على التكذيب [ومطلق
الكذب - ١] ، فصار المعنى : ولا أذى بمعارضة فى القول ، مع موافقة قراءة
١٥ الكسائى بالتخفيف فان معناها كذبا أو مكاذبة ، وشدد فى قراءة الجماعة
لرشفة اللفظ وموازنة " اعتابا و آرابا " مع الإصابة لحاق المعنى من^٣
غير أدنى جور عن القصد ولا تكلف بوجه ما^٤ .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الفاظ (٣-٣) من ظ
وم ، وفى الأصل : من لا من (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : نافعا .
(٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : فى (٧) سقط من م .

ولما كان العطاء إذا كان على المعاوضة كان أطيب لنفس الآخذ
قال: ﴿ جزاء ﴾ وبين أنه ما جعله جزاء لهم إلا إكراما للنبي صلى الله
عليه وسلم فانه سبحانه لا يجب 'عليه لأحد' شيء لأن أحدا لا يمكنه أن
يوفي شكر نعمة من نعمه فان عمله من نعمه فقال: ﴿ من ربك ﴾ أى
المحسن إليك باكرام 'أمتك بأنواع الإكرام، وفى ﴿ عطاء ﴾ إشارة هـ
إلى ذلك وهو بذل من غير جزاء ﴿ حسابا ﴾ أى على قدر الكفاية
وإن فعل الإنسان منهم ما فعل وحسب جميع أنواع الحساب، من قولهم:
أعطاه فأحسبه - إذا تابع عليه العطاء وأكثره حتى جاوز^٢ العد وقال:
حسبى، لا يمكن أن يحتاج مع هذا العطاء وإن زاد فى الإفاق، واختير
التعبير به دون " كافيا " مثلا لأنه أوقع فى النفس، فانه يقال: إذا كان ١٠
هذا الحساب فما الظن بالثواب -

ولما ذكر سبحانه سعة فضله، وصف نفسه الأقدس بما يدل على
عظمته زيادة فى شرف المخاطب صلى الله عليه وسلم لأن عظمة العبد
على حسب عظمة السيد، فقال مبدلا على قراءة الجماعة وقاطعا بالرفع على
المدح عند الحجازيين وأبى عمرو: ﴿ رب السموات والارض ﴾ أى ١٥
مبدعها ومديرهما ومالكهما ﴿ وما بينهما ﴾ ملكا وملكاه. ولما شمل^٣
(١-١) من م، وفى الأصل وظ: لأحد عليه (٢) من م، وفى الأصل وظ:
باكرم (٣) زيد فى الأصل: الحدو، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحدفتها.
(٤) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحدفتها.

ذلك العرش وما دونه^١، علله بقوله: ﴿الرحمن﴾ أى الذى له الإنعام العام الذى أدناه الإيجاد، وليس ذلك لأحد غيره، فإن الكل داخل فى ملكه وملكه، ولذلك قال دالا على الجبروت بعد صفة الرحمة: ﴿لا يملكون﴾. أى أهل السماوات والأرض ومن بين ذلك أصلا دائما فى وقت من الأوقات فى الدنيا ولا فى الآخرة لا فى يوم بعينه: ﴿منه﴾ أى العام النعمة خاصة ﴿خطابا ج﴾ أى أن يخاطبوه أو يخاطبوا غيره بكلمة فما فوقها فى أمرهم / فى غاية الاهتمام به بما أفاده التعبير بالخطاب، / ٦٥٠ فكيف بما دونه^٢ وإذا لم يملكوا ذلك منه فمن و الكل فى ملكه وملكه؟ وعدم ملكهم لأن يخاطبهم مفهوم موافقة، والحاصل أنهم لا يقدرّون على خطاب ما من ذوات أنفسهم كما هو شأن المالك. وأما غيره فقد يملكون أن يسكروه^٣ على خطابهم وأن يخاطبوه بغير إذن من ذلك [الغير - ^٤] ولا رضى وبغير تمليك منه لهم لأنه لا ملك له، وإذا كان هذا فى^٥ الخطاب فما ظنك بمن يدعى الوصال بالاتحاد - عليهم اللعنة ولهم سوء المآب، ما أجرأهم على الاتحاد! وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري: كيف يكون للكون المخلوق والفقير المسكين مكتنة تملك منه خطابا^٦ أو تنفس نفسا^٧ كلا بل هو الله الواحد الجبار .

(١) من ظ و م، وفى الأصل: دونهما (٢) من ظ و م، وفى الأصل: دونهم (٣) من ظ و م، وفى الأصل: يكون (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، وفى الأصل: من (٦) من ظ و م، وفى الأصل: باتحاد (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: تنفس تنفسا (٨) من ظ و م، وفى الأصل: الاحد.

ولما كان هذا ربما أفهم سد باب الشفاعة عنده سبحانه ، وكان الكلام إنما ينشأ من الروح ، وكان الملائكة أقرب شيء إلى الروحية ، أكد هذا المعنى مزجيلا ما^١ قد يوهمه في الشفاعة سواء قلنا : إن الروح هنا جنس أم^٢ لا ، فقال ذاكرنا ظرف ” لا يتكلمون “ : (يوم يقوم الروح) أى هذا الجنس أو خلق من خلق الله عظيم الشأن جدا ، قيل : هو ه الملك^٣ الموكل بالارواح أو جبرئيل عليه السلام ، أو القرآن المشار إليه بمثل قوله تعالى ” تنزل الملائكة والروح [من أمره -^٤] “ ” وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا “ - قاله ابن زيد (و الملائكة) أى كلهم ، ونبه بالاصطفا على شدة الأمر فقال : (صفالاء) للقاء ما في ذلك اليوم من شدائد الأحوال و لحفظ الثقلين وم في وسط دائرة صفهم ١٠ من الموج^٥ والاضطراب لعظيم ما هم فيه ، ثم زاد الأمر عظما بذكر العامل في لا يوم “ فقال : (لا يتكلمون) أى من تقدم كلهم بأجمعهم فيه بكلمة واحدة مطلق كلام خطابا كان أى في أمر عظيم أو لا ، لاله سبحانه ولاغيره أصلا و [لا -^٦] أحد منهم ، ويجوز أن يكون هذا حالا لهؤلاء الخواص فيكون الضمير لهم فغيرهم بطريق الأولى ١٥ (” من اذن له) أى في الكلام إذنا خاصا (الرحمن) أى الملك الذى لا تكون نعمه على أحد من خلقه^٧ إلا منه (وقال صواباه) فان

(١) من ظ و م . وفي الأصل : بما (٢) في ظ و م : او (٣) سقط من م .
 (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : المدح (٦-٧) سقط ما بين الرئين من ظ و م

لم يحصل الأمر إن لم يقع الكلام من أحد منهم أصلاً ، وهذا كالدليل على آية الخطاب بأنه إذا كان الروح و القريب منه بهذه المثابة في حال كل من حضره كان أحوج ما يكون إلى الكلام فما الظن بغيرهم ؟ وم في غيره كذلك بطريق الأولى و غيرهم فيه و في غيره من باب الأولى ، وأما ه في الدنيا فانه وإن كان لا يتكلم أحد إلا بأذنه لكنه قد يتكلم بالخطأ .

و لما عظم ذلك اليوم بالسكوت خوفاً من ذى الجبروت ” و خشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا “ أشار / إليه بما يستحقه زيادة في عظمته فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى المشار إليه لبعد مكاتته و عظم رتبته و علو منزلته ﴿ اليوم الحق ج ﴾ أى فى اليومىة لكونه ثابتاً فى نفسه فلا بد من كونه ١٠ و لازوال له ثبوتاً لا مرمىة فيه لعاقل و ثابتاً ٢ كل ما ٣ أثبت و باطلا [كل ما - ٤] قواه . و لما قرر من عظمته ما يعجز غيره عن أن يقرر مثله ، و كان قد خلق القوى و القدر و الفعل بالاختيار . فكان من حق كل عاقل تدرع ٥ ما ينبجى منه ، سبب عن ذلك تنبيها على الخلاص منه و حثا عليه قوله : ﴿ فن شاء ﴾ [أى - ٦] الاتخاذ من المكلفين الذين أذن لهم ١٥ ﴿ اتخذ ﴾ أى بغاية جهده ﴿ الى ربه ﴾ أى خالقه نفسه المحسن إليه أوجب ذلك اليوم باستعمال قواه التى أعطاه الله إياها فى الأعمال الصالحة ﴿ ما باه ﴾ أى مرجعاً هو المرجع بما يحصل له فيه الثواب بالإيمان و الطاعة ، فان الله جعل لهم قوة و اختياراً ، و لكن لا يقدر أحد منهم على مشيئة شىء

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عظيم .
(٣-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : كما (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ،
و فى الأصل : تردع (٦) من ظ و م . و فى الأصل : بما .

إلا بمشيئة الله .

و لما قدم في هذه السورة من شرح هذا النبأ العظيم ما قدم من الحكم و المواعظ و اللطائف و الوعد و الوعيد ، لخصه في قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب : ﴿ اَنَا ﴾ على ما لنا من العظمة ﴿ انذرنيكم ﴾ أى أيتها الأمة و خصوصا العرب بما مضى من هذه السورة و غيرها ﴿ عذابا ﴾ ٥ و لما كان لابد من إتيانه و كونه سواء كان بالموت أو بالبعث ، و كان كل ما تحقق إتيانه أقرب شيء قال : ﴿ قريبا ﴾ .

و لما حذر منه ، عين وقته مشددا لتهويله [فقال - ١] : ﴿ يوم ينظر المرء ﴾ أى جنسه الصالح منه و الطالح نظرا لامرية فيه ٢ ﴿ ما ﴾ أى الذى ﴿ قدمت ٣ يده ﴾ أى كسبه ٢ فى الدنيا من خير و شر ، و عبر بهما لأنها ١٠ محل القدرة فكنى بهما عنها ٢ مع ان أكثر ما يعمل كان بهما مستقلين به أو مشاركتين فيه خيرا كان ٢ أو شرا . و لما كان التقدير : فيقول المؤمن : ياليتنى قمت قبل هذا ، عطف عليه قوله : ﴿ ويقول الكفر ﴾ أى العريق فى الكفر عند ما يرى من [تلك - ١] الأموال متمنيا محالا : ﴿ ياليتنى كنت ﴾ أى كونا لابد منه و لا يزول ﴿ ترابا ﴾ أى فى الدنيا فلم أحلق ولم أكلف ، ١٥ أو ١ فى هذا اليوم فلم أعذب ، و المراد به الجنس أو إبليس الذى تكبر

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفها (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : أى كسبته يده (٤) من ظ و م ،
و فى الأصل : عنهما (٥) زيد فى الأصل : التقدير ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : أى .

عن السجود لآدم عليه السلام المخلوق من التراب، وعظم نفسه بالحسد
والافتخار بكونه مخلوقا من نار، يقول ذلك عند ما يرى ما 'أعد الله'
لآدم عليه السلام ولخواص^٢ بنيه من الكرامة^٣ من النعيم المقيم، ولهذا
المتكبر على خالقه من العذاب الدائم الذى لا يزول^٤، وعن أبى هريرة
٥ و' ابن عمر رضى الله عنهم ان الله تعالى يقتصر^٥ يوم البعث للبهائم بعضها
من بعض ثم يقول لها: كوني ترابا، فتكون، فيتمنى الكافر^٦ مثل ذلك.
فقد علم أن ذلك اليوم فى غاية العظمة وأنه لا بد^٧ من كونه، فلم أن
التساؤل عنه للتعجب من^٨ كونه من أعظم الجهل، فرجع آخرها على
أولها، وانعطف / مفصلها أى انعطاف على موصليها، واتصل مع ذلك
١٠ بما بعدها أى اتصال، فان المشرف بالزعر على^٩ الموت يرى كثيرا من
الاهوال والزلازل^{١٠} والآوجال، التى يتمنى لأجلها أنه كان منقطعا عن
الدنيا ليس له^{١١} بها وصال يوما من الأيام ولا ليلة من الليال^{١٢} - والله
الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب^{١٣} .

- (١-١) سقط ما بين الرقعين من ظ وم (٢) من ظ وم، وفى الأصل: لخواصه .
(٢-٣) سقط ما بين الرقعين من م (٤) من ظ وم، وفى الأصل: عن (٥) زيد فى
الأصل: يوم اقيامة . ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٦) من ظ وم ،
وفى الأصل: اللعين (٧) زيد فى الأصل: انتهى واقه الهادى ، ولم تكن الزيادة
فى ظ وم لحذفها (٨) زيد فى الأصل: منه، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها .
(٩) من ظ وم ، وفى الأصل: مع (١٠) من ظ وم ، وفى الأصل: عند .
(١١) من ظ وم . وفى الأصل: انزال (١٢) من ظ وم ، وفى الأصل: لها .

سورة النازعات^١ وتسمى الساهرة^٢ والطامة

مقصودها بيان أواخر أمر الإنسان بالإقسام على بعث الأنام،
 و^٣ وقوع القيام يوم الزحام وزلل الأقدام^٤، بعد البيان التام فيما مضى
 من هذه السور العظام، تنبيها على أنه وصل الأمر في الظهور إلى مقام
 ليس بعده مقام، وصور ذلك بنزع الأرواح بأيدي^٥ الملائكة الكرام، ثم
 أمر فرعون اللعين وموسى عليه السلام، واسمها النازعات واضح
 في ذلك المرام، إذا توكل القسم وجوابه المعلوم للائمة الاعلام، وكذا
 الساهرة والطامة إذا توكل السياق، وحصل التدبر في تقرير الوفاق
 ﴿بسم الله﴾ الظاهر الباطن الملك العلام ﴿الرحمن﴾ الذي عم بالإنعام
 ﴿الرحيم﴾ الذي خص^٦ أهل ولايته^٧ بالتبام، فاختصوا بالإكرام في ١٠
 دار السلام .

لما ذكر سبحانه يوم^٨ يقوم الروح ويتعنى الكافر العدم، أقسم أول
 هذه بنزع الأرواح على الوجه الذي ذكره بأيدي الملائكة عليهم السلام

- (١) التاسعة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ست وأربعون.
 (٢) من ظ و م، وفي الأصل: الساهر (٣) في ظ : آخر (٤) زيد في الأصل :
 هو، ولم تكن الزيادة في ظ وم فخذناها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: القيام .
 (٦) من ظ، وفي الأصل: ويتعنى الكافر بيد، وفي م: يدي (٧ - ٧) من ظ
 و م، وفي الأصل: أوليائه (٨) من ظ و م، وفي الأصل: حين .

على ما يتأثر عنه من البعث وساقه على وجه التأكيد بالقسم لانهم به
مكذبون فقال تعالى: ﴿وَالنَّزْعَتِ﴾ أى من الملائكة - كما قال على وابن عباس
رضى الله عنهم - للارواح ولانفسها من مراكزها في السماوات امثالاً
للاوامر الإلهية ﴿غرقاً﴾ أى إغراقاً بقوة شديدة تغلغلا إلى أقصى
المراد من كل شيء من البدن حتى الشعر والظفر والعظم كما يفرق
النازع في القوس فيبلغ أقصى المد، وكان ذلك لنفوس الكفار
والعصاة كما ينزع السفود وهو الحديد المتشعبة المتعاكسة الشعب من
الصوف المبلول، وعم ابن جرير كما هي عادته في كل ما يحتمله
اللفظ فقال: والصواب أن يقال: إن الله تعالى لم يخص، فكل
نازعة داخله في قسمه - يعنى الاعتبار بما آتاها الله من القدرة على ذلك
النزع الدالة على تمام الحكمة والاقتدار على ما يريد سبحانه.

ولما ذكر الشد مبتدئاً به لانه أهول، أتبعه / الرق فقال:
﴿وَالنَّشْطُ﴾ أى المخرجات برفق للارواح أو لأجنحتها من محالها
﴿نشطاً﴾ أى رفقاً فلا تدع وإن كان رقيقاً بين الروح والجسد تعلقاً
كما ينشط الشيء من العقال أى يحل من عروة كانت [عقدت - ^٧]
على هيئة الانشودة، قال الفراء إنه سمع العرب يقولون: نشطت

(١) من ظ و م، وفي الأصل: مواكزها (٢) من ظ و م، وفي الأصل:
الامثالاً (م) من ظ و م، وفي الأصل: النفوس (٤) راجع جامع البيان
١٦/م. (٥) من م، وفي الأصل و ظ: آتاه (٦) في ظ و م: يريد (٦) زيد
من ظ و م (٨) راجع العالم ٧ / ١٧٠.

العقال - إذا حملته ، واثسبط - إذا عقدت بأشوطة^١ - انتهى ، والنشط
أيضاً^٢ : المجذب و الزرع ، يقال : نشطت الدلو نشطاً - إذا نزعتها . وقال
الخليل : النشط و الإنشاط مدك الشيء إلى نفسك حتى ينحل ، وكان هذا
لأرواح أهل الطاعة ، وكذلك زرع النبات و الإنشاء و الإنماء لكل ما
يراد نزعهُ أو نشطه ، فالذى قدّر بعض عبيده على هذا الذى فيه تمييز
الأرواح من غيرها على ما لها من اللطافة و شدة الممازجة قادر على تمييز
"جسد كل ذى" روح من جسد غيره بعد أن صار كل تراباً و اختلط
بتراب الآخر .

ولما ذكر نوعى السبل بالشدة و الرفق ، ذكر فعالها فى إقبالها إليه
و رجوعها عنه فقال : ﴿ و التَّسْبُحُ ﴾ [أى - ١] من الملائكة أيضاً ١٠
فى الجو بعد التهيؤ للطيران إلى ما أمرهم الله به من أوامره من الروح
أو غيرها^٣ ﴿ سبحاه ﴾ هو فى غاية السرعة لأنه لا عائق لها بل [قد - ١]
أقدها الله على النفوذ فى كل شيء كما أقدر السابح فى الماء و الهواء ،
و لذلك نسق عليه بالفاء^٤ قوله : ﴿ فَالتَّسْبُحُ ﴾ أى بعد السبح فى
الطيران إلى ما أمروا به من غمس الأرواح فى النعيم أو الجحيم أو غير ١٥
ذلك مما أمروا به فى أسرع من اللح مع القدرة و الغلبة لجميع ما يقع

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بنشوطة (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : حينئذ .
(٣-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : كل جسد ذوى (٤) زيد من ظ (٥) من ظ
و م ، وفى الأصل : غيرهما (٦) زيد فى الأصل : عليه ، ولم تكن الزيادة فى ظ
و م لحذفها .

محاوكة ﴿ سبقاً لا ﴾ .

ولما بان بذلك حسن امتثالها للأوامر، بان به عظيم نظرها في
العواقب فدل على ذلك بالفاء في قوله : ﴿ فالمديرت ﴾ أى الناظرات
في أدبار^١ الأمور وعواقبها^٢ لإتقان ما أمروا به في الأرواح وغيرها
٥ ﴿ امرأ ﴾ أى عظيماً، ويصح أن يكون ذلك للشمس والقمر والكواكب
والرياح والحيل السابجة في الأرض والجو لمنفعة العباد وتدير أمورهم،
وبعضها سابق لبعض، وبه قال بعض المفسرين، والجواب محذوف
إشارة إلى أنه من ظهور العلم به - بدلالة ما قبله وما بعده عليه - في حد
لا مزيد عليه، فهو بحيث لا يحتاج إلى ذكره فحذفه كإثباته بالبرهان،
١٠ فتقديره : لتذهبن بالدنيا التى أتم بها مقترنون لنزعنا لها من محالها و تقطيع
أوصالها، فإن كل ما تقدم من أعمال ملائكتنا هو من مقدمات ذلك
تكذيباً لقول الكفار " ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحى وما يهلكنا
إلا الدهر " المشار إليه بتساؤلهم عنها لأنه على وجه الاستهزاء والتكذيب
ولتقوم الساعة ؟ أو أنكم لمبعوثون بعد الموت وانتهاء هذه الدار ؟
١٥ ثم لمجازون بما عملتم بأسباب موجودة مهياة بين أظهركم دبرناها وأوجدناها
حين أوجبنا هذه الحياة الدنيا / وإن كنتم لاترونها كما أن هذه الأمور
التي أخبرناكم بها في نزع الأرواح والنبات والمنافع موجودة بين أظهركم

/ ٦٥٤

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : عواقب (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
ادبارها (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : او (٤) من م ، وفي الأصل و ظ :
الا (٥) من م ، وفي الأصل و ظ : او .

والميت اقرب ما يكون منكم وهي تعمل أعمالها. والمحتضر اشد ما يكون صوتا وأعظمه حركة إذا هو قد خفت وهدد بعد ذلك الأمر وسكت وامتدت أعضاؤه ومات، وذهب عنكم قهرا وفات الذي فات كأنه قط ما كان، ولا تغلب في زمن من الأزمان، بتلك الأسباب التي تعمل أعمالها وتمد^٢ حبالها وترسى^٣ أنقالها، وتلقى أهوالها وأوجالها،^٥ واتم لا رونها، فيالله العجب أن لا يردكم ذلك على كثرته عن أن تستبعدوا على قدرته تميز تراب جسد من تراب جسد آخر.

و قال الإمام ابو جعفر بن الزبير: لما أوضحت سورة النبا حال الكافر في قوله "[يا-١] ليتني كنت ترابا" عند نظره ما قدمت يدها، ومعاينته من العذاب عظيم ما براه. وبعد ذكر تفصيل أحوال و أهوال،^{١٠} أتبع ذلك ما قد كان حاله عليه في دنياه من استبعاد عودته في أخراه، وذكر قرب ذلك عليه سبحانه كما قال في الموضع الآخر "وهو أهون عليه" وذلك بالنظر إلينا ولما عهدناه، وإلا فليس عنده سبحانه شيء أهون من شيء. "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون" فقال تعالى "والنازعات غرقا" الى قوله "يقولون ائنا لمردودون في الحافرة"^{١٥}

انذاكنا عظاما نخرة، إذ يستبعدون ذلك ويستدفعونه "فانما" هي زجرة واحدة "أى صيحة" فاذا هم بالساهرة "أى الأرض قياما ينظرون

(١) زيد في الأصل: قد، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفها (٢) من ظ و م، وفي الأصل: يمتد (٣) من ظ و م، وفي الأصل: ترى (٤) زيد من ظ و م (٥) من م، وفي الأصل و ظ: انما.

ما قدمت ايديهم و يتمنون ان لو كانوا ترابا ولا ينفعهم ذلك، ثم ذكر تعالى من قصة فرعون و طغيانه ما يناسب الحال^١ في قصد الاتعاط والاعتبار. و لهذا أتبع القصة بقوله سبحانه "ان في ذلك لعبرة لمن يخشى" - انتهى .

٥ و لما أقسم على القيام بتلك الأفعال العظام التي ما أقدر اهلها عليها إلا الملك العلام. ذكر ما يكون فيه من الأعلام تهويلا لأمر الساعة لأن النفوس المحسوسات نزاعة، فالغائبات^٢ عندما منسية مضاعة^٣ فقال ناصبا الظرف بذلك المحذوف لأنه أشد وضوحه كالمفروق [به -^٤]:

(يوم ترجف) أي تضطرب اضطرابا كبيرا مزعجا (الراجفة^٥)

١٠ أي الصيحة، وهي النفخة الأولى التي هي بحيث يبلغ - من شدة إرجافها للقلوب^٦ و جميع الأشياء الساكنة^٧ من الأرض و الجبال إلى^٨ نزع النفوس من جميع [أهل -^٩] الأرض - مبلغا تستحق به ان توصف بالعراقة في الرجف^{١٠}، قال البغوي^{١١}: و أصل الرجفة الصوت و الحركة .

و لما ذكر الصيحة الأولى، أتبعها "الثانية حالا منها دلالة على قربها

(١) من ظ و م، وفي الأصل : الحال (٢) من ظ و م، وفي الأصل : الغايات .
 (٣) من م، وفي الأصل و ظ : مضاعفة (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م،
 وفي الأصل : القلوب (٦) زيد في الأصل : الجبال من، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م، وفي الأصل : التي (٨) زيد من ظ و م.
 (٩-٩) من ظ و م، وفي الأصل : بالرجف (١٠) راجع المعالم ١٧١/٧ (١١) من م، وفي الأصل و ظ : أتبعه .

قرباً معنوياً لتحقيق الوقوع. ولأن ذلك كله في [حكم - ١] يوم واحد،
فصح بجيء الحال وإن بعد دمه من زمن صاحبه فقال: (تتبعها الرادقة^٥)
/ أى الصيحة التابعة لها التى يقوم بها جميع الأموات وتجتمع الرفات،
٦٥٥ / وتضطرب من هولها الأرض والسموات، وتلك الجبال ويعظم
الزلازل. ويكون عنها التسيير^٦ بعد المصير إلى الكشيب المهيل، و [نحو - ١] ٥
ذلك من الأمر الشديد الطويل. قال حمزة الكرماني: روى [السدى - ٢]
عن أبي هريرة رضى الله عنه أن الناس إذا ماتوا فى النفخة الأولى أمطر
عليهم ماء من^٧ تحت العرش يدعى ماء الحياة فينبتون منه كما ينبت
الزرع من الماء، حتى إذا استكملت أجسادهم^٨ نفخ فيها الروح ثم يلقى
عليهم نومة^٩ فينبههم في قبورهم^{١٠} نفخ فى الصور^{١١} ثانية فجلسوا وهم يحدون ١٠
طعم النوم فى رؤسهم وأعينهم^{١٢}.

ولما ذكر البعث، ذكر حال المكذب^{١٣} به لأن السياق له. فقال
مبتدئاً بذكره موصوفه: (قلوب يومئذ) أى إذا قام الخلائق بالصيحة
التابعة للأولى (واجفة^{١٤}) أى شديدة الاضطراب أجوافها خوفاً تكاد

-
- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: تذل (٣) من ظ و م،
وفى الأصل: اليسير (٤) زيد من م (هـ - هـ) من ظ و م، وفى الأصل: من ماء.
(٦) من ظ و م، وفى الأصل: احراهم (٧) من ظ و م، وفى الأصل:
النوم (٨) زيد من الأصل: اذا، وم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) زيد
فى الأصل: نفخة. ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ و م، وفى
الأصل: عينيهم (١١) من ظ و م، وفى الأصل: المكذبين.

مخرج منها من شدة الوجيف . ولما وصفها بالاعتراب ، وكان قد يخفى
سببه لكونه قد يكون عند ' السرور العظيم كما قد يكون عند الوجل
الشديد ، أخبر عنه بما يحقق معناه فقال : ﴿ ابحارها ﴾ أى أبصار اصحابها
فهو من ' الاستخدام ﴿ خاشعة ﴾ أى ذليلة ظاهر عليها الذل ، واضطراب
القلوب من سوء الحال ولذلك أضافها إليها .

ولما وصفها بالاضطراب والذل ، علله ليعرف منه ان من يقول
ضد قولهم يكون له ضد وصفهم من الثبات والسكون والعز الظاهر
فقال : ﴿ يقولون ﴾ أى فى الدنيا قولاً يحددونه كل وقت من غير خوف
ولا استحياء استهزاء وإنكاراً : ﴿ انا المردودون ﴾ أى بعد الموت بمن
١٠ يتصف^١ . ردنا كائنا من كان ﴿ فى الحافرة ه ﴾ أى فى الحياة التى كنا
فيها قبل الموت وهى حالتنا الأولى ، من قولهم : رجع فلان فى حافرتة ،
أى^٢ طريقته التى جاء بها فحفرها أى أثر فيها بمشيئه كما تؤثر الأقدام ،
والخوافر فى الطرق^٣ ، أطلق على المفعولة^٤ فاعلة مبالغة وذلك حقيقة^٥ ،
ثم قيل لمن كان فى أمر مخرج^٦ منه ثم رجع إليه : رجع إلى^٧ حافرتة ،

-
- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : ضد (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بمعناه .
(٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فهو م (٤) ريد فى الأصل : الاضطراب
واما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل :
وصفهم (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : انصف (٧) زيد فى الأصل وظ : فى ،
ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : بطريق .
(٩) من ظ و م ، وفى الأصل : المفعول (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : حقيقة
(١١) من م ، وفى الأصل وظ : مخرج (١٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فى .

وقيل : الحافرة الأرض التي هي محل الخوافر .

ولما وصف قلوبهم بهذا الإنكار الذي ينبغي لصاحبه أن يذوب
[منه -] خجلاً إذا فرط منه مرة واحدة ، وأشار إلى شدة وقاحتهم
بتكريره ^٢ ، أتبعه التصريح بتكريرهم له على وجه مشير ^٣ إلى العلة الحاملة لهم
على قوله . وهو قولهم : ﴿ إذا كنا ﴾ أى كونا صار جبلة لنا ﴿ عظاما نخرة ﴾ ^٥
أى هي في غاية الانتحار حتى تفتت ، فكان الانتحار وهو البلى والتفتت
والتمزق كأنه طبع لها طبع عليه ، وهي أصلب البدن فكيف بما عداها
من الجسم ، وعلى قراءة " ناخرة " المعنى أنها خلا ما فيها فصار الهواء
ينخر فيها أى يصوت .

ولما كان العامل في " إذا " مقدرا بنحو أن يقال : رد إذاك ^{١٠}
إلى ^٦ حالتنا الأولى ونقوم كما كنا ؟ دل ^٧ على هذا المحذوف قوله تعالى
عنهم : ﴿ قالوا ﴾ أى مرة من المرات : ﴿ تلك ﴾ أى الردة إلى الحالة
الأولى العجيبة جدا البعيدة من العقل في زعمهم ﴿ إذا ﴾ أى إذ زد إلى
حياتنا الأولى لا شئ لنا كما ولدنا لا شئ لنا ، ونفقد كل ما سعيانا في
تحصيله وجمعه وتأثله ﴿ كرة ﴾ أى رجعة ^٨ وإعادة وعطفة ^٩ ﴿ خاسرة ﴾ ^{١٥}
أى هي لشدة خسارتنا فيها بما فقدنا بما حصلناه من [الحال و - ^٩] المآل

(١) زيد من ظ (٢) زيد في الأصل : ثم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
لحذفناها (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : مشيرا (٤) من ظ و م ، وفي
الأصل : انه (٥) في ظ و م ؛ عند ذاك (٦) في م : في (٧) من ظ و م ، وفي
الأصل : فدل (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) زيد من ظ و م .

وصالح الخلال، عريقة في الخسارة حتى كأنها 'هي الخسارة'، ولعله عبر
بالماضى لأنهم 'ما سمحوا بهذا القول' إلا مرة من الدهر، وأما أغلب قولهم
فكان أنهم يـكونون على تقدير البعث أسعد من المؤمنين على قياس
ما هم عليه في الدنيا ونحو هذا من الكذب على الله .

٥ ولما كان التقدير: نعم والله لتردن يا هؤلاء، إنما هذا الذي تقولونه
كله استبعاد منكم كما أنكم مقرون بسهولته لو عقلم، أما من جهة القدرة
فلأن الابتداء أصعب من الإعادة وأنهم مقرون بالابتداء ولأن
الاستبعاد إن كان من جهة وقوع الظن بأن [من -] صار ترابا يصير
عوده محالا من جهة تعذر تمييز ترابه من تراب غيره، فتميز النازع
١٠ والناشط من الملائكة للروح من الجسد أصعب من ذلك بكثير، وكذا
غير هذا مما تدبره الملائكة من الأمور، فكيف يصعب على ربه سبحانه
شئ يسهل مثله عليهم، وأما من جهة العوائد فإن أحدا لا يدع رعية
له بغير حساب أصلا، وأما من جهة الوعد فقد تقدم به، وليس من
شيم الكرام فضلا عن الملوك إخلاف الوعد ولا إقرار الظلم فلا
١٥ تكذبوا بها ولا تستصعبوها، قال مسيبا عن هذا المقدر مهددا لأصحاب
الشبهة المقلدين: ﴿فإنما هي﴾ أي القيامة ﴿زجرة﴾ أي صيحة بانتهاز
تتضمن الأمر بالقيام والسوق إلى المحشر والمنع من التخلف ﴿واحدة﴾

(١ - ١) من ظ و م، وفي الأصل: في الخسارة (٢ - ٢) من ظ و م، وفي
الأصل: ما سمحوا بالقول (٣) من ظ و م، وفي الأصل: قلوبهم (٤) من م،
وفي الأصل و ظ. من (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، وفي الأصل
و ظ: فيتم.

عبر بالزجر وهو أشد من النهى لانه يكون للعرض لأنها صيحة لا يتخلف عنها القيام أصلاً ، فكان كأن لسان الحال قال عن تلك الصيحة : أيها الأجساد البالية انتهى عن الرقاد ، وقوى إلى الميعاد ، بما حكمتنا به من المعاد ، فقد انتهى زمان الحصاد ، وآن [أوآن - ٢] الاجتناء لما قدم من الزاد ، فيا ويل من ليس له زاد (فاذا هم) أى فقتسب عن هذه النفخة هـ - وهى الثانية - أنهم فاجأوا بغاية السرعة كونهم^٢ أحياء قائمين (بالساهرة^٣) [أى - ٤] على [ظهر - ٥] الأرض البيضاء المستوية الواسعة التى يحددها الله للجزء فتكون سعتها كأنها قد أبتلعهم على كثرتهم التى تفوت العد ، وتزيد على الحد ، سميت بذلك لأن الشراب يجرى فيها من الساهرة وهى العين الجارية ، أو لأن^١ سالكها يسهر خوفاً / كما أن النوم يكون أمنة ، ١٠ أو لأن^٢ هذه الأرض بالخصوص لا نوم فيها مع طول الوقوف و تقلب الصروف الموجبة للحتوف .

و لما كانت قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع القبط أشبه شئ - بالقيامة لما حصل فيها من التقلبات والتغيرات وإيجاد المعدومات من الجراد والقمل والضفادع على تلك الهيئات الخارجة عن العادات فى ١٥ أسرع وقت . وقهر^٤ الجبارة والمن على الضعفاء حتى كان آخر ذلك أن

-
- (١) من م ، وفى الأصل و ظ : الأجسام (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : كأنهم (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ان (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : وان (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : قتل .

حشر بنى إسرائيل 'فنشظهم من' القبط نشطا' رقيقا كلهم وجميع ما لهم
 مع دوابهم [إلى ردهم - ٢] وحشر جميع القبط وزأهم فتزعهم نزعا
 كلهم بعشر فرعون لهم 'بأصوات المنادين عنه' فى أسرع وقت وأسر
 امر إلى هلاكهم كما يحشر^٥ الأموات بعد إحيائهم بالصيحة إلى السامرة،
 ثم كانت العاقبة فى الطائفتين بما للدبرات امرا أن نجابنو إسرائيل بالبحر
 كابينجو يوم البعث المؤمنون^٦ بالصراط، وهلك فرعون وآله به كما
 يتساقط الكافرون^٧ بالصراط، وذلك أنه رأى فرعون وجنوده البحر
 قد اتفق لبنى إسرائيل فلم يعتبروا بذلك ثم دخلوا فيه وراهم، ولم يجوزوا
 أن الذى حصره عن مكانه قادر على أن يعيده كما ابتدأه فيفرقهم^٨
 ١٠ واستمروا فى عمام حتى رده^٩ الله فأغرقهم به كما أن من يكذب
 بالقيامة رأى بدأ الله له [و- ٣] لغيره وإفناؤه بعد إبدائه ثم أنه لم يجوز
 أن يعيده كما بدأه أول مرة، وصل بذلك قوله تعالى جوابا لمن يقول:
 هل لذلك من دليل؟ مخاطبا لأشرف الخلق إشارة إلى أنه لا يعتبر هذا
 حق اعتباره إلا أنت، مستفهما عن الإتيان للتنبيه والحث على جمع النفس

(١ - ١) من ظ و م، وفى الأصل: فنشزم بين (٢) من ظ و م، وفى
 الأصل: نشرا (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: باصوان
 المتارل (٥) من ظ و م، وفى الأصل: يحشرهم (٦-٦) من ظ و م، وفى
 الأصل: المؤمنين يوم البعث (٧) زيد فى الأصل: إلى النار، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل: ابتداء فيفرقهم
 (٩) من ظ و م، وفى الأصل: ردهم.

على التأمل والتدبر والاعتبار مقررًا ومسلماً له صلى الله عليه وسلم ومهدداً
 للكاذبين أن يكون حالهم - وهم أضعف أهل الأرض لأنه لا ملك لهم -
 كحال فرعون في هذا، وقد كان أقوى أهل الأرض بما كان له من
 الملك وكثرة الجنود وقوتهم وسحرهم ومرودهم في خداعهم ومكرهم
 ورأى من الآيات ما لم يره أحد قبله، فلما أصر على التكذيب ولم
 يرجع ولا افاده التأديب أغرقه الله وآله فلم يبق منهم أحداً وقد كانوا
 لا يحصون عدداً بحيث أنه قيل: إن طليعته كانت على عدد بنى إسرائيل
 ستمائة ألف: ﴿هل ائذك﴾ أى يا أعلم الخلق ﴿حديث موسى﴾ أى ما
 كان من أمره الذى جددناه له حين أردناه، فيكون كافياً لك فى التسليّة
 ولقومك فى الحث على التصديق والتنبية على الاعتبار والتهديد على
 التكذيب^١ والاصرار ﴿اذ﴾ أى حين ﴿ناذنه ربه﴾ أى المحسن [إليه -^٢
 بايجاده وتقريبه وتدبيره أمر إرساله وتقديره ﴿بالوادر المقدس﴾ أى
 المطهر غاية التطهر^٣ بتشريف الله له بانزال النبوة المفيضة / للبركات،
 ثم بينه بقوله: ﴿طوى﴾ وهو الذى طوى فيه الشر عن بنى إسرائيل^٤
 ومن أراد الله من خلقه ونشر بركات النبوة على جميع أهل الأرض: ١٥
 المسلم باسلامه، وغيره برفع عذاب الاستئصال عنه، فإن العلماء قالوا: إن

(١) فى م: أردنا (٢) زيد فى الأصل: و الافتراء، ولم تكن الزيادة فى ظ
 وم لحذفها (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ، وفى الأصل: التطهير، وفى
 م: الطهر (٥) من ظ وم، وفى الأصل: عن بنى إسرائيل انشر (٦) من م،
 وفى الأصل وظ: اراده (٧) من ظ وم، وفى الأصل: قال (٨) زيد فى
 الأصل: إلى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها.

- عذاب القبر - أى عذاب الاستئصال - ارتفع حين أنزلت التوراة .
 وهو واد بالطور بين أيلة و مصر .
- ولما ذكر المناذرة فسرثمرتها بقوله مستأنفا منها لاصحاب الشهوة
 المعجبين المتكبرين ، وقد أرشد السياق إلى أن التقدير : ناداه قائلا :
 ٥ (اذهب الى فرعون) أى ملك مصر الذى كان استعبد بنى إسرائيل
 ثم خوف من واحد منهم فصار يذبح أبناءهم خوفا منه ' وهو أنت
 فريناك فى بيته لهلاكه حتى يعلم أنه لا مفر من قدرنا ، فكنت أعز بنى
 إسرائيل ، و كان سبب هلاكه معه فى بيته بمرأى منه و مسمع وهو
 لا يشعر بذلك ثم قتل منهم نفسا و حرجت من بلدهم خائفا تترقب .
 ١٠ ولما أمره بالذهاب إليه ، علله بما يستلزم إهلاكه على يده عليه
 الصلاة والسلام إشارة له بالبشارة بأنه لا سبيل له عليه ، ولذلك أكد
 لأن مثل ' ذلك أمر يقتضى طبع البشر التوقف فيه فقال : (انه طئنى زيط)
 أى الحد^٢ و تجاوز الحد فاستحق العقاب بالجد ، ثم سبب عن الذهاب إليه قوله :
 (فقل) أى له تفصيلا لبعض ما تقدم فى " طه " من لين القول ولطف
 ١٥ الاستدعاء فى الخطاب : (هل لك) أى ميل و حاجة (الى ان زكى)
 أى تحلى بالفضائل ، و تطهر من الرذائل ، و لو بأدنى أنواع البركى :
 الطهارة * الظاهرة و الباطنة الموجبة للنماء و الكثرة ، و إفهام الأدنى بما
 (١) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٢) من ظ
 و م ، و فى الأصل : مامل - كذا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : العد (٤) زيد
 فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (هـ - هـ) سقط ما بين
 الرقعين من ظ و م .

يشير إليه إسقاط تاء الفعل المقتضى للتخفيف، وذلك بالإذعان المقتضى للإيمان وإرسال بنى إسرائيل، وقرأ الحجازيان ويعقوب بالتشديد أى تزكية بليغة لأن من دخل فى الزكى على يد كامل لاسيما بنى من أولى العزم أو شك أن يبلغ الغاية فى الزكاة .

ولما أشار له إلى الطهارة عن الشرك، أتبعها الأعمال فقال : هـ
(واهدبك) أى أبين لك بعد التزكية بالإيمان الذى هو الأساس :
كيف المسير (إلى ربك) أى الموجد لك والمحسن إليك أو المربى لك
بتعريفك ما يرضه من الأعمال وما يقضيه من الخصال بعد أن بلغك
فى الدنيا غاية الآمال (فتخشى هـ) أى فتسبب عن ذلك أنك تصير
تعمل أعمال من يخاف من عذابه خوفا عظيما، فتؤدى الواجبات وتترك ١٠
المحرمات وسائر المنهيات، فتبصر إلى أعلى رتب التزكية فتجمع ملك
الآخرة إلى ملك الدنيا، فإن الحشية هى الحاملة على كل خير، والامن
هو الحامل على الشر .

ولما كان التقدير / : فذهب إليه كما أمره الله تعالى، فقال [له -^أ] ٦٥٩ /

ذلك فطلب الدليل على صحة الرسالة واستبعد أن يختص عنه ^أ بهذه ١٥
المنزلة العلية وقد رباه وليدا (فاراه) أى فتسبب عن طلبه له أنه

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : عوالى
(٩ - ٩) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : الذميمة ، ولم تكن
الريادة فى ظ و م لحذفها (٤) زيد فى م : بلغك (٥) زيد فى الأصل و ظ :
قال ، ولم تكن الريادة فى م لحذفها (٦) بهامش ظ : فتضم (٧) زيد من ظ
وم (٨ - ٨) فى ظ و م : بعلوه .

دل على صدقه بان أراه (الآية) أى ' العلامة الدالة على ذلك
 (الكبرى) وهى قلب المصاحبة أو جميع معجزاته (فكذب) أى
 قسب عن رؤية ذلك أنه أوقع التكذيب بشئ إنما يقتضى عند رؤيته
 التصديق (وعصى) أى أوقع العصيان ، وهو الإباء الكبير^٢ والتكبر
 ٥ عن امثال^٣ ما دعى إليه مجموعا إلى التكذيب بعد إقامة الدليل على
 الصدق وتحقق الامر .

ولما كان التهادى على التكذيب من ' رأى ' و' عرف الحق ولا سيما
 إذا كان كبيرا مستعبدا^٤ جدا ، أشار إليه بأداة التراخي مع دلالتها على
 حقيقة التراخي ايضا فقال : (ثم ادبر) أى فرعون بعد المهلة والآنفة
 ١٠ ادبارا عظيما بالتهادى على اعظم مما كان [فيه -] من الطغيان بعد
 خطوط جليلة ومشاهد طويلة . حال كونه (يسعى) أى يعمل بغاية
 جهده عمل من هو مسرع غاية الإسراع فى ابطال الامر الربانى بقلة
 عقله وفساد رأيه وادى أن يقبل الحق (فخر) أى قسب عن ادباره
 ساعيا وتعقبه أنه جمع السحرة طوعا وكرها وزاد عليهم أيضا جنوده
 ١٥ (فتادى) أى فى المجمع (فقال) أى مناديه الذى لا يشك أنه عنه ،

(١) زيد فى الأصل وظ : اراه ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٢) زيد
 فى الاصل : كان ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٣-٣) فى ظ وم :
 لامثال (٤-٤) سقط ما بين الرهين من ظ وم (٥) من ظ وم ، وفى الأصل :
 ان (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : مستعبدا (٧) زيد من م (٨) من م ، وفى
 الأصل وظ : امطار (٨-٨) من ظ وم ، وفى الأصل : رابه وفساد عقله .

فكان قوله كقوله^١: ﴿ انا ﴾ وقال^٢ حمزة الكرماني: قال له موسى عليه السلام: إن ربي أرسلني إليك، لئن آمنت بربك تكون أربعائة سنة في السرور و النعيم، ثم تموت فتدخل الجنة، فقال: حتى أستشير هانان، فاستشاره فقال: أتصير عبدا بعد^٣ ما كنت^٢ ربا تعبد، فعند ذلك بعث الشرط و جمع السحرة و الجنود، فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره فقال: ه أنا ﴿ ربكم الاعلى ﴾ فكان هذا نداؤه يعني كلهم أرباب بعضهم فوق بعض و أنا أعلامهم، و لارب فوقى أصلا، و ذلك لأن الإله عنده الطيبة، و هي مقسمة^٤ في الموجودات، فهم كلهم أرباب، و من كان أعلى كان أقعد في المراد، و هو كان أعلى منهم فقبحه الله و لعنه و لعن من تمذهب بمذهبه كابن عربي و ابن الفارض^٥ و أتباعهما حيث أنكروا المختار الملك ١٠ القهار، و رسوله المصطفى المختار، و تبعوا في وحدة الوجود بعض الفلاسفة ثم^٦ الحلاج بعد فرعون هذا الذي لم يصرح الله بذم أحد ما صرح بذمه، و لم يصرح بشقاء أحد ما صرح بشقائه. كهذه الآية فانها مصرحة بوقوع نكاله في الآخرة كما وقع في الدنيا، [و - ^٧] قوله تعالى " فأخذناه و جنوده فبذناهم في اليم / فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ١٥ / ٦٦٠

(١) من ظ و م، و في الأصل: حال الذناء (٢) من ظ و م، و في الأصل: قرا (٣ - ٢) من ظ و م، و في الأصل: ان تكون (٤) من ظ و م، و في الأصل: عند (٥) من ظ و م، و في الأصل: منقسمة (٦) زيد في الأصل: هم، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٧) زيد في الأصل: ان، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٨) زيد من ظ و م.

وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم
 في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين^١ الى غير ذلك من
 الآيات البينات^٢ والدلائل الواضحات التي لا تحصى^٣ وهي كثيرة، وأعظمها
 القياس البديهي الاتاج^٤ "و ان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين"
 هـ "وان المسرفين هم أصحاب النار" و يروى^٥ أن ابليس لما سمع منه قوله هذا قال:
 إني^٦ مجبرت على آدم فلقيت^٧ ما لقيت، وهذا يقول هذا؟ وهذا دعاه إليه
 الكبر الناشئ من فتنة السراء التي الصبر فيها أعظم من الصبر في الضراء،
 قال [الإمام - ٦] الغزالي في كتاب الصبر من الإحياء^٨: فالصبر على
 الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن^٩ العبودية وتشتهي الربوبية،
 ١٠. ولذلك^{١٠} قال بعض العارفين: ما من نفس إلا وهي مضمرة ما أظهره
 فرعون من قوله "انا ربكم الأعلى" ولكن فرعون وجد [له- ١٠] مجالا
 وقبولا فأظهره إذ استخف^{١١} [فأطاعوه- ١١] وما من أحد إلا وهو
 يدعى ذلك مع عبده وخادمه و أتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وإن
 كان ممتعا من إظهاره. فان امتعاضه وغيظه عند تقصيرهم في خدمته
 ١٥ لا يصدر إلا عن إضمار الكبر و منازعة الربوبية في رداء الكبرياء - انتهى .

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الاح -
 كذا (٣) من ظ و م . وفي الأصل : روى (٤) في ظ و م : أنا (هـ) من ظ
 و م ، وفي الأصل : فالقيت (٦) زيد من ظ و م (٧) راجع ٤٥/٤ (٨) من
 ظ و م والإحياء ، وفي الأصل : من (٩) من ظ و م والإحياء ، وفي الأصل :
 فلذلك (١٠) زيد من الإحياء (١١-١١) من ظ و م والإحياء ، وفي الأصل :
 فاذا استحق .

و يؤيده ان النبي صلى الله عليه وسلم ما لام خادمه في شيء قط - والله تعالى هو الموفق للصواب^١ .

ولما أخرج سبحانه عنه بهذه الكلمة الشفاء القادحة في الملك ، وكان الملوك لا يحتملون ذلك بوجهه ، سبب عنها وعقب قوله : ﴿ فآخذه الله ﴾ أى الملك الذى لا كفوء له ولا أمر لأحد معه أخذ هـ قهره ذل منكلا به 'مخذلا له' : ﴿ نكال الآخرة ﴾ فهو مصدر من المعنى ، أى أخذ تنكيل^٢ فيها يكون مثلا يتقيد به ويتعظ كل من سمعه عن مثل حال فرعون ، وقدمها اهتماما بشأنها وإشارة إلى [أن - °] عظمة عذابها اعظم ولا يذوقه الإنسان إلا بكشف غطاء الدنيا بالموت ، وتنبئها على أن المنع من مثل هذه الدعوى للصدق بها امكن ، وليس ذلك ١٠ للفاصلة لانه لو قيل : « الآخرة » لوافقت ﴿ والاولى^٣ ﴾ أى ونكال الدنيا الذى هو قبل الآخرة^٤ فان من سمع قصة غرقه وبمجموع ما اتفق له كان [له - °] ذلك نكالا مانعا من عمل مثله أو أقل منه ، قال "ضحاك"^٥ : أما في الدنيا فأغرقه الله تعالى [وألقاه - °] بنجوة من الارض ، وأما في العقبى فيدخله الله تعالى النار [و - °] يجعله ظاهرا على تل منها ١٥

(١-١) في ظ و م : الموفق (٢-٢) - فقط ما بين الرقنين من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : بكل (٤) في م : بها (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بنكال (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : الأخرى (٨) راجع المعالم / ٧ (٩) زيد من ظ و م -

مغلولا مقيدا ينادى عليه هذا الذى ادعى الربوبية دون الله - انتهى . و أنا
لا أشك أن الحلاج وابن عربى وابن الفارض [وأتباعهم-^١] يكونون
فى النار تحتهم وتحت آله يشربون عصارتهم ، فانهم^٢ ادعوا^٣ أنه ناج
و صدقوه فيما ادعاه^٤ و ادعوا لأنفسهم وغيرهم [مثل -^٥] ما ادعاه
٦٦١ / هـ تكذبا للقرآن / و إغراقا فى العدوان ، و زادوا عليه بابتدال الاسم الأعظم
الذى حماه الله من أن يدعيه أحد^٦ قبل ارسال النبو صلى الله عليه وسلم
فادعوا^٧ أنه يطلق عليهم وعلى كل أحد بل كل^٨ شىء ، و أماره هذه
الطائفة الخبيثة التى لا تتخلف أن تقول لاحد^٩ : العن فرعون الذى
أجمع على لعنه^{١٠} جميع الطوائف . و هو مثل عندهم فى الشرارة^{١١} و الحبث
١٠. فلا يلعنه ، و إن لعنه فبعد توقف .

ولما لخص سبحانه و تعالى ما مضى من قصصه فى هذه الكلمات
اليسيرة أحسن تلخيص و أقرب مع عدم المخالفة لشىء^{١٢} مما مضى لأن المفصل
موضع الاختصار أما باعتبار النزول فانه نزل^{١٣} أولا فكان تقريب القصص

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : كانوا (٣) زيد فى الأصل
انهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
ادعى (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لاحد (٧) من ظ
و م ، وفى الأصل : قاعدى (٨) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ
و م فحذفناها (٩) من م ، وفى الأصل و ظ : لاحد (١٠) العبارة من هنا الى
و الحبث . ساقطة من ظ (١١) من م ، وفى الأصل : الشهادة (١٢) من ظ
و م ، وفى الأصل : بشىء (١٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ترك .

للناس بالاقصار على ' ما لا بد منه اولى ليستأنسوا به ، و أما من جهة الترتيب
فلنذكرهم بما مضى ليجتمع [في - ٢] المخيلة في أقرب وقت و يتذكر ٢ به
ذلك المبسوط ، و ختمه بأخذه هذا الاخذ الغريب : أرشد [إلى - ٣] ما
في القصة من العبرة ، مشيرا إلى استحضار ما مضى كله ، فقال مؤكدا ه
مقررا للكذب * و منها للصدق : (ان في ذلك) أى الامر العظيم
الذى فعله و الذى فعل به (لعبرة) أى أمرا [عظيما - ٤] يعتمد
الاعتبار به من معنى إلى معنى حتى يقع به الوصول إلى كثير من المعارف
(لمن يخشى الله) أى من شأنه الخوف العظيم من الله لأن الخشية - كما
تقدم - هى ٤ اساس الخير ، فأول العبور ١ ان ينقل السامع حال غيره ١٠
إليه فيتذكر بانجاء بنى إسرائيل على ضعفهم ١١ منهم على قوتهم ثم بقوة ما
حصل لهم من القهر من ذلك حتى أوجب اتباعهم بالجنود ثم بفرق
البحر ثم بإيرادهم إياه ثم باغراقهم ١٢ فيه كلح البصر لم يخرج منهم مخبر
قدرة الله تعالى على إيراد الكفار ١٣ النار وقهر ١٤ كل جبار ١٥ و يجعل
العصا حية و إخراج القمل و الضفادع من الأرض و تحويل الماء دما ١٥

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : مع (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و فى
الأصل و ظ : يذكر (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : للكذابين .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : للصدقين (٧) زيد فى م : اى (٨) سقط من م .
(٩) فى ظ : القبول (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : ضعف (١١) من ظ
و م ، و فى الأصل : بفرقهم (١٢) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى
ظ و م لحذفها (١٣ - ١٤) من م ، و فى الأصل و ظ : الكفار .

قدرته سبحانه و تعالى على ذلك السامع بالعذاب و غيره وعلى خصوص
البعث - إلى غير ذلك من العبر [و - '] واضح الأثر .

ولما ختم قصة فرعون - لعنه الله^٢ - بالعبرة، وكان أعظم عبرتها
القدرة التامة لاسيما على البعث كما هي مشيرة إليه بأولها و آخرها،

٥ والعقوبة على التكذيب [به لأن التكذيب به - '] يجمع مجامع [الشر - ']

والتصديق به يجمع مجامع الخير، وكانوا يستبعدونه لاستبعاد القدرة عليه،

وصل به ما هو كالنتيجة منه، فقال مقررا مخاطبا لأصحاب الشبهة^٣ الشاكين

موقفا لهم على القدرة منكرا^٤ عليهم استبعادهم ذلك ملتفتا بعد تخصيص

الخطاب به صلى الله عليه وسلم [لما تقدم من دقة فهمه و جلالة علمه

١٠ صلى الله عليه وسلم - '] إلى عموم الخطاب لوضوح هذا البرهان لكل

إنسان استعطافا بهم في توبيخ: ﴿ ائتم ﴾ أى أيها / الأحياء مع كونكم / ٦٦٢

خلقا [ضعيفا - '] ﴿ اشد خلقا ﴾ أى اصعب و أثقل من جهة التقدير

والإيجاد ﴿ ام السماء ﴾ على ما فيها من السعة والكبر والعلو والمنافع .

و لما كان الجواب قطعاً : السماء - لما يرى من أعظمها لأن العالم

١٥ الإنسانى^٥ مختصر العالم الآفاقى، و يزيد الآفاقى طول البقاء مع عدم التأثير،

وصل به قوله دليلاً على قدرته على البعث لقدرته على ما هو أشد منه

لأن الذى قدر على ابتداء الأكبر هو^٦ على إعادة الأصغر أقدر^٧، مبينا

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) فى م : قصته (٣) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن

الريادة فى ظ و م لحذفناها (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : مفكر (٥) من

ظ و م ، وفى الأصل : الإنسان (٦) زيد فى الأصل : قادر ، ولم تكن الريادة

فى ظ و م لحذفناها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : قال .

لكيفية خلقه لها : ﴿بَنَاهَا وَفَنَّهُ﴾ أى جعلها سقفا للأرض على ما لها من العظمة ، ثم بين البناء بقوله : ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ [أى - ١] جعل مقدار ارتفاعها من الأرض أو سمها الذهاب فى العلور فيما ، قال فى القاموس : السمك السقف ، أو من أعلى البيت إلى أسفله ، أو القامة من كل شيء^١ ، وقال أبو حيان^٢ : السمك الارتفاع الذى بين سطح السماء الذى يلىنا^٣ و سطحها^٤ الذى يلى ما فوقها^٥ ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ أى عدلها عقب ذلك بأن جعلها مستوية لاشئ فيها أعلى من شئ ولا أخفض ولا فطور فيها ، وأصلحها بما تم به كمالها من الكواكب وغيرها ، وجعل مقدار ثخن كل سماء وما بين كل سماتين و ثخن كل أرض وما بين كل أرضين على السواء لا يزيد شئ من ذلك على الآخر أصلا . ١٠

ولما كان كل من ذلك يدل على القدرة على البعث لأنه إيجاد ما هو أشد من خلق الآدمى من عدم ، أتبعه ما يتصور به البعث فى كل يوم وليلة مرتين فقال : ﴿وَاغْطَشَ﴾ أى أظلم إظلاما لا يهتدى معه إلى ما كان^٦ فى حال الضياء ﴿لَيْلَهَا﴾ أى بغياب شمسها فأخفى ضياءها بامتداد ظل الأرض على كل ما كانت الشمس ظهرت عليه .^١ وأضافه ١٥ إليها لأنه يحدث بحركتها^٧ ، وبدأ به لأنه كان أولا ، و العدم قبل الوجود

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : و الله أعلم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لغزناها (٣) فى البحر المحيط ٤٢٢/٨ (٤) من م و البحر ، وفى الأصل : بيتا أو السطح ، وفى ظ : يلىنا أو السطح (٥) زيد فى الأصل : معه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لغزناها (٦ - ٧) من ظ و م ، وفى الأصل : أضافها إليه . (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ببركتها .

(واخرج صحتها) بطلوع شمسها فأضاء نهارها، فالآية من الاحتباك: دل به «أغطش» على «أضاء» وباخراج الضحى على إخفاء الضياء، ولعله عبر بالضحى عن النهار لأنه أزهى ما فيه وأقوى نورا.

ولما بدأ بدلالة العالم العلوى لأنه أدل لما فيه من العجائب والمنافع مع كونه أشرف، فذكر أنه أتقن السماء التي هي كالذكر، تبي بأنهُ سوى ما هي لها كالأنثى فقال: (والارض) ولما كان المراد استغراق الزمان باستمرار الدحو^٢، حذف الخافض فقال: (بعد ذلك) أى المذكور كله (دحها) أى بسطها ومدّها للسكنى وبقية المنافع بعد أن كان خلقها وأوجدّها قبل إيجاد السماء غير مسوّاة بالفعل ولا مدحوة.

١٠ ولما ذكر الدحو، أتبعه ما استلزمه من المنافع لتوقف السكنى المقصودة بالدحو عليه / فقال كاليمين له من غير عاطف: (واخرج منها) أى الارض (مأما) بتفجير العيون، وإضافته إليها دليل على أنه فيها (ومرّعها) الذى يخرج بالماء، والمراد ما برعى منها ومكانه وزمانه.

١٥ ولما ذكر الارض ومنافعها، ذكر المراسى التى تم بها نفعها فقال: (والجبال) أى خاصة (ارسلها) أى اثبتها وأقرها [و- ٢] مع كونها ثابتة لا تتحول فانه سبحانه جعلها مراسى للأرض تكون سببا (١) من ظ و م، وفي الأصل: باستغراق (٢) من ظ و م، وفي الأصل: المدح (٣) زيد من ظ و م.

لثباتها كما أن المراسى سبب لثبات السفينة . ولما كانت الإعادة واضحة من تناول الحيوان المأكّل والمشرب^١ وغيرهما^٢ من المتاع فانه كلما نقص منه شيء تناول^٣ ما قدر له ليعود ذلك! أو بعضه ، قال منها على أنه كل يوم في إعادة باننا حالا بما تقدم تقديره : حال كونها (متاعا) مقدرها ٥ (لكم) تتمتعون بما فيها من المنافع (ولا نعامكم^٤) أي مواشيكم بالرعى و غيره .

ولما ذكر ما دل على البعث ، أتبعه ما يكون عن البعث مسيئا عنه دلالة على أن الوجود ما خلق إلا لأجل البعث لأنه محط الحكمة : (فإذا جاءت) أي بعد الموت (الطامة الكبرى^٥) أي الداهية الدهياء التي تطم - أي ١٠ تعلقوا - على سائر الدواهي وتغطيها فتكون أكبر داهية توجد ، وهي البعث بالفخة الثانية - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما^٦ ، والعامل في " إذا " محذوف تقديره : فصل الناس إلى شقي وسعيد .

ولما كان الشيء لا يعرف قدره إذا كان غائبا الا بما يكون فيه ، قال مبدلا منه : (يوم يتذكر) [أي - ^٧] تذكرنا عظيمًا ظاهرا - ١٥ بما أشار إليه الإظهار (الانسان) أي الخلق الآس بنفسه الغافل عما

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : المشارب (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : غيرها .
(٣) زيد في الأصل : منه ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٤) زيد في الأصل : منافع ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٥) زيد في الأصل : أي ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٦) راجع البحر ٤٢٣/٨ (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : إذ (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : بما .

خلق له ﴿ما سعى﴾ أى عمل^١ كله من خير وشر لأنه يراه فى صحيفة أعماله ، والإخبار عن تذكره منها على ما فى ذلك [اليوم -^٢] من الخطر لأن أحدا لا يعمل جهده^٣ فى تذكره إلا لمحوج إلى ذلك وهو الحساب و تدوينه فى صحيفة أعماله .

هـ ولما أشار إلى الحساب ذكر ما بعده فقال : ﴿وبرزت﴾ أى أظهرت^٤ إظهارا عظيما ، وبناء للفعول لأن الهائل مطلق تبريزها لا كونه من معين ، مع الدلالة على الخفة والسهولة لكونه على طريقة [كلام -^٥] القادرين ﴿الجحيم﴾ أى النار التى اشتد وقدها وحرها ﴿لمن يرى﴾ أى كائنا من كان لأنه لا حائل بين أحد وبين رؤيتها ، لكن الناجي لا يصرف بصره إليها فلا يراها كما قال تعالى "لا يسمعون حسيبها" .
ولما كان جواب "إذا" كما مضى محذوفا ، وكان تقديره أن قسم الناس قسمين : قسم للجحيم وقسم للنعيم ، قال تعالى مسيا عنه مفصلا : ﴿فاما من طغى﴾ أى تجاوز الحد فى العدوان فلم يخش مقام ربه ، قال فى القاموس : طغى : جاوز القدر وارتفع [و -^٦] طغى : غلا فى الكفر وأسرف فى المعاصى والظلم ، والماء : ارتفع .

/ ٦٦٤

ولما كان الذى بعد حدود الله هو الدنيا ، صرح به / فقال : ﴿واثر﴾ أى أكرم وقدم واختار ﴿الحياة الدنيا﴾ بأن جعل أثر العاجلة

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : عمله (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بجمده (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : ظهرت (٥) زيد فى الأصل : الدنيوية ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

الدنية لحضورها عنده أعظم من أثر الآخرة العليا لغيابها^١، فكان كالبهائم لا إدراك له لغير الجزئيات الحاضرة، فانهمك في جميع أعمالها وأعرض عن الاستعداد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس فلم ينه نفسه عن الهوى .
ولما كان الإنسان مؤاخذا بما اكتسب، سبب عن أعماله هذه قوله مؤكدا لتكذيبهم ذلك: ﴿فان الجحيم﴾ أى النار الشديدة التوقد العظيمة ه
الجموح على من يدخلها ﴿هى﴾ أى لا غيرها ﴿الماوىء﴾ أى المسكن له -
هذا مذهب البصريين أن^٢ الضمير محذوف، وعند الكوفيين أن ["أل" -^٣]
نائب عن الضمير - قاله أبو حيان^٤ .

ولما ذكر الطاغى، أتبعه المتقى فقال: ﴿و اما من خاف﴾ ولما [كان -^٥] ذكر الخوف بما يتعلق بالشئ لأجل ذلك الشئ أعظم من ١٠
ذكر الخوف من ذلك الشئ نفسه فقال: ﴿مقام ربه﴾ أى قيامه
بين يدى المحسن إليه عند تذكر إحسانه فلم يطغ فكيف عند تذكر
جلاله وانتقامه، أو المكان الذى يقوم فيه بين يديه و* الزمان، وإذا
خاف ذلك [المقام -^٦] فما ظنك بالخوف من صاحبه، وهذا لا يفعله
إلا من تحقق المعاد .

١٥

ولما ذكر الخوف ذكر ما يتأثر عنه ولم يجعله مسببا عنه ليفهم^٦
أن كلا منهما فاصل على حاله وأن انفصل عن الآخر فقال:

(١) من ظ و م، وفى الأصل: لغائبها (٢) من ظ و م، وفى الأصل: لأن .
(٣) زيد من ظ و م (٤) فى البحر المحيط ٨ / ٤٢٣ (٥) من ظ و م، وفى
الأصل: أو (٦) من ظ و م، وفى الأصل: مفهما .

(و نهى النفس) أى التى لها المنافسة (عن الهوى لا) أى كل ما تهواه فإنه لا يجر إلى خير لأن النار حفت بالشهوات، والشرع كله مبنى على ما يخالف الطبع وما تهوى الأنفس، وذلك هو المحارم التى حفت بها النار فإنها بالشهوات، قال الرازى: و الهوى هو الشهوة المذمومة ٥ المخالفة لأوامر الشرع، قال الجنيد: إذا خالمت النفس هواها صار دأؤها دواءها، أى فأفاد ذلك أنه لم يؤثر الحياة الدنيا، فالآية من الاحتباك: أنى بطنى دليلا على ضده ثانيا، و بالنهاى عن الهوى ثانيا دلالة على إثارة الدنيا أولا. و لما كان مقام ترغيب، ربط الجزاء بالعمل كما صنع فى الترهيب فقال و أكد لأجل تكذيب الكفار: (فان الجنة) أى البستان الجامع لكل ما يشتهى (هى) أى خاصة (بالهوى) أى له، لا يأتى إلى غيرها^٢، و هذا حال المراقبين.

و لما قسمهم هذا التقسيم المفهم أن هذا شئ لا بد منه، استأنف ذكر استهزائهم تعجيبا منهم فقال: (يستلونك) أى قريش على سبيل التجديد و الاستمرار سؤال استهزاء و إنكار و استبعاد: (عن الساعة) أى البعث ١٥ الآخر لكثرة ما تتوعدهم بها عن أمرنا. و لما كان السؤال عنها مبهما

(١) زيد فى الأصل: هوى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: إبد الابدين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: انهم (٥) من م، و فى الأصل و ظ: تعجبا.

بينه بقوله : ﴿ اَيَّانَ مَرَسْنَاهُ ﴾ اى [فى اى - '] وقت إرساؤها ^٢ اى وقوعها و ثباتها و استقرارها .

و لما كَانَ / إِرَادَ هذا هكذا ^٣ مقهيا الانكار عليهم فى هذا السؤال ،
و كَانَ من المعلوم أنه يقول : إنهم ليسألوننى وربما تحركت نفسه الشريفة
صلى الله عليه وسلم إلى إجابتهم لحرصه على إسلامهم شفقة عليهم ، فطمه
عن ذلك و صرح بالانكار بقوله : ﴿ فسيم ﴾ اى فى اى شىء
﴿ انت من ذكرناها ﴾ اى ذكرها العظيم لتعرفها و تبين وقتها لهم حرصا
على إسلامهم ، و ذلك لا يفيد عليها ، ثم عرفها بما لا يمكن المزيد عليه بما
أفادته الجملة التى قبل من أنه لا يمكن عليها لغيره سبحانه و تعالى فقال :
﴿ الى ربك ﴾ اى المحسن إليك و حده ﴿ منتهئها ﴾ اى منتهى علمها ^{١٠}
و جميع امرها ^٧ .

و لما كَانَ غاية أمرهم أنهم يقولون : أنه متقول من عند نفسه ،
قلب عليهم الأمر فقال : ﴿ انما انت ﴾ انى يا أشرف المرسلين ﴿ منذر ﴾
اى يخوف على سبيل الحتم الذى لا بد منه مع علمك بما تخوف به العلم
الذى لا مرية فيه ﴿ من يخشئها ﴾ اى فيه أهليه أن يخافها خوفا عظيما ^{١٥}
فيجعل لها لعلها باتياتها لا محالة و عليه بنوته لا محالة و عليه بأن كل ما

- (١) ريد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : و ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : كله (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
لا (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بما (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : امرها .
(٧) من ظ و م ، وفى الأصل : عليها (٨-٨) فى ظ و م : كانوا :

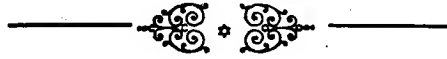
تحقق وقوعه فهو قريب، وذلك لا يناسب تعيين وقتها^١ فان من فيه أهلية الخشية لايزيده إبهامها إلا خشية، وغيره لايزيده ذلك إلا^٢ اجترام وإجراما، فما أرسلناك^٣ إلا للإنذار بها لا للإعلام بوقتها، فان النافع الأول دون الثاني، ولست في شيء مما يصفونك به كذبا منهم لانا ما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ولا أنت^٤ مبعوث^٥ لتحرير وقت الساعة و علم عينه^٦، وإنما قصره على من يخشى لان غيره لا ينتفع بإنذاره، فكان كأنه لم يحصل له الإنذار، ولهذا المعنى أضاف إشارة إلى أنه عريق في إنذار من يخشى، وأما غيره فهو منذر له في الجملة أى يحصل له صورة الإنذار لانه منذر^٧ بمعنى أنه يحصل له معنى الإنذار .

١٠ ولما أثبت أنه منذر، وكان أخوف الإنذار الإسراع، قال مستأنفا محقرا لهم الدنيا مزهدا لهم فيها: ﴿كأنهم﴾ أى هؤلاء المنكرين لصحة الإنذار بها ﴿يوم يرونها﴾ أى يعلمون قيامها علما هو كالرؤية ويرون ما يحدث فيها بعد سماع الصيحة و قيامهم من القبور من عليهم بما مر من زمانهم وما يأتي^٨ منه ﴿لم يلبثوا﴾ أى فى الدنيا و^٩ فى القبور ١٥ ﴿الاعشى﴾ أى من الزوال إلى غروب الشمس . ولما كانوا على غير ثقة من شيء مما يقولونه قال: ﴿أو ضلها﴾ أى ضل عشية من العشايا

(١) من ظ و م، وفى الأصل: وقوعها (٢-٣) فى ظ و م: اجراما واحتراء
فما أرسلت (٣) من ظ و م، وفى الأصل: ما (٤) من ظ و م، وفى الأصل:
بمبعوث (٥) من ظ و م، وفى الأصل: غيبه (٦) من م، وفى الأصل و ظ:
منذر (٧) من ظ و م، وفى الأصل: اتى (٨) من ظ و م، وفى الأصل: أو .

وهو البكرة^١ إلى الزوال، والعشية ما بعد ذلك، اضيف إليها الضحى
لأنه من النهار، والإضافة تحصل بأدنى ملابسة، وهى هنا كونها من
نهار واحد، فالمراد ساعة من نهار أوله أو آخره، لم يستكملوا نهارا تاما
ولم يجمعوا / بين طرفيه، وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم «ما الدنيا فى
الآخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع»، وهذا تعبير
لنا بما نحسه تقريبا لعقولنا وإن كانت القاعدة أنه لانسبة لما يتناهى [إلى ما
لا يتناهى-^٢] على أن الكفار أيضا يستقصرون مدة لبثهم، فكأنهم أصناف:
بعضهم يقول: ان لبثتم إلا عشرا، وبعضهم يقول: إن لبثتم الا يوما،
وبعضهم يتحير فيقول: اسأل العادين، أو أن تلك أقوالهم، والحق من
ذلك [هو-^٣] ما أخبر الله به غير مضاف إلى أقوالهم من أن ما مضى ١٠
لهم فى جنب ما يأتى كأنه ساعة من نهار بالنسبة إلى النهار [الكامل-^٤]
كما قال تعالى فى سورة يونس عليه الصلاة والسلام "و يوم يحشرهم كان
لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم" على أن منهم من يقول
ذلك أيضا كما قال تعالى فى سورة المؤمنين حين قال تعالى "كم لبثتم فى
الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين" وذلك ١٥
بالنسبة إلى ما كشف لهم عن أنهم يستقبلونه بما لا آخر له أو أنهم لما
زعتهم نفخة إسرافيل عليه الصلاة والسلام بيد القدرة من قبورهم غرقا
(١) من ظ و م ، وفى الأصل: من أول النهار (٢) أخرجه ابن ماجه فى
الزهد - باب مثل الدنيا (٣) زيد من ظ و م (٤) تكرر فى الأصل فقط .
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل: عما .

نزعا شديدا فقاموا و رأوا تلك الآهوال و علموا ما يستقبلونه من
 الأوجال استقصروا^١ مدة لبثهم قبل ذلك لأن من استلذ شيئا استقصر
 مدته و هم استلذوا ذلك و إن كان من أمر المرّ في جنب لهم عن (٩)
 أنهم^٢ لاقوه، فقد رجع اخرها بالقيامة على اولها، و اتف مفصلها بنزع
 ٥ النفس اللوامة على موصلها، و اتصلت بأول ما بعدها من جهة الخشية
 و التذكر فيا طيب متصلها، فسبحان من جعله^٣ متعاقب المقاطع و المطالع،
 و أنزله رياضاً محكمة المذاهب و المراجع، و الله سبحانه و تعالى هو الموفق
 للصواب و إليه المرجع و المآب^٤.



(١) من ظ و م، وفي الأصل: استقروا (٢) زيد في الأصل و ظ: و الله اعلم،
 ولم تكن الزيادة في م لحذفها (٣) من ظ و م، وفي الأصل: لسه (٤-٥) في
 ظ و م: الموفق.

سورة عبس^٢ و تسمى الصاخة

مقصودها^٣ شرح " انما أنت منذر من يخشاها " بأن المراد الأعظم تركية القابل للخشية^٤ بالتحذير بالقيامه التي قام الدليل على القدرة عليها بابتداء الخلق من الإنسان، وبكل من الابتداء والإعادة لطعامه^٥ والتعجب من أعرض مع قيام الدليل، والإشارة إلى أن الاستغناء والترف اماره^٥ الإعراض وعدم القابلية والتهيب^٦ للكفر والفجور، وإلى أن المصائب اماره للطهارة والإقبال واستكانة القلوب وسمو النفوس لشريف الأعمال، فكل من كان فيها أرسخ كان قلبه أرق والطف فكان أخشى، فكان الإقبال عليه أحب وأولى، و اسمها "عبس" هو الدال على ذلك بتأمل آياته وتدبر فواصله وغاياته، / وكذا الصاخة الناقصة بشرها وشررها والباخة ١٠ / ٦٦٧

(بسم الله) الذي له القدرة البالغة والحكمة الباهرة (الرحمن) الذي عم بنعمة^٧ الإيجاد الظاهر ثم بآيات البيان الزاهرة^٨ (الرحيم) الذي خص أوليائه بأن آتم نعمته عليهم، فكانت بهم إلى مرضاته سائرة .

(١) الثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٤٢ (٢) زيد في الأصل : وتولى، ولم تكن الزيادة في ظ وم فخذناها (٣) من م، وفي الأصل و ظ : ومقصودها (٤) زيد في الأصل : بالخشية، ولم تكن الزيادة في ظ وم فخذناها (٥) من ظ وم، وفي الأصل : لطفامته (٦) من م، وفي الأصل : ظ : بنعمته (٧) من ظ وم، وفي الأصل : الزاهر .

لما قصره سبحانه على إنذاره من يخشى ، و كان قد جاءه صلى الله عليه و سلم عبد الله بن أم مكتوم [الأعمى - ١] رضى الله تعالى عنه ، و كان من السابقين ، و كان النبي صلى الله عليه و سلم حين مجيئه مشغلا بدعاء ناس من صناديد قريش إلى الله تعالى ، و قد وجد منهم نوع لين ، فشرع عبد الله رضى الله عنه يسأله [و هو لا يعلم ما هو فيه من الشغل ، يسأله - ١] أن يقرئه و يعلمه [بما عليه الله - ١] ، فكره أن يقطع كلامه مع أولئك خوفا من أن يفوته منهم ما يرجوه من إسلامهم المستتبع للإسلام ناس كثير من أتباعهم ، فكان يعرض عنه و يقبل عليهم ، و تظهر الكراهة في وجهه ، لاطفه سبحانه و تعالى بالعتاب عن التشاغل

١٠ عن أهل ذلك بالتصدي لمن شأنه أن لا يجتنب لافتنانه بزينة الحياة الدنيا و إقباله بكليته على ما يقضى ، فقال مينا لشرف الفقراء^٢ و علو مرتبته و فضل أهل الدين و إن هانوا ، و خسة أهل الدنيا و إن زانوا ، معظالمه صلى الله عليه و سلم بسياق الغيبة كما قال سعد بن معاذ رضى الله عنه لما حكم في بنى قريظة : و على من ههنا - يشير إلى ناحية النبي صلى الله عليه و سلم و هو معروض عنها حياء منه صلى الله عليه و سلم و لإجلاله له : (عبس) أى فعل الذى هو أعظم خلقنا و نجله عن أن نواجهه بمثل هذا العتاب بوجهه فعل الكاره للشيء من تقطيب الوجه بما له من الطبع البشرى حين يحال بينه و بين مراده ، و آذن بمدحه صلى الله عليه و سلم بأن ذلك خلاف ما طبعه عليه سبحانه من رحمة المساكين و محبتهم و السرور بقربهم و صحبتهم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ ، و في الأصل و م : الفقه .

[بقوله - ١] : ﴿ وتولى ١ ﴾ أى كلف نفسه الإعراض عنه رجاء ان يسلم أولئك الاشراف الذين كان يخاطبهم فيتأيد بهم الإسلام و يسلم باسلامهم أتباعهم فعملوا كلمة الله ، [لأجل - ٢] ﴿ ان جاءه الاعمى ٢ ﴾ الذى ينبغي أن يبالغ في العطف عليه وفي إكرامه جبرا لكسره واعترافا بحقه في مجيئه ، وذكره ٢ بالوصف للاشعار بعذره ٢ في الإقدام على قطع الكلام والبعث ٥ على الرأفة [به - ٣] والرحمة له ، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا رآه بعد ذلك قال : مرحبا بمن عاتبنى فيه ربي ، واستخلفه على المدينة الشريفة عند غزوه مرتين ، قال أنس بن مالك رضى الله عنه ٤ : و رأيت يوم القادسية عليه درع ومعه راية سوداء رضى الله عنه .

ولما عرف بسياق الغيبة ما أريد من الإجلال ، وكان طول الإعراض ١٠ موجبا للاقباض ، أقبل عليه صلى الله عليه وسلم فقال : / ﴿ وما يدريك ﴾ ٦٦٨ / أى و أى شيء بحملك داريا بحاله وإن اجتهدت في ذلك فإن ذوات الصدور لا يعلمها إلا الله تعالى ﴿ لعله ﴾ أى الأعمى ﴿ يزكئى ١ ﴾ أى يكون بحيث يرجى تطهره و نمو أحواله الصالحة ٧ بما يسمع منك ٨ و لو على أدنى الوجوه بما يشير إليه إدغام تاء الافعال (٩) ، وكذا قوله : ﴿ او يذكر ﴾ أى ١٥ أو يقع منه التذكر لشيء يكون سببا لذكائه ٩ و تذكره ولو كان "ذلك منه" ٩

- (١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : ذكر .
 (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : يتعذره (٥) زيد من ظ (٦) راجع العالم ١٧٤/٧ .
 (٧) من م ، وفي الأصل و ظ : الصالح (٨) من ظ ، وفي الأصل و م : منه .
 (٩) من ظ ، وفي الأصل و م : لذكائه (١٠-١٠) من م ، وفي الأصل و ظ : منه ذلك .

على أدنى الوجوه المخرجة من^١ الكفر فان الخير لا يحقر شيء منه، وسبب
عن تزكيه وتذكره قوله: ﴿فتنفعه﴾ أى عقب تذكره وسيبه ﴿الذكرى﴾^٢
و فى ذلك إيماء إلى أن الإعراض كان لتزكية غيره وتذكره، وقراءة
النصب على أنه جواب دلل .

٥ ولما ذكر العبوس والتولى عنه فأفهمها ضدّها لمن كان مقبلا
عليهم، بين ذلك فقال: ﴿أما من استغنى﴾^٣ أى طلب الغنى وهو المال
والثروة فوجده وان لم يخش ولم يحسب إليك ﴿فانت له﴾ أى دون
الاعمى ﴿تصدى﴾^٤ أى تتعرض بالإقبال عليه والاجتهاد فى وعظه
رجاء اسلامه واسلام أتباعه واسلامه ومم عتبة بن ربيعة وابو جهل
١٠ و [أبى و - ٢] أمية ابنا خلف، وأشار^٥ حذف تاء الفعل فى قراءة الجماعة
وادغامها فى قراءة نافع وابن كثير [إلى - ١] أن ذلك كان على وجه
خفيف كما هى عادة العقلاء .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما قال سبحانه "ان فى ذلك
لعبرة لمن يخشى" وقال بعد "أما انت منذر من يخشاها" اقتضت هذه
١٥ السورة الأخرى بمثال يكشف عن المقصود من حال أهل التذكر
والخشية وجميل الاعتناء الربابى بهم و [انهم و - ١] ان كانوا فى دنياهم
ذوى^٦ خمول لا يؤبه لهم^٧ فهم عنده^٨ سبحانه فى عداد من اختاره لعبادته

(١) من ظ و م، وفى الأصل: المخرج (٢) ريد من ظ و م (٣) زيد فى
الأصل: إلى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) ريد من م (هـ) من
ظ، وفى الأصل و م: ذو (٦-٦) من ظ، وفى الأصل و م: فهو عندهم .
٢٠٢ (٦٣) وأهله

و اهلہ^١ لطاعته و إجابة رسوله^٢ صلى الله عليه وسلم و اعلی منزلته لديه
 و رب أشعث أغبر لا يؤبه له^٣ لو أقسم على الله لأبره، و منهم ابن أم
 مكتوم الاعمی مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم [و هو -^٤] الذى
 بسبه زلت^٥ السورة و وردت^٦ بطريق العتب و صاة لنيه صلى الله
 عليه وسلم و تنبيهها على أن يعمل نفسه الكريمة على مصابة [أمثال -^٧] ابن ٥
 أم مكتوم و أن لا يحتقر و حاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك،
 ولكن التحذير من هذا و إن لم يكن وقع^٨ يشعر بعظيم الاعتناء
 بمن حذر، و منه قوله سبحانه "لئن اشرکت لیجطن عملک" و "لا تدع
 مع الله الها اخر" و "لا تمش فی الارض مرحا" و هو كثير، و بسط
 هذا الضرب لا یلائم مقصودنا فی هذا التعليق، لما دخل عليه صلى الله ١٠
 عليه وسلم ابن أم مكتوم سائلا و مسترشدا و هو صلى الله عليه وسلم
 یکلم رجلا من أشراف قریش و قد طمع فی إسلامه و رجاء إنقاذه
 من النار و إنقاذ ذویه و أتباعه، فتمادى على طلبه^٩ هذا الرجل لما كان
 یرجوه / و کل ابن أم مكتوم إلى إيمانه [فأغفل -^{١٠}] فورية^{١١} مجاوبته ٦٦٩ /
 و شق عليه إلحاحه خوفا من تقلت^{١٢} الآخرو مضیه على عقبه و هلاک ١٥

- (١) من م، و فی الاصل و ظ : اهلا (٢) فی م : رسله (٣) من ظ و م، و فی
 الأصل : به (٤) زيد من ظ و م (٥-هـ) من ظ و م، و فی الأصل : نزلت بسبه.
 (٦) من ظ و م، و فی الأصل : ورث (٧) من ظ، و فی الأصل و م : يقع.
 (٨) فی ظ : تقلبه (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ و م، و فی الأصل : فوری.
 (١١) من ظ و م، و فی الأصل : قلب.

عَبَسَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ فَقَالَ " عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا
يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي أَوْ يَذْكُرْ " وَهِيَ مِنْهُ سَبْحَانَهُ وَاجِبَةٌ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي
السُّورَةِ قَبْلَ قَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ " هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ يَزْكِيَ "
فَلَمْ يَقْدِرْ لَهُ بِذَلِكَ وَلَا انْتَفَعَ بِعَدِصِيَّتِهِ فِي دُنْيَاهُ وَلَا أَغْنَى عَنْهُ مَا نَالَ
٥ مِنْهَا وَبَارَتْ [مَوَاد - ١] تَدْيِيرُهُ وَعَمِيَّتْ عَلَيْهِ الْأَنْبَاءُ إِلَى أَنْ قَالَ
دَمَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا
أَعْلَى أَطْلُعْ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ، وَوَأَنِّي لَا ظَنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءِ
عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ، فَأَنَّى يَزْكِي ؟ وَلَوْ سَبَقَتْ لَهُ سَعَادَةٌ لِابْتِصَارِهِ مِنْ حَالِهِ
عَيْنَ الْإِلَهِيِّ وَلِلْعَبِّ حِينَ مَقَالَتِهِ الشَّعَاءَ دَأْمَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ .
١٠ وَلَمَّا سَبَقَتْ لِابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْحَسَنَى لَمْ يَضُرَّهُ عَدَمُ الصِّيتِ الدُّنْيَاوِي
وَلَا أَخْلَ بِهِ عَمَاءُ بَلْ عَظَّمَ رَبُّهُ شَأْنَهُ لَمَّا نَزَلَ فِي حَقِّهِ " وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ
يَزْكِي أَوْ يَذْكُرْ فَتَفْهَمُ الذِّكْرَى " فَيَا لَهُ صِيَّتًا مَا أَجَلُهُ ، بِخِلَافٍ مَنْ قَدَّمَ
ذِكْرَهُ مِنْ طَرْدٍ فَلَمْ يَتْرَكَ * وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِالذِّكْرَى حِينَ قَصَدَ بِهَا ، إِنَّمَا أَنْتَ
مَنْزَرٌ مِنْ يَنْشَاهَا " كَأَنَّ أُمَّ مَكْتُومٍ ، وَمَنْ نَمَطَ مَا نَزَلَ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ
١٥ قَوْلُهُ تَعَالَى " وَاصْبِرْ نَفْسُكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ " [وَقَوْلُهُ : " وَلَا تَتَّخِذِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ " - *] فَتُبَارِكُ رَبَّنَا مَا أَعْظَمَ لَطْفَهُ بِعَبِيدِهِ - اللَّهُمَّ لَا تُؤَيِّنَا

(١) زَيْدٌ مِنْ ظَوْمٍ (٢) مِنْ ظَوْمٍ ، وَفِي الْأَصْلِ : ذَلِكُمْ (٣) مِنْ مٍ ، وَفِي
الْأَصْلِ وَظَوْمٌ : خَلٌّ (٤) مِنْ ظَوْمٍ ، وَفِي الْأَصْلِ : صِلِيَّتًا (٥) مِنْ ظَوْمٍ ،
وَفِي الْأَصْلِ : فَلَمْ يَتْرَكَ .

من رحمتك^١ ولا تقنطنا من لطفك^٢ ولا تقطع بنا عنك بمنك وإحسانك - انتهى^٣.

ولما كان فعله ذلك فعل من يخشى أن يكون عليه في بقائهم على كفرهم ملامة، بين له أنه سالم من ذلك فقال: ﴿وما﴾ [أى - ٢] فعلت ذلك والحال أنه ما ﴿عليك﴾ أى من^٤ بأس في ﴿الا يزكى﴾^٥ أصلا ورأسا ولو بأذى ترك - بما أشار إليه الإدغام^٦ - ان عليك إلا البلاغ، ويجوز أن يكون استفهاما أى وأى شئ يكون عليك في عدم تزكية، وفيه اشاره إلى أنه يجب الاجتهاد في تزكية التابع الذى عرف منه القبول.

ولما ذكر المستغنى، ذكر مقابله فقال: ﴿واما من جاءك﴾ حال ١٠ كونه ﴿يسعى﴾ أى مسرعا رغبة فيما عندك من الخير المذكور بالله وهو فقير ﴿وهو﴾ أى والحال أنه ﴿يخشى﴾ أى يوجد الخوف من الله تعالى ومن الكفار فى أذاهم على الإتيان الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معائر الطريق لعماه ﴿فانت عنه﴾ أى خاصة فى ذلك المجلس لكونه فى الحاصل ﴿تلهى﴾ أى تتشاغل لأجل أولئك الاشراف ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: والله اعلم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ و م. (٥) زيد فى الأصل وظ: وما عليك، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: المذكور (٧) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها.

الذين تريد إسلامهم ليعلو بهم الدين تشاغلا حميما - بما اشار اليه حذف التاء،
من لهى عنه كرضى - 'إذا سلى وغفل وترك'، وفي التعبير بذلك اشارة
/ إلى أن الاشتغال بأولئك لا فائدة فيه على ما تفهمه^١ تصارييف المادة / ٦٧٠
و إلى أن من يقصد الانسان^٢ ويتخطى رقاب الناس اليه له عليك حق
عظيم ، والآية من الاحتباك : ذكر الغنى أولا يدل على الفقر ثانيا ، وذكر
المجىء والخشية ثانيا يدل على ضدّها أولا ، وسر ذلك التحذير بما يدعو
اليه الطبع البشرى من الميل الى الأغنياء ، ومن الاستهانة بحق الآتي إعظاما
لمطلق إتيانه .

ولما كان العتاب الذى هو من شأن^٣ الأحباب ملوحا بالنهاى عن
١٠ الإعراض عمن وقع العتاب عليه ، وكل من كان حاله كماله والتشاغل
عن راغب ، صرح به فقال : ﴿ كَلَّا ﴾ أى لا تفعل ذلك أصلا فان
الأمر فى القضاء والقدر ليس على ما يظن العباد ولا هو جار على الأسباب
التي تعرفونها بل هو من وراء علومهم على حكم تدق عن أفكارهم^٤ وفهومهم^٥ ؛
ثم علل ذلك فقال مؤكدا لإنكارهم ذلك : ﴿ انها ﴾ أى القرآن ، ولعله
١٥ أنك الضمير باعتبار ما تلى عليهم فى ذلك المجلس^٦ من الآيات^٧ أو السور^٨
﴿ تذكرة ﴾ أى تذكرهم تذكيرا عظيما بما إن تأملوه شاهدوه فى أنفسهم

(١) يريد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحدوثها (٢-٣) سقط
ما بين الرفعين من ظ (٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : مفهومهم (٤) من ظ
و م ، وفى الأصل : المحاسن (٥ - ٥) من ظ و م ، وفى الأصل : والسورة .
(٦) من م ، وفى الأصل و ظ : لا .

وفي الآفاق^١، ليس فيه شيء إلا وهم^٢ يعرفونه لو أقبلوا بكليتهم عليه، فما على المذكر بها غير البلاغ، فمن أقبل عليه فأهلا وسهلا، ومن أعرض فبعدا [له - ٣] وحقا.

ولما كان سبحانه قد خلق للإنسان عقلا واختيارا، ويسر أمر القرآن في الحفظ والفهم لمن أقبل عليه، سبب عن ذلك قوله: ﴿فمن شاء﴾ أي ه ذكره^٤ بعد مشيئة الله تعالى كما تقدم تقييده في القرآن غير مرة ﴿ذكره﴾ أي حفظ القرآن كله وتذكر ما فيه من الوعظ من غير تكرير ولا معالجة تحوج إلى الإعراض عن بعض المقبلين الراغبين، وللإشارة إلى حفظه كله ذكر الضمير.

ولما كان التقدير: حال كون القرآن مثبتا أو حال كون المذكر^٥ ١٠ له [مثبتا - ٤]، قال واصفا لتذكرة مينا لشرفها بتشريف ظرفها وظرف ظرفها: ﴿في صحف﴾ أي أشياء يكتب فيها من الورق وغيره ﴿مكرمة لا﴾ أي مكرمة التكريم ومعظمته^٦ في السماء والأرض في كل أمة و [كل - ١٠] ملة ﴿مرفوعة﴾ أي عليه^٧ المقدار باعلاء كل أحد لاسيما من له الأمر كله ﴿مطهرة لا﴾ أي منزهة عن أيدي أهل السفول وعن قولهم ١٥

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : الاتفاق (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : هو .
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : من (٥) في ظ و م : الذكر .
(٦) من ظ ، وفي الأصل و م : الإشارة (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : الذكر (٨) زيد من ظ (٩) من م ، وفي الأصل و ظ : بعظمة (١٠) زيد من ظ و م (١١) من ظ و م ، وفي الأصل : عالية .

انها شعر أو سحر ونحو ذلك ، وعلق [ايضا - ١] بمثبت - بالفتح
أو الكسر^٢ على اختلاف المعنيين - قوله مبينا شرف ذلك الظرف لذلك
الظرف إشارة إلى نهاية الشرف للظروف : ﴿بايدى سفره لا﴾ أى كتبه
يظهرون الكتابة بما فيها من الأخبار الغريبة والأحكام العلية فى [كل - ٢]
٥ حال ، فان كان^٣ ما تعلق به الجار بالفتح فهو حقيقة فى أنهم ملائكة
يكتبونه من^٤ اللوح المحفوظ ، أو يكون جمع سافر إما بمعنى / الكاتب
أو المسافر [أى - ٢] القاطع للمسافة أو السفير الذى [هو - ٣] المصلح
لأنهم سفراء بين الله وأنبيائه ، وبهم يصلح أمر الدين و الدنيا ، وان كان
بالكسر فهو مجاز لأن من أقبل على كتابة الذكر يكون مهذبا فى الحال
١٠ أو فى^٥ المآل فى الغالب ، وتركيب سفر للكشف^٦ ﴿كرام﴾ [أى ينطرون
على معالى الاخلاق مع أنهم أعزاء على الله - ٢] ﴿بررة^٧﴾ أى اتقياء فى اعلى
مراتب التقوى والكرم وأعزها وأوسعها .

ولما كان الوصف بهذه الأوصاف العالية للكتابة الذين^٨ أيديهم
ظرف للصحف^٩ التى هى^{١٠} ظرف للتذكرة للتنبيه على علو المکتوب
١٥ و جلالة مقداره وعظمة آثارة وظهور ذلك لمن تدبره وتأمله حق تأمله

(١) زيد من م (٢-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : الفتح وبالكسر (م) زيد من
ظ وم (٤) من م ، وفى الأصل وظ : كل (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : فى .
(٦-٦) من ظ وم ، وفى الأصل : وه (٧) زيد فى الأصل : هو ، ولم تكن
انزيادة فى ظ وم لحذفها (٨) زيد فى الأصل : هم ، ولم تكن انزيادة فى
ظ وم لحذفها (٩-٩) من ظ وم ، وفى الأصل : الذين هم .

و أنعم^١ نظره ، عقبه [بقوله -^٢] ناعيا على من [لم -^٣] يقبل بكليته عليه
داعيا عليه بأعظم شدائد الدنيا التي هي القتل في صيغة الخبر لانه أبلغ :
﴿ قتل الانسان ﴾ أى هذا النوع الآنس بنفسه الناسى لربه^٤ المتكبر على
غيره المعجب بشأنه الذى أبدعها له خالقه ، حصل قتله بلعنه وطرده
وفرغ منه بأيسر سعى وأسهله من كل من يصح ذلك منه لانه أسرع^٥
شئ إلى الفساد لانه مبنى على النقائص إلا من عصم^٦ الله ﴿ ما اكفره^٧ ﴾
أى ما أشد تغطيته للحق وجحد له و عناده فيه لإنكاره البعث وإشراكه
ربه وغير ذلك من أمره ، فهو دعاء عليه بأشنع^٨ دعاء [و -^٩] تعجب
من إفراطه فى ستر محاسن القرآن التى لاتخفى^{١٠} على أحد ودلائله على
القيامة وكل شئ لايسع [أحدا -^{١١}] التغير^{١٢} فى وجه شئ منها ، وهذا الدعاء ١٠
على وجازته يدل على سخط عظيم و ذم بليغ وهو وإن كان فى
مخصوص فالعبرة بعمومه^{١٣} فى كل من كفر نعمة الله ، روى أنها نزلت فى
عتبة بن أبى لهب غاضب أباه فاسلم ثم استصلحه أبوه وأعطاه مالا وجهزه
إلى الشام فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه^{١٤} أنه كافر برب النجم
إذا هوى ، وأخفش فى غير هذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم ابعث ١٥
عليه كلبا من كلابك ، فلما انتهى إلى مكان من الطريق فيه الأسد

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : امعن (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : كربه (٤) من م ، وفى الأصل وظ : عصمه (٥) من ظ و م ،
وفى الأصل : بامنم (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لا تختلف (٧) من ظ و م ،
وفى الأصل : التعبير به (٨) سقط من ظ و م .

ذكر الدعاء فجعل لمن معه الف دينار إن أصبح [حيا - '] فجعلوه في
وسط الرفقة والمتاع والرحال فأقبل الأسد إلى الرحال ووثب فإذا
هو فوقه فزقه فكان أبوه يندبه ويكي عليه وقال: ما قال محمد شيئا
إلا كان، [و - '] مع ذلك فما نفعه ما عرف من ذلك، فسبحان من
يده القلوب يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وكل ذلك من هدايته
وإصلاحه شاهد بأن له الحمد.

ولما كان أكثر انصباب التعجب منه نأظروا إلى تكذيبه
بالساعة لأجل ظهور أدلتها في القرآن جدا ولأنه توالت في هذه السور
إقامة الأدلة عليها بما لا مزيد عليه، شرع في إقامة الدليل عليها بآية
١٠ / ٦٧٢ الانقاس من ابتداء الخلق في أسلوب / مبين لحسته وحقارته وأن من
ألبسه أثواب الشرف بعد تلك الخسة والحقارة جدير منه بالشكر لا بالكفر،
فقال منها له بالسؤال: ﴿من أي شيء﴾ والاستفهام للتقرير مع التحقير
﴿خلقه﴾ ثم أجاب إشارة إلى أن الجواب واضح لا يحتاج فيه إلى
وقف أصلا فقال مينا حقارته: ﴿من نقطة﴾ أي ماء يسير جدا لا من
غيره ﴿خلقه﴾ أي أوجده مقدرًا على ما هو عليه من التخطيط ﴿قادره﴾
أي مياها لما يصاح له من الأعضاء الظاهرة والباطنة والأشكال والأطوار

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : اتعجب (٣) من ظ
و م ، وفي الأصل : السورة (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ثواب .
(٥) من م ، وفي الأصل و ظ : على (٦) في ظ : التخليط .

إلى [أن - '] صلح لذلك^٢ تم جعله في ظلمات ثلاث : ظلمة البطن ثم الرحم ثم المشيمة ، أو هي^٣ على ما^٤ قال أهل التشریح ثلاثة أغشية : أحدها المشيمة تتصل بسرة الجنين تمده^٥ بالغذاء ، والثاني يقبل^٦ بوله ، والثالث يقبل البخارات التي تصعد منه بمنزلة العرق والوسخ في أبدان الكاملين ، وأعطاه قدرة لما أراد^٧ [منه - '] (ثم) أي بعد انتهاء المدة هـ (السيل) أي الأكل في العموم والانتساع والوضوح لا غيره ، وهو مخرجه من بطن أمه وطريقه إلى الجنة أو النار (يسره لا) أي سهل له أمره في خروجه بأن فتح فم الرحم^٨ وألهمه أن ينتكس ، وذل [له - '] سبيل الخير والشر ، وجعل له عقلا يقوده إلى ما يسر له منهما ، وفيه^٩ إيماء إلى أن الدنيا^{١٠} دار المرء ، والمقصود غيرها^{١١} وهو الآخرة ١٠ التي تدل عليها الدنيا ، ولذلك عقبه بقوله عادا الموت من النعم لأنه لو دام الإنسان حيا مع ما يصل إليه من الضعف والخوف لكان في غاية البشاعة والشامة لأعدائه والمساءة لأوليائه على أن الموت سبب الحياة الأبدية : (ثم) أي بعد أمور قدرها سبحانه من أجل وتقلبات

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : كذلك (٣-٢) من ظ و م ، وفي الأصل : كما (٤) من ظ ، وفي الأصل : يمد ، وفي م : يمد . (٥) من م ، وفي الأصل وظ : تقبله (٦) زيد في الأصل ، إلى أيها ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفها (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : الفروج (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : هذا (٩-٨) من ظ و م ، وفي الأصل : راد مضى - كذا . (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : غيره .

(اماته) وأشار إلى إيجاب المبادرة إلى التجهيز بالفاء المعقبة في قوله :
 (فاقبره) أي جعل له قبرا فغيبه [فيه - ١] أو أمر بدفنه تكرمة له
 وصيانة عن السباع ، والإقبار جعلك لليت قبرا وإعطاؤك القليل لآمله
 ليدفنه ، والمعنى الامتنان بأنه جعل للإنسان موصفا يصلح لدفنه وجعله
 بعد الموت بحيث يتمكن^٢ من دفنه ، ولو شاء لجعله يتفتت مع التثني ونحوه
 مما يمنع من قربانه ، أو جعله بحيث يتهاون به فلا يدفن كبقية الحيوانات ،
 فقد عرف بهذا أن أول الإنسان نطفة مذرة ، وآخره جيفة قدرة ،
 وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة ، فما شرفه بالعلم إلا الذي أبدعه وصوره ،
 وذلك موجب لأن يشكره لا أن يكفره .

١٠ ولما كانت مدة البرزخ طويلة ، وكان البعث [أمرأ - ٤] محققا
 غير معلوم الوقت بالعين بغيره تعالى ، عبر عن المعاني الثلاثة بأداني^٥
 التراخي والتحقق فقال : (ثم إذا شاء) أي إنشأه (اشره له) أي
 بعثه من قبره كما كان في دنياه بزيادة أنه على تركيب قوى / لا يتهميا
 فيه فراق الروح والجسد .

١٥ ولما كان إخباره بأنه مع^٦ الذي يسر له السبيل قد يفهم أنه لا يعمل
 إلا بما يرضيه ، نفي ذلك على سبيل الردع فقال : (كلا) أي ليرتدع
 هذا الإنسان الذي عرف أن هذه حالاته أولا وآخرا وأثناءا ومخرجا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : يمكن (٣) من ظ و م ،
 وفي الأصل : فما (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفي الأصل : وم : باداة (٦) زيد
 في الأصل : بعد الق ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) في ظ : هو .

تارة من مخرج البول و أخرى من مخرج الحيض و مقبرا ، و لينزجرا^١
و ليعرف ، نفسه بالذلة و الخسة و الحاجة و العجز ، و ليعرف ربه سبحانه
بالعزة و العظمة و الكبرياء و الفناء و القدرة على تشريف الحقير و تحقير
الشريف ، و بأنه سبحانه لا يلزمه شيء فلا يلزم من تعريف هذا الإنسان
السييل و تميزه له أنه لا يفعل إلا ما لا يعاتب عليه ، فانه لا يكون [من - ٢] ه
الإنسان و غيره إلا ما يريد ، و تارة يريد هداه ، و تارة يريد ضلاله ، فقد
يأمر بما لا يريد و يريد ما لا يأمر به و لا يرضاه ، و لذلك قال مستأنفا
نفي ما أفهمه بتيسيره^٢ للسييل من [أن - ٤] الإنسان يفعل جميع ما أمره
به الله الذى يسر له السييل : ﴿ لما يقض ﴾ أى يفعل الإنسان فعلا
ناقذا ماضيا ﴿ ما أمره ٥ ﴾ أى به الله كله من غير تقصير ما من حين ١٠
تكليفه إلى حين إقباره بل من حين وجد آدم عليه الصلاة و السلام
إلى حين نزول هذه الآية و إلى آخر الدهر ، لأن الإنسان [مبنى - ٢]
على التقصان و الإله منزه التنزه الأكمل ، و ما قدروا الله حق قدره ،
و ايضا الإنسان الذى هو النوع لم [يعمل - ٢] بأسره بحيث لم يشذ منه
فرد جميع ما أمره ، بل أغلب^٥ الجنس عصاه و كذب بالساعة التى هى ١٥
حكمة الوجود ، و إن صدق بها^٦ بعضهم كان تصديقه بها تكذيبا لأنه
يعتقد أشياء منها على خلاف ما هى عليه .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لينزجر (٢) زيد من ظ و م (٣) فى ظ : يتيسر .

(٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : قلب (٦) من م ، و فى الأصل

و ظ : به .

و لما ردعه بعد تفصيل [ماله - ١] في نفسه من الآيات، وأشار
إلى ما له من النقائص، شرع يقيم الدليل على تقصيره بأنه لا يقدر
على شكر نعمة المنعم فيما له من المطعم^٢ الذي به قوامه فكيف بغيرها
في أسلوب دال^٣ على الإنشاز بآيات الآفاق منه^٤ على سائر النعم في مدة
بقائه المستلزم لدوام احتياجه إلى ربه فقال مسياعن ذلك: ﴿فلينظر الانسان﴾
أي يوقع النظر التام^٥ على كل^٦ شيء. يقدر على النظر به من بصره
وبصيرته ومد له المدى فقال: ﴿ألى طعامه^٧﴾ يعني مطعومه وما يتصل
به ملتفتا إليه بـكـلـيته بالاعتبار بما فيه من العبر التي منها أنا لو
لم نيسره له هلك.

١٠ و لما كان المقصود النظر إلى صنائع الله تعالى فيه، وكانت أفعال
الإنسان وأقواله في تكذيبه بالبعث أفعال من ينكر ذلك الصنع، قال
سبحانه مفضلا لما يشترك في علمه الخاص و العام من صنائعه في الطعام،
مؤكدًا تنبيهها على أن التكذيب بالبعث يستلزم التكذيب / بابداع النبات
وإعادته، وذلك في أسلوب مبين أن الإنسان محتاج إلى جميع ما في
الوجود، ولو نقص منه شيء اختل أمره، وبدأ أولا بالسماوى لأنه
أشرف، و بالماء الذي هو حياة كل شيء، تنبيهها له على ابتداء خلقه:
﴿إنا﴾ أي على ما لنا من العظمة ﴿صبينا الماء﴾ أي الذي جعلنا منه
١٥ (١) زيد من ظ و م. (٢) من ظ و م، وفي الأصل: المعظم (٣) من م،
وفي الأصل وظ: دل (٤) من م، وفي الأصل وظ: منها (هـ-ه) من ظ،
وفي الأصل و م: بكل.

كل شيء حتى ﴿ صبا ١ ﴾ و ثنى بالارض التي هي كاللآنى بالنسبة إلى السماء فقال: ﴿ ثم ﴾ أى ' بعد مهلة ' من إزال الماء . و فارتنا بينها فى البلاد و النبات ﴿ شققنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ الارض ﴾ بالنبات الذى هو فى غاية الضعف عن شق أصعب الأشياء فكيف بالارض اليابسة المتكسرة جدا عند مخالطة الماء ، و حقق المعنى فقال: ﴿ شقلا ٥ ﴾ ثم سبب عن الشق ما هو كالتفسير له مبينا الاحتياج إلى النبات بقوله: ﴿ فانبتنا ﴾ أى أطلعنا على وجه الاتصال الموجب للتغذى و النمو ﴿ فيها ﴾ بسبب الشق ﴿ حبالا ﴾ أى لاقتيات الإنسان و غيره من الحيوان كالحنطة و الشعير و الرز ٢ و غيرها .

و لما كان الحب قوتا فبدأ به لأنه الأصل فى القوام ، عطف عليه ١٠ ما هو فاكهة و قوت فقال: ١ ﴿ وعنبا ﴾ هو فاكهة فى حال عنيته و قوت باتخاذ زيبا و دبسا و خلا ٥ . و لما كان ذلك ٦ فى بيان عجائب الصنع ليدل على القدرة على كل شيء فبدل [على - ٢] القدرة على البعث فذكر ما إن أخذ من منبته قبل بلوغه فسد، وإن ترك اشتد و صلح للادخار، و أتبعه ما إن ترك على أصله فسد ٨ ، و إن أخذ [وعولج - ٩] صلح ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : قأى - كذا (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : مهملة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : البرز (٤) من ظ ، و فى الأصل : و غير ذلك ، و كل ذلك ساقط من م (٥) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها ٦ (٦) سقط من م ٧ (٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : أخذ (٩) زيد من ظ و م .

للادخار، أتبعه [ما لا يصلح -^١] اللادخار بوجه فقال: ﴿وَأَنْضِجْ﴾
وهو الرطب من البقل وغيره، وهو يزيد على الماضين بأنه فيه ما هو
دواء نافع وسم نافع، وبأنه^٢ يقطع مرة بعد أخرى فيخلف، سمي بمصدر
قضبه - إذا قطعه بمحصد أو قلع .

٥ ولما ذكر ما لا يصلح أن يؤكل إلا رطبا من غير تأخير، أتبعه
ما لا يفسد بحال لا على أمه ولا بعد القطف [ويصلح بعد القطف -^٢]
فيؤكل أو يعصر، فيكون له دهن للاستصباح والادهان^٣ والائتداف،
وفيه تقوية للعظام والأعصاب ولا يفسده^٤ الماء بوجه كما أن العنب
يعصر فيكون منه دهن و خل وغيرهما^٥، ومتى خالطه الماء فسد، [فقال -^١]:
١٠ ﴿وَزَيْتُونَا﴾ يكون فيه مع ما مضى حرافة وغضاضة فيها لإصلاح
المزاج . ولما ذكر ما لا يفسد وشجره يصبر على البرد، أتبعه ما هو
كالعنب يؤكل على أمه^٦ ويقطع فيدخر^٧، فهو جامع بين التحلى والتحمض
بالخل والتفكه^٨ والتقوى والتداوى للسم النافع والسحر الصارع من
عجوة المدينة الشريفة وغير ذلك من ثمرة وشجرة، ولا يصبر شجره على
١٥ البرد فقال: ﴿وَنَخْلًا﴾ وكل من هذه الأشجار يخالف للآخر في
الشكل والحل وغير ذلك مع الموافقة في / الأرض والسقى .

/ ٦٧٥

- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : انه (٣) زيد من م .
(٤) من م ، وفي الأصل و ظ : الادهان (هـ) من م ، وفي الأصل و ظ :
لا يفسد (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : نحوهما (٧ - ٧) من ظ و م ، وفي
الأصل : يدخر بعد قطعه (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : التفكه .

ولما ذكر هذه الأشياء من الأقوات والفواكه لكثرة منافعتها،
وكانت البساتين تجمعها وغيرها مع ما لها من بهجة العين و سرور
النفس^١ و بسط الخاطر و شرح القلب قال: ﴿وحدائق﴾ جمع حديقة
و هي الروضة ذات النخل و الشجر، أو كل ما أحاط به [البناء -^٢
و هي تجمع ذلك [كله -^٣] ﴿غلباء﴾ جمع غلباء - بفتح الغين و المد، ه
و هي الحديقة ذات أشجار كثيرة عظام غلاظ طوال ملتفة الأغصان
متكاثفة [متكازة -^٤]، مستعار من وصف الرقاب، يقال: غلب فلان -
كفرح أى غلظ عنقه، و العلباء: أيضا من القبائل العزيزة الممتعة، و من
الهضاب المشرفة .

ولما ذكر ما يتفكه و يدخر جمع فقال: ﴿وفاكهة﴾ أى ثمرة ١٠
رطبة يتفكه بها كالخوخ و العنب و التين و التفاح و الكمثرى^١ و البرقوق^٢
ما يمكن ان يصلح فيدخر و مما لا يمكن . ولما ذكر فاكهة الناس،
ذكر فاكهة بفية الحيوان فقال: ﴿وابالاء﴾ أى و مرعى و نباتا و عسبا
و كلاً ما دام رطباً يقصد، من أب الشيء - إذا أمه .

ولما جمع ما يقتات و ما يتفكه، فدل دلالة واضحة^٣ على تمام ١٥
القدرة، ذكر بالنعمة فيه قارعا بأللوب الخطاب لتعميم الافراد بعد سياق

(١) من ظ و م ، وفى الأصل: العين (٢) زيد من م (٣) زيد من ظ و م .

(٤) من ظ و م ، وفى الأصل: عطيمة (٥) من ظ ، وفى الأصل و م : غلب .

(٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٧) من م ، وفى الأصل وظ : واحدة .

العتاب للتصريح بأن الكل عاجزون عن الوفاء بالشكر فكيف إذا انضم
إليه الكفر فقال: ﴿متاعا﴾ وهو منصوب على الحال . ولما ذكر
ما يأكله الناس وما يعلف للدواب ، وكان السياق هنا اطعام الإنسان ،
قال مقدما ضميرهم: ﴿لكم ولانعامكم﴾ بخلاف ما في السجدة وقد
مضى ، والإنعام بها يكون تمام الصلاح للإنسان بما له فيها من النعم
بالركوب والأكلي والشرب والكسوة والجمال وسائر المنافع ، وذكر
هذا ذكرًا ظاهرًا مشيرًا^٢ إلى المعادن لأن منها ما لا يتم ما مضى إلا به ،
وهي آلات الزرع والحصد والطبخ والعجن وغير ذلك ، والملائكة
المدبرة لما صرفها الله فيه من ذلك ، فدل ذلك على أن الوجود كله خلق
١٠ "لأجل منافع" الإنسان ليشكر لا ليكفر ، ودلت القدرة على ذلك قطعًا
على القدرة على البعث .

ولما ذكر عجائب الصنع في الطعام ، وكان ذلك يقطف فيعود^١
لأسيما المرعى^٢ فإنه يأتي^٣ عليه الخريف فينشف ثم يتحطم من الرياح
و يتفرق في الأرض ثم يصير ترابًا ثم يبعث الله المطر فيجمعه من
١٥ الأرض بعد أن صار ترابًا ثم ينبت به كما كان ، وكان ذلك مثل إحياء
الموتى سواء ، فتحقق لذلك ما تقدم من أمر الإنشمار بعد الإقبار ، وكان

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : فان (٢) في م : الذي (٣) من م ، وفي الأصل
وظ : مشير (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : الفصد (هـ - هـ) من ظ و م ،
وفي الأصل : المنافع (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : ويعود (٧ - ٧) من ظ
وم ، وفي الأصل : فيأتي .

ذلك ايضا مذكرا بأمر أئبنا آءم عله الصلأة و السلام لما أمره الله بالأكل من الجنة إلا من الشجرة اللى نهاء عنها؁ فلما أكل منها أخرجه من الجنة فسجنه فى دار لىست بجنة^٢ ولانار ولاغيرهما بل هى من ممزج الدارين و كالبرزخ بينهما؁ فىها ما يذكر بهذه وما يذكر بتلك؁ و فىها أمثلة الموجودات كلها؁ قال مسىبا عما ثبت به الإحياء للبعث إلى ٥ المحشر معبرا بأداة التحقق لأن الساعة بما لا بد منه ولا يحيد عنه لأنها سر^٣ الكون فان فىها حساب الذين استخلفوا فى هذا الوجود و أفيضت^٤ عليهم النعم اللى أودعها فىه؁ و أشار إلى أنهم عاجزون عن القيام بشكرها؁ و كثير منهم - بل أكثرهم - زاد على ذلك بكفرها؁ فأوجب ذلك - ولا بد - حسابهم على ما فعلوا فىما استخلفوا فىه و استرعوه كما هى عادة^٥ كل ١٠ مسترع و مستخلف : (فاذا جاءت) أى كانت و وجدت لأن كل ما هو كأن كأنه لا فىك و جاء [إليك -^٦] (الصأحة) أى الصرخة العظيمة اللى يبالغ فى إسماع الأسماع بها حتى تكاد تصمها^٧ لشدتها؁ و كأنها تطعن فىها لقوة وقعتها و عظيم وجبتها؁ و تضطر الآذان إلى أن تصىخ إليها [أى -^٨] تسمع^٩؁ و هى من أسماء القيامة؁ و أصل الصىخ : الضرب ١٥ بشىء صلب على مصمت .

- (١) فى ظ : انشاء (٢) فى ظ و م : جنة (٣) من ظ و م؁ و فى الأصل : سلو .
 (٤) من م؁ و فى الأصل و ظ : اقتضت (٥-٥) من ظ و م؁ و فى الأصل : هو عبادة (٦) زىء من ظ و م (٧) من ظ و م؁ و فى الأصل : تعمها (٨) من ظ؁ و فى الأصل و م : تسمع .

ولما كان وصفها بما يقع فيها أهيب، قال مبدلاً من "إذا" ما يدل على جوابها من نحو: اشتغل كل بنفسه ولم يكن عنده فراغ ما لغيره: (يوم يفر المرء) أى الذى هو أعظم الخلق مروءة. ولما كان السياق للفرار، قدم أدناهم رتبة فى الحب والذب فأدناهم على سبيل الترقى، وآخر الالوجب فى ذلك فالأوجب بخلاف ما فى "سأل" كما مضى فقال: (من أخيه) لأنه يألفه صغيراً وقد يركن إليه كبيراً مع طول الصحابة وشدة القرب فى القرابة فيكون عنده فى غاية العزة .

ولما كانت الأم مشاركة له فى الإلف، ويلزم من حمايتها أكثر مما يلزم الأخ وهو لها آلف وإليها أحنّ وعليها أرق وأعطف قال: ١٠ (وامه) ولما كان الأب أعظم منها فى الإلف لأنه أقرب فى النوع وللولد عليه من العاطفة لما له من مزيد النفع أكثر من قبله قال: (وابيه لا) ولما كانت الزوجة التى هى أهل لان تصحب الصق بالفؤاد وأعرق فى الوداد، وكان الإنسان أذب عنها عند الاشتداد، قال: (وصاحبه) ولعله أفردا إشارة إلى أنها عنده فى الدرجة العليا من المودة بحيث لا يألف غيرها .

ولما كان للوالد إلى الولد من المحبة والعاطفة [والإباحة - ١]

(١) زيد فى الأصل: رتبة، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل وظ و م، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: لأنها، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، وفى الأصل: الى الفؤاد (٥) من ظ و م، وفى الأصل: منها (٦) زيد من ظ و م .

بالسر والمشاركة في الأمر ما ليس لغيره، ولذلك يضع عليه رزقه وعمره قال: ﴿ وبنه^١ ﴾ وإن اجتمع فيهم الصغير الذي هو عليه أشفق والكبير الذي هو في [قلبه -^٢] أجل وفي عينه أنبل ومن بينهما من الذكر والأنثى .

و لما ذكر فراره الذي منعه قراره، علله فقال: ﴿ لكل امرئ^٣ ﴾ هـ
أى وإن كان أعظم الناس مروءة ﴿ منهم يومئذ ﴾ أى [إذ -^٤] تكون هذه الدواهي العظام والشدائد والآلام ﴿ شان ﴾ أى أمر بليغ عظيم ﴿ يغنيه^٥ ﴾ [أى يكفيه -^٦] فى الاهتمام بحيث لا يدع له حصة يمكنه صرفها إلى غيره^٧ ويوجب له لزوم / المقتضى، وهو المنزل - الذى يرضيه
مع أنه يعلم [أنه -^٨] يتبعونه ويخاف أن يطالبوه لما هم فيه من الكرب ١٠
بما لعله قصر فيه من حقوقهم .

و لما ذكر اليوم، قسم أهله إلى القسمين المقصودين بالتذكرة أول السورة، فقال دالا على البواطن بأشرف الظواهر^٩: ﴿ وجوه يومئذ ﴾
أى إذ^{١٠} كان^{١١} ما تقدم^{١٢} من الفرار وغيره ﴿ مسفرة^{١٣} ﴾ أى يبض مضية بالإشراق والاستنارة، من أسفر الصبح - إذا أشرق واستنار ١٥
﴿ ضاحكة ﴾ لما علمت من سعادتها ﴿ مستبشرة^{١٤} ﴾ أى طالبة للبشر وهو

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) سقط من ظ و م (٤) من م، وفى الأصل وظ: يمكن (٥) من ظ و م، وفى الأصل: غيرها (٦) زيد فى الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من م، وفى الأصل وظ: إذا (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

تغير البشرة من السرور و موجدة لذلك ، و هى بيضاء نيرة بما يرى من
تبشير الملائكة ، و ذلك بما كانت فيه فى الدنيا من عبوس الوجوه^١
و تغيرها و شحوبها^٢ من خشية الله تعالى و ما يظهر من^٣ جلاله فى
الساعة كابن أم مكتوم رضى الله عنه الذى كان يحمله خوف الساعة على
٥ حل الرؤية فى أشد الحروب كيوم القادسية و الثبات بها حتى يكون
كالعمود ، لا يزول^٤ عن^٥ مركزه أصلا ليرضى المعبود .

ولما ذكر أهل السعادة الذين هم المقبولون على الخير المصابون فى
أنفسهم بما يكفر سيئاتهم و يعلى درجاتهم ، ذكر أصدادهم فقال تعالى :
(و وجوه) و أكد باعادة الظرف لإزالة الشبهة فقال : (يومئذ)
١٠ [أى - ٦] إذ وجد ما ذكر (عليها) أى ملاصقة لها مع الغلبة
و العلو (غيرة لا) أى اربداد^٧ و كأنه بحيث يصير كأنه^٨ قد علاها
غبار و هى عابسة حذرة و جلة منذرة ، و ذلك مما يلحقها من المشقات
و كثرة الزحام مع رعب القواد ، و تذكر ما هى صائرة إليه من الأنكاد
الشداد (ترهقها) أى تغشاها و تقهرها و تعلوها (قتره) أى كدورة
١٥ و سواد و ظلمة ضد الإسفار فهى باكية عابسة بما كانت فيه فى الدنيا

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الوجه (٢) من ظ و م ، و فى الأصل :
نحويتها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٤) من م ، و فى الأصل و ظ :
لا يزال (٥) زيد فى الأصل : امره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
(٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : امداد - كذا (٨) من م ،
و فى الأصل و ظ : كأنها .

من الفرح و اللعب و الضحك و الأمن من العذاب ؛ فالآية من الاحتباك :
ذكر الإسفار و البتر أولا يدل على الخوف و الذعر ثانيا ، و ذكر الغبرة
ثانيا يدل على البياض و النور أولا ، و سر ذلك أنه ذكر دليل الراحة
و دلائل التعب لظهورهما ترغيا و ترهيبا .

و لما كان^١ هذا الأمر^٢ هائلا . و كان الفاجر ، لما على قلبه من الرين ه
وله من القساوة ، قليل الخوف من الأجل عديم الفكر فيما يأتي به غدا^٣
لما غلب عليه من الشهوتين : السعية و البهيمية بخلاف المتقي في كل ذلك ،
استأنف الإخبار زيادة في التهويل فقال : ﴿ اواستك ﴾ أى البعداء البغضاء
﴿ هم ﴾ أى خاصة " لا غيرهم " ﴿ الكفرة ﴾ أى الذين سبوا دلائل الإيمان
﴿ الفجرة ع ﴾ أى الذين خرجوا عن دائرة الشرع خروجا فاحشا حتى كانوا ١٠
عريقين في ذلك الكفر و الفجور ، و هم في الأغلب المترفون^٤ الذين يحملهم
غناهم على التكبر و الأشر / و البطر ، فلجمعهم بين الكفر و الفجور جمع
لهم بين الغبرة و القفرة ، كما يكون للزواج من البقاعة^٥ إذا علا وجوههم
غبار و وسخ ، فقد عاد آخرها على أولها فيمن يستحق الإعراض عنه
و من يستحق الإقبال عليه - و الله الهادى .

١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكر (٢) فى ظ : امرا (٣) من ظ و م ، و فى
الأصل : عدل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد (هـ-هـ) سقط ما بين الرقين
من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : المترفون (٧) فى ظ : القناعة .

سورة التكويد^١

مقصودها التهديد الشديد^٢ يوم الوعيد الذى هو محط الرحال، لكونه
 أعظم مقام لظهور الجلال، لمن كذب بأن^٣ هذا القرآن تذكرة لمن
 ذكره^٤ فى صحف مكرمة^٥ مرفوعة مطهرة^٦ بأيدى سفره، والدلالة على
 حقية كونه كذلك بأن^٧ السفير به أمين فى الملا^٨ الاعلى مكين المكاف
 ٥ فيما هنالك و الموصل له إلينا منزله عن التهمة برئى من النقص لما يعلمونه
 من حاله قبل النبوة وما كانوا يشهدون له به من الكمال فى صحبته لهم
 المتطائلة التى نبههم بالتعليق بها على ما لا يشكون فيه من أمره ولم يأتهم
 بعدها إلا بما^٩ هو شرف له وتذكير بما فى أنفسهم وفى الآفاق من الآيات،
 وذلك كاف [لهم - ١٠] فى الحكم بأنه صدق والعلم اليقين بأنه حق،
 ١٠ واسمها التكويد أدل^{١١} ما فيها على ذلك بتأمل الظرف وجوابه وما فيه
 من بديع القول وصوابه، وما تسبب عنه من عظم الشأن لهذا القرآن
 ﴿بسم الله﴾ الواحد القهار ﴿الرحمن﴾ الذى عمت نعمة إيجاده وبيانه
 الأبرار والفجار ﴿الرحيم﴾ الذى خص أهل وداده بما أسعدهم فى
 (١) الحادية والثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٢٩ .
 (٢) سقط من ظ (٣) من ظ وم، وفى الأصل : فان (٤-٤) سقط ما بين الرقيين
 من ظ (٥) من م، وفى الأصل و ظ : فان (٦) من م، وفى الأصل و ظ :
 ما (٧) زيد من م (٨) تكرر فى الأصل فقط .

دار القرار •

لما ختمت سورة^١ عبس بوعيد الكفرة [الفجرة -^٢] يوم الصاخة
لجودهم^٣ بما لهذا^٤ القرآن من التذكرة، ابتدئت هذه باتمام ذلك، فصور
ذلك اليوم بما يكون فيه من الامور الهائلة من عالم الملك و الملكوت
حتى كأنه رأى عين كما رواه^٥ الإمام أحمد^٦ و الترمذى^٧ و الطبرانى^٨ •
و غيرهم عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم برجال
ثقات أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: من أحب أن ينظر إلى يوم
القيامة رأى العين فليقرأ "إذا الشمس كورت". فقال بادئا بعالم الملك
و الشهادة لأنه أقرب تصورا لما يغلب على الإنسان من الوقوف مع
المحسوسات، معلما بأنه سيخرب زهيدا في كل ما يجر إليه و حثا على
عدم المبالاة به و الابتعاد من التعلق بشيء من أسبابه: ﴿إذا الشمس﴾
أى التى هى أعظم آيات السماء الظاهرة^٩ و أوضحها للحس •

ولما كان المهول مطلق تكويرها الدال على عظمة مكورها، بنى للفعول
على طريقة كلام القادرين قوله: ﴿كورت جلا﴾ أى لفت بأيسر أمر من
غير كلفة^{١٠} ما أصلا، فأدخلت في العرش - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما^{١١} -
فذهب ما كان ينبسط من نورها، من كورت العمامة - إذا لففتها فكان

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣-٢) من ظ و م، وفي الأصل :
بهذا (٤) من ظ و م، وفي الأصل : رآه (٥) راجع المسند ٢٧/٢ (٦) راجع
الجامع - التفسير (٧) راجع مجمع الزوائد ١٣٤/٧ (٨) العبارة من هنا إلى ما سبقه عليه
نسخت من ظ (٩) من م، وفي ظ : افقة (١٠) راجع البحر المحيط ٤٣١/٨ •

بعضها على بعض وانطمس بعضها ببعض، و الثوب - إذا جمعته فرفته،
فالتكويد كناية عن رفعها أو إلقتها في جهنم زيادة في عذاب أهلها
ولاسيما عبتها، أو ألقيت عن فلكتها، من طعنه فكوره أى ألقاه مجتمعا،
و التركيب للادارة و الجمع و الرفع للشمس، فعل دل عليه "كورت"
ه لأن "إذا"، تطلب الفعل لما فيها من معنى الشرط، و [لما - '] كان
التأثير فى الاعظم دالا على التأثير فيما دونه بطريق الأولى، أتبع ذلك
قوله معمما بعد التخصيص: (و اذا النجوم) أى كلها صغارها
وكبارها (انكدرت) أى انقضت فتهاوت و تساقطت و تناثرت حتى
كان ذلك كأنه بأنفسها من غير فعل فاعل فى غاية الإسراع، أو أظلمت،
١٠ من كدرت الماء فانكدر، قال ابن عباس رضى الله عنهما^٢: يكور الله
الشمس و القمر و النجوم [يوم القيامة - '] فى البحر ثم يبعث عليها
ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا، و قال الكلبي و عطاء: ^٢ تمطر السماء يومئذ
نجوما، لا يبقى نجم إلا وقع.

و لما بدأ بأعلام السماء لأنها أشهر و أعم تخويفا و إرهابا، و ذكر
١٥ منها اثنين [هما - '] أشهر ما فيها و أعمها نفعا، أتبعها أعلام الأرض
فقال مكررا للظرف لمزيد الاعتناء بالتهويل: (و اذا الجبال) أى التى
هى فى العالم السفلى كالنجوم فى العالم العلوى، و هى^٢ أصلب ما فى الأرض،

(١) زيد من م (٢) راجع معالم التنزيل ١٧٧/٧ (٣) من م، و فى ظ: هو .

و دل على عظمة القدرة بالبناء للفعول فقال : ﴿ سيرت ٥٥٥ ﴾ أى وقع تسييرها بوجه الارض فصارت كأنها السحاب فى السير و الهباء فى النثر لتستوى الارض فتكون قاعا صاففا لا عوج فيها ، لأن ذلك اليوم لا يقبل العوج فى شىء من الاشياء بوجه .

و لما ذكر أعلام الجماد ، أتبعه أعلام الحيوان النافع الذى هو ه
أعز أموال العرب و أغلبها على وجه دل على عظم الهول فقال :
﴿ واذا العشار ﴾ أى النوق التى أتى على حملها عشرة أشهر ، جمع عشراء
مثل نقساء ، وهى أحب أموال العرب إليهم و أقسها عندهم لأنها تجمع
اللحم والظهر واللبن والوبر ، روى أن النبى صلى الله عليه وسلم [مر-١]
فى أصحابه بعشار من النوق حقل ، فأعرض عنها و غض بصره فقيل له : ١٠
يا رسول الله ! هذا أنفس أموالنا ، لم لا تنظر إليها ؟ فقال : قد نهأى الله
عن ذلك ، ثم تلا ” ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا “ - الآية . و لا يزال
ذلك اسمها حتى تضع لتمام السنة ﴿ عطلت ٥٥٥ ﴾ أى ركت مهمله كأنه
لا صاحب لها مع أنها أنفس أموالهم ، فكانت إذا بلغت ذلك أحسنت
إليها و أعزتها و اشتد إقبالها عليها : و قالت : جاء خيرها من ولد و لبن ، ١٥
لأن الامر ، لاشتغال كل أحد بنفسه ، أهول من أن يلتفت أحد إلى شىء
و إن عز .

ولما ذكر المقرعات الدالات على إرادة أمر عظيم ، قرب ذلك

(١) زيد من م (٢) من م ، وفى ظ : عطلت (٣) من م ، وفى ظ : ايها (٤) من
م ، وفى ظ : ان .

الامر بافهام أنه الحشر، و دل على عمومه بذكر ما يظن إهماله فقال:
 ﴿واذا الوحوش﴾ أى دواب البر التى لا تأنس بأحد التى يظن أنه
 لاعبرة بها و لا التفات إليها فما ظنك بغيرها ﴿حشرت﴾ أى بعثت
 و جمعت من كل أوب قهرا لإرادة العرض على الملك الأعظم و الفصل
 ٥ فيما بينها فى أنفسها^١ حتى يقتص للجاء من القرناء و بينها^٢ و بين غيرها^٣
 أيضا حتى يسأل العصفور قاتله، لم قتله؟ قال قتادة^٤: يحشر كل شئ
 للقصاص حتى الذباب - انتهى . و لا يستوحش [الوحش-] من الناس
 و لا الناس من الوحوش من شدة الالهوال، و ذلك أهول و أفزع
 و أخوف و أفزع، قال القشيرى: و لا يبعد أن يكون ذلك بإيصال منافع
 ١٠ إليها جوازا لا وجوبا كما قاله أهل البدع - انتهى . و كل شئ فى الدنيا
 يحضر فى تلك الدار، فاذا وقع الفصل جعل الخيث فى جهنم زيادة فى
 عذاب أهلها، و الطيب فى الجنة زيادة فى نعم أهلها.

ولما أفهم هذا الحشر، ذكر ما يدل على ما ينال أهل الموقف
 من الشدائد من شدة الحر فقال: ﴿واذا البحار﴾ أى على كثرتها
 ١٥ ﴿سجرت﴾ أى لجر بعضها إلى بعض حتى صارت بحرا واحدا و ملئت^٥
 حتى كان ما فيها أكثر^٦ منها و أحمت^٧ حتى كان كالتور التهابا و تسعرا^٨
 فكانت شرابا لأهل النار و عذابا عليهم، و لا يكون هذا إلا وقد حصل

(١) من م، و فى ظ: أنفسها (٢) من م، و فى ظ: بينها (٣) من م، و فى
 ظ: غيرها (٤) راجع البحر المحيط ٤٣٢/٨ (٥) زيد من م (٦) من م، و فى
 ظ: غلت (٧-٧) من م، و فى ظ: منها و أحمت (٨) و من هنا يستأنف
 الأصل.

من الحرما يذيب الأكباد .

و لما ذكر من الآيات العلوية من عالم الملك اثنين و من السفلية

أربعة ، فأنهم جميع الخلق ' أن الأمر في غاية الخطر قتشوف النفوس ' ٢

/ إلى ما يفعل ، قال ذاكرًا لما أراد من عالم الغيب و الملكوت ، وهو ٦٧٩ /

أمر ستة على عدد ما مضى من عالم الملك و الشهادة ترغيبًا في الأعمال ٥

الصالحة و القرناء الصالحين لثلا يزوج بما يسوءه و ابتداءً بما يناسب تكوير

الشمس : (. إذا النفوس) أى من كل ذى نفس من الناس و غيرهم

(زوجت .) أى قرنت بأبدانها و جمع ' كل من الخلق إلى ما كانت

نفسه تألفه و تنزع إليه ، فكانوا أصنافًا كما قال تعالى " احشروا الذين

ظلموا و ازواجهم " و ما كانوا يعبدون من دون الله ، و التفاف ١ الأزواج ١٠

كالتفاف ٢ الشمس حتى يذهب نورها .

و لما صرح الأمر فكانت القلوب أحر من الجمر ، ذكر ما

هو المقصود الأعظم و هو السؤال على وجه يفهم العموم فقال :

(و إذا المؤدة) أى ما دفن من الأولاد حيا بعد الولادة أو حصل تسبب

في قتله قبل الولادة بدواء و نحوه ، سميت مؤدة لما يوضع عليها من التراب ١٥

(١) زبدت الواو في الأصل و ظ ، ولم تكن في م فحذفناها (٢) من ظ و م ،

وفي الأصل : النفس (٣) من ظ و م . وفي الأصل : هي (٤) من ظ و م ، وفي

الأصل : جميع (هـ - هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي

الأصل : التفات (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : كالتفات .

فيثقلها فيقتلها^١ "وأدا" مقلوب "آدا" إذا أنقل، و إلقاؤها في البئر
المحفور^٢ لها قريب من انكسار النجوم^٣ و تساقطها . و لما كان هذا
أهون القتل عندهم، و كانوا يظنون أنه مما لا عبرة به، بين أنه معتنى به
و أنه لابد من بعثها و جعلها بحيث تعقل و تهيب و إن كان قسح^٤
ه الروح فيها في زمن يسير فقال: ﴿سَلِّطْ﴾ أي وقع سؤالها عما يليق
أن تسأل عنه، ثم قيل على طريق الاستئناف تخويفا للوالدين: ﴿بَايَ﴾
أي "بسبب أي" ﴿ذَنْبٍ﴾ [يا-١] أيها الجاهلون ﴿قُلْتَ﴾ أي
استحقت به عندكم القتل و هي [لم-١] تباشر^٥ سوما لكونها لم تصل
إلى حد التكليف، فما ظنك بمن هو فوقها و بمن هو جان، و سؤالها
١٠ هو على وجه التبكيت لقاتلها، فإن العرب كانت تدفن البنات أحياء
مخافة الإملاق أو لحوق العار بهن، و يقولون: زردها إلى الله هو أولى
بها، فلا يرضون البنات لأنفسهم و يرضونها لخالقهم، و كان فيهم من
يتكرم عن^٦ ذلك^٧ و من يفسد المودات و يريهن، و ليس في الآية
دليل على تعذيب أطفال الكفرة و لاعدمه، فإن الكافر الذي يستحق

(١) من ظ و م، و في الأصل: فيقلبها (٢) من م، و في الأصل و ظ ؛
المفحو (٣) من ظ و م، و في الأصل: الشمس (٤ - ٤) من ظ و م، و في
الأصل: فيها الروح (ه - ه) من ظ و م، و في الأصل: إلى سبب و أي (٦) زيد
من ظ و م (٧) من ظ و م، و في الأصل: تباشرها (٨) من ظ و م، و في
الأصل: على (٩) زيد في الأصل: و يفسد المودات، و لم تكن الزيادة في
ظ و م فخذناها .

الخلود قد يكون مستأنا فلا يحل قتله ، و الأطفال ما عملوا ما يستحقون به القتل ، و يؤخذ من سؤال المؤدة تحريم الظلم لكل [أحد - ٢] وكف اليد و اللسان عن كل إنسان .

ولما دل هذا على عموم السؤال ، ذكر ما ينشأ عنه مما يدل على النعيم أو النكال فقال : ﴿ و اذا الصحف ﴾ اى الأوراق التى كتبت فيها أعمال العباد ﴿ نشرت ﴾ اى فرقت مفتحة تفتيحاً عظيماً على اربابها بأيسر أمر فتأتى السعيد فى يمينه من تلقاء وجهه على وجه يكون فيه بشارة له ، و تأتى الشقى من وراء ظهره و فى شماله بعد أن كانت [طويت - ٢] عند موته ، و نشرها مثل تسيير الجبال و تطايرها ، فن اعتقد أن صحيفته ثابتة فترديه / أو تنجيح لم يضع فيها إلا حسناً من قول أو عمل أو اعتقاد . ٦٨٠ / ٠١

و لما ذكر ما يطلق و ينشر ، اتبعه ما يطوى و يحصر ، ليدو ما فوقه من العجائب و ينظر ، فقال : ﴿ و اذا السماء ﴾ اى هذا الجنس كله ، أفردته لأنه يعلم بالقدرة على بعضه القدرة على الباقي ﴿ كشطت ﴾ اى قلعت بقوة عظيمة و سرعة زائدة و أزيلت عن مكانها التى هى سارة له محيطة به ، أو عن الهواء المحيط بسطحها الذى هو كالروح لها كما يكشط الإهاب عما هو سار له و يحيط به مع شدة الالتزاق [به - ٢] لأن ذلك يوم الكشف و الإظهار ” فكشفنا عنك غطاءك ” و كسطها

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لم يكونوا (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ادبارها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ضيعته (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لم يضيع (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هو .

هو مثل انكشاف الناس عن العشار و تفرقهم عنها ، فمن اعتقد زوالها
أعرض عن ربط همته بشئ منها و ناط' أموره كلها ربها .

ولما زالت الموانع ظهرت عجائب الصنائع التي هي غايات المطالب ،
ونهايات الرغائب و الرهائب ، فقال : ﴿ واذا الجحيم ﴾ أي النار الشديدة
٥ التآجيج و التي بعضها فوق بعض و العظيمة في مهواة عميقة ﴿ سمرت ٥ لا ﴾
أي أوقدت إيقادا شديدا بأيسر أمر و قربت من الكافرين بغاية السرعة ،
فكان الأمر في غاية العسر ، و ذلك قريب من نتيجة ما يحصل من
الحول من حشر الوحوش .

و لما ذكر دار الاعداء البعداء رهيا ، أتبعه دار المقربين السعداء
١٠ ترغيا ، فقال : ﴿ واذا الجنة ﴾ أي البستان ذو' الأشجار الملتفة و الرياض
المعجبة ﴿ ازلفت لا ﴾ أي قربت من المؤمنين و نعمت ببرد العيش و طيب
المستقر ، و درجت درجاتها و هيئت ، و ملئت حياضها ٢ و مصانعها ،
و زينت صحافها و نظفت أرضها و ظهرت عن كل ما يشين ، و حسنت رياضها
بكل ما يزين ، من قول أهل اللغة : الزلف - محركة : القرية و الدرجة
١٥ و الحياض الممتلئة و [الزلفة - ٣] : المصنعة الممتلئة و الصفحة و الأرض
المكنوسة ، و الزلف - بالكسر : الروضة ، و معنى هذا ضد سجر البحار ،
فالآية من الاحتباك : ذكر التسعير ٤ أولا دالا على ضده في الجنة ثانيا ،

(١) من ظ ، و في الأصل و م : مناط (٢) من ظ و م ، و في الأصل « و »
(٣) من م ، و في الأصل و ظ : حياضها (٤) زيد من م (٥) من م ، و في
الأصل و ظ : السعير (٦) من ظ و م ، و في الأصل : دلالة .

وذكر التقريب ثانيا دال^١ على مثله أولا .

ولما كانت هذه الأشياء لهولها موجبة لاجتماع الهم و صرف
الفكر عما يشغله من زينة أو لهو أو لعب أو سهو ، فكان موجبا للعلم
بما يرجى نعيما أو يوجب جحima ، و كان ذلك [موجبا -^٢] لتشوف السامع
إلى ما يكون ، قال تعالى كاشفا تلك النعمة بالعامل في ” إذا “ و ما ه
عطف عليها : ﴿ علمت نفس ﴾ أى كل واحدة من النفوس ، فالتكبير فيه
مثله في « ثمرة » خير من جرادة ، و دلالة هذا السياق المهول على ذلك
يوجب اليقين فيه ﴿ ما ﴾ أى كل شيء ﴿ احضرت ه ﴾ [اى -^٢] علمت
و أوجدت ، فكان أهلا للحضور ، و كان عمله لها سببا لإحضار القدير
إياه لها في ذلك اليوم محفوظا لم يغب عنه منها ذرة من خيره و شره ، ١٠
فلاجل^٣ ذلك كان لكل أمرئ شأن يغنيه ، فانه لابد أن يكون في أعماله
ما [لا -^٢] يرضيه و ما يستصغره عن حضرة العلى الكبير ، فمن اعتقد
ذلك رغب / فى أن لا يحضر إلا ما يسره ، و رهب فى إحضار ما يسوءه
فيضره ، و جميع هذه الأشياء الاثنى عشر المحدودة المذكورة فى حيز
” إذا “ فى الآخرة بعد الفخة الثانية على ما تقدم فى الحاققة أنه الظاهر ، ١٥
و أنه رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما ، لأن التهويل بعد القيام انسب ،
و أدخل [فى -^٢] الحكمة و أغرب .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما قال سبحانه ” فاذا جاءت

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : دلالة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
و فى الأصل : عسره - كذا (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : علمت (٥) من م ،
و فى الأصل و ظ : فلكل .

الصاخة يوم يفر المرء من اخيه" - الآيات إلى آخر السورة، كان مظنة لاستفهام السائل عن الوقوع ومتى يكون؟ فقال تعالى "إذا الشمس كورت" و وقوع تكوير الشمس و انكدار النجوم و تسيير الجبال و تعطيل العشار كل ذلك متقدم على فرار المرء من اخيه و أمه و أبيه -

٥ إلى ما ذكر إلى آخر السورة لاتصال ما ذكر في مطلع سورة التكويد بقيام الساعة، فيصح أن يكون أمانة للأول و علما [عليه - ٢] - انتهى .

و لما كان السياق للترهيب، و كان الأليق بآخر عبس أن يكون للكفرة، و كان أعظم ما يحضره الكفرة من أعمالهم بعد الشرك التكذيب^٢ بالحق، و أعظمه التكذيب بالقرآن، و ذلك التكذيب هو الذى جمع الخزي كله للكذب به فى قوله "قتل الإنسان ما اكفره" الذى السياق كله له، و إنما استحق المكذب به ذلك لأن التكذيب به يوقع فى كل حرج مع أنه لا شئ أظهر منه فى أنه كلام الله لما له من الروق و الجمع للحكم و الأحكام و المعارف التى لا يقدر على جمعها على ذلك الوجه و ترتيبها ذلك الترتيب إلا الله، ثم وراء ذلك

١٥ كله أنه معجز، سبب عن هذا التهديد قوله مقسما بما دل على عظيم قدر المقسم عليه بترك الإقسام بأشياء هى من الإجلال و الإعظام فى أسنى مقام: (فلا أقسم) أى لأجل حقيقة القرآن لأن الأمر فيه غنى عن قسم لشدة ظهوره و انتشار نوره، و لذلك أشار إلى عيوب تلحق هذه

(١) من م، و فى الأصل و ظ: قال (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: للتكذيب (٤) من ظ و م، و فى الأصل: حقيقة .

الاشياء التي ذكرها و القرآن منزه عن كل شائبة نقص ، لانه كلام الملك
الاعلى فقال: ﴿ بالخنس ﴾ أى الكواكب التي يتأخر طلوعها عن طلوع
الشمس فتغيب في النهار لغلبة ضياء الشمس لها ، وهى النجوم ذوات
الأنواء التي كانوا يعظمونها بنسبة الأمطار والرحمة - التي ينزلها الله - إليها ،
قالوا : وهى القمر فعطارد فالزهرة فالشمس فالمرىخ فالشترى فزحل ، هـ
وقد نظمها بعضهم متديلاً فقال :

زحل اشترى مريخه من شمسه قزهرت * لعطارد أقمار

ثم أبدل منها أعظمها فقال: ﴿ الجوار الكنس ﴾ أى السيارة التي تحتفى
وتغيب بالنهار تحت ضوء الشمس ، من كنس الوحش - إذا دخل كناسه

وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر ، وقال الرازى : يكنس ويستتر ١٠

٦٨٢ / العلوى منها بالسفلى / عند القرائات كما تستتر الأطباء فى الكناس ، وقال
قتادة : تسير بالليل وتخنس بالنهار فتحنى ولا ترى ، وروى ذلك أيضا
عن على رضى الله تعالى عنه ، قال البغوى : وأصل الخنوس الرجوع

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الذى (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اليه .

(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : مدليا (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : شرى .

(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : قزهرت (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :

الاقمار (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : تحنى (٨) من ظ و م ، وفى الأصل :

يستر (٩) راجع العالم ١٧٨/٧ (١٠) فى العالم : تبدو .

[إلى - ١] وراه والكنوس أن تأوى إلى مكانسها^١. وقال القشيري: إن ذلك غروبها، وإنما نفى الإقسام [بها - ٢] لأنها وإن كانت عظيمة في أنفسها^٢ بما ناط بها سبحانه من المصالح وأتم تعظمونها وتغنون فيها لأن فيها نقائص الغيوبية [و - ٣] انبهار النور، والقرآن المقسم^٣ لأجله ٥ منزه عن ذلك، بل هو الغالب على كل ما سواه من الكلام [غلبة - ٤] هي اعظم من غلبة ضياء الشمس لنور ما سواها من الكواكب، فلذلك لا يلىق أن يقسم بها لأجله .

ولما ذكر غيابها ففهم^٤ منه محله وهو النهار، ذكر محل ظهورها فافهم الظهور فقال: (و آيل) أى الذى هو محل ظهور النجوم ١٠ و زوال خنوسها و ذهاب كنوسها (إذا عسعس) أى أقبل ظلامه، واعتكر سواده و قسامه، فظهرت الكواكب زهرا ماثورا فى يدهاء تلك الغياهب، فان فيه نقصانا بالظلام و غير ذلك من الاحكام، وقيل: معناه أدبر، وقيل: أظلم. وقيل: انتصف، وقيل: انقضى، وسعسع بمعناه فهو ما لا يستحيل بالانعكاس، والآية من الاحتباك: ذكر خنوس الكواكب ١٥ و كنوسها أولا يفهم ظهورها ثانيا، و ذكر الليل ثانيا يفهم حذف النهار أولا .

- (١) زيد من م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل: مكانها (٣) زيد من ظ و م .
 (٤) من ظ و م ، وفى الأصل: نفسها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل: القسم .
 (٦) من ظ و م ، وفى الأصل: ففهم (٧) من ظ و م ، وفى الأصل: محله .
 (٨) من ظ و م ، وفى الأصل: بمعناه .

و لما كان ربما ظن ظان^١ أن ما نقص بالظلام عن صلاحية
 الإقسام يتأهل ذلك بزواله ، قال نافيا لذلك : ﴿ والصبح ﴾ أى الذى هو
 أعيد أوقات النهار ﴿ اذا تنفس ﴾ أى أضاء وأقبل روحه ونسيمه ،
 وأنسه ونعيمه ، واتسع نوره ، وانفرج به عن الليل ديجوره ،^٢ وذلك^٣
 بعد إقبال الليل^٤ ثم إدياره أى لا أقسم به لأنه وإن كان ذا نور ونعمة
 وجور وبهجة و سرور فان ذلك يتضاءل عن نور القرآن ، وما فيه
 من النعيم والرضوان ، « وأين الثريا من يد المتناول ، على أن تنفسه
 بالبرد والطفافة تنسخه الشمس بالحر والكثافة ، و تنفس القرآن بنفحات
 القدس ونعيم المواعظ والانس لا ينسخه شيء .

و لما بين [أن -^١] هذه الأشياء - التى لولاها لما طاب لهم عيش^{١٠}
 ولا تنهأوا بحياة ، وهى من الفضل بحيث لا يعلمه إلا خالقها - تصغر عن
 أن يقسم بها على شيء من فضائل القرآن لما له من عظيم الشأن الذى
 لا يطبق التعبير [عنه -^٢] البيان ، و يتضاءل دونه اللسان ، قال مجيبا لذلك
 إخبارا عما هو محقق فى نفس الأمر أعظم من تحقق هذه الأشياء المقسم
 بها ، هادٍ إلى مصالح الدارين أكثر من هدايتها ، مينا^{١٥} للفسيرين به^{١٥} الملكى
 والبشرى عليهما الصلاة والسلام والتحية والإكرام مؤكدا لما يستحقه
 / السياق كما يستحقه^{١٦} مع ما^{١٧} لهم من الإنكار تنبيها على ضعف عقولهم

٦٨٣ /

(١) سقط من ظ و م (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل و م : ثم (٣-٣) من ظ
 و م ، وفى الأصل : اقباله (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م ، وفى
 الأصل : للفسيرين بها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بما (٧-٧) من ظ و م ،
 وفى الأصل : لا .

و عظيم سفههم بعد ان اقسام بثلاثة اقسام، فان نفى الاقسام [بها - بما
 ذكر من نقائصها - كالاقسام -^١] بها مع بيان [أن -^٢] المقسم عليه أعظم
 منها بما لا يقاس^٣: (انه) أى هذا الذكر الذى تقدم فى عبس بعض
 ما يستحق^٤ من الاوصاف الجميلة و النعوت الجليلة (لقول رسول)
 ٥ و هو جبريل عليه الصلاة والسلام نحن أرسلناه به الى خير خلقنا
 و جعلناه بريدا بيننا و بينه لاقتضاء الحكمة ذلك، وهى^٥ أن يكون خلاصة
 الخلق ذا جهتين: واحدة ملكية يتلقى بها من الملائكة عليهم السلام
 لكون غيره من البشر لا يطبق ذلك، و أخرى بشرية يتلقى بها منه
 المبعوث إليهم، و من المعلوم أن الرسول انما وظيفته تبليغ^٦ ما أرسل
 ١٠ به فهو سفير محض، و الذى أوحاه و إن كان قوله لكونه نطق به
 و بلغه من غير مشاركة شيطان ولا غيره هو قول الله من غير شك لكونه
 معبرا عن الصفة القديمة النفسية، ولو كان قول الرسول مستقلا [به -^٧]
 لما كان لوصفه^٨ بالرسالة مدخل فما كانت البلاغة تقتضى ذكره^٩ بالوصف .
 و لما بين بوصف الرسالة أنه ليس بقوله إلا لكونه مرسلًا به
 ١٥ و مبلغه، و أنه فى الحقيقة قول من أرسله، وصفه بما أفهمه الوصف
 بما يوجب حفظه من غير تحريف ما ولا تغيير أصلا بوجه من الوجوه،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يقاس (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : تقدم (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : هو (٥) من ظ و م ، وفى
 الأصل : بتبليغ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : وصفه .
 (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : ذكر .

و ذلك ببيان منزلته عند الله ووجاهته وبيان قدره و نفوذ كلمته فقال :
 ﴿ كَرِيمٌ لَا ﴾ أى انتفت عنه^١ وجوه المدام كلها و ثبتت له وجوه المحامد
 كلها، فهو جواد شريف النفس ظاهر عليه معالى الأخلاق برىء من
 أن يلم شيء [من اللوم -^٢] بساحته، فلذلك هو يفيض^٣ الخيرات بأذن
 ربه على من أمر به من العالمين، فيؤدى ما أرسل به كما هو لقيامه بالرسالة^٥
 قيام الكرام فلم يغير فيها شيئاً أصلاً^٤ ولا قرط حتى يمكن غيره أن
 يحرف أو يغير، والكرم اجتماع كالات الشيء اللاتقة^٦ به .

ولما اقتضى هذا القوة، صرح به تأكيداً فقال : ﴿ ذِي قُوَّةٍ ﴾ أى
 على [ضبط -^٢] ما أرسل به بنفسه و على المدافعة للغير عن أن يدخل فيه
 شيئاً من نقص، و أكد القوة بقوله : ﴿ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ ﴾ أى الملك الأعلى ١٠
 المحيط عرشه بجميع الأكوان الذى لا عنديّة فى الحقيقة إلا له ﴿ مَكِينٌ ﴾
 أى بالغ المكنة عنده^٦ عظيم المنزلة جداً يبلغ فيها فهو بحيث لا يتأتى
 منه تفريط ما فى إبلاغ شيء مما أرسل به لأنه لا يغيره الأحوال
 ولا يعمل فيه تضاد الشهوات، لأنه لاشهوة^٧ له إلا ما يأمر^٨ به مرسله
 سبحانه و تعالى .

١٥

- (١) وقع فى الأصل بعد « كلها » والترتيب من ظ و م (٢) زيد من ظ و م .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : مفيض (٤) سقط من م (٥) من م ، وفى
 الأصل و ظ : اللائق (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : عند (٧) من م ، وفى
 الأصل و ظ : شيء (٨) من م ، وفى الأصل و ظ : يأمره .

ولما كان المتمكن في نفسه قد لا يكون له اعوان، قال: ﴿مطاع ثم﴾
 أى في الملا^٢ الأعلى فهم عليهم السلام أطوع شيء له، قال الحسن:
 فرض الله على أهل السماوات طاعة جبريل عليه الصلاة والسلام كما
 فرض على أهل الأرض طاعة محمد صلى الله عليه وسلم / و لما كان / ٦٨٤
 ذلك يقتضى الأمانة، صرح بها فقال: ﴿امين﴾ أى بليغ^٣ الأمانة فهو
 مصدق القول مقبول الأمر موثوق به فى أمر الرسالة وإفاضة العلوم
 على القلوب روحانى مطهر جوهرى و فعلا وحالا، و من كان بهذه
 الصفات العظيمة كان بحيث لا يأتى إلا فى أمر مهم جدا لأن الملوك
 لا يرسلون خواصهم [إلا - °] فى مثل ذلك، ولذلك ائتمنه الله تعالى
 ١٠ على رسالته .

ولما وصف السفير الملكى وهو جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه
 الصفات الخمس التى أزالته عن القرآن كل لبس، وكان وصفه بها إنما
 هو لأجل إثبات شرف الرسول البشرى الذى هو بين الحق وعامة^٤
 الخلق، وهو النبى صلى الله عليه وسلم بأن ما يقوله كلام الله حقا، وكانوا
 ١٥ يصفونه بما هو فى غاية النزاهة عنه وهم يعلمون ذلك، أبطله مبكتا لهم
 بالكذب و موبخا بالبلادة بقوله زيادة فى شرفه حيث كان هو المدافع
 عنه: ﴿و ما صاحبكم﴾ أى الذى طالعت صحبته لكم و أتم تعلمون أنه

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: من (٢) من م، وفى الأصل و ظ: ملا .
 (٣) من ظ و م، وفى الأصل: بالغ (٤) من م، وفى الأصل و ظ: الصفة .
 (٥) زيد من ظ و م (٦) فى ظ: خاصة .

في غاية الكمال حتى أنه ليس له وصف عديم الا الامين ، و أعرق في
 النفي فقال : (بمجنون) أي كما تبهتونه به من غير استحياء من الكذب
 الظاهر مع ظهور التناقض فعل الآم اللثام ، بل جاء بالحق و صدق المرسلين ،
 فإ القرآن الذي يتلوه عليكم قول مجنون و لا [قول - '] متوسط في
 العقل بل قول أعقل العقلاء و أكمل الكلام^١ . و هذا النفي المؤكد ثابت ه
 له دائما على سبيل الاستغراق لكل زمان - هذا ما دل عليه الكلام لا ما^٢
 قال الزمخشري أنه يدل على أفضلية جبريل عليه السلام على النبي صلى الله
 عليه و سلم و على بقية الملائكة ، فانه ما سبق لذلك ولا هو و الله بما
 يرضى جبريل عليه السلام ، قال الأصهباني هنا : هذا يدل على فضله
 ° و أما أنه يدل ° على أنه أفضل من جميع الملائكة و من محمد صلى الله عليه ١٠
 و سلم فلا يمكنه ، و قال في قوله تعالى في البقرة ” و ملائكته و رسله “ :
 و لم يلزم من تقديم الملائكة في الذكر تفضيلهم^٣ على الرسل ، و أما
 تقديم جبريل على ميكائيل فليس يبعد أن يكون للشرف كما أن تخصيصهما
 بالذكر لفضلهما ، و قال في النجم : ثم دنى جبريل من ربه عز وجل ،
 و هذا قول مجاهد يدل عليه ما روى في الحديث ° إن أقرب الملائكة ١٥
 إلى الله عز وجل جبريل عليه السلام ، - انتهى ° و لو صح هذا الحديث

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ ، و في الأصل و م : الكلمة (٣) من ظ و م ،
 و في الأصل : كما (٤) من ظ و م ، و في الأصل : فضيلة - كذا (ه - ه) من
 ظ و م ، و في الأصل : اما و انه يدخل (٦) زيد في الأصل : على تقديمهم ،
 و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

لكان فيه كفاية لكن لم اجده اصلا . وقال الاصبهاني في 'عم في قوله'
 "يوم يقوم الروح" عن ابن عباس رضى الله عنهما : هو أعظم الملائكة
 خلقا وأشرف منهم ، وأقرب من رب العالمين = انتهى ، فهذا كما ترى
 صريح في تفضيل الروح ، وقال السهيلي في غزوة بدر من كتابه الروض^٢ :
 ٦٨٥ / ٥ / و نزل جبريل عليه السلام بألف من الملائكة فكان في خمسمائة في الميمنة ،
 وميكائيل عليه السلام في خمسمائة في الميسرة ، ووراءهم مدد من الملائكة
 لم يقاتلوا وهم الآلاف المذكورون في سورة آل عمران ، وكان اسرافيل
 عليه السلام وسط الصف لا يقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة
 عليهم الصلاة والسلام = [انتهى - '] . وهذا يدل على شرف اسرافيل
 ١٠ عليه السلام لأن موقفه موقف رئيس القوم و فعله فعله - والله أعلم .
 ولما كان المجنون لا يثبت ما يسمعه ولا ما يبصره حق الإثبات ،
 فكان التقدير بعد هذا النفي : فلقد سمع من رسولنا اليه ما أرسل به
 حق السمع ، ما التبس عليه [فيه - '] حق يبطل ، عطف [عليه - ']
 الإخبار برفعة شأنه في رؤية ما لم يره [غيره - '] وأما وجوده فقال :
 ١٥ (ولقد رآه) أى المرسل اليه وهو جبريل عليه الصلاة والسلام على
 صورته الحقيقية ليلة المعراج و بعرفات ، جامعا الى حس السمع حس البصر
 (بالافق المبين ج) أى الأعلى الذى هو عند سدرة المنتهى ، حيث
 (١) زيد في الأصل : سورة ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفناها (٢) سقط
 من ظ و م (٣) راجع ٩١/٢ (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفي
 الأصل : معه (٦) من ، وفي الأصل و ظ : نى .

لا يكون لبس أصلا، ولا يكون لشيطان على ذلك المكان سبيل فعرفه
حق المعرفة، وقال البيضاوى^١: بمطلع الشمس الأعلى - يعنى^٢ وهو مشرق
الأنوار، و الأفق: الناحية التى تفوق و تعلو .

ولما اتقى ما يظن من لبس السمع و زيغ البصر، لم يبق إلا ما
يتعلق بالتأدية فنفى ما يتوهم من ذلك [بقوله -^٢]: (وما) أى سمعه ه
و رآه و الحال أنه ما (هو على الغيب) أى الأمر الغائب عنكم فى
النقل عنه ولا فى غيره من باب الأولى (بظنين ج) أى بمتهم، من الظنة
و هى التهمة، كما يتهم الكاهن لأنه يخطئ فى بعض ما يقول، فهو حقيق
بأن يوثق بكل شئ. يقوله فى كل أحواله، هذا فى قراءة ابن كثير
و أبى عمرو و الكسائى و رويس عن يعقوب بالظاء، و المعنى فى قراءة ١٠
الباقيين [بالضاد -^٢]: يخيّل كما يخيّل الكاهن رغبة فى الحلوان، بل
هو حريص على أن يكون كل من أمته عالما بكل ما أمره الله تعالى^٣
بتبليغه.

ولما أثبت له الأمانة و الجود بعد أن نفى عنه ما بهتوه به، وكان
الجنون أظهر من قول المجنون لأن بعض المجانين ربما تكلم الكلام ١٥

(١) راجع أنوار التنزيل ص: ٧٨٦ (٢) من ظ و م، وفى الأصل: بمعنى (م) زيد
من ظ و م (٤) زيد فى الأصل و ظ: وما، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها.
(هـ) زيد فى الأصل و ظ: به من و، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها.

المنتظم في [بعض - ١] الاوقات ففاه لذلك، و كان قول الكاهن اظهر
من السكھانة، نفى القول فقال: ﴿وما هو﴾ ای القرآن الذی من جملة
معجزاته الإخبار بالمغیبات، و أعرق فی النبی بالتأکید بالباء فقال:
﴿بقول شیطن﴾ . و لما كان الشیطان لا ینفك عن الطرد لأن اشتقاقه

من شطن و شاط، و ذلك یقتضی البعد و الاحراق، وصفه بما هو لازم

له فقال: ﴿رجیم﴾ ای مرجوم باللعن و غیره من الشهب لأجل استراق

السمع مطرود عن ذلك، لأن القاتل له لیس بکاهن كما تعلمون، و بقى

بما قالوه السحر و هو لا یحتاج إلى نفيه / لأنه لیس بقول، بل هو فعل

/ ۶۸۶

صرف او قول مقترن به، و الأضغاث و هی لذلك واضحة العوار'

۱۰ فلم یعدها، فمن علم هذه الاوصاف للقرآن و الرسولین الآتیین به المملکی

و البشری أحبه و أحبهما، و بالغ فی التعظیم و الإجلال، و أقبل علی تلاوته

فی کل اوقانه، و بالغ فی السعی فی کل ما یأمر به و الهرب مما ینهى*

عنه، لیحصل له الاستقامة رغبة فی مرافقة من آتی به و رؤية من آتی

من عنده .

۱۵ و لما لم یدع وجهها یلبس به علی من لا یعرف حاله صلی الله علیه

و سلم، سبب عنه قوله موجها منکرا: ﴿فان تذهبون﴾ ای بقلوبکم عن

(۱) رید من م (۲) من م، و فی الأصل و ظ: شیطان (۳) زید فی الأصل

و ظ: کله، و لم تکن الزیادة فی م لحذفناها (۴) فی الأصل بیاض ملأناه من ظ

و م (۵) من م، و فی الأصل و ظ: نهی .

هذا الحق المبين يا اهل مكة المدعين لغاية الفطنة وقد علمتم هذا الحفظ العظيم في الرسولين الملكي والبشرى فن [أين-'] يأتي ما تدعون من التخليط^٢ في هذا الكتاب العظيم الذي دل على حفظه ببرهان عجزم عن معارضة شيء منه؟ وهو^٣ استضلال لهم واستجهال على أبلغ وجه في كل ما كانوا ينسبونه إليه بحيث صار ضلالهم معروفا لا لبس فيه . ٥

ولما كان الحال قد صار في الوضوح الى أنه إذا نبه صاحبه بمثل هذا القول نظر أدنى نظر، فقال من غير وقفة: لا أين، قال: (ان) أى ما (هو) أى القرآن الذى أتاكم به (الا ذكر للعلمين!) أى شرف للخلق كلهم من الجن والإنس والملائكة وموعظة بليغة عظيمة لهم . ولما تشرف^٤ الوجود كله بإظهاره فيه نوع تشرف^٥، أطلق هذه ١٠ العبارة . ولما كان الذى ثم شرفه المهتدى، فكان الوعظ والشرف إنما هو له في الحقيقة [قال]: (لمن شاء منكم) أى أيها المخاطبون^٦ (ان يستقيم^٧) أى يطلب القوم ويوجده .

ولما كان ذلك ربما تعنت به المتعنت في خلق الأفعال، قال نافيا

(١) زيد من م (٢) زيد في الأصل وظ : وقد عجزتم ، ولم تكن الزيادة في م لحذفها (٣) زيد في الأصل : في ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : له (٥) تكرر في الأصل فقط (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : واقعة (٧) من م ، وفي الأصل وظ : تشوف (٨) زيد في الأصل : كلهم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

لاستقلالهم ومثبنا للكسب : ﴿ وما تشاءون ﴾ اى ايها الخلائق الاستقامة
 ﴿ الا ان يشاء الله ﴾ اى الملك الاعلى الذى لا حكم لاحد سواه مشيئكم ،
 وإن لم يشأها لم تقدروا على مشيئة ، فادعوه مخلصين له الدين يشأ لكم
 ما يرضيه فيوقفكم إليه ، وعن وهب بن منبه أنه قال : الكتب التى
 ٥ أنزلها الله ^٣ على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بضع و تسعون كتابا
 قرأت منها بضعا [وثمانين - ^٥] كتابا فوجدت فيها : من جعل إلى نفسه
 شيئا من المشيئة فقد كفر - انتهى . ومن تأمل هذه الآية أدنى تأمل
 علم أن كلام المعتزلة بعدما فى القدر دليل على أن الإنسان إذا كان له
 هوى لا يردده شيء أصلا " و من يضل الله فما له من هاد " .

١٠ و لما وصف نفسه سبحانه بأنه لا يخرج شيء عن أمره ، اتبع
 ذلك الوصف بما هو كالعلة لذلك فقال : ﴿ رب العالمين ^٤ ﴾ اى الموجد
 لهم والمالك ^١ والمحسن اليهم والمربى لهم وهو أعلم بهم منهم ، فلاجل
 ذلك لا يقدرّون إلا على ما قدرهم ^٦ عليه ، ويجب على كل منهم [طاعته و - ^٥]
 الإقبال بالكلية عليه سبحانه و تعالى وشكره استمطارا [للزيادة - ^٥] ،
 ١٥ فلهذه الربوبية صح تصرفه فى الشمس / وما تبعها مما ذكر

(١) زيد فى ظ : الله (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل : يشأكم (٢ - ٢) من
 م ، وفى الأصل وظ : عليهم (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : ستون (٥) زيد
 من ظ و م (٦ - ٦) من ظ و م ، وفى الأصل : والمالك لهم (٧ - ٧) من ظ
 و م ، وفى الاصل : معها .

أول السورة لإقامة الساعة لأجل حساب الخلائق، والإنصاف بينهم بقطع
كل العلائق، كما يفعل كل رب مع من يريه فكيف بأحكم الحاكمين
و أرحم الراحمين ! فقد التقى طرفاها على أشرف الوجوه و أجلاها،
و انتظم أول الانقطار بما له من بديع الأسرار، فالتكوير كالانشقاق
و التفطير، و الانكدار مثل التساقط و الانتشار، ' و الله سبحانه هو ه
أعلم بالصواب ' .



سورة الانفطار

مقصودها التحذير من ^٢ الانهالك في الاعمال السيئة اغترارا باحسان
 الرب وكرمه ونسيانا ليوم الدين الذي يحاسب فيه على النقيير والقطمير،
 ولا تغنى فيه نفس عن نفس شيئا، واسمها الانفطار ادل ما فيها على ذلك
 ٥ ﴿بسم الله﴾ الذى له الجلال كما أن له ^٢ الجلال ﴿الرحمن﴾ الذى عم
 بالرحمة ليشكر ففر ذلك أهل الضلال ﴿الرحيم﴾ الذى خص من اراد
 بالتوفيق لما يرضى من الخصال .

لما ختمت ^٣ التكوين بأنه سبحانه لا يخرج شيء عن مشيئته وأنه موجد
 الخلق ومديرهم، وكان من الناس من يعتقد أن هذا العالم هكذا
 ١٠ بهذا الوصف لا آخر له وأرحام تدفع وأرض تبلع ومن مات فأت
 وصار إلى الرفات ولا عود بعد القوات، افتتح الله سبحانه هذه بما
 يكون مقدمة لمقصود التي قبلها من أنه لا بد من نقضه لهذا العالم وإخراجه
 ليحاسب الناس فيجزى كلا منهم من المحسن والمسيء بما عمل فقال :
 ﴿إذا السماء﴾ أى على شدة إحكامها واتساقها وانتظامها ﴿انفطرت لا﴾

(١) الثانية والثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ١٩ .
 (٢) من م . وفي الأصل وظ : عن (م) زيد في الأصل وظ : الكمال و ،
 ولم تكن الزيادة في م لحذفها (هـ) زيد في الأصل : سورة ، ولم تكن الزيادة
 في ظ و م لحذفها (و) من ظ و م ، وفي الأصل : انتح .

أى^١ انشقت شقوقا أفهم سياق التهويل انه صار^٢ لبابها اطراف^٣ كثيرة
فزال ما كان لها من الكرية الجامعة للهواء الذى الناس فيه كالسمك
فى الماء، فكما أن الماء إذا انكشف عن الحيوانات البحرية هلك^٤، كذلك
يكون الهواء مع الحيوانات البرية، فلا تكون [حياة-^٥] إلا يبعث جديد
و نقل عن هذه الأسباب، ليكون الحساب بالثواب والعقاب . هـ
ولما كان يلزم من انقطارها وهبها وعدم إمساكها لما أثبت
بها ليكون ذلك أشد تخويفا لمن تحتها بأنهم يترقبون كل وقت سقوطها
أو سقوط طائفة منها فوقهم فيكونون^٦ بحيث لا يقر لهم قرار، [قال-^٧]:
(و إذا السواكب) أى النجوم الصغار والكبار كلها الغراء الزاهرة
المتوقدة توقد النار المرصعة / ترصيع المسامير فى الأشياء المتماسكة التى در الله ١٠ / ٦٨٨
فى دار الأسباب بها الفصول الأربعة والليل والنهار، وغير ذلك من
المقاصد الكبار، وكانت محفوظة بانتظام السماء (انتثرت لا) أى تساقطت
متفرقة كما يتساقط الدر من السلك إذا انقطع تساقطا كأنه لسرعه لا يحتاج
إلى فعل فاعل لقوة تداعيه إلى التساقط .

و لما كان إخباره بما دل على وهى السماء [مشعرا-^٨] بوهى ١٥
الأرض لأنها أتقن منها وأشرف إذ هى للأرض بمنزلة الذكر للأنثى،
(١) زيد فى الأصل : انقست و ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٢-٣) من م ، وفى الأصل و ظ : لا بوابها اطراه (م) من م ، وفى الأصل
و ظ : مأكت (٤) زيد من ظ و م (ه) من م ، وفى الأصل و ظ : فيكون .

و كان الانفعال^١ وبما أوهم ان ذلك يسكون بغير^٢ فاعل، صرح بهى
الارض معبرا بالبناء للمفعول دلالة على أن الكل بفعله، وأن ذلك عليه
يسير، فقال مجبرا بانقطار الاراضى أيضا ليجمع بين التخويف [بالمطل -^٣]
و الترويع بالمثل : ﴿ واذا البحار ﴾ المتفرقة^٤ فى الارض وهى^٥ ضابطة
لها آتم ضبط لنفع العباد على كثرتها ﴿ فجرت لا ﴾ أى تفجيرا كثيرا بزوال^٦
ما بينها من البرازخ الحائلة . و قال الربيع^٧ : بفيضها و خروج مائها عن
حدوده فاختلط بعضها ببعض من ملحها و تذبذبا فصارت بحرا واحدا .
فصارت الارض كلها ماء ولاسماء ولا أرض وأين المفر .

ولما كان ذلك متقضيا لغمر القبور فوهم أن أهلها لا يقومون كما
١٠ كان^٨ العرب يعتقدون أن من مات فات، قال دافعا لذلك على نمط
كلام القادرين إشارة إلى سهولة ذلك عليه : ﴿ واذا القبور ﴾ أى مع
ذلك كله ﴿ بعثت لا ﴾ أى نبش ترابها على أسهل وجه عن أهلها فقاموا
أحياء كما كانوا، فراوا^٩ ما أفضطهم وهاهم وروّعهم .

ولما كانت هذه الشروط كلها التى جعلت أشراطا^{١٠} على الساعة
١١ موجبة لعلوم دقيقة، وتكشف كل واحدة منها عن أمور عجبية، وكانت

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الانقطار (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
بعد بفعل (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : المعثرة (٥) زيد
فى الأصل : طائفة لها ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من م ،
وفى الأصل و ظ : لزوال (٧) راجع العالم ٧ / ١٨٠ (٨) من ظ و م ، وفى
الأصل : ان (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : وراوا (١٠) من م ، وفى الأصل
و ظ : اشراط .

كلها دالة على الانتقال من هذه الدار إلى دار أخرى لخراب هذه الدار،
 ناسب أن يجيب « إذا » بقوله : ﴿ علمت نفس ﴾ أى جميع النفوس بالإنباء
 بالحساب وبما يجعل لها سبحانه بقوة التركيب من ملكتها للاستحضار كما
 قال تعالى " فكشفنا عنك غطاءك " و الدال على ارادة العموم التعبير
 بالتنكير فى سياق التخويف والتحذير مع العلم بأن النفوس كلها فى علم ٥
 مثل هذا وجهله على حد سواء ، ' فهما ثبت ' للبعض ثبت للكل ، ولعله
 نكر إشارة إلى أنه ينبغى لمن وهبه الله عقلا أن يجوز أنه هو المراد
 فيخاف : ﴿ ما قدمت ﴾ أى من عمل^٢ ﴿ واخرت^٣ ﴾ أى جميع ما عملت
 من خير أو شر أو غيرهما ، أو ما قدمت قبل الموت^٢ وما أخرت من
 سنة تبقى بعده .

١٠

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : هذه السورة كأنها من تمام
 سورة التكوير لاتحاد القصد فاتصالها بها واضح وقد مضى نظير
 هذا - انتهى .

ولما كان ذلك خالما للقلوب ، و كان الإنسان اذا اعتقد البعث

٨٩ /

/ قد يقول : تهاوننا ببعض المعاصى : المرجع إلى كريم ولا يفعل بى إلا خيرا ، ١٥
 أتبج قوله مناويا بأداة البعد لأن أكثر الخلق مع ذلك معرض ، منكرا
 سبحانه و تعالى على من يقول هذا اغترارا بخدع الشيطان إنكارا يهد
 (١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : فهما يثبت (٢) زيد فى الأصل : اما واما ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفناها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الموت .
 (٤) من ظ ، وفى الأصل و م : يقال .

الاركان: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ أى البشر الآنس^١ بنفسه الناسى لما يعنيه
 ﴿ما غرك﴾ أى أدخلك فى الغرة، وهى أن ترى فعلك^٢ القبيح حسنا
 أو ترى أنه يعنى عنك لا محالة، وذلك بمعنى قراءة سعيد بن جبير
 والاعمش: أغرك - بهمزة الإنكار، وتزيد المشهورة معنى التعجب
 ٥ ﴿ربك﴾ أى المحسن اليك الذى أنساك^٣ إحسانه ما خلقت له من
 خلاص نفسك بعمل ما شرعه لك .

ولما كان التعبير بالرب مع دلالة على الإحسان، يدل على الانتقام
 عند الإمعان فى الإجمام لأن ذلك شأن الربى، فكان ذلك مانعا من الاغترار
 لمن تأمل، أتبعه ما هو كذلك أيضا ظاهره لطف وباطنه جبروت وقهر، فقال
 ١٠ للبالغة فى المنع عن الاغترار: ﴿الكريم﴾ أى الذى له الكمال كله المقتضى
 لئلا يهمل الظالم^٤ بل يمهله^٥، ولا يسوى بين المحسن والمسيء والموالى والمعادى
 والمطيع والعاصى، المقتضى لأن يبالغ فى التقرب إليه بالطاعة شكرا له،
 وأن لا يعرض أحد عنه لأن يده كل شئ ولا شئ بيد غيره، فيجب
 أن يخشى شدة بطشه لأنه كذلك يكون المتصف بالكرم لا يكون إلا عزيزا،
 ١٥ فانه يكون شديد الحلم عظيم السطوة عند انتهاك حرمة بعد ذلك الحلم فانه
 يجد أعوانا كثيرة على مراده، ولا يجد المعاقب عذرا فى تقصيره بخلاف اللئيم

(١) من م، وفى الأصل و ظ: الانسى (٢) من ظ و م، وفى الأصل:
 تغلك - كذا (٣) زيد فى الأصل: كثرة، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
 (٤) من ظ و م، وفى الأصل: الانسان (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من
 ظ و م .

فانه لا يحمد أعوانا فلا يشتد اخذه، [فصار -^١] الإنكار بواسطة هذين الوصفين أشد وأغلظ من هذه الجهة، و من جهة أنه كان ينبغي أن يستحي من المحسن الذى لا تكدير فى إحسانه بوجه، فلا يعصى له أمر ولا يفرط [له -^٢] فى حق، و مع ذلك فى ذكر هذين الوصفين تلقين الحجة، قال أبو بكر الوراق: لو سألتى اقلت: غرنى كرم الكريم^٣ وحلمه^٤، و قال على رضى الله عنه: من كرم الرجل سوء أدب غلمانه، و قال الإمام الغزالى فى شرحه للاسماء: هو الذى اذا قدر عفا، و اذا وعد وفى، و اذا أعطى زاد على منتهى^٥ الرجا، و لا يبالي^٦ لمن أعطى ولا كم أعطى^٧، و إذا رفعت حاجة الى غيره لا يرضى، و إذا جنى عاتب و ما استقصى، و لا يضيع من لاذ به و إليه التجأ، و يغنيه عن الوسائل و الشفعاء^٨ . ١٠

و لما ذكر هذين الوصفين الدالين على الكمالين بالجلال، دل عليهما تقريرا لهما بأفاضة الجود فى الترية بوصف الجلال بالإكرام لئلا يعتقد الإنسان بما له من الطغيان انه حر مالك لنفسه يفعل ما يشاء فقال:

(الذى خلقك) [أى أوجدك -^١] من العدم مهيتا لتقدير الأعضاء

(فسوك) عقب^٢ تلك الأطوار بتصوير الأعضاء و المنافع بالفعل ١٥

(فذلك لا) أى جعل كل شئ من ذلك سليما مودعا / فيه قوة المنافع

التي خلقه الله لها، و عدل المزاج حتى قبل الصورة، و التعديل جعل البنية

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

(٤) من ظ و م، وفى الأصل: مشتهى (٥-٥) فى ظ: كم أعطى و لا لمن أعطى .

(٦) من ظ و م، وفى الأصل: عقبه .

متناسبة الحلقة^١، و كذا العدل في قراءة الكوفيين بالتخفيف [أى - ^٢]
فأمالك عن تشويه الحلقة و تقبيح الصورة، و جعلك معتدلاً في صورتك،
و كل هذا^٢ يقتضى غاية الشكر و الخوف منه ان عصى، لأنه كما قدر
على التسوية يقدر على التشويه و غيره من العذاب .

٥ ولما أضاء بهذا إضاءة الشمس انه عظيم القدرة على كل ما يريد،
أنتج قوله معلقاً بـ «ركب» : (في أى صورة)^٣ من الصور التى تعرفها
و التى لاتعرفها من الدواب و الطيور و غير ذلك [من الحيوان - ^٢] ،
ولما كان المراد تقرير المعنى غاية التقرير، أثبت الثانى فى سياق الإثبات
ليتنقى ضد ما أثبتته الكلام فيصير بثبات المعنى على غاية [من - ^٢] القوة
١٠ التى لا مزيد عليها، [فقال - ^٥] : (ما شاء ركبك^٤) أى ألف تركيب
أعضائك و جمع الروح الى البدن ، روى الطبرانى^٦ فى معاجمه الثلاثة
برجال ثقات عن مالك بن الحويرث رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه و سلم : اذا أراد الله جل اسمه أن يخلق النسمة فجامع
الرجل المرأة طار ماؤه فى [كل - ^٢] عرق و عصب منها ، فلما كان
١٥ اليوم السابع أحضر الله له كل عرق بينه و بين آدم، ثم [قرأ - ^١]
« فى أى صورة ما شاء ركبك » فتحرر بهذا أن الإنسان رقيق رقاً لازماً،
و من خلع ربة^٧ ذلك الرق اللازم و كل إلى نفسه فهلك .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الصورة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ
و م ، وفى الأصل : ذلك (٤) زيد فى م : أى (٥) زيد من م (٦) راجع لجمع
الزوائد ٧ / ١٣٤ (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ربة .

ولما أوضح سبحانه غاية الإيضاح الدليل على قدرته على الإعادة بالابتداء، وبين تعالى أنه ما أوجب للإنسان الحصار، بنسيان هذا الدليل الدال على تلك الدار إلا الاغترار، وكان الاغترار يطلق على أدنى المعنى، بين أنه ارتقى به الذروة فقال: ﴿كلا﴾ أى ما 'أوقعكم أيها الناس' فى الإعراض [عمن يجب الإقبال عليه ويقبح غاية القباحة الإعراض - ٢] ٥ بوجه عنه مطلق الغرور ﴿بل﴾ أعظمه وهو أنكم ﴿تكذبون﴾ أى على سبيل التجديد بتحدد إقامة الأدلة القاطعة و[قيام - ٢] البراهين الساطعة ﴿بالدين ٣﴾ أى الجزاء الذى وظفه الله [فى - ٢] يوم البعث، فارجعوا عن الغرور مطلقا خاصا و عاما، و ارتدعوا غاية الارتداع ﴿و ان﴾ أى و الحال أن ﴿عليكم﴾ أى من أقتانهم من جندنا من ١٠ الملائكة ﴿لحفظين ٤﴾ لهم على أعمالكم غاية العلو فهم بحيث لا يخفى عليهم منها جليل و لاحقير .

ولما أثبت لهم الحفظ، نزههم عن الزيادة و النقص فقال: ﴿كراما﴾ أى فهم فى غاية ما يكونون من طهارة الأخلاق ٥ و العفة و الأمانة ٥ .
و لما ثبت ٦ الحفظ و الأمانة بغاية الإبانة ٧، و كان الحافظ ربما ١٥

(١-١) من ظ و م، وفى الأصل: أوقعكم أيها الإنسان (٢) زيد من ظ و م.
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: هو (٥-٥) -قط ما بين الرقعتين
من ظ و م (٦) من ظ و م. وفى الأصل: أثبت (٧) من ظ و م، وفى
الأصل: الأمانة .

ينسى قال: ﴿كاتبين﴾ أي هم راسخون في وصف الكتابة يكتبونها في الصحف كما يكتب الشهود بينكم اليهود ليقع الجزاء على غاية التحرير. / ٦٩١
ولما أفهم الاستعلاء / والتعبير بالوصف إحاطة الاطلاع على ما يبرز من الأعمال، صرح به فقال: ﴿يعلمون﴾ أي على التجدد والاستمرار
٥ ﴿ما تفعلون﴾ أي تجددون فعله من خير و شر بالعزم الثابت والداعية الصادقة سواء كان مبنيًا على علم أو لا ، فكيف يكون مع هذا تكذيب بالجزاء على النقيض و القطع هل يكون لإحصاء مثاقيل الذر من أعمالكم عبثًا و هل علمتم بملك يكون له رعية يتركهم هملا فلا يحاسبهم على ما في أيديهم [و ما عملوه، ولأجل تكذيبهم بالدين أكد المعنى المستلزم ١٠ له - ٢] و هو أمر الحفظة غاية التأكيد، والتعبير بالمستقبل يدل على انهم يعلمون كل ما انقذ في القلب وخطر في الخاطر قبل أن يفعل، و أما ما لم يجر في النفس له ٢ [ذكر - ٢] فلا يعلمونه كما بينه حديث «ومن هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة» .

ولما كانت نتيجة حفظ الاعمال الجزاء عليها، أنتج ذلك بيان ما
١٥ كانت الكتابة لأجله تفريقا بين المحسن والمسيء الذي لا يصح في حكمة حكيم ولا كرم كريم غيره بقوله على سبيل التأكيد، لأجل تكذيبهم: ﴿ان الابرار﴾ أي العاملين بما هو واسع لهم بما يرضى الله

(١) من م ، وفي الاصل وظ : الدعوى (٢) زيد من ظ و م (م) وقع في الأصل بعد « ما لم يجر » والترتيب من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : العاملين .

'اجلت قدرته' (لنى نعيم ج) أى يحيط بهم لا ينفك عنهم و لا ينفكون عنه أصلا فى الدنيا فى نعيم الشهود ، وفى الآخرة فى نعيم الرؤية و الوجود فى هذه الدار معنى و فى الآخرة حسا ، فكل نعيم^٢ فى الجنة لهم^٣ من المنح الآجلة فراقته^٤ فى هذه الدنيا لهم عاجلة (و ان الفجار) أى الذين شأنهم الخروج مما ينبغى الاستقرار فيه من رضا الله إلى سخطه (لنى جحيم ج) ٥
أى نار تتوقد غاية التوقد يصلون بها جحيم العقوبة الفظيعة كما كانوا فى الدنيا فى^٦ جحيم البعد و القطيعة .

و لما كان السياق للترهيب ، وصف^٧ عذاب الفجار فقال : (يصلونها) أى يغمسون فيها كاشاة المصلية فيباشرون حرها (يوم الدين) أى الجزاء على الأعمال المضبوطة على مثاقيل الذر . و لما كان العذاب على ١٠ ما نعهده لا بد أن يتقضى ، بين أن عذابه على غير ذلك فقال : (و ما) أى و الحال أنهم ما (هم عنها) أى^٨ الجحيم (بغائبين^٩) أى بثابت لهم غيبة ما عنها فى وقت^{١٠} ما ، بل^{١١} هم فيها خالدون جزاء لأعمالهم وفاقا وعدلا طباقا حتى الآن فى دار الدنيا و إن كانوا لا يحسون بها إلا بعد الموت لأن الناس نيام ، فاذا ماتوا انتبهوا . ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لهم فى الجنة (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فرق ثقة - كذا (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : على (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : وصفه (٦) زيد فى الأصل : عن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بل ما .

ولما علم^١ أن الوعيد الأعظم يوم الدين، هول أمره بالسؤال عنه
إعلاماً بأنه أهل لأن^٢ يصرف العمر إلى الاعتناء بأمره والسؤال عن
حقيقة حاله سؤال إيمان وإذهان لا سؤال كفران وطفیان،
ليكون أقصد [في الوعيد - ٢] به فقال: ﴿وما آدرئک﴾ أي أهلك وإن
اجتهدت في^٣ طلب الدراية^٤ به ﴿ما يوم الدين﴾ أي أية شيء [هو - ٥]
في طوله وأهواله وفظاعته وزلزاله . ولما كانت أهواله زائدة على الحد،
كرر ذلك السؤال لذلك الحال فقال معبراً بأداة التراخي / زيادة في
التهويل: ﴿ثم ما آدرئک﴾ أي كذلك ﴿ما يوم الدين﴾ .

/ ٦٩٢

ولما بين أنه من العظمة بحيث لا تدركه دراية دار وإن عظم وإن
١٠ اجتهد، لخص أمره في شرح ما يحتمله العقول منه على سبيل الإجمال
دافعاً ما قد يقوله بعض من لا عقل له: إن كان انضمت^٦ والتجأت إلى
بعض الأكابر وقصدت^٧ بعض الأمائل فأخلص قهراً أو بشفاعته ونحوها،
فقال مبدلاً من "يوم الدين" في قراءة ابن كثير والبصريين بالرفع:
﴿يوم﴾ وهو ظرف، قال الكسائي: العرب تؤثر الرفع إذا أضافوا
١٥ الليل واليوم إلى^٨ مستقبل، وإذا أضافوا إلى فعل ماضٍ آثروا النصب
﴿لا تملك﴾ أي بوجه من الوجوه في وقت ما ﴿نفس﴾ أي نفس

(١) من ظ ، وفي الأصل وم : علموا (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : بأن .
(٣) زيد من ظ وم (٤-٥) من ظ وم ، وفي الأصل : الطلب للراية .
(٥) زيد من م (٦) من ظ وم ، وفي الأصل : انضمت (٧) من ظ وم ،
وفي الأصل : قصد (٨-٨) من ظ وم ، وفي الأصل : اليوم أو الليل .

كانت من غير استثناء، ونصبه الباقر على الظرف، ويجوز أن تكون الفتحة للبناء لإضافته^١ إلى غير متمكن^٢ (نفس شيئاً^٣) أى^٤ قل أو جل، وهذا وإن كان اليوم ثابتاً لكنه في هذه الدار بطن سبحانه في الأسباب، فتقرر في النفوس أن الموجودين يضرون و ينفعون لأنهم يتكلمون^٥ و يبطشون، وأما هناك فالمرور في النفوس خلاف ذلك من ه أنه لا يتكلم أحد إلا بأذنه إذنا ظاهراً، ولا يكون لأحد فعل ما إلا بأفنه كذلك، فالأمر كله له دائماً، لكن اسمه الظاهر هناك [ظاهر - °] واسمه الباطن هذا مقرر لموجبات الغرور و سار .

ولما كان التقدير: فلا أمر لأحد من الخلق أصلاً، [لا - °] ظاهراً ولا باطناً، عطف عليه قوله: ﴿والامر﴾ أى كله ﴿يومئذ﴾ أى إذ كان ١٠ البعث للجزاء ﴿لله﴾ أى محتص به لا يشاركه [فيه - °] مشارك ظاهراً كما أنه لا يشاركه فيه باطناً، ويحصل هناك^٦ الكشف الكلى فلا يدعى أحد لأحد أمراً^٧ من الأمور بغير إذن ظاهر خاص، و تصوير المعارف بذلك ضرورية، فلذلك كان الانفطار و الزلازل الكبير، و الإحصاء لجميع الأعمال الصغار والكبار، وقد رجع آخرها كما ترى إلى أولها، ١٥ والتف^٨ مفصلها بموصلها^٩ - والله الهادي للصواب^{١٠} .

(١) من م ، وفي الأصل وظ : لاضافة (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : يمكن .
(٣) زيد في الأصل : أى شئ ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٤) في ظ : لا يظهرون (٥) زيد من م (٦) من م ، وفي الأصل وظ : هنا (٧) من م ، وفي الأصل وظ : الأمر (٨) من ظ وم ، وفي الأصل : التما (٩) من ظ وم ، وفي الأصل : بمولها - كذا (١٠-١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ وم .

سورة التطفیف^۱

مقصودها شرح آخر الانقطار بأنه لابد من دينونة العباد يوم التناد
 باسكان الاولياء أهل الرشاد دار النعيم، و الاشقياء أهل الضلال و العناد
 غار الجحيم، و دل على ذلك بأنه مربيهم و المحسن إليهم بعموم النعمة،
 ه و لا يتخيل عاقل أن أحدا يربى أحدا من غير سؤال عما^۲ حمله اياه
 و كلفه به و لا أنه لا ينصف بعض من يربيه من بعض، و اسمها التطفیف
 أدل^۳ ما فيها / على ذلك ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الحكمة البالغة و القدرة
 الكاملة ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة الإيجاد و البیان الشاملة ﴿ الرحيم ه ﴾
 الذى أكرم حزه بالتوفيق^۴ لحسن المعاملة .

/ ۶۹۳

۱۰ لما^۵ ختم الانقطار بانقطاع الاسباب و انحسام الانساب^۶ [يوم
 الحساب - ۷] ، و أبلغ فى التهديد يوم الدين و أنه لا أمر لاحد معه،

(۱) فى ظ : المطففين، و مى الناشئة واثناون من سور القرآن اكریم، مكية،
 وعدد آياتها ۳۶ (۲) من ظ و م ، و فى الأصل : عمله (۳) زيد فى الأصل :
 دایل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (۴) زيد فى الأصل : الحسن،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (۵) من م ، و فى الأصل و ظ : و لا .
 (۶) من ظ و م ، و فى الأصل : الاسباب (۷) زيد من ظ و م .

و ذكر الأشقياء و السعداء ، و كان أعظم ما يدور^١ بين العباد^٢ المقادير ،
و كانت المعصية بالبخس فيها من أخس المعاصي و أدناها ، حذر من
الحيانة فيها و ذكر ما أعد لأهلها و جمع إليهم كل من اتصف بوصفهم
فحمله وصفه على نوع من المعاصي ، كل ذلك تنبيها للأشقياء الغافلين
على ما هم فيه من السموم الممرضة المهلكة ، و نبه على^٣ الشفاء لمن أراد^٤ ه
[فقال - ٤] : ﴿ ويل ﴾ أى هلاك ثابت عظيم فى كل حال من أحوال الدنيا
و الآخرة ﴿ للطففين لا ﴾ أى الذين يتقصون المكيال و الميزان و يخسون
حقوق الناس ، و فى ذلك تنبيه على أن أصل الآفات الخلق السيئ و هو
حب الدنيا الموقع فى جمع الأموال من غير وجهها و لو بأخس الوجوه :
التطيف الذى لا يرضاه^٥ ذو مروءة و هم^٦ من يقاربون ملا^٧ الكيل و عدل^٨ ١٠
الوزن و لا يملأون و لا يعدلون ، وكأنه من الإزالة أى أزال ما أشرف
من أعلى الكيل ، من الطف ، و هو ما أشرف من أرض العرب على ريف
العراق ، و منه ما فى حديث ابن عمر^٩ رضى الله تعالى عنهما قال : كنت
فارسا فسبقت الناس حتى طفت^{١٠} لى الفرس مسجد بنى زريق - يعنى
أن الفرس وثب حتى كاد يساوى المسجد ، و يقال : طف الرجل الحائط - ١٥

(١) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيدت
الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : ان ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (ه) من ظ و م ،
و فى الأصل : لا يرضاه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٧) من ظ و م ،
و فى الأصل : ابن عمرو (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : طفت .

إذا علاه، أو من القرب، من قولهم: أخذت من فتاعى ما خط وطف،
 أى قرب منى، وكل شيء أدنيت من شيء فقد أطففته، والطفاف من
 الإناء وغيره: ما قارب أن يملأه، ولا يتم ملأه، وفي الحديث: كلّم بنو
 آدم طف الصاع، أو من الطفف وهو التقير، يقال: طفف عليه تطفيفاً -
 ٥ إذا قر عليه، أو من الطفيف وهو من الأشياء الخسيس^١ الدون والقليل،
 فكان التضعيف للزيادة على المعنى الأول كما مضى، وللإقاربه الكثيرة
 على المعنى الثانى أى أنه يقارب ملأ المكىال مقاربة كبيرة مكرراً وخداعاً
 حتى يظن صاحب الحق [أنه -^٢] وفى ولا يوفى، يقال: أطف فلان
 لفلان - إذا أراد ختله، وإذا نهى عن هذا فقد نهى عما نقص أكثر
 ١٠ بمفهوم الموافقة، وعلى المعنى^٣ الثالث بمعنى التقير والمشاحة فى الكيل،
 وعلى المعنى الرابع بمعنى التنقيص والتقليل فيه، وكأنه اختير هذا
 اللفظ لأنه لا يكاد يسرق^٤ فى الميزان والمكىال [إلا الشيء -^٥] اليسير
 جداً، هذا أصله فى اللغة وقد فسره الله سبحانه وتعالى فقال:
 ﴿الذين إذا اكْتالُوا﴾ أى عالجوا الكيل أو الوزن فآثروا - بما
 ١٥ دل عليه ما يأتى، وعبر بأداة الاستعلاء ليكون المعنى: مستعين^٦

/ ٦٩٤

/ أو متحاملين ﴿على الناس﴾ أى خاصة بمشاهدتهم كائنين من كانوا
 [لا -^٢] يخافون شيئاً ولا يراعون أحداً، بل صارت الخيانة والوقاحة

(١) من ظ و م، وفى الأصل: الخسيسة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ
 و م، وفى الأصل: معنى (٤) من ظ و م، وفى الأصل: على (هـ) من م، وفى
 الأصل و ظ: يشرف (٦) من ظ و م، وفى الأصل: مستعين .

لهم ديدنا ، وهذا الفعل يتعدى بمن وعلى ، يقال : اكتال من الرجل وعليه ،
و يجوز ' أن يكون اختيار التعبير ' بعلی هنا مع ما تقدم للإشارة إلى
أنهم إذا كان لهم نوع علو بأن كان المكتال منه ضعيفا خانوه^٢ فيكون
أمرهم دائرا على الرذالة و سفول الهمة التي لا أسفل منها ﴿ يستوفون ﴾^٣
أى يوجدون لأنفسهم الوفاء وهو تمام الكيل بغاية الرغبة و المبالغة
في الملا^٤ ، فكأنه ذكر " اکتالوا " ولم يذكر " آزنوا " لأنه لا يتأتى
[فى - ٢]^٥ الوزن من المعالجة ما يتأتى فى الكيل ، ولأنهم يتمكنون فى
الاكتيال من المبالغة فى استيفاء المؤدى إلى الزيادة ما لا يتمكنون من مثله
فى الاتزان^٦ ، وهذا بخلاف الإخسار فان التمكن بسببه حاصل فى الموضعين
فلذلك ذكرهما فيه^٧ .

١٠

ولما أنهم تقديم الجار الاختصاص فأفهم أنهم إذا فعلوا من أنفسهم
لا يكون كذلك ، صرح به فقال : ﴿ و اذا كالوم ﴾ أى كالوا الناس
أى حقهم أى ما لهم من الحق [﴿ او وزنوم ﴾] أى وزنوا ما عليهم له
من الحق - ٣]^٨ ، يقال : اکتال من الرجل وعليه و^٩ كال له^{١٠} الطعام [وكاله
الطعام - ٧]^{١١} ، ووزنت الرجل الشيء ووزنت له الشيء ، ولعله سبحانه
اختار " على " فى الاول و المعدى إلى اثنين فى الثانى لأنه أدل على

١٥

- (١-١) تكرر ما بين الرقین فى الأصل فقط (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
اذ (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : خانوه (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ،
وفى الأصل : الانزال (٦) تكرر فى الأصل فقط (٧) زيد من ظ و م .
(٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : كان .

حضور صاحب الحق. فهو في غيبته اولى، فهو ادل على المرون على
الوقاحة، فهما كلمتان لا أربع لانه ليس بعد الواو ألف جمع، قال البغوى:
وكان عيسى بن عمر يجعلهما^٢ حرفين يقف على كالوا ووزنوا وابتدئى هم،
قال أبو عبيدة: والاختيار الاولى^٣، قال البغوى: يعنى أن كل واحدة
ه كلمة لأنهم كتبوهما بغير ألف باتفاق المصاحف، وقال الزمخشري^٤: ولا يصح
أن يكون ضميرا للطففين لأن الكلام يخرج به الى نظم فاسد، وذلك
أن المعنى: إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا أعطوهم^٥ أخسروا، وإن
جعلت الضمير للطففين انقلب الى قولك: [إذا -^٦] أخذوا من الناس
استوفوا، وإذا تولوا السكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا،
١٠ وهو كلام متنافر لأن الحديث واقع في الفعل لا فى المباشر، والتعلق فى
ابطاله بخط المصحف وأن الألف التى تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة
فيه ركيك لأن خط المصحف لم يراع فى كثير منه حد المصطلح عليه
فى علم^٧ الخط - انتهى. ولا شك أن^٨ فى خط المصحف تقوية لهذا
الوجه المعنوى^٩ وتأكيذا (يخسرون^{١٠}) أى يوجدون الخسارة بالنقص
١٥ فيما يكيلون لغيرهم، والحاصل أنهم يأخذون وافيا أو زائدا
و يعطون ناقصا .

(١) راجع المعالم ١٨٢/٧ (٢) من ظ و م، وفى الأصل: يجعلها (٣) زيد فى الأصل:
انتهى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) راجع البحر ٤٣٩/٨ (ه) من
م، وفى الأصل وظ: أعطوهم (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، وفى
الأصل: اعلم (٨) من ظ و م، وفى الأصل: أنه (٩) من ظ و م، وفى
الأصل: المعنى .

وقال الإمام [أبو جعفر - ١] ابن الزبير : لما قال سبحانه وتعالى
 في سورة الانفطار " وان عليكم لحافظين كراما كاتبين " - الآية ، وكان
 مقتضى ذلك الإشعار بوقوع الجزاء على جزئيات الأعمال وأنه لا يفوت
 عمل كما قال تعالى " وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفابنا
 حاسبين " أتبع الآية المتقدمة بجزاء عمل يتوهم فيه قرب المرتكب وهو
 " من أكبر الجرائم ، وذلك التطفيف في المكيال و الميزان والانحراف
 عن إقامة القسط في ذلك ، فقال تعالى " ويل للطففين " ثم أردف تهديدهم
 وتشديد وعيدهم فقال " الا يظن اولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم "
 ثم التحمت الآى مناسبة لما افتحت به السورة الى ختامها - انتهى .

و لما ذكر سبحانه وتعالى أنهم أدمنوا على هذه الرذائل حتى صارت ١٠
 لهم خلقا مرنوا عليه وأنسوا به وسكنوا اليه . و كان ذلك لا يكون
 إلا من أمن العقاب وأنكر الحساب ، أنتج ذلك الإنكار عليهم على أبلغ
 الوجوه لإفهامه أن حالهم أهل لأن يتعجب منه و يستفهم عنه و أن
 المستفهم عن حصوله عندهم الظن ، و أما اليقين فلا يتخيل فيهم بعد
 أحوالهم الجافية و أفهامه الجامدة عنه فقال تعالى : ﴿ الا يظن اولئك ﴾ ١٥
 أى الاخساء البعداء الأرجاس* الأراذل يتجدد لهم وقتا من الاوقات
 ظن أن لم يتيقنوا بما مضى من البراهين التى أفادت أعلى رتب اليقين ،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فى (٣-٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : اكر من (٤) فى ظ و م : خاتمتها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل :
 الارجا (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : وقت .

فانهم لو ظنوا ذلك ظنا نهام ان كان لهم نظر لأنفسهم عن أمثال هذه
القبائح، و من لم تفده تلك الدلائل القاطعة ظنا يحتاط به لنفسه فلا
حس له أصلا ﴿انهم﴾ و عبر باسم المفعول فقال: ﴿مبعوثون لا﴾
إشارة الى القهر على أهون وجه بالبعث الذى قد ألفوا مثله من القهر
باليقظة بعد القهر بالنوم ﴿ليوم﴾ أى لأجله و فيه، و زاد التحويل
بقوله: ﴿عظيم لا﴾ أى لعظمة ما يكون فيه من الجمع والحساب الذى
يكون عنه 'الثواب' و 'العقاب' مما لا يعلمه على حقيقته^٢ إلا هو
سبحانه و تعالى .

ولما عظم ذلك اليوم تحذيرا منه، و زاده تعظيما بأن أتبعه على
١٠ سبيل القطع قوله ناصبا بتقدير "أعنى" إعلاما بأن المجد فيه بأعين
جميع الخلائق فهو فضيحة لا يشبهها فضيحة: ﴿يوم يقوم﴾ أى على الأرجل
﴿الناس﴾ أى كل من فيه قابلية الحركة، و ذلك يوم القيامة^٣
خمسین ألف سنة لا ينظر إليهم سبحانه - رواه الطبرانى^٤ فى الكبير عن
عبد الله بن عمرو رفعه و رجاله ثقات ﴿لرب العالمين﴾ أى لأجل حكم
١٥ موجد الخلائق و مربيهم كلهم فلا ينسى أحدا من رزقه و لا يهمله من
حكمه^٥ و لا يرضى بظلم أحد ممن يريه فهو يفيض لكل من كل بحكم
الترية، كل ذلك من استفهام الإنكار و كله الظن، و وصف اليوم بما

(١) من ظ و م . وفى الأصل: عليه (٢) من ظ و م ، وفى الأصل: اذ (٣) من
ظ و م ، وفى الأصل: سقيقة (٤-٥) زيد فى الأصل: الذى مقداره، و لم تكن
الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) راجع مجمع الزوائد ٧/ ١٣٥ (٦) من ظ و م ،
وفى الأصل: حكته .

وصف / و غير ذلك للإبلاغ في المنع عن التطفيف و تعظيم إثمه،
 وروى الحاكم من رواية عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله عنه رفعه :
 ما نقض قوم العهد إلا سلط^١ عليهم عدوهم ، و ما حكموا بغير ما أنزل
 الله تعالى إلا فشا فيهم الفقر ، و ما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ،
 و لا طففوا الكيل إلا منعوا النبات و اخذوا بالسنين ، و لامنعوا الزكاة ه
 إلا حبس عنهم القطر و من طريق عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عمرو
 مرفوعا نحوه ، و للطبراني من طريق الضحاك عن مجاهد و طاؤس عن
 ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا نحوه .

و لما أنهى^٢ سبحانه ما أراد^٣ من تعظيم ذلك [اليوم - ٢] و التعجيب
 عن لم يفده براهينه أن يحوزه و الإنكار عليه ، و كان مع ما فيه من ١٠
 التقرير مفعلا للتقرير ، نقي بأداة الردع للبالغة في النفي مضمون ما وقع
 الاستفهام عنه فقال : (كَلَّا)^٤ أى لا^٥ يظن أولئك ذلك بوجه من الوجوه
 لكثافة طباعهم و وقوفهم^٦ مع المحسوس دأب البهائم بل لا يجوزونه ،
 و لو جوزوه لما وقعوا في ظلم أحد من يسألون عنه في ذلك اليوم
 المهول ، و ما اوجب لهم الوقوع في الجرائم إلا الإعراض عنه ، و قال ١٥

(١) زيد في الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢ - ٢) من
 ظ و م ، و في الأصل : ما اراد سبحانه (٣) زيد من ظ (٤ - ٤) من ظ و م ،
 و في الأصل : الا (٥) من ظ و م ، و في الأصل : وقوتهم .

الحسن رحمه الله تعالى: 'هى بمعنى حقا متصلة بما بعدها' - انتهى، وهى مع ذلك مفهومة للردع الذى ليس بعده ردع عن اعتقاد مثل ذلك و الموافقة لشيء مما يوجب الخزي فيه .

ولما أخبر عن إنكارهم، استأنف إثبات ما أنكره على أبلغ وجه وأظلمه مهولا لما يقع لهم من الشرور و فوات السرور، مؤكدا لاجل إنكارهم فقال: ﴿ان كُتِبَ﴾ وأظهر موضع الإضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال: ﴿الفجار﴾ أى صحيفة حساب هؤلاء الذين حملهم على كفرهم مروقهم وكذا كل من واقفهم فى صفاتهم فكان فى غاية المروق بما حقه ملاسته و ملازمته، و أبلغ فى التأكيد فقال: ١٠ ﴿لنى سجين﴾ هو علم منقول فى صيغة المبالغة عن وصف [من -] [لنى سجين] وهو الحبس لانه سبب الحبس فى جهنم أى انه ليس فيه أهلية الصعود إلى محل الاقداس إشارة إلى أن كتابهم إذا كان فى سجن عظيم أى ضيق شديد كانوا هم [فى -] أعظم، قال ابن جرير: وهى

(١) راجع للعالم ١٨٣/٧ (٢) من ظ و م، وفى الأصل: متصلا (٣) من ظ و م، وفى الأصل: بعد ذلك (٤) زيد فى الأصل: انكار ما، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفناها (٥) من ظ و م، وفى الأصل: اعظمه (٦) فى م: مسا . (٧) فى ظ و م: الضمر (٨) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م لخذفناها (٩) من ظ و م، وفى الأصل: واصفهم (١٠) زيد فى الأصل وظ: مباغة، ولم تكن الزيادة فى م لخذفناها (١١) زيد من ظ و م (١٢) زيد من ظ (١٣) راجع جامع البيان ٥١/٣٠ .

الأرض السابعة - انتهى . [وهو يفهم - ١] مع هذه الحقيقة أنهم في غاية الحسارة لأنه يقال لكل من انحط : صار ترابا و لصق بالأرض - ونحو ذلك ، ثم ^٢ زاد في هوله بالإخبار بأنه أهل لأن يسأل عنه . و يضرب إلى العالم به - إن [كان - ١] يمكن - آباط الإبل فقال : ﴿ وما أدراك ﴾ أى جعلك داريا وإن اجتهدت في ذلك ﴿ ما يحين له ﴾ أى أنه بحيث لا تحتمل وصفه العقول / ، وهو مع ذلك في أسفل سافلين ^٣ ويشهده المبعدون ^٤ من الشياطين وسائر الظالمين ، يصعد بالميت [منهم - ٥] إلى السماء فتغلق أبوابها دونه فيرد تهوى به الريح تشمت به الشياطين . وكل ما قال فيه « وما أدراك » فقد أدراه به بخلاف « وما يدريك » .

٦٩٧ /

ولما أمم ^٦ أراد من وصفه ، أعرض عن بيانه إشارة إلى أنه ١٥ من العظمة بحيث ^٧ أنه يكل عنه ^٨ الوصف ، واستأنف أمر الكتاب المسجون فيه فقال محذرا منه « هولا لأمره : ﴾ ﴿ كتب ﴾ أى عظيم لحفظه القير والقطمير ﴿ مرقوم ^٩ ﴾ أى مسطور بين الكتابة كما تبين الرقة البيضاء في جلد الثور الأسود ، و يعلم كل من رآه أنه غاية في الشر ، وهو كالرقم في الثوب والنقش في الحجر لا يبلى ولا يمحو .

١٥

ولما أعلم هذا بما للكتاب ^{١٠} من الشر ، استأنف الإخبار بما أتجه

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل « و » (٣) زيد في الأصل : يشتمله ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) من م ، وفي الأصل : المبعودون ، وفي ظ : المبعودين (٥) زيد من اظ (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : لا (٧-٧) من ظ و م ، وفي الأصل : ان بكل ان عليه (٨) من م ، وفي الأصل وظ : لكتاب .

عما لأصحابه فقال: ﴿ويل﴾ أى أعظم الهلاك ﴿يومئذ﴾ أى إذ يقوم الناس لما تقدم. ولما كان الأصل: لهم، أبدله بوصف ظاهر تعميما وتعليقا للحكم به فقال: ﴿للكذابين﴾ أى الراشقين فى التكذيب بكل ما ينبغى التصديق به.

و لما أخبر عن ويلهم، وصفهم بما بين ما كذبوا به و يبلغ ٥ فى ذمهم فقال: ﴿الذين يكذبون﴾ أى يوقعون التكذيب لكل من ينبغى تصديقه، مستهينين ﴿يوم﴾ أى بسبب الإخبار يوم ﴿الدين﴾ أى الجزء الذى هو سر الوجود ﴿وما﴾ أى والحال أنه ما ﴿يكذب﴾ أى يوقع التكذيب ﴿به﴾ الا كل معتد أى متجاوز للحد فى العناد ١٠ أو الجود و التقليد لأن محطه نسبة من ثبت بالبراهين الفاطمية أنه على كل شىء قدير إلى العجز عن إعادة ما ابتدأه ﴿ائمه﴾ أى مبالغ فى الانهالك فى الشهوات الموجبة للآثام، وهى الذنوب، فاسود قلبه فعصى بنظر الشهوات التى حفت بها النار عما عداها.

و لما أثبت له الإبلاغ فى الإثم، دل عليه بقوله بأداة التحقق: ١٥ ﴿إذا تتلى﴾ أى من أى تال كان، مستعنية بما لها من البراهين ﴿عليه﴾ أى العلامات الدالة على ما أريد بيانها له مع [ما -] لها من العظمة بالنسبة إلينا ﴿قال﴾ أى من غير توقف ولا تأمل بل يحظ نفس أوقعه

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: بين (٢) من ظ و م، وفى الأصل: عادة .
(٣) من ظ و م، وفى الأصل: بالغ (٤) من م، وفى الأصل و ظ: التحقيق .
(٥) زيد من ظ و م .

[فيه - ١] شهوة المغالبة^٢ التي سببها الكبر: (اساطير الاولين^٣) أى من الأباطيل وليست كلام الله، فكان لفرط جهله بحيث لا يتنفع بشواهد النقل كما أنه لم ينظر فى دلائل العقل .

و لما كان هذا قد صار كالأنعام فى عدم النظر بل هو أضل سبيلا لأنه قادر على النظر دونها^٤، قال رادعا له و مكذبا و مبينا لما أدى به ٥ إلى هذا القول وهو لا يعتقد: (كلا) أى ليرتدع ارتدعا عظيما و لينزجر انزعاجا شديدا، فليس الأمر كما قال فى المتلوىلا [هو - ١] معتقد^٦ له اعتقادا جازما / لأنه لم يقله عن بصيرة (بل ستران) أى غلب و أحاط و غطى تغطية الغيم للسماء و الصدا للمرأة، و جمع اعتبارا بمعنى " كل " لثلاث

٦٩٨ /

يتعنت متعنت، فقال معبرا بجمع الكثرة إشارة إلى كثرتهم: (على قلوبهم) ١٠ أى كل من قال هذا القول (ما كانوا) أى^٦ بجبلاتهم الفاسدة (يكسبون) أى يجددون كسبه مستمرين عليه من الأعمال الردية، فان كثرة الأفعال سبب لحصول الملكات إن خيرا نجيها^٧ و إن شرا فشرها^٨، فيتراكم الذنب على القلب فيسود، فلذلك كانوا يقولون مثل هذا الاعتقاد،

بل هو شيء يسدون به المجلس و يقيمون لأنفسهم عند العامة المعاذير ١٥ و يفترون به عزائم التالين بما^٩ يحرقون من^{١٠} قلوبهم - أحرق الله قلوبهم و بيوتهم بالنار، فانهم لا ينقطعون فى عصر من الأعصار و لا يخشون من

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: المبالغة (م) من ظ و م، وفى الأصل: دونه (هـ) زيد من ظ و م (هـ) من ظ و م، وفى الأصل: يعتقد. (٦) زيد فى الأصل: كانوا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٧) من ظ و م، وفى الأصل: نجيها (٨) من ظ و م، وفى الأصل: فشر (٩) من م، وفى الأصل: بما، وفى ظ: ما (١٠) من م، وفى الأصل و ظ: به .

عار و لاشنار، روى أحمد^١ و الترمذى^٢ و ابن ماجه^٣ عن أبى هريرة
رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال : إذا أذنب العبد
نكتت^٤ فى قلبه نكتة سوداء فان تاب صقل منها، وإن زاد زادت
حتى تملو قلبه، فذلك الران الذى قال الله سبحانه و تعالى . و قال
ه الغزالى فى كتاب التوبة^٥ من الإحياء : قد سبق أن الإنسان لا يخلو فى
مبدأ خلقته^٦ عن اتباع الشهوات، و كل شهوة اتبعها الإنسان ارتفع
منها ظلمة إلى قلبه كما يرتفع عن نفس الإنسان ظلمة إلى وجه المرأة
[الصقيلة . فان تراكت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس فى وجه
المرأة عند زراكمه خبثا، فاذا تراكم الرين صار طبعها كالخبث على وجه المرأة-^٧]
١٠ إذا تراكم و طال زمانه غاص فى جرم الحديد و افسده و صار لا يقبل
التصقيل بعده، و صار كالمطبوع من الخبث^٨ و لا يكتفى فى تدارك اتباع
الشهوات تركها فى المستقبل بل لابد من محو تلك الآثار التى انطبعت فى
القلب كما لا يكتفى فى ظهور الصورة فى المرأة قطع الانفاس و البخارات
المسودة لوجهها فى المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الآثار،
١٥ و كما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصى و الشهوات فيرتفع إليه نور
من الطاعات و ترك الشهوات فتتمحى ظلمة المعصية بنور الطاعة، و إليه
الإشارة بقوله صلى الله عليه و سلم « و أتبع السيئة الحسنة تمحها » .

(١) راجع المسند ٢/ ٢٩٧ (٢) راجع الجامع ٢/ ١٦٩ (٣) راجع السنن ص: ٣٢٣ .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : نكتت (٥) راجع ٤ / ٨ (٦-٦) من ظ و م
و الإحياء، و فى الأصل : فى مبدأ خلقه لا يملو (٧) زيد من ظ و م و الإحياء .
(٨) من م ، و فى الأصل و ظ : الخشب .

ولما كان ادعاؤهم إنما هو قول قالوه بأفواههم لا يتجاوزها
عظيما جدا، أعاد ردعهم^١ عنه وتكذيبهم فيه فقال^٢: ﴿كَلَّا﴾ أى ليس
الامر كما قالوا من الأساطير لا فى الواقع ولا عندهم فليرتدعوا عنه
أعظم ارتداع . ولما كان قول الإنسان لما لا يمتقده ولا هو فى الواقع
كما قال فى غاية العجب لا يكاد يصدق ، علله مينا أن الحامل لهم عليه ه
إنما هو الحجاب الذى ختم به سبحانه على قلوبهم ، فقال مؤكدا لمن^٣ ينكر
ذلك من المغرورين: ﴿انهم عن ربهم﴾ أى عن ذكر المحسن اليهم
وخشيته ورجائه ﴿يومئذ﴾ أى إذ قالوا هذا / القول الفارغ . ولما كان
المانع إنما هو الحجاب ، بنى للمفعول قوله: ﴿لمحجوبون﴾ فلذلك استولت
عليهم الشياطين والأهوية ، فصاروا يقولون ما لو عقلت البهائم لاستجيت ١٠
من أن تقوله ، والأحسن أن تكون الآية بيانا وتعليلًا لويلهم الذى
سبق الإخبار به ، ويكون التقدير : يوم إذ كان يوم الدين ، ويكون المراد
الحجاب عن الرؤية ، ويكون فى ذلك بشارة للمؤمنين بها . وقال البغوى^٤ :
قال أكثر المفسرين : عن رؤيته ، وقال : إن الإمامين الشافعى وشيخه
مالكا استدلا بهذه الآية على الرؤية ، وأسند الحافظ أبو نعيم فى الحلية^٥ ١٥
فى ترجمة الشافعى أنه قال : فى هذه الآية دلالة على أن أوليائه يرونه على
صفته ، [و-] قال ابن^٦ الفضل : كما حججهم فى الدنيا عن توحيد حجبهم

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ردعهم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : قال .

(٣) فى ظ : لأجل من (٤) راجع العالم ١٨٤/٧ (٥) راجع ١١٧/٩ (٦) زيد من

م (٧) من م والعالم ، وفى الأصل و ظ : أبو .

في الآخرة عن رؤيته، و قال الحسن^١ : لو علم الزاهدون و العابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا . و قال القشيري : و دليل الخطاب بوجوب أن يكون المؤمنون يرونه كما يعرفونه اليوم [انتهى - ٢] . و فيه تمثيل لإهانتهم باهانة من يمنع الدخول على الملك .

و لما بين [ما - ٢] لهم من العذاب بالحجاب الذي هو عذاب القلب الذي لا عذاب أشد منه ، لأنه يتفرع [عنه - ٢] جميع العذاب^٢ ، شرع يبين بعض ما تفرع عنه من عذاب القلب مؤكدا لأجل إنكارهم معبرا بأداة التراخي إعلاما بعلو رتبته في أنواع العذاب فقال : ﴿ ثم انهم ﴾ أى بعد ما شاء الله من إهمالهم ﴿ لاصلوا الجحيم ﴾ أى لداخلو النار ١٠ العظمى و يقيمون فيها مقاسون لحرها و يغمسون فيها كما تغمس الشاة المصلية [أى المشوية - ٢] .

و لما بين ما لهم من الفعل الذي هو للقلب و القالب ، أتبعه القول بالتوبيخ و التبكيت الذي هو عذاب النفس ، و بناء للفعول لأن المنكى سماعه لا كونه من معين ، و إشارة إلى أنه يتمكن من قوله لهم كل من ١٥ يصح منه القول من خزنة النار و من أهل الجنة و غيرهم لأنه لا منعة عندهم : ﴿ ثم يقال ﴾ أى لهم بعد مدة تبكيئا و تقريرا و تنديما و تبشيعا : ﴿ هذا ﴾ أى العذاب الذى هو حال بكم^٣ ﴿ الذى كنتم ﴾

(١) راجع المعالم ١٨٤/٧ (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد في الأصل : منه ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م ، و في الأصل : يشاء . (٥-٥) سقط ما بين الرهين من ظ و م .

أى بمالك من الجبلات الخيشة ﴿ به ﴾ أى خاصة لأن تكذيبكم بغيره بالنسبة إليه لما له من القباحة و لكم من الرسوخ فيه و الملازمة له (٩) ﴿ تكذبون ﴾ أى توقعون التكذيب به و تجددونه مستمرين عليه .

و لما كان هذا ربما أفهم أنهم يرون جميع عذابهم إذذاك، فناه بقوله: ﴿ كلاً ﴾ أى ليس هو المجموع بل هو فرد من الجنس فلهذا ه عمل عليه الجنس و هو نزلهم و الأمر أطم و أعظم من أن يحيط به الوصف . و لما ذكر ما للكذابين من العذاب الذى جره إليهم إقبالهم على الدنيا بادئاً به لأن المقام من أول / السورة للوعيد و صواع التهديد ، أتبعه ما للصدقين الذين أقبل بهم الى السعادة ترك الحظوظ

٧٠٠ /

و إعراضهم عن عاجل شهوات الدنيا ، فقال مؤكداً لاجل تكذيبهم : ١٠ ﴿ ان كتب الابرار ﴾ أى صحيفة حسنات الذين هم فى غاية الاتساع فى شرح صدورهم ، و اتساع عقولهم و كثرة أعمالهم ٢ و زكاتها ٣ و غير ذلك من محاسن أمورهم ﴿ لنى عليين ﴾ أى أماكن منسوبة إلى العلو ، وقع النسب أولاً إلى فعلى ثم جمع [و إن كان - ٤] لا واحد له من لفظه كعشرين و أخواته ، قال الكسائى : إذا جمعت العرب ما لا يذهبون فيه ١٥ إلى أن له بناء من واحد و اثنين فانهم يجمعون بالواو و النون فى المذكر و المؤنث - انتهى ، فهى درجات متصاعدة تصعد إلى الله و لا تحجب

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مفرد (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : جل .
(٣-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكاه عقولهم الى (٤) زيد من ظ و م .

عنه كما يحجب ما للأشقياء بعضها^١ فوق [بعض -^٢] إلى ما لانهاية له بحسب رتب الأعمال، وكل من كان كتابه من الأبرار في مكان لحق به كما أن من كان كتابه من الفجار^٣ في سجين لحق به، قال الرازي في اللوامع: من رقى عليه عن الحواس و الأوهام و فعله عن مقتضى الشهوة^٤ و الغضب فهو حقيق بأن يكون علياً، و من كان عليه و إدراكه مقصوراً على الحواس و الخيال و الأوهام و فعله على مقتضى الشهوات البهيمية فهو حقيق بأن يكون في سجين .

و لما كان هذا أمراً عظيماً، زاد^٥ في تعظيمه بقوله: ﴿وَمَا أَى
وَأَى شَيْءٍ﴾ (ادراكك) أى جعلك دارياً و إن بالغت في الفحص
١٠ ﴿مَا عَلَيَّونَ﴾ فان وصفه لا تسعه^٦ العقول و يلزمه لعلوه فضاء مطلق
و اتساع مبين . و لما عظم المكان فعلمت عظمة الكتاب ، ابتداء
الإخبار عنه على سبيل القطع زيادة في عظمته فقال: ﴿كُتِبَ﴾ أى
عظيم ﴿مَرْقُومٌ﴾ أى فيه [أن -^٧] فلانا آمن من النار فيما له من رقم
ما احسنه و ما أبهأه و ما أجمله .

١٥ و لما عظمه في نفسه و فى مكانه ، عظمه فى حضّاره فقال:
﴿يشهده المقربون﴾ أى يحضره حضوراً تاماً دائماً لا غيبة فيه الجماعة

(١) م م . وفى الأصل و ظ : بعض (٢) زيد من ظ و م (م) من ظ ،
وفى الأصل و م : انكفار (٤) زيد فى الأصل : البهيمية فهو ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لحدوثها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : زاده (٦) من ظ
و م ، وفى الأصل : لا تصعه (٧) زيد من م .

الذين يعرف كل احد انه ليس لهم عند كل من يعتبر تقريبه إلا التقريب من ابتدائه إلى انتهائه هم شهود هذا المسطور وهم الملائكة يشيعونه^١ من سماء إلى سماء و يحفون به سرورا و تعظيما لصاحبه و يشهده من فى السماوات من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و الصديقين و الشهداء و الصالحين ، فالآية مع الأولى^٢ من الاحتباك : ذكر سبحانه أولا دال^٣ على الاتساع^٥ ثانيا ، و ذكر عليين و المقربين ثانيا دال على أسفل سافلين^٤ و المبعدين أولا .

و لما عظم كتابهم بهذه الفضائل ، التفقت النفس الى معرفة حالهم فقال شافيا لى هذا الالتفات مؤكدا لأجل من يشكر : ﴿ ان الابرار ﴾ أى الذين هذا كتابهم ﴿ لى نعم ﴾ أى يحيط بهم ضد ما فيه الفجار من ١٠ الجحيم . و لما كان لا شىء / أنهم للانسان من شىء عال يجلس عليه و يمد بصره الى ما يشتهى بما لديه ، قال مبينا لذلك النعيم : ﴿ على الارائك ﴾ أى الأمرة العالية [مع هذا -] العلو المطلق فى الحجال التى يعي الفكر وصفها بما لها من العلو من ترصيع اللؤلؤ و الياقوت و غير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر ﴿ ينظرون ﴾ أى الى ما يشتهون من الجنان و الأنهار ١٥ و الحور و الولدان ، ليس لهم شغل غير ذلك و ما شابهه من المستلذات ، و قال الإمام القشيرى : أثبت النظر و لم يبين المنظور إليه لاختلافهم : منهم من ينظر إلى قصوره ، و منهم من ينظر إلى حوره ، و منهم^١ و منهم^٢ ،

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يسبقونه (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : أولا لى .
 (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : دالا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اسافلين .
 (٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : من ينظر .

والخواص على دوام الاوقات إلى الله تعالى ينظرون كما أن القجار دائماً
عن ربهم محجوبون .

ولما وصف^١ نعيمهم ، أخبر أنهم من عراقتهم فيه [يعرفهم به -^٢] كل
ناظر إليهم فقال تعالى : ﴿ تعرف ﴾ أى أيها الناظر إليهم - هذا على
قراءة الجماعة ، وقرأ أبو جعفر و يعقوب بالبناء للفعول ، و هو أدل
على العموم ﴿ فى وجوههم ﴾ عند رؤيتهم ﴿ نضرة النعيم ﴾ أى بهجته
وزوقه وحسنه وبريقه وطراوته ، من نضر^٣ النبات - إذا أزهر و نور ،
وقال الحسن رحمه الله تعالى^٤ : النضرة فى الوجه و السرور
فى القلب .

١٠ و لما كانت مجالس الأنس لاسيما^٥ فى الأماكن النضرة لا تطيب
إلا بالآكل و المشارب ، و كان الشراب يدل على الأكل ، قال مقتصر
عليه لأن هذه السور^٦ قصار يقصد فيها الجمع مع الاختصار قال :
﴿ يسقون ﴾ بانياله للفعول دلالة على أنهم مخدومون أبدا لا كلفة عليهم
فى شيء ﴿ من رحيق ﴾ أى شراب خالص صاف عتيق ايض مطيب
١٥ فى غاية اللذة ،^٧ فأنهم قالوا : إن الرحيق^٨ الخمر أو أطيبها أو أفضلها
أو الخالص أو الصافي ، و ضرب من الطيب . و لاشك أن العاقل لا يشرب

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : وصفهم (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ،
و فى الأصل : ضرة (٤) راجع المعالم ١٨٥/٧ (٥) زيد فى الأصل : فى المجالس ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : السورة .
(٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فالرحيق .

الخمر مطلقا فكيف بأعلاها [إلا - ١] إذا [كان - ١] مستكملا لمقدماتها
من مأ كول ومشروب وملبوس ومنكوح وغير ذلك . ولما كان
الختم لا يكون إلا لما عظمت رتبته وعزت نقاسته ، قال مريدا الحقيقة ،
أو الكناية عن نقاسته : ﴿ محتوم لا ﴾ أى فهو مع نقاسته سالم من الغبار
و جميع الأقداء والإنذار .

ولما كان الختم^٢ حين الفك^٣ لابد أن ينزل من فئاته فى الشراب
قال : ﴿ ختمه مسك^٤ ﴾ وقال ابن مسعود رضى الله عنه^٥ : إن المراد بختمه
آخر طعمه ، فيحصل أن ختمه فى أول فتحه وفى آخر شربه المسك ،
و ذلك يقتضى ان لا يكون يفتح إلا شربه ، وأنه يكون على قدر
كفايته فيشربه كله ، والعبارة صالحة لأن يكون [الختم - ٦] أروا وآخر^{١٠} ،
وهو يجرى بجرى اقتضاى السكر . ولما كان التقدير : [فه - ١]
يلغ نهاية اللذة الشاربون ، عطف عليه قوله : ﴿ وفى ذلك ﴾ أى الامر
[العظيم - ١] البعيد المتناول وهو العيش والنعيم والشراب الذى هذا
وصفه ﴿ فليتنافس ﴾ أى فليرغب غاية الرغبة بجميع الجهد والاختيار
﴿ المتنافسون^٦ ﴾ أى الذين من شأنهم المنافسة / وهو أن يطلب كل منهم ١٥ / ٧٠٢
أن يكون ذلك المتنافس فيه لنفسه خاصة دون غيره لأنه^٧ نفيس جدا ،

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : ايضا ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم
لحذفها (٣) من م ، وفى الأصل وظ : ينفك (٤) راجع المعالم ١٨٥/٧ (٥) زيد
فى الأصل : قدرته و ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٦) زيد من ظ وم .
(٧) من ظ وم ، وفى الأصل : لا .

والنفيس هو الذى تحرص عليه نفوس الناس و تتعالى فيه . و المنافسة
فى مثل هذا بكثرة الاعمال [الصالحات - '] و النيات الخالصة .

و لما ذكر الشراب ، أتبعه مزاجه على ما يتعارفه أهل الدنيا لكن

بما هو أشرف منه ، فقال مبينا لحال هذا المسقى : ﴿ و مزاجه ﴾ أى^٢
هـ يسقون منه و الحال أن مزاج هذا الرحيق ﴿ من تسنيم ﴾ علم على عين

معية و هو - مع كونه علما - دال على انها عالية المحل و الرتبة ، و الشراب^٣

ينزل عليهم ماؤها [من الملو -^٤] ، و قال حمزة الكرماني : ماؤها يجرى

على الهواء متنسما ينصب فى أواني أهل الجنة على مقدار الحاجة ، فإذا

أمتلأت أمسك ، و هو فى الشعر اسم جبل عال و كذا التنعيم و أصله

١٠ من السنام ، و لذلك قطعها مادحا فقال : ﴿ عينا يشرب بها ﴾ أى بسببها

على طريقة المزج منها ﴿ المقربون ﴾ أى الذين وقع تقريبيهم من اجتذاب

الحق لهم إليه و قصر همهم عليه ، كل شراب يريدونه ، و أما الأبرار فلا

يشربون بها^٥ إلا الرحيق ، و أما غيرهم فلا يصل^٦ إليها أصلا ، و قال

بعضهم : إن المقربين^٧ يشربون من هذه العين صرفا ، و الأبرار يمزج

١٥ لهم منها^٨ الفرق ظاهر - هنيا لهم^٩ .

و لما ذكر سبحانه جزاء الكافر^{١٠} بالجحيم و جزاء المؤمن^{١١} بالنعيم ،

(١) زيد من م (٢) زيد فى الأصل : الذى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الشرب (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ،

و فى الأصل و ظ : فيها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فلا يصلون (٧) من ظ

م ، و فى الأصل : المقربون (٨-٨) - سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٩) من ظ

و م ، و فى الأصل : الكافرين (١٠) من ظ و م . و فى الأصل : المؤمنين .

وكان من أجلّ النعيم الشهادة بالعدو، علل جزاء الكافر بما فيه شتماته المؤمن به لأنه اشتغل في الدنيا بما لا يغنى، فلزم من ذلك تفويته لما يغنى^١، فقال مؤكدا لأن ذا^٢ المروءات و الهمم العاليات و الطبع السليم و المزاج القويم لا يكاد يصدق مثل هذا، و أكدّه إشارة إلى أن من حقه أن لا يكون: ﴿ان الذين اجرموا﴾ أى قطعوا ما أمر الله به أن يوصل ه
 ﴿كانوا﴾ أى في الدنيا ديدنا وخلقنا^٣ وطبعا و جبلة^٤ ﴿من الذين آمنوا﴾
 أى و لو كانوا في أدنى درجات الإيمان ﴿يضحكون﴾ أى يحدّدون الضحك كلما زأوم أذكرهم استهزاء بهم^٥ و بحالاتهم التى هم عليها من علامات الإيمان^٦ في رثاة أحوالهم و قلة أموالهم [و-^٧] احتقار الناس لهم مع ادعائهم أن الله تعالى لا بد أن ينصرهم و يعلى أمرهم^٨ ١٠
 ﴿و اذا مروا﴾ أى^٩ الذين آمنوا ﴿بهم﴾ أى بالذين أجرموا في^{١٠}
 أى وقت من الاوقات يستهزئون و^{١١} ﴿يتغامزون﴾ أى يغمز بعض الذين أجرموا بعضا لأذى الذين آمنوا.

ولما وصفهم في مواضع التردد و القلب، وصفهم في المنازل فقال: ﴿و اذا انقلبوا﴾ أى رجع الذين أجرموا برغبتهم في الرجوع ١٥
 وإقبالهم عليه من غير تكره ﴿إلى اهلهم﴾ أى منازلهم التى هى عامرة

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : لا يغنى (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : ذى .
 (٣-٣) -قط ما بين الرقعين من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد في الأصل :
 فقال تعالى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٦) زيد في الأصل : اذا مر ،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

/ ۷۰۳

بجماعتهم ﴿انقلبوا﴾^۱ حال كونهم ﴿فاكهين﴾ ای متلفذين غاية التلذذ
/ بما كان من مكتهم ورفعتهم التي أوصلتهم إلى الاستسخر بغيرهم ، قال
ابن برجان : و ذكر عليه الصلاة و السلام ، إن الدين بدا غريبا
و سيعود [غريبا -^۲] كما بدأ ، يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر^۳ ،
ه و في أخرى : يكون المؤمن فيهم أدل من الأمة . و في أخرى : العالم
فيهم آتین من 'جيفة حار' - فالتة المستعان .

ولما ذكر مرورهم بهم ، ذكر مطلق رؤيتهم لهم فقال : ﴿واذا رآوهم﴾
أى [رأى -^۲] الذين أجزموا الذين آمنوا ﴿قالوا﴾ أى عند رؤيتهم
للذين آمنوا مؤكدين لانهم يستشعرون أن كل ذى عقل يكذبهم مشيرين
۱۰ إلى تحقيرهم بأداة القرب : ﴿ان أهولاء﴾ أى الذين آمنوا ﴿اضألون﴾
أى عريقون فى الضلال لانهم تركوا الدنيا لشيء أجل لا صحة له ﴿وما﴾
أى و الحال أنهم [ما -^۲] ﴿ارسلوا﴾ أى من 'مرسل ما' ﴿عليهم﴾
أى على الذين آمنوا خاصة حتى يكون لهم بهم هذا الاعتناء فى بيوتهم
و خارجها عند مرورهم و غيره ﴿حفظين﴾ أى عريقين فى حفظ أعمال
۱۵ الذين آمنوا فما اشتغالهم بهم إلى هذا الحد أن كانوا عندهم فى عداد
الساقط المهمل كما يزعمون فما هذه المراعاة المستقصية لأحوالهم و إن
كانوا فى عداد المنظور إليه^۴ المعتنى به فليدينوا فساد حالهم بوجه تقبله العقول

(۱) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (۲) زيد من
ظ و م (۳) من ظ و م ، و فى الأصل : الجمره (۴-۵) من م ، و فى الأصل
و ظ : جيف الجمار (۵-ه) من ظ و م ، و فى الأصل : أى مرسل ما ، و فى ظ
أى مرسل (۶) من ظ ، و فى الأصل و م : اليهم .

و^١ يقوم عليه دليل أو ليتجوم وإلأنهم غير عارفين بمواضع الإصلاح
وتعاطى الأمور على وجوهها^٢ فما أحقهم بقول القائل :

أوردها سعد وسعد مستمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

ولما كان لا نعيم أفضل من الشئانة بالعدو لاسيما إذا كانت على
أعلى طبقات الشئانة قال تعالى : ﴿ فاليوم ﴾ أى قسبب عن هذا من ه
فعلهم فى دار العمل أنه يكون فى دار الجزاء ﴿ الذين آمنوا ﴾ ولو
كأوا فى أدنى درجات الإيمان ﴿ من الكفار ﴾^٣ خاصة ، وهم الراسخون فى
الكفر من عموم الذين أجمروا ، فى الحشر والجنة بخرية وهزوا ، فان
الذين آمنوا لا يضحكون من عصاة المؤمنين لو رأوهم يعذبون بل يرحمونهم
لاشراكمهم فى الدين ﴿ يضحكون ﴾^٤ قصاصا وجزاء حين يرون ما م^٥ ١٠
فيه من الذل سرورا بحالهم شكرا لله على ما أعطاهم من النجاة من النار
والنقمة من أعدائهم ، قال أبو صالح : تفتح لهم الأبواب^٦ و يقال :
أخرجوا ، فيسرعون فاذا وصلوا إلى الأبواب غلقت^٧ فى وجوههم وردوا
على أقبح حال ، فيضحك^٨ المؤمنون - انتهى . و يالها من خيبة وخجلة

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : او (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : وجهها .
(٣) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) من ظ و م ،
وفى الأصل : هزية (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : حتى (٦) زيد فى الأصل :
فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٧) من م ، وفى الأصل و ظ :
ابواب (٨) من م ، وفى الأصل و ظ : اغلقت (٩) زيد فى الأصل : عليهم ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .

و سواد وجه و تعب قلب و تقرع نفس من العذاب بالنار و^١ بالشهانة
 و العار، حال كون الذين آمنوا ملوكا ﴿على الآراء﴾ لا أي الأسرة
 العالية المزيّنة التي هي من حسناتها أهل لأن يقيم المتكسبي بها ﴿ينظرونه﴾
 أي يحددون تحديد العيون إليهم كلما أرادوا فيرون / ما هم فيه من
 ٥ الهوان و الذل و العذاب بعد العزة^٢ و النعيم نظر المستفهم ﴿هل ثوب﴾
 بناء للمفعول لأن الملمذ مطلق مجازاتهم^٣ ﴿الكفار﴾ أي وقع تثويب
 العريقين في الكفر أي إعطاؤهم الثواب و الجزاء على أنهى ما يكون ،
 فالجمله^٤ في محل نصب و ينظرون ، ﴿ما كانوا﴾ أي نفس فعلهم بما هو لهم
 كالجبلات ﴿يفعلون﴾ [أي -^٥] بدواعيهم الفاسدة و رغباتهم المعلولة ،
 ١٠ فالجمله^٦ في موضع المفعول ، و قد علم أن لهم الويل الذي افتتحت السورة
 بالتهديد به لمن يفعل فعل من لا يظن أنه يجازى على فعله ، و آخرها فيمن
 انتقص^٧ الأعراض في خفاء ، [و -^٨] أولها فيمن انتقص الأموال
 كذلك ، و جفاء العدل و الوفاء ، و الله الهادي^٩ للصواب ، و إليه المرجع
 و المآب و إليه المتاب^{١٠} .

(١) من ظ و م ، و في الأصل : او (٢) من ظ و م ، و في الأصل : احسنها .
 (٣) من ظ و م ، و في الأصل : العدة (٤) من ظ و م ، و في الأصل : مجاوزتهم .
 (٥) من م ، و في الأصل و ظ : والجمله (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ،
 و في الأصل : انتقص (٨) زيد من م (٩-٩) سقط ما بين الرقنين من ظ و م .

سورة الانشقاق^١

مقصودها الدلالة على آخر المطففين من أن الاولياء ينعمون و الأعداء يعذبون ، لانهم كانوا لا يقرون بالبعث ولا بالعرض على الملك الذى أوجدهم و رباهم كما يعرض الملوك عبيدهم و يحكمون بينهم فينقسمون إلى أهل ثواب و أهل عقاب ، و اسمها الانشقاق^٢ أدل دليل^٣ على ذلك بتأمل الظرف هـ و جوابه الدال على الناقد البصير و حسابه ﴿ بسم الله ﴾ ذى الجلال و الإكرام ﴿ الرحمن ﴾ الذى كملت نعمته فشملت الخاص و العام ﴿ الرحيم هـ ﴾ الذى أنمها بعد العموم على أوليائه فأسعدهم بآتمام الإنعام .
لما ختمت التطيف بأن الأولياء فى نعيم ، و أن^٤ الأعداء فى جحيم

ثوابا و عقابا ، ابتدا هذه بالإقسام^٥ على ذلك فقال : ﴿ اذا السماء ﴾ أى ١٠
على ما لها من الإحكام و العظمة^٦ و الحكمة الذى لا يقدر على مثلها
غيره جلّت قدرته^٧ ﴿ انشقت لا ﴾ أى فصارت واهية و فتحت أبوابا^٨
فتخربت و تهدمت ، و ذلك بعد القيام من القبور كما مضى فى الحاقة
عن إحدى روايتى ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ و اذنت ﴾ أى كانت

(١) الرابعة والثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها ٢٥ .

(٢-٣) فى ظ و م : دال (٣) - سقط من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :

الاقسام (٥-٥) - سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٦) فى ظ : أبوابا .

شديدة الاستماع^١ و الطواعة و الانقياد على أتم وجه كمن له اذن واعية
و نفس مطمئنة راضية ﴿لربها﴾ أى لأمر المخترع لها و المدبر لجميع
أمرها، و هى الآن و إن كانت منقادة فانقيادها ظاهر لا كثر [الخلق-٢]
و هم المثبتة، و أما المعطلة فربما نسبوا تأثيراتها إلى الطبايع و السكواك،
و أما عند الانشقاق فيحصل الكشف التام فلا يبقى لأحد شبهة
﴿و حقت لا﴾ بالبناء للفعول بمعنى أنها مجبولة على أن ذلك حق [عليها-٢]
نابت لها، فهى حقيقة به لأنها مربوبة له سبحانه، و كل مربوب فهو
حقيق بالانقياد لربه، و هى لم تزل مطيعة / له فى ابتدائها و انتهائها، لكن
هناك يكون الكشف التام لجميع الأنام .

١٠ و لما بدأ بالعالم العلوى لكونه أشرف لأنه أعلى مكانة و مكاناً،
ثنى بالسفلى فقال تعالى: ﴿و اذا الارض﴾ أى [على-٢] ما لها من
الصلابة و الثخانة و الكثافة، و أشار بالبناء للفعول إلى سهولة الفعل
فيها عليه سبحانه و تعالى و سرعة انفعالها مع كونه أوجب من انشقاق
السما فانه ربما كان فى الشيء لوهيه^٢ من تطاول مرور الزمان عليه
١٥ بخلاف المد فقال: ﴿مدت لا﴾ أى بسطت بسط الأديم و مطت فامتطت
فزيد فى سعتها جدا بعد أن تمهدت فصارت دكاء فزال جبالها و آكامها
و تلاها، فلا ترى فيها عوجاً و لا أمثا كما أن الأديم إذا مد كان كذلك
فزال تثنيه و اتسع .

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الامتناع (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ
و م، و فى الأصل: او هى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فما .

و لما كان الجلد جديرا بأنه إذا مد أن يبين عن كل ما فيه من^١
غيره قال: ﴿والقت ما فيها﴾ أى أخرجت ما فى بطنها من الأموال
والكنوز والاموات إخراجا سريعا كأنها تقذفه قذفا، وذلك أيضا
كالبساط إذا نقض ﴿وتخلت لا﴾ أى تعمدت و تكلفت الخلو عن ذلك
و الترك له بغاية جهدها، أى فعل ذلك سبحانه [فعلا كانت الأرض ه
كأنها فاعلة له على هذا الوجه، فصارت خلية عن كل شئ كان فى بطنها،
و صار بارزا على ظهرها . و لما كان هذا ربما أوم انه بغير أمره سبحانه -^٢
و تعالى قال: ﴿واذنت لربها﴾ أى فعلت ذلك باذن^٢ الخالق [لها -^٢
و المرنى و تأثرت فى ذلك عن تأثيره لا بنفسها، وفعلت فيه كله فعل
السميع المجيب ﴿وحقته﴾ أى و كانت حقيقة بذلك كما أن كل مربوب ١٠
كذلك، و تكرير "إذا" للتنبية على ما فى كل من المجلتين من عظيم
القدرة، و الجواب [محذوف -^٢] لأنه فى غاية الانكشاف بما دل
عليه المقام مع ما تقدم من المطففين و ما قبلها من السور و ما يأتى فى
هذه السورة تقديره: ليحاسبن كل احد على كدحه كله فليشوبن الكفار
ما كانوا يفعلون وليجازين أهل الإسلام بما كانوا يعملون . ١٥

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تقدم فى الانفطار التعريف
بالحفظه وإحصائهم على العباد فى كتبهم، و عاد الكلام إلى ذكر ما يكتب
على البر والفاجر و استقرار ذلك فى قوله تعالى "ان كتاب الابرار لنى

(١) من ظ و م، وفى الأصل: عن (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م،
وفى الأصل: فعل .

عليين“ وقوله ”ان كتاب الفجار لني سجين“ اتبع ذلك بذكر التعريف بأخذ هذه الكتب في القيامة عند العرض، وأن أخذها بالإيمان عنوان السعادة، وأخذها وراء الظهر عنوان الشقاء إذ قد تقدم في السورتين قبل ذكر الكتب واستقرارها بحسب اختلاف مضمناها فنها ’ما هو‘ في عليين ومنها ’ما هو‘ في سجين إلى يوم العرض، فيؤتى كل كتابه فأخذ^٥ يمينه وهو عنوان سعادته، وأخذ [من -^٦] وراء ظهره وهو عنوان هلاكه، فتحصل^٧ الإخبار بهذه الكتب ابتداء واستقرارا وتفريقا يوم العرض، واقتحت السورة بذكر انشقاق السماء ومد الأرض وإلقائها ما فيها وتحليلها تعريفا / بهذا اليوم العظيم بما يتذكر به^٨ من سبقت سعادته / ٧٠٦

١٠. والمناسبة بينة - انتهى .

ولما كان الجواب ما ذكرته، أتبعه شرحه فقال مناديا بأداة صالحة للبعد لأن المنادى أدنى الاسنان بادئا بالاولياء لأن آخر التطفيف الذى هذا شرح له إدخال السرور عليهم: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ [أى -^٩] الآنس بنفسه الناسى لربه . ولما كان أكثر الناس منكرا للبعث، أكد ١٥ فقال: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ أى ساع وعامل مع الجهد لنفسك من خير

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ذلك (٢-٣) -قط ما بين الرقعين من ظ و م .
(٢) -قط ما بين الرقعين من م (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : نياق (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : فاخذ (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : فتحصيل (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : فيه (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : لبعث .

اوشر، واكثره بما يؤثر خدوشا وشينا وفسادا وشتانا، منتها
 ﴿ الى ربك ﴾ الذى أوجدك ورباك بالعمل بما يريد معنى وبالموت
 حسا، وأشار إلى اجتهد كل فيما^١ هو فيه وخلق له بالتأكيد بالمصدر
 فقال: ﴿ كدحا ﴾ أى عظيما ﴿ فلنقيه ﴾ أى فتعقب كدحك لتاؤك
 لربك، وأنه ينكشف لك أنك كنت فى سيرك إليه كالمتجهد فى لقائه ه
 اجتهد من يسابق فى ذلك آخر، وكل ذلك تمثيل لنفوذ إرادته ومضى
 أقضيته بسبب الانتهاء إليه، وحقيقته تلاقى جزاءه^٢ وينكشف^٣ لك من عظيم
 أمره [ما - ٢] ينكشف لللاقى مع من^٤ يلقاه بسبب اللقاء، وهذا أمر
 أنت ساع فيه غاية السعى لأن من كان الليل والنهار مطيته أوصلاه
 بلاشك إلى منتهى سفره شاء أو أبى، فذكر هذا على هذا النمط ح ١٠
 على الاجتهاد فى الإحسان فى العمل لأن من أيقن بأنه^٥ لابد له^٦ من
 العرض على الملك أفرغ جهده فى العمل بما^٧ يحمد عليه عند لقائه .
 ولما كان من المعلوم أن عبيد الملك إذا عرضوا [عليه - ٨]، كان
 فيهم المقبول والمردود، بسبب أن كدحهم تارة يكون حسنا وتارة
 يكون سيئا، قال معرفا أن [الأمر - ٩] فى لقائه كذلك [على ما نعهد - ١٠]،
 فن كان مقبولا أعطى كتاب حسناته يمينه لأنه كان فى الدنيا من
 (١) من ظ و م، وفى الأصل: فيها (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: ثم
 ينكشف (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: ما (هـ) من ظ
 و م، وفى الأصل: انه (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م، وفى الأصل:
 على ما (٨) زيد من م (٩) زيد من ظ .

أهل اليمين أى الدين المرضى^١، و من كان مردودا اعطى كتابه بشماله لأنه كان فى الدنيا مع أهل الشمال وهو الدين الباطل الذى يعمل من غير إذن المالك^٢، فكأنه يفعل من ورائه، فترجم هذا الغرض بقوله سبحانه وتعالى مفصلا [للإنسان - ٢] المراد به الجنس جامعا للضمير بعد أن أفردته
 ٥ تنصيحا على حشر كل فرد : ﴿ فاما من اوتى ﴾ بناء للفعول إشارة إلى أن أمور الآخرة كلها قهر و فى غاية السهولة عليه سبحانه وتعالى ، و فى هذه الدار للأمر و إن كان كذلك^٣ إلا أن الفرق فى انكشاف ستر الأسباب هناك فلا دعوى لاحد ﴿ كُتِبَ ﴾ أى صحيفة حسابه التى كتبتها الملائكة^٤ وهو لا يدري ولا يشعر ﴿ بيمينه ﴾ من امامه وهو المؤمن
 ١٠ المطيع ﴿ فسوف يحاسب ﴾ أى يقع حسابه بوعده لا خلف فيه و إن طال الأمد لإظهار الجبروت والكبرياء والقهر ﴿ حسابا يسيرا ﴾ أى سهلا لا يناقش فيه لأنه كان يحاسب نفسه فلا يقع له المخافة إلا ذهولا ،
 / فلاجل ذلك تعرض أعماله فيقبل حسناتها و يعفو عن سيئها . / ٧٠٧

ولما كان هذا دالا على العفو ، أتبعه ما يدل على الإكرام فقال :
 ١٥ ﴿ و ينقلب ﴾ أى يرجع من نفسه من غير مزعج برغبة و قبول ﴿ الى أهله ﴾ أى الذين أهل الله بهم فى الجنة فيكون أعرف بهم و بمنزله
 (١) فى ظ : المرتضى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الملك (٣) زيد من م .
 (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : انها (٥) زيد فى الأصل : عليه ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) سقط ما بين الرتين من ظ و م (٧) من م ،
 و فى الأصل و ظ : إلى .

الذى أعد له منه بمنزله فى الدنيا . و لما كانت السعادة فى حصول السرور
من غير قيد ، بنى للفقول قوله : (مسرورا^١ه) [أى -^١] قد أوتى جنة
وحريرا ، فانه كان فى الدنيا فى أهله مشفقا من العرض على الله مغموما^٢
مضرورا يحاسب نفسه بكرة وعشيا حسابا عسيرا مع ما هو [فيه -^٢] من
نكد الأهل و ضيق العيش و شرور المخالفين^٣ ، فذكر هنا الثمرة و المسبب ه
لأنها المقصودة بالذات ، وفى الشق الآخر السبب و الأصل ، و قد استشكلت
الصديقة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها هذه الآية بما روى عنها فى
الصحيح^٤ بلفظين أحدهما : ليس احد يحاسب إلا هلك ، ، و الثانى
« من نوقس الحساب عذب » ، قالت عائشة رضى الله عنها : فقلت : يا رسول
الله ! أليس الله يقول " فاما من أوتى كتابه " - الآية ، فقال صلى الله عليه
و سلم : إنما ذلك العرض . فان كان اللفظ الأول هو الذى سمعته
فالإشكال فيه واضح ، و ذلك أنه يرجع إلى كلية موجبة هى « كل من
حوسب هلك » ، و الآية مرجع إلى جزئية سالبة وهى « بعض من يحاسب
لا يهلك » ، وهو نقيض ، و حينئذ يكون اللفظ الثانى من تصرف الرواة ،
وإن كان الثانى هو الذى سمعته فطريق تقرير الإشكال فيه أن يقال : ١٥
المناقشة فى اللغة من الاستقصاء وهو بلوغ الغاية ، و ذلك فى الحساب

(١) زيد من م (٢) زيد فى الأصل : مطرودا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م

لحذفها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل و ظ : المخالطين ، و لم تكن

الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : المقصود .

(٦) راجع ٢ / ٧٣٦ .

بذكر الجليل والحقير والمجازاة عليه، فرجع الأمر أيضا إلى كلية موجبة
 هي «كل من حوسب بجميع أعماله عذب» وذلك شامل لكل
 حساب سواء كان يسيرا أو لا، لأن الأعم يشمل جميع أخصياته، والآية
 مثبتة أن من أعطى كتابه يمينه يحاسب عليه ولا يهلك، والصديقة
 ٥ رضى الله عنها عالمة بأن الكتاب يثبت فيه جميع الأعمال من قوله تعالى
 "لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها" ومن حديث الحافظين وغير
 ذلك، فرجع الأمر إلى أن بعض من يحاسب بجميع أعماله لا يهلك،
 وحينئذ فالظاهر التعارض فسألت، فأقرها صلى الله عليه وسلم على الإشكال
 وأجابها بما حاصله أن المراد بالحساب في الحديث مدلوله المطابق،
 ١٠ وهو ذكر الأعمال [كلها -^١] والمقابلة على كل منها، وذلك هو معنى
 المناقشة، فعنى «من نوقش الحساب» من حوسب حسابا حقيقيا بذكر
 جميع أعماله والمقابلة على كل منها، وأن المراد بالحساب في الآية جزء
 المعنى المطابق / وهو ذكر الأعمال فقط من غير مقابلة، وذلك بدلالة
 ٧٠٨ / تتضمن مجازا مرسلا لأنه إطلاق اسم الكل على الجزء، ولأجل هذا
 ١٥ كانت الصديقة رضى الله تعالى عنها تقول بعد هذا في تفسير الآية:
 يقرر بذنوبه ثم يتجاوز عنها - كما نقله عنها أبو حيان^٢، وعلى ذلك دل
 قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان^٣ عن ابن عمر رضى الله عنهما

(١) من ظ و م، وفي الأصل: ام (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع البحر
 المحيط ٨/ ٤٤٦ (٤) راجع صحيح البخارى ١/ ٣٣٠ وصحيح مسلم ٢/ ٣٦٠

دان الله تعالى يدنى المؤمن يوم القيامة فيضع كنفه عليه و يسره ثم يقول له: أتعرف ذنب كذا - حتى يذكره^١ بذنوبه كلها و يرى في نفسه أنه قد هلك ، قال الرب سبحانه: سترتها عليك في الدنيا ، و انا أغفرها لك اليوم ، و لفظ " كنفه " يدل على ذلك فان كنف الطائر جناحه ، و هو إذا وقع فرخه في^٢ كنفه عامله^٣ بغاية اللطف ، فالله تعالى أرحم و ألطف ه
(و اما من اوتى) أى بغاية السهولة و إن أبى هو ذلك (كُتِبَ) أى صحيفة حسابه^٤ (و رآه ظهره^٥) أى فى شماله إتياء مستغرقا لجميع جهه الوراء التى هى [علم -]^٦ السوء لانه كان يعمل ما لم يأذن به الله ، فكأنه عمل من ورائه مما يظن أنه يخفى عليه سبحانه ، فكان حقيقا بأن تغل يمينه إلى عنقه ، و تكون شماله [إلى -]^٧ وراء ظهره ، و يوضع كتابه فيها ، ١٠
و هذا احتباك : ذكر اليمين أولا يدل على الشمال ثانيا ، و ذكر الوراء [ثانيا -]^٨ يدل على الامام أولا ، و سر ذلك أنه ذكر دليل المودة و الرفق بالمصاحفة و نحوها فى السعيد ، و دليل الغدر و الاغتيال فى الشقى (فسوف يدعوا) أى بوعد^٩ لا محالة فى^{١٠} وقوعه أبدا^{١١} (ثبوراء) أى حسرة و ندماء بنحو قوله : واثبوراء ، و هو الهلاك الجامع لأنواع ١٥
المكاره كلها لان أعماله فى الدنيا كانت أعمال الهالكين .

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : يعرفه (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فى خرفته (٣) زيد فى الأصل و ظ : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : أعماله (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد من م .
(٧-٧) تكرر ما بين الرقيين فى الأصل فقط (٨) سقط من ظ و م .

ولما كان ذلك لا يكون إلا لبلاء كبير، أتبعه ما يمكن ان يكون
علة له فقال: ﴿وَبَصِلْ سَعِيرًا ۝﴾ أى ويغمس فى النار التى هى فى غاية
الاتقاد ويقاسى حرها وهى عاطفة عليه ومحيطه به لانه كان تابعا
لشهوته التى هى مخوفة بها فأوصلته إليها وأحاطت به .

٥ ولما ذكر هذا العذاب الذى لا يطاق، أتبعه سببه ترهيا منه واستعطافا
إلى التوبة وتحذيرا من السرور فى دار الحزن، فقال مؤكدا تنبيها على
أنه لا ينبغي أن يصدق أن عاقلا يثبت له سرور فى الدنيا: ﴿إِنَّهُ كَانَ﴾
أى بما هو له كالجلبة والطبع ﴿فِي أَهْلِهِ﴾ أى فى دار العمل ﴿مَسْرُورًا ۝﴾
أى تابعا له السرور بطرا بالمال والجاه فرحا به مغلدا إليه مترفا مع
١٠ الفراغ 'والفرار' عن ذكر حساب الآخرة كما قال فى التى قبلها
"وإذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين"، لا يحزن أحدهم لذنب عمله
ولا لقيح ارتكبه، بل يسر بكونه / يأتى له ذلك فهو يحاسب فى الآخرة
حسابا عسيرا، وينقلب إلى أعدائه مغموما كسيرا، وقد بان [أن -
الكلام من الاحتباك: ذكر الحساب اليسير الذى هو الثمرة والمسبب
١٥ أولا يدل على حذف ضده ثانيا، و ذكر السرور فى الاهل الذى هو
السبب [فى -] الثانى يدل على حذف ضده وهو سبب السعادة وهو

(١) فى ظ: ثبت (٢) سقط من م (٣) من م، وفى الاصل و ظ: مترنسا .
(٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٥) من م، وفى الأصل و ظ: لعمله
(٦) من ظ و م، وفى الأصل: يسيرا (٧) زيد فى الأصل: اهله مسرورا،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨) زيد من م (٩) زيد من ظ و م .

الغم ومحاسبة النفس في الأول، فهو احتباك في^١ احتباك، ثم علل ثبات سروره فقال [مؤكدًا -^٢] تنبيهها أيضا على أنه لا يصدق أن أحدا ينكر البعث مع ما له من الدلائل التي تقوت الحصر: (انه ظن) لضعف نظره (ان) أي أنه^٣ (لن يحور^٤) أي يرجع إلى ربه أو ينقص أو يهلك "وقالوا ما هي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا ه الا الدهر" فلهذا كان يعمل عمل من لا يخاف عاقبة^٥ (بلى^٦) ليرجعن صاغرا ناقضا هالكا، ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لأجل من ينكر: (ان ربه) أي الذي ابتداء إنشائه ورباه (كان) أزلا وأبدا (به) أي هذا الشقي في إعادته كما كان في ابتدائه و [في -^٧] جميع أعماله وأحواله التي لا يحوز في عدل عادل ترك الحساب عليها (بصيرائه)^٨ ١٠ أي ناظرا له وعالما به^٩ أبلغ نظر و^{١٠} أكل علم، فتركه مهملا مع العلم بأعماله مناف للحكمة والعدل والملك، فهو شيء لا يمكن في العقل بوجه. ولما أخبر سبحانه بانكاره لما أتاه به الرسل من الحشر على وجه موضح للدليل على بطلان إنكاره ولم يرجع، سبب عنه الإفسام على صحة ذلك لأنه ليس عند التنذير الناصح الشفوق بعد إقامة^{١١} الأدلة إلا^{١٢} ١٥

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : « و » (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : ان (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : العواقب (٥) زيد في الأصل و ظ : اي ، ولم تكن الزيادة في م لحذفها (٦) زيد من م (٧) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م لحذفها (٨) زيد في الأصل و ظ : ابلغ ، ولم تكن الزيادة في م لحذفها (٩) من ظ ، وفي الأصل و م : من . (١٠-١١) من ظ و م ، وفي الأصل : ولدليل لا .

الايمان على صحة ما قال نظرا منه للنصوح وشفقة عليه ، وكان ترك الحلف
 على ما هو ظاهر أبلغ من الحلف لما في ذلك الترك من تنبيه المخاطب
 على النظر و التأمل فقال : ﴿ فلا أقسم ﴾ أى أحلف حلفا عظيما هو
 كقاموس البحر بهذه الأمور التى سأذكرها لما لها من الدلالة على القدرة
 ٥ على الإبداء و الإعادة ، ' لا أقسم بها و إن كانت فى غاية العظم ' بما لها
 من الدلالات الواضحة لأن المقسم عليه أجل منها و أظهر فهو غنى عن
 الإقسام ﴿ بالشفق لا ﴾ أى الضياء الذى يكون فى المغرب عقب غروب
 الشمس أطباقا حمرة ثم صفرة ثم كدورة إلى يابض ثم سواد ، وكذلك
 الليل اوله يابض بغبرة ثم تتزايد غبرته قليلا قليلا إلى أن يسود مرابدا
 ١٠ فيوسق كل شىء ظلما ، سمي شفقاً لرقته و منه الشفقة لركة القلب
 ﴿ و الليل ﴾ أى الذى يغلبه فيذهب ﴿ و ما وسق لا ﴾ أى جمع فى بطنه
 و طرد و ساق من ذلك الشفق و من النهار الذى كان قبله و النجوم
 التى أظهرها و غير ذلك من الغرائب التى تدل على أن موجوده بعد أن
 لم يكن و مذهب ما كان به قادر على الإبداء و الإعادة / و كل ما يريد
 ١٥ ﴿ والقمر ﴾ أى الذى هو آيته ٢ ﴿ اذا نسق لا ﴾ أى انتظم و استوى
 واجتمع كاله و تم امره ليلة إبداره بعد أن كان قد غاب أصلا ثم
 بدأ ملالا خفيا ضئيلا دقيقا و لم يزل يزداد حتى يتم ثم ينقص إلى أن يخفى
 (١) زبدت الوارد فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فخذفناها (٢) من ظ و م ،
 و فى الأصل : العظيم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : آية ثانية (٤) من ظ ،
 و فى الأصل و م : اجمع .

ثم يعود إلى حاله دليلا أظهر من الشمس على قدرة موجدته كذلك على كل أمر من الإبداء والإعادة .

ولما كانت هذه الأمور عظيمة جدا لا يقدر عليها إلا الله تعالى^١ ولها من المنافع ما [لا -^٢] يعلمه حق عليه إلا هو سبحانه وتعالى ، وكل منها مع ذلك دال على [تمام -^٣] قدرته تعالى على الذي يراد تقريره ه في العقول وإيضاحه من القدرة التامة على إعادة الشيء كما كان سواء ، ونفى الإقسام بها دليلا^٤ على أن ذلك في غاية الظهور ، فالأمر فيه غنى عن الإقسام ، قال في موضع جواب القسم مقرونا باللام الدالة على القسم ذاكرة ما هو في الظهور والبداهة بحيث لا يحتاج إلى تنبيه عليه بغير ذكره^٥ : (لتركين) أى أيها المكلفون - هذا على قراءة الجماعة ١٠ بضم الباء دلالة على حذف [واو -^٦] الجمع ، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بفتحها على أن الخطاب للإنسان باعتبار اللفظ (طبقا) مجاوزا (عن طبقه) أى حالا بعد حال من أطوار الحياة وأدوار العيش وغمرات الموت ثم [من -^٧] أمور البرزخ وشؤون البعث ودواهي الحشر بدليل^٨ ما كان لكم قبل ذلك^٩ سواء بتلك القدرة التي كونت تلك ١٥ الكوائن^{١٠} وأوجدت تلك العجائب سواء ، فتكونون في تمكن الوجود في

(١) زيد في الأصل : بما ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) زيد من م .
(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : دليل (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ذلك .
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بذلك (٧) من م ، وفي الأصل و ظ : تلك (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : لا تكون .

كل طبق بحال التمكن على الشيء بالركوب ، و كل [حال - ١] منها مطابق
 للآخر في ذلك فان الطبق ما يطابق غيره ، ومنه قيل للغطاء : طبق -
 لمطابقته المغطى ، و الطبق كل ما ساوى شيئا وجه الارض و القرن من
 الزمان أو عشرون سنة ، و كلها واضح الإرادة هنا و هو بديهى الكون ،
 ٥ فأول أطباق الإنسان جنين ، ثم وليد ، ثم رضيع ، ثم فطيم ، ثم يافع ،
 ثم رجل ، ثم شاب^٢ ، ثم كهل ، ثم شيخ ، ثم ميت ، و بعده نشر ثم حشر
 ثم حساب ثم وزن ثم صراط ثم مقر ، و مثل هذه الأطباق المحسوسة
 أطباق معنوية من الفضائل و الرذائل .

و لما ظهر المراد و لم يبق إلا العناد ، سبب عن ذلك الإنكار
 ١٠ عليهم و التوبيخ و التقريع و التهديد ، فقال معرضا عن خطابهم إلى الغيبة
 إنيذانا باستحقاقهم^٣ : لاأخذ إن [لم - ١] يرجعوا : (فألهم) أى و أى
 شيء لهؤلاء الذين أنزلنا عليهم هذا الكتاب المعجز فى أنهم (لا يؤمنون^٤)
 أى يوقعون^٥ الإيمان و يحددونه كل وقت على الاستمرار بكل ما دعا
 إليه هذا الكتاب الذى خصهم به ملك الملوك^٦ و قد وضحت الدلائل
 ١٥ و قامت البراهين لاسيما دلائل القيامة هل^٧ هى إلا واحدة من هذه
 الأطباق المتقل إليها لأن من كان اليوم على حالة و غدا على أخرى جدير

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : تم بالغ ، و لم تكن الزيادة فى ظ
 و م لخذفها (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ثم (٤) من م ، و فى الأصل
 و ظ : لا تحقنهم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يوقعون (٦) من ظ و م ،
 و فى الأصل : الموت (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : بل .

/ بأن يعلم أن تدبيره إلى سواء، ومن لم يعلم ذلك فليس لجنونه دواء،
 ومن علم أن تدبيره [إلى سواء علم أن المشيئة في التدبير -^١] إليه
 لا إلى نفسه، وقيل لأبي بكر الوراق: ما الدليل على الصانع؟ قال:
 تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الأركان وقهر المشيئة، وفسخ
 العزيمة. ﴿واذا قرئ﴾ أي من أي قارئ كان ﴿عليهم القرآن﴾ أي هـ
 الجامع لكل ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم الفارق بين كل ملتبس^٢ من
 الحرام والحلال وغير ذلك^٣ ﴿لا يسجدون^٤﴾ أي يخضعون^٥ بالقلب
 ويتذللون للحق بالسجود اللغوي فيسجدون بالقلب السجود الشرعي
 لتلاوته لأنه ملك الكلام، قد أبان^٦ عن معارف لا تحصر، مع الشهادة
 لنفسه بعجزه أنه من عند الله، ليس لهم في ذلك عذر إلا الجهل أو العجز، ١٠
 ولا جهل مع القرآن ولا عجز مع القوة والاختيار.

ولما كان هذا استفهاما إنكاريا معناه النفي، فكان التقدير: إنهم
 [لا -^٧] يؤمنون ولا عذر لهم في ذلك أصلا، أضرب عنه بقوله:
 ﴿بل﴾ ووضع الظاهر موضع المضمرة تعميما^٨ وتنبها على الوصف
 الذي حملهم على التكذيب فقال: ﴿الذين كفروا﴾ أي ستروا مرأى ١٥
 عقولهم الدالة على الحق ﴿يكذبون^٩﴾ أي بالقرآن. وبما دل عليه من

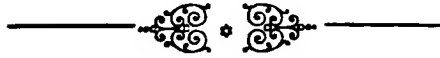
(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من م (٣) من ظ و م، وفي
 الأصل: لا يخضعون (٤) من ظ و م، وفي الأصل: بأن (٥) زيد من م.
 (٦-٦) من ظ و م، وفي الأصل: الضمير لفيهما.

حقائق العرفان العلوية إلى أوج الإيمان بالواحد الديان ﴿ والله ﴾ أى
والحال أن الملك المحيطة بكل شيء قدرة وعلما ﴿ اعلم ﴾ أى منهم
أنفسهم ﴿ بما يوعون ﴾ أى يضعون فى أوعية صدورهم من الكفر
و العداوة بسبب الشهوات الشاغلة لهم وهى حب الرئاسة و ادعاء
ه الولائية الشاغلة لهم عن التدبر لهذا القرآن وعن شواهد
الموجودات .

ولما كان هذا موجبا لشديد الإنذار ، وضع موضعه تهكما بهم
و إعلاما بأن الغضب قد بلغ منتهاه قوله : ﴿ فبشرهم ﴾ أى أخبرهم يا أفضل
الخلق و أكملهم و أعد لهم خيرا يغير ابشارهم ﴿ بعذاب اليم ﴾ أى
١٠ شديد الألم لشدة إيلامه ، إن كان لهم يوما من الأيام بشارة فهى هذه .
ولما أخبر عنهم بهذا الهوان ، وكان قد عبر عنهم بأدنى الأسنان
إشارة إلى أن منهم من يقبل الإيمان ، استثنى منهم فقال : ﴿ الا الذين آمنوا ﴾
أى أقروا بالإيمان ﴿ وعملوا ﴾ دلالة على صدق إيمانهم ﴿ الصلحت ﴾ .
ولما تقدم أن من حوسب عذب ، و أن الناجى إنما يكون حسابه
١٥ عرضا ، علم أنه ليس للأعمال دخل فى الحقيقة فى الأجر ، وإنما المدار
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم على التغمد بالرحمة حتى فى تسمية النعم أجرا ،

- (١) من ظ ، وفى الأصل وم : العلية (٢-٢) سقط ما بين الرفين من ظ وم .
(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : اتديير (٤) من ظ وم ، وفى الأصل :
متهمكا (٥) زيد فى الأصل و ظ : أى ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها .
(٦-٦) من ظ وم ، وفى الأصل : صدقهم .

أسقط الفاء المؤذنة بالسبب تنفيها على ذلك بخلاف ما في سورة التين لما
يأتى من اقتضاء سياقتها للفاء فقال : ﴿ لهم اجر ﴾ أى عظيم ' و ثواب
جزيل يعلمه الله تعالى وهو التجاوز عن صغائرهم وسترها' ﴿ غير ممنون ﴾
أى مقطوع أو منقوص أو يمتن عليهم به فى الدنيا و الآخرة / يؤتون ذلك
فى يوم الدين يوم تنشق السماء و تمد الأرض و يثوب الكفار ما كانوا ه
يفعلون ، فقد رجع آخرها على أولها ، واعتلق^٢ مفصلها حق الاعتلاق
بموصلها •



(١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٢) فى الأصول : يـون - كذا .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : اعتنق (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الاعتناق .

سورة البروج

مقصودها الدلالة على القدرة على مقصود الانشقاق الذي هو صريح
آخرها من تنعيم الولي وتعذيب الشقي بمن عذبه^١ في الدنيا من لا يمكن
في العادة أن يكون عذابه ذلك إلا من الله وحده تسلياً لقلوب المؤمنين
و تنبيهاً^٢ لهم على اذى الكافرين^٣ ، وعلى ذلك دل اسمها البروج بتأمل
القسم والمقسم عليه وما هدى ذلك السياق إليه^٤ ﴿بسم الله﴾ الذي
أحاط بكل شيء قدرة و علماً ﴿الرحمن﴾ الذي عم الخلائق عدلاً
و حلماً ﴿الرحيم﴾ الذي خص أوليائه باتمام النعمة عليهم عينا كما
أظهره رسماً .

١٠ لما ختم تلك بثواب المؤمنين و عقاب الكافر و الاستهزاء به بعد
أن ذكر أنه سبحانه أعلم بما يضر الأعداء من المسكر و ما يرومون
من الإنكاد للأولياء و توعدهم بما لا يطيقون، و كانوا قد عذبوا المؤمنين
بأنواع العذاب و اجتهدوا في قتله من قدروا عليه منهم، و بالغوا في
التضييق عليهم حتى ألجأوهم إلى شعب أبي طالب و غيره من البروج في
١٥ البلاد، و مفارقة الأهل و الأولاد، ابتداء هذه بما أوقع بأهل الجبوت

(١) الخامسة و الثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آياتها ٢٢ .

(٢) من ظ و م ، و في الأصل : عذابه (م) من ظ و م ، و في الأصل : تنبيهاً .

(٣) في ظ و م : الكفار (هـ) من ظ و م ، و في الأصل : عليه (٦) في ظ : أوقعه

ممن تقدمهم على وجه معلم أن ذلك الإيقاع منه سبحانه قطعا ، و معلم
 أن الماضين تجاوزوا ما فعل هؤلاء إلى القذف في النار ، و أن أهل
 الإيمان ثبتوا ، و ذلك لتسلية المؤمنين و تثبيتهم ، و توعيد الكافرين و توهيتهم
 و تفتيتهم ، فقال مقسما لأجل إنكارهم و فعلهم^١ في التماهى في عداوة
 حزب الله فعل المنكر أن الله ينتقم لهم^٢ بما يدل على تمام القدرة على ٥
 القيامة : ﴿ و السماء ﴾ أى العالية غاية العلو المحكمة غاية الأحكام^٣
 ﴿ ذات البروج ﴾ أى المنازل^٤ للكواكب السيارة التى ركبها الله تعالى
 على أوضاع^٥ جعل فى بعضها^٦ قوة التسبب الإبداء و الإعادة بالإنبات^٧ و فى
 بعضها قوة الترية كذلك ، و فى الأخرى قوة الاستحصاد بأسباب خفية
 أقامها سبحانه لا ترونها ، غير أنكم لكثرة الفهم لذلك صرتم يدركون منه ١٠
 بالتجارب أمورا تدلكن على تمام القدرة ، ففسحها بعضكم إلى الطبيعة لقصور
 النظر فى أسباب الأسباب و كلال الفكر عن النفوذ إلى نهاية ما تصل
 إليه الأبواب ، فاستبدل بالشكر الكفر ، و استدل / بالآيات على ضد ما
 تدل^٨ عليه مجود الذهن و انعكاس الفكر ، و المراد بها المنازل الاثنا عشر^٩ :

(١) زيد فى الأصل : و غفلتهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٢-٣) من
 ظ و م ، و فى الأصل : يتنعم (٣) زيد فى الأصل : و هى . و لم تكن الزيادة
 فى ظ و م لحذفناها (٤) زيد فى الأصل : للبروج ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
 لحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الاوضاع (٦) العبارة من هنا إلى
 الترية ، ساقطة من ظ (٧) من م ، و فى الأصل : و هى للإنبات (٨) من
 ظ و م ، و فى الأصل : دلت (٩) من ظ ، و فى الأصل و م : اثني عشر .

الحمل - والثور - والجوزاء - والسرطان - والاسد - والسنبلة - والميزان -
والعقرب - والقوس - والجدى - والدلو - والحوت ، وهى التى
تقطعها الشمس [فى السنة - '] ، أو هى الثمانية والعشرون التى يقطعها
القمر فى الشهر ، وهى ٢ منازل الشمس هذه الاثنا عشر ٢ بسير القمر فى
٥ كل واحد منها يومين وثلثا ، فذلك ثمانية وعشرون [يوما - ']
و يستمر ٣ ليلتين ، فذلك شهر ، وهو إشارة الى أن الذى فصل السماء هذا
التفصيل و سخر فيها هذه الكواكب لمصالح الإنسان لا يتركه سدى ، بل
لا بد من دينوته على ما يفعله من خير وشر ، شبهت بالقصور لأنها
تنزلها السيارة و تكون فيها الثوابت و عظام الكواكب ، سميت بروجها
١٠ لظهورها ، أو أبواب السماء فان التوازل تخرج منها ، وأصل
التركيب للظهور .

ولما كانت هذه الجملة من القسم دالة على البعث قال تصرحاً :
(واليوم الموعود ٤) أى يوم القيامة الذى تحقق ١ الوعد به ٢ و ثبت
ثبوتاً لا بد منه بما دل عليه من قدرتنا فى مخلوقاتنا و أنا سينا له أسباباً
١٥ هى عتيدة لديكم ٣ و أتم لاترونها و لا تحسون شيئاً منها و لم تينها لكم
الرسول لقصور عقولكم عنها بأكثر من الدلالة بالأسباب التى ألفتوها

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : اتى هى ، و لم تكن الزيادة فى ظ
و م لحدفتها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اتى عشر (٤) زيد من م .
(٥) من م ، و فى الأصل و ظ : يستمر (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : به
انوعد (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لكم .

على مثلها من غير فرق غير أنه وإن كان العقل لا يستقل به ولا يفقه^١ منه غير السماع للوعد به من الرسل فهو لا يحيله بعد سماعه .

ولما كان الجمع لأجل العرض، وكان العرض لا بد فيه من شهود ومشهود عليهم وجدال على عهود، قال منكراً للابهام للتعظيم والتعميم مثل "علت نفس ما احضرت" : (و شاهد) اى كريم من الاولياء ٥ (ومشهود) أى فى نفسه من الأعيان والآثار الهائلة ، أو عليه فانه [يوم - ٢] تشهده جميع الخلائق، ويحضر فيه من العجائب أمور يكل عنها الوصف، ويحضره الأنبياء الشاهدون وأهمهم المشهود عليهم، ولا تبقى صغيرة من الأعمال ولا كبيرة إلا أحصيت، وفى ذلك أشد وعيد لجميع العبيد .

١٠

ولما كان جواب القسم [على - ٢] ما دل عليه مقصود السورة وسوابقها ولواحقها: لشون الفريقين الاولياء والأعداء، ولنديين كلا بما عمل، دل عليه بأفعاله فى الدنيا يبعث الجبارة فيما مضى، وفيما يفعل بجمارة من كذب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال بادئا بمن عذب بعذاب الله فى القيامة للبداء فى آخر الانشقاق بقسم المكذبين وهم ١٥ المحدث عنهم، معبرا بما يصلح للدعاء والحقيقة تسلياً للؤمنين وتثيتاً لهم بما وقع لامثالهم، وتحذيراً بما كان لاشكالهم: (قتل) أى لعن بأيسر أمر

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يفقه (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م .

(٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بامثاله .

/ ٧١٤

و أسهله من كل لاعن لنا لا فلاح معه، ووقع في الدنيا أنه قتل
 حقيقة / ﴿ اصحب الاخدود ﴾ أى الخد العظيم، وهو الشق المستطيل في
 الأرض كالنهر، روى أن ملكا من الكفار - وروى عن ابن عباس
 رضى الله عنهما أنه كان من حير - من ملوك اليمن، وكان قبل مولد
 ه النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة، آمن في زمانه ناس كثير، فخذ لهم
 أخدودا في الأرض وجره نارا و عرض من آمن عليه، فمن رجع عن
 دينه تركه، ومن ثبت - وهم الأغلب - قذفه في ذلك الأخدود فأحرقه .
 وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: وردت هذه السورة في معرض
 الالتفات والعدول إلى إخبار نبى الله صلى الله عليه وسلم بما تضمنته هذه
 ١٠ السورة من قصة أصحاب الاخدود، و [قد - ٢] تقدم هذا الضرب في
 سورة المجادلة و سورة النبا، وبيننا وقوعه في أنفس السور و متونها وهو
 اقرب فيما بين السورتين و أوضح - انتهى .

ولما ذمهم سبحانه و تعالى، بين [وجه - ٢] ذمهم بيدل اشتمال
 من اخدودهم فقال: ﴿ النار ﴾ أى العظيمة التى صنعوها لعذاب أوليائنا،
 ١٥ و زاد في تعظيمها بقوله: ﴿ ذات الوقود ﴾ أى الشيء الذى نوقد به
 من كل ما يصلح لذلك من الحطب وغيره، و علق به قلة قوله:
 ﴿ اذم ﴾ أى بظواهرهم و ضمائرهم ﴿ عليها ﴾ أى على جوانب أخدودها

(١) راجع المعالم ٧/ ١٩١ (٢) من م، وفى الأصل و ظ: اقبل (م) زيد فى
 الأصل: فى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخصفائها (٤) زيد من ظ و م .
 (٥) من م، وفى الأصل و ظ: الى .

(قود^١) أى يحفظونها و يفعلون بما^١ يأمرهم ملكهم فى امرها من إلقاء الناس وغيره فعل القاعد المطمئن الذى ليس له شغل غيرها (وم على ما يفعلون) أى خاصة بقوة دواعيهم إلى فعله و رغبتهم فيه من الفتنة بالعرض على النار وغيره مكررين ذلك الفعل (بالمؤمنين) أى الراسخين فى الإيمان الذى^٢ لم يثنهم العذاب عنه (شهود^٣) هـ أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك أنه لم يقصر فيما أمره^٢ به و يشهدون يوم القيامة بما تشهد^٤ به عليهم أيديهم و أرجلهم على أنفسهم بهذا الظلم ، و يشهد بعضهم على بعض^٥ و يعادى بعضهم بعضا^٦ ، و يحيل كل على الآخر طمعا فى النجاة .

و لما كان هذا الفعل العظيم لا يكون من عاقل إلا لسبب^١ يليق ١٠ به ، بين أنه إنما هو لسبب يعمد منه ، فقال على طريقة^٢ :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب :

(وما نقموا) أى أنكروا و كرهوا (منهم) من الحالات و كان

دينالهم و نقصا فيهم (إلا أن يؤمنوا) أى يجددوا الإيمان مستمرين

عليه (بالله) أى الملك الأعلى الذى له جميع صفات الكمال . ١٥

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : بما (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : الذين .

(م) من ظ و م ، وفى الأصل : امر الله (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : شهد .

(هـ - هـ) من ظ و م ، وفى الأصل : عند الملك (٦) من م ، وفى الأصل و ظ :

سبب (٧) زيد بعده فى الأصل : الإعجاب ولا عجيب فيهم غير أن سبق فيهم ،

و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

ولما كان ربما أوهم ترك معالجته سبحانه لهم. لكونهم يعذبون من
 آمن به لأجل الإيمان به ما [لا - '] يليق ، نفي ذلك بقوله واصفا له
 بما يحقق وجوب العبادة له و تفرده به: ﴿ العزيز ﴾ أى الذى يغلب من
 أراد ولا يغلبه شيء ، فلا يظن إمكانه من أهل ولايته لعجز ، بل هو
 ٥ يتلهم ليعظم أجورهم و يعظم عقاب أعدائهم و يعظم الانتقام منهم
 ﴿ الحيد ﴾ أى المحيط بجميع / صفات الكمال ، فهو يثيب من أصيب فيه
 / ٧١٥ أعظم ثواب ، و ينتقم من آذاه بأشد العذاب ، و قرر ذلك بقوله :
 ﴿ الذى له ﴾ أى خاصة ﴿ ملك السموات و الارض ﴾ أى على جهة
 العموم مطلقا ، فكل ما فيها جدير بأن يعبد وحده ولا يشرك به شيئا .
 ١٠ ولما قدم سبحانه التحذير بالشاهد و المشهود ، و ان الكافرين شهود
 على أنفسهم ، زاد فى التحذير بأنه سبحانه [أعظم - '] شهيد فى ذلك
 اليوم و غيره ؟ فهو لا يحتاج إلى غيره ، ولكنه أجرى ذلك على ما
 تعارفه* فقال : ﴿ والله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الإحاطة الكاملة
 ﴿ على كل شيء ﴾ [أى - '] هذا الفعل و غيره ﴿ شهيد ﴾ أى إمام
 ١٥ شهادة لا يغيب عنه شيء أصلا ، ولا يكون شيء ولا يبق الا بتدبيره ،
 و من هو بهذه الصفات العظيمة لا يهمل أوليائه أصلا ، بل لا بد أن

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : نعظم (٣) زيد فى الأصل :
 لا شريك له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤-٤) من ظ و م ، وفى
 الأصل : فلا (هـ) من ظ و م ، وفى الأصل : يتعارف .

ينتقم لهم من أعدائه ويعليهم بعلائه . و لذلك قال مستأنفا جوابا لمن يقول : فما فعل بهم ؟ مؤكدا لإنكار الكفار ذلك : ﴿ ان الذين قتلوا ﴾ أى خالطوا من الأذى بما لا تحتمله القوى فلا بد أن يميل^٢ أو يميل فى أى زمان كان ومن أى قوم كانوا ﴿ المؤمنين و المؤمنات ﴾ أى ذوى الرسوخ فى وصف الإيمان .

و لما كانت التوبة مقبولة قبل الغررة^٣ ولو^٢ طال الزمان ، عبر بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم لم يتوبوا ﴾ أى عن ذنوبهم و كفرهم . و لما كان سبحانه لا يعذب أحدا إلا بسبب ، سبب عن ذنبهم و عدم توبتهم قوله : ﴿ فاهم ﴾ أى خاصة لأجل كفرهم ﴿ عذاب جهنم ﴾ أى الطبقة التى تلتى داخلها بغاية الكراهة و التجهم ، هذا فى الآخرة ﴿ واهم ﴾ أى مع ١٠ ذلك فى الدارين لأجل قسنتهم لأولياء الله ﴿ عذاب الحريق ﴾ أى العذاب الذى من شأنه المبالغة فى الإحراق بما أحرقوا من قلوب الأولياء ، وقد صدق سبحانه قوله هذا فيمن كذب النبى صلى الله عليه و سلم باهلا كهم شر إهلاك^٤ مغلوبين مقهورين مع أنهم كانوا قاطعين بأنهم غالبون^٥ كما فعل بمن كان قبلهم ، فدل ذلك على أنه على كل شىء قدير ، فدل^٦ ١٥ على أنه يبدئ و يعيد .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يميل .
(٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فلو (٤) زيد فى الأصل : وهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م ، و فى الأصل وظ : غافلون (٦) من م ، و فى الأصل وظ : ودل .

ولما ذكر عقاب المعاندين بادئاً به لأن المقام له ، أتبعه ثواب العابدين ،
 فقال مؤكداً لما لأعدائهم من إنكار ذلك : ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ أى
 أقروا بالإيمان ولو على أدنى الوجوه من المقذوفين فى النار وغيرهم من
 كل طائفة فى كل زمان ' ﴿ وعملوا الصلح ﴾ تصديقا لإيمانهم وتحقيقاً
 ه له . ولما كان الله سبحانه من رحمته قد تغمد أوليائه بعنايته ولم يكلمهم
 إلى أعمالهم لم يجعلها سبب سعادتهم فلم يقرن بالفاء قوله : ﴿ لهم ﴾ أى
 جزاء^٢ مقاساتهم ليران^٢ الدنيا من نار الأخدود الحسية التى ذكرت ،
 ومن نيران الغيوم والأحزان المعنوية التى يكون المباشر لأسبابها غيره
 سبحانه فيكون المقاسى لها مع حفظه للدين^٢ كالقايض على الجمر ﴿ جئت ﴾
 ١٠ أى فضلاً منه ﴿ تجرى ﴾ وقرب منالها بالجاء فقال : ﴿ من تحتها ﴾ أى تحت
 غرفها وأسرتها وجميع أماكنها ﴿ الأنهر ﴾ يتلذذون / ببردها فى نظير
 ذلك الحر الذى صبروا عليه فى الدنيا ويروقههم النظر إليها مع خضرة
 الجنان والوجوه الحسان الجالبة [للسرور الجالية - °] للأحزان .

/ ٧١٦

ولما ذكر هذا الذى يسر النفوس ويذهب البؤس ، [فذلك - °]
 ١٥ بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الامر العالى الدرجة العظيم البركة^٢ ﴿ الفوز ﴾

(١) زيد فى الأصل وظ : من الأزمان ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها .
 (٢ - ٢) من ظ وم ، وفى الأصل : لمقاساتهم لنار (٣) من ظ وم ، وفى
 الأصل : باندن (٤) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها .
 (٥) زيد من ظ وم (٦) زيد فى الأصل وظ : وهو ، ولم تكن الزيادة فى
 م فحذفناها .

أى الظفر بجميع المطالب لا غيره (الكبيره) كبيرا لا تفهمون منه أكثر من ذكره بهذا الوصف على سبيل الإجمال، وذلك أن من كبره أن هذا الوجود كله يصغر عن أصغر شيء منه .

ولما كان لا يثيب ويعذب على هذا الوجه إلا من كان فى غاية العظمة، قال معللا لفعله ذلك دالا بذلك التعليل على ما له من العظمة ه التى تقاصر الأفكار دون عليائها، مؤكدا لما للأعداء من الإنكار: (ان بطش ربك) أى أخذ المحسن إليك المدبر لأمرك أعداء الدين بالعنف و'السطوة و غاية الشدة' (لشديده) أى شدة يزيد عنفها على ما فى البطش من العنف المشروط فى تسميته، فهو عنف مضاعف.

ولما كان هذا البطش لا يتأتى إلا لكامل القدرة، دل على كمال قدرته ١٠ واختصاصه بذلك بقوله مؤكدا لما لهم من الإنكار: (انه) وزاد التأكيده مبتدأ آخر ليدل على الاختصاص فقال: (هو) أى وحده (يبدئ) أى يوجد ابتداء أى خلق أراد على أى هيئة أراد (و يعيد) أى ذلك المخلوق بعد إفنائه فى أى وقت أراد، وغيره لا يقدر على شيء من ذلك، وليس هذا الضمير بفصل لأنه لا يكون إلا والخبر لا يكون ١٥ إلا معرفة، أو شبه بها فى أنه لا يلحقه دأله المعرفة مثل خير منك، وأجاز المازنى وقوعه قبل المضارع لمشابهته الاسم و'امتناع دخول دأله، عليه

(١ - ١) من ظ و م، وفى الأصل: الشدة و غاية السطوة (٢) من م، وفى الأصل و ظ: التوكيد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) من ظ و م، وفى الأصل: أو.

فأشبه المعرفة ، [و - ١] قال : و لا يكون قبل الماضي لأن الماضي لا يشبه الاسم ، قال الرضى : و ما قاله دعوى بلا حجة [و - ٢] مثل " و مكر أرسلتك هو يبور " ليس بنص فى كونه فصلا لجواز كونه مبتدأ ما بعده خبره ، و نقض قوله فى الماضي بقوله تعالى " و انه هو اضحك ه و ابكى " - الآية .

و لما ذكر سبحانه بطشه ، و كان القادر على العنف قد لا يقدر على اللطف ، و إن قدر فربما [لم - ٢] يقدر على الإبلاغ^٣ فى ذلك ، و كان لا يقدر على محو الذنوب أعيانها و آثارها عن كل أحد بحيث لا يحصل لصاحبها عقاب و لا عتاب من أحد أصلا إلا من كان قادرا على كل شيء ، ١٠ قال مبينا لجميع ذلك دليلا على أنه الفاعل المختار ، و مؤكدا لخروجه عن العوائد : ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الغفور ﴾ أى المحاء^٤ لأعيان الذنوب و آثارها اذا أراد بحيث لا يحصل لمن محاذنه كدر من جهة ذلك الذنب أصلا ﴿ الودود ﴾ أى الذى يفعل بمن^٥ أراد فعل المحب الكثير المحبة فيجيبه^٦ إلى ما شاء و يلقى على صاحب الذنب الذى محاه عنه ودا أى محبة كبيرة واسعة و يجعل له فى قلوب^٧ الخلق رحمة ، و مادة «ود» تدور على الاتساع كما يفتته فى سورة الروم ، و زاد الأمر / تأكيدا بذكر ما

/٧١٧

- (١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : إبلاغ .
 (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الماحى (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : لمن .
 (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الكبير (٧) من ظ و م ، وفى الأصل :
 تنحه - كذا (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : قلب .

لا ينافع أصلاً في اختصاصه به تشريفاً له [و - ١] تنبيهاً على أنه أعظم المخلوقات : ﴿ ذو العرش ﴾ أى العز الأعظم أو السرير الدال على اختصاص الملك بالملك و انفراده بالتدبير و السيادة و السياسة ، الذى به قوام الأمور ﴿ المجيد ﴾ أى الشريف الكريم العظيم فى ذاته و صفاته الحسن الجميل الرفيع العالى الكثير العطاء - هذا إذا رفع على أنه صفة له ذو ، و كذا ه إن جر على أنه صفة للعرش فى قراءة حمزة و الكسائى .

و لما كان الاختصاص ^٢ يدل قطعاً ^٢ على كمال القدرة ، أتي ذكر هذه الاختصاصات قوله : ﴿ فعال ﴾ أى على سبيل التكرار و المبالغة ﴿ لما يريد ﴾ لا يؤده شئ من الأفعال سواء كانت منسوبة إليه من غير واسطة ^٢ أو نسبت ^٢ فى الظاهر إلى غيره . و لما تمت الدلالة على أن بطشه ١٠ شديد ، قرره بما وجد من ذلك و ذكره به تخويفاً لقومه و تسلياً له لأن النظر فى المحسوسات أمكن فى النفوس فقال : ﴿ هل أتاك ﴾ أى يا أعظم خلقنا ﴿ حديث الجنود ﴾ أى اذكر ما أتاك مما حدث لهم من بطشنا و ما وقع بهم من سطوانا لتكذيبهم رسلنا عليهم أفضل الصلاة و السلام بحيث صار حديثاً يتلى ، و ذكرنا بين الخلق لعظمته لا يلى ، ١٥ و الجنود جمع جند بالضم و هو العسكر المعد للقتال و الأعوان و المدينة ، و الكل ناظر إلى النجدة العظيمة و الغلبة الزائدة .

و لما كان المعلوم من السياق أن المراد من حديثهم ما حصل لهم

(١) زيد من م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : قطعاً يدل (٣-٣) من م ، وفى الأصل : و انسب ، وفى ظ : و نسب .

من البطش لتكذيب الرسل لاسيما في البعث الذي السياق له، و كان
 الواقع من بيانه بآيات موسى و صالح عليهما الصلاة و السلام ايين مما وقع
 بآيات غيرهم ممن تقدم زمنه على هذه الازمنة^١، و كانت أمة كل نبي^٢
 من النبيين و أتباع فرعون تحوى أصنافا من الخلق كثيرة، حكى أن طليعته
 ٥ يوم تبع بنى إسرائيل و غرق كانت ستمائة ألف، أبدل من "الجنود"
 إعلاما بانهم أعداء^٣ الله قوله: ﴿فرعون﴾ و كذا أتباعه الذين كانوا
 أشد أهل زمانهم و أعتام و أكثرهم رعونة في دعوى الإلهية منه
 و التصديق منهم^٤، و كان هذا من عماوة قلوبهم مع ظهور علامات الربوبية
 السماوية و الأرضية^٥، و الرسوخ^٦ في التكذيب و السفه و الخفة و الطيش
 ١٠ مع رؤية تلك الآيات العظيمة على كثرتها و طول زمنها حتى دخل البحر
 على أمان من الفرق مع أن^٧ خطر الفرق به في تلك الحالة لم يكن يخفى
 على من له^٨ أدنى مسكة من عقله فأغرقه، الله و من معه أجمعين و لم يبق
 منهم أحدا، فلعنة الله عليه و على^٩ من كان معه من^{١٠} أتباعه^{١١} و أتباعهم^{١٢} الطائفة
 الاتحادية العربية الفارضية / الذين يكفى في ظهور^{١٣} كفرهم تصويبهم
 ١٥ فرعون الذي اجمع على كفره جميع الفرق ﴿وئود^{١٤}﴾ الذين حملتهم الخفة

/ ٧١٨

(١) و ظ: الأمة (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م، و في الأصل؛
 اعد (٤) سقط ما بين الرقنين من ظ و م (٥) من ظ و م، و في الأصل؛
 رسوخهم (٦) من ظ و م، و في الأصل: انه لو (٧) من ظ و م، و في
 الأصل: به (٨) من م، و في الأصل و ظ: ظهورهم (٩) في ظ
 و م: التي .

على أن عقروا الناقة بعد رؤيتهم إياها تتكون^١ من الصخرة الصماء غير
 مجوزين أن الذى خرق العادة باخراجها^٢ ذلك يهلكهم فى شأنها، وقد
 جمع سبحانه بهما بين العرب والعجم والإهلاك بالماء الذى هو حياة
 كل شئ. والصيحة التى هى اشارة الساعة، وإنما كانت آياتها^٣ أبين لأن
 آية نمودناقة خرجت من صخرة صماء، ومن آيات موسى عليه الصلاة ه
 والسلام إبداع القمل الذى لا يحصى كثرة من الكشبان، وإبداع الضفادع
 كذلك والجراد وإحياء العصا مرة بعد أخرى، ولا شك عند عاقل أن
 من قدر على ذلك ابتداء من شئ لا أصل له فى الحياة فهو على إعادة
 ما كان قبل ذلك حيا أشد قدرة.

- ولما كان التقدير: نعم [قد - °] أناى ذلك وعلمت من خبرهما ١٠
 وغيره أنك قادر على ما تريد، ولكن [الكفار - ٦] لا يصدقوننى، عطف
 عليه قوله: ﴿بل الذين كفروا﴾ أى جاهروا بالكفر من هؤلاء القوم
 وغيرهم وإن كانوا فى أدنى رتبة ﴿فى تكذيب لا﴾ أى لما رأوا من
 الآيات لا مستند لهم فيه وهو شديد محيط بهم لا تابعهم أهواهم وتقليد
 أبائهم، فهم لا يقدرّون على الخروج من ذلك التكذيب الذى صار ظرفا ١٥
 لهم بعد سماعهم لأخبار هؤلاء المهلكين ورؤية بعض آثارهم، وبعد ما
 أقمت لهم من الأدلة على البعث فى هذا القرآن المعجز، ولم يعتبروا
-
- (١) من ظ وم، وفى الأصل: فتكون (٢) زيد فى ظ: من (٣) من ظ وم،
 وفى الأصل: آيتهما (٤) من ظ، وفى الأصل: هو قادر، وفى م: هو.
 (٥) زيد من م (٦) زيد من ظ وم.

بشيء من ذلك لما عندهم من داء الحسد، فخالهم اعجب من حالهم فحذرهم^١ مثل ما لهم .

ولما كان هذا ربما أوهم ان تكذيبهم على غير مراده سبحانه وتعالى، قال دافعا لذلك مؤكدا [قدرته - ٢] على أخذهم تحذيرا لهم ه وتسلية^٣ لمن كذبه: ﴿والله﴾ أى والحال أن الملك الذى اختص بالجلال والإكرام ﴿من ورائهم﴾ أى من كل جهة يوارونها أو تواريههم، وذلك كل جهة ﴿محيطه﴾ [فهو محيط - ٤] بهم من كل جهة بعلمه وقدرته، فهو كناية عن أنهم فى قبضته لا يفوتونه بوجه كما أنه لا يفوت من صار فى القبضة باحاطة العدو به من غير مانع، فهو سبحانه قادر على أن يحل بهم ١٠ ما أحل بأولئك، ولعله خص الورا لآن الإنسان يحصى ما وراءه ولأنه جهة الفرار من المصائب .

ولما كان من^٥ تكذيبهم، وهو أعظم تكذيبهم^٦، طعنهم فى أعظم آيات القرآن بأن يقولوا: هو كذب محتلق، إنما هو أساطير الأولين، أى أكذوباتهم لا حقائق لما يخبر به مع أنه قد أقام الدليل الأعظم ١٥ لنفسه بنفسه بما له من الإعجاز على أنه حق، قال معبرا بالضمير أيذانا بأنه

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فحذر (٢) زيد من م (٣) زيد فى الأصل : له صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) زيد من ظ و م . (٥) زيد فى الأصل و ظ : فهو ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بهؤلاء (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ولما كان من جملة . (٨) ريدت الواو فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى م لحذفها .

لعظمه في كل قلب لاغية له اصلا، ليس لاحد حديث^١ إلا فيه، بانبا على
ما تقديره: ليس الامر كما يزعم الكفار في القرآن: ﴿بل هو﴾ أى
هذا القرآن الذى لا يأتيه الباطل^٢ / من بين يديه ولامن خلفه تنزيل
من حكيم حميد ﴿قرآن﴾ أى جامع لكل منقبة جليلة بالغ الذروة العليا
في كل شرف ﴿مجيد﴾ أى شريف كريم ليس فيه شيء من^٣ شوائب ه
الذم^٤ عزيز [عظيم-^٥] شريف عال جواد حسن الخلال وحيد في نظمه ومعانيه
المغنية والمشاهدة حاو لمجامع الحمد^٦ ليس بقول مخلوق ولا هو مخلوق بل
هو صفة الخالق بل هو جواد بكل ما يراد منه من المحاسن لمن صدقت
نيته وطهرت طويته، وعلت همته وكرمت سجيته، فهو يآبى له مجده أن
يلم بساحته طعن بوجه من الوجوه، ومجده تجريب احكامه من بين ١٠
عاجل ما شهد و آجل ما علم بعالم ما شهد، فكان معلوما بالتجربة المتينة
بما تواتر من القصص الماضى^٧ وما شهد له من الآثار الحاضر وما يتجدد
مع الاوقات من أمثاله وأشباهه وأشكاله، فكذب من قال إنه شعر
أو كهانة أو سحر - أو غير ذلك من الأباطيل.

ولما وصفه في نفسه بما يآبى له لحاق شيء من شبهة، وصف ١٥
محل في الملا^٨ الأعلى إعلاما بأنه لا يطرأ عليه ما يغيره فقال: ﴿في لوح﴾^٩

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : حدث (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الباطن .

(٣-٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الشوايب للذم (٤) زيد من م (٥) من م ،

وفي الأصل وظ : المحامد (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : الماضية (٧) زيد في

الأصل وظ : اى ، ولم تكن الزيادة في م لحذفها .

و هو كل صفيحة^١ [عريضة -^٢] من خشب او عظم او غيرهما
 (محفوظ ع) أى له الحفظ دائماً على آتم الوجوه من كل خلل [ومن -^٣]
 أن يصل [إليه -^٤] إلا الملائكة الكرام ، قال حجة الإسلام الغزالي
 رحمه الله تعالى في كتاب الموت من الإحياء: يعبر عنه تارة باللوح ، و تارة
 ٥ بالكتاب المبين ، و تارة بامام مبين ، لجميع ما جرى في العالم و ما سيجرى
 مكتوب فيه كتبنا لا يشاهد بهذه العين ، و ليس مما نعهده من الألواح ،
 فلوحه تعالى لا يشبه ألواح خلقه كما أن ذاته تعالى لا تشبه ذوات خلقه ،
 و مثاله مثال قلب الإنسان في حفظ القرآن مثلاً كلماته و حروفه ، و لو قش
 قلبه لم يوجد فيه شيء و لا ينظر ذلك إلا نبي أو ولي بقرب من درجته -
 ١٠ هذا معنى كلام الإمام رحمه الله تعالى ، و قرأ نافع بالرفع صفة للقرآن
 محفظه من التغيير^١ و التبديل^٢ و التحريف و كل شبهة و ريب في نظمه
 أو معناه كما أن البروج محفوظة في لوح السماء المحفوظ ، بل القرآن
 بذلك أولى لأنه صفة الخالق في بيان وصفه لما خلق على الوجه الآتم
 الأعدل لأنه ترجمة ما أوجده الله سبحانه في الوجود ، فصح قطعاً أنه
 ١٥ لا بد أن يصدق في كل ما أخبر به ، و من أعظمه أنه سبحانه يحشر الناس
 للدينونة بالثواب و العقاب كما دان [من -^٣] كذب أوليائه في الدنيا
 (١) من م ، و في الأصل و ظ : صحيفة (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م .
 (٤) راجع ٤ / ٣٤ (٥) من م ، و في الأصل و ظ : لا يشاهده (٦-٦) سقط ما
 بين الرقيين من م .

بمثل ذلك فأخذ أعداءه وأنجى أوليائه . فرجع الختام منها على المبتدأ ،
و تعانق الافتتاح بالمتهى ، فافتضى ذلك تنزيه المتكلم [به - '] عن أن
يترك شيئاً فضلاً عن الأنفس بغير حفظ وعن كل ما لا يليق ، وإثبات
الكلمات له والأكليات بكل طريق^٢ - والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع
والمآب ، وإليه المهرب والمنتاب^٣ .

٥



(١) زيد من ظ (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : بغير (م) زيد في الأصل :
انتهى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤ - ٤) سقط ما بين الرقبتين
من ظ و م .

سورة الطارق

/ ٧٢٠

مقصودها / بيان مجد القران في صدقه في الإخبار بتنعيم أهل الإيمان، و تعذيب
 أهل الكفران، في يوم القيامة حين تبلى الصرائر و تكشف الخبائث
 [الضائر^٢] عن مثقال^٢ الذر وما دون المثقال، مما درنته^٤ الحفظة الكرام
 ه في صحائف الأعمال، بعد استيفاء الآجال، كما قدر في أزل الآزال^٥، من غير
 استعجال، ولا تأخير عن الوقت المضروب ولا إهمال، واسمها الطارق
 أدل ما فيها على هذا الموعود الصادق بتأمل القسم والمقسم عليه حسب
 ما اتسق^٦ الكلام إليه ﴿ بسم الله ﴾ الذي له^٧ الكمال كله ﴿ الرحمن ﴾
 الذي وسع الخلائق^٨ فضله^٩ وعدله ﴿ الرحيم ه ﴾ الذي خص أوليائه
 ١٠ بتوفيقه فظهر عليهم جوده^{١٠} وإحسانه و كرمه^{١١} و فضله .

لما تقدم [في -^١] آخر البروج أن القرآن^{١٢} في لوح^{١٣} محفوظ
 لأن^{١٤} منزله محيط بالجنود من المعاندين وبكل شيء^{١٥}، أخبر أن من إحاطته
 حفظ كل فرد من جميع الخلائق [المخالفين -^{١٦}] والموافقين المؤمنين،

- (١) السادسة والثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ١٧ .
 (٢) زيد من ظ (٣) من م، وفي الأصل و ظ : مثاقيل (٤ - ٤) من ظ
 وم، وفي الأصل ما تدونته (٥) من ظ وم، وفي الأصل : الأزال .
 (٦) من م، وفي الأصل : اتسق، وفي ظ : اتسق (٧) زيد في الأصل : الجمال
 و، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٨ - ٨) - قط ما بين الرقنين من م .
 (٩) زيد من م (١٠) من ظ وم، وفي الأصل : وبان (١١) زيد من ظ وم .

ليجأزى على اعماله^١ يوم إحقاق الحقائق و قطع العلائق ، فقال مقسما على ذلك لإنكارهم له : ﴿ و السماء ﴾ أى ذات الأنجم الموضوعة لحفظها من المردة لأجل حفظ [القرآن - ١] المجيد الحافظ لطريق الحق ، قال الملوى : [و - ٢] المراد بها [هنا - ٢] ذات الأفلاك الدائرة لا السماوات العلى [بما - ٢] جعل فيها من ليل و نهار و دوتهما^٢ ثلاثمائة و ستين^٣ ٥ درجة لا تنغير أبدا في هذه [الدار - ٢] بنقص و [لا - ٢] زيادة بنصف درجة و لا دقيقة و لا ثانية و لا ما دون ذلك ، بل كلما زاد أحدهما شيئا نقص من الآخر بحسابه . عرف ذلك من العقل و النقل و التجربة فعرف أنه^٤ يحفظ [حفيظ - ٢] حي لا يموت ، قيوم لا يغفل و لا ينام - انتهى^٥ .

و لما أقسم بالسماء لما لها من الشرف و المجد تنبيها على ما فيها ١٠ من بدائع^٦ الصنع الدالة على القدرة الباهرة ، أقسم بأعجب ما فيها و هو جنس النجوم ثم بأعزبه و هو المعد للحراسة تنبيها على ما فى ذلك من غرائب القدرة فقال : ﴿ و الطارق لا ﴾ أى جنس الكواكب الذى يبدو ليلا و يخفى نهارا ، و يطرق مسترقى السمع فيبدد شملهم و يهلك من أراد الله منهم لأجل هداية [الناس - ١] بالقرآن فى الطرق المعنوية و ظهوره ١٥ و إشرافه فى السماء لهـدايتهم فى الطرق الحسية ، و هو فى الأصل

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : اعمالهم (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م .
 (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : رتبها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ستون .
 (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : بابه (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : يديع .

لسالك الطريق ، واختص عرفا بالآتى ليلا لأنه يجد الأبواب مغلقة فيحتاج إلى طرقها ، ثم استعمل للبادى فيه كالنجم .

ولما كان الطارق [يطلق - ١] على غير النجم أهمه أولا ثم عظم المقسم به بقوله : (وما أدراك) أى عرفك^٢ يا أشرف خلقنا ه عليه الصلاة والسلام وإن حاولت معرفة ذلك و بالغت فى الفحص عنه (ما الطارق لا) ثم زاده تهويلا بتفسيره بعد إبهامه مرة أخرى بقوله تعالى : (النجم الثاقب لا) أى المتوهج العالى المضئ كأنه يثقب الظلام بنوره فينفذ فيه ، يقال : / أثقب نارك للوقد ، أو يثقب بضوئه الأفلاك فتشف عنه ، أو يثقب الشيطان بناره إذا استرق السمع ، والمراد ١٠ الجنس أو معهود^٣ بالثقب وهو زحل ، عبر عنه أولا بوصف عام ثم فسرهما بما يخصه تفخيما لشأنه لعلو مكانه .

ولما ذكر الذى دل به على حفظ القرآن عن التليس وعلى حفظ الإنسان ، ذكر جوابه فى حفظ النفوس التى جعل فيها قابلية لحفظ القرآن فى الصدور ، ودل على حفظ ما خلق لاجلها من هذه الأشياء المقسم بها على حفظ الإنسان لأنها إذا كانت محفوظة عن أدنى زيغ وهى مخلوقة لتدبير^٤ مصالحه^٥ فالظن به ؟ فقال مؤكدا [غاية التأكيد - ١] لما للكفرة^٦ من إنكار ذلك والظن [فيه - ١] :

(١) زيد من م (٢) فى ظ : فقال (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : اعرفك (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : للتوقد (٥) زيد فى الأصل : أيضا ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : لتدير (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : بما (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : للفكرة .

(ان) بالتخفيف من الثقلة في قراءة الجمهور [أى - ١] أن الشأن^١
 (كل نفس) أى من الأنفس مطلقا لا سيما نفوس الناس (لما عليها)
 أى بخصوصها^٢ لا مشاركا لها في ذاتها^٣ (حافظه) أى رقيب عتيد
 لا يفارقها، والمراد به الجنس من الملائكة، فبعضهم لحفظها من الآفات،
 وبعضهم لحفظها من الوسواس^٤، وبعضهم لحفظ أعمالها وإحصائها^٥
 بالكتابة، وبعضهم لحفظ ما كتب لها من رزق وأجل و«شقاوة أو سعادة
 ومشى» (٢) ونكاح وسفر وإقامة^٦، فلا يمدى شيئا^٧ من ذلك نحن قسمنا
 نحن قدرنا^٨، فإن قلت: إن الحافظ الملائكة، صدقت، وإن قلت: إنه
 الله، صدقت، لأنه الأمر لهم والمقدر على الحفظ^٩، والحافظ [لهم - ١]
 من الوهن والزيغ، هو الحافظ الحقيقي، واللام في هذه القراءة هي ١٠
 الفارقة بين المخففة والنافية «وما»، مؤكدة بنفى [صدر - ٩] ما أثبتته
 الجملة، «وحافظ، خبر إن»، ويجوز أن يكون الظرف الخبر، «وحافظ،
 مرتفع به»، وقرأ ابن عامر وعاصم وحزمة بتشديد «لما»، على أنها
 بمعنى «إلا»، و«إن» نافية بمعنى «ما»، والمستثنى منه «كل نفس»، وخبر
 النافية محذوف تقديره: كائنه أو موجودة [أو نحوهما - ٩]، والمستثنى ١٥
 «نفس»، موصوفة بـ«عليها حافظ»، ويحتمل أن يكون حالا فجعله يحتمل

(١) زيد من م (٢) من م، وفي الأصل وظ: شأن (٣-٣) سقط ما بين الرقين
 من ظ و م (٤) من ظ و م، وفي الأصل: الوسواس (٥-٥) من ظ و م،
 وفي الأصل: شقاء (٦-٦) سقط ما بين الرقين من م (٧) من م، وفي الأصل
 وظ: شيء (٨) من ظ و م، وفي الأصل: القط (٩) زيد من ظ و م.

الرفع بأنه خبر الثاني [في - ١] هذا الاستثناء المفرغ عند^١ بنى نيم، والنصب
بأنه خبر^٢ عند غيرهم^٣، أو حال من «نفس»، لأنها عامة، والتقدير: ما كل
نفس موجودة إلا نفس كائنا أو كائن عليها حافظ، والنسبة بين مفهومي
القراءتين^٤ أن المشدد أخص لأنها دائمة مطلقه، والمخففة مطلقة عامة،
ولا يظن أن المشددة غير مساوية للمخففة، فضلا عن أن تكون أخص
لأن حرف النفي دخل على «كل»، وهو من أسوار السلب الجزئي كما
تقرر^٥ في موضعه فيتحل إلى أن بعض النفوس ليس إلا عليها حافظ،
[وإنما - ١] كان لا يظن ذلك لأنها تنحل لما فيها من الحصر المتضمن
لنفي والإثبات إلى جملتين، إحداهما إثبات [الحفظ - ١] للنفس^٦
الموصوفة والأخرى سلب^٧ نقيضه عنها، لأنه من قصر / الموصوف على
الصفة، ونقيض الكلية الموجبة الجزئية السالبة أي ليس كل نفس عليها
حافظ، [والسالبة الجزئية أعم من السالبة الكلية، فإذا نقيضتها قلت: ليس
ليس كل نفس عليها حافظ - ١] فهو سلب السلب الجزئي، وإذا سلب السلب
الجزئي [سلب الكلي - ١] لما تبين أنه أخف. وإذا اتقى الأعم اتقى الأخص
١٥ فلا شيء من الأنفس ليس عليها حافظ، فأنحل الكلام إلى: لا نفس

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، وفي الأصل: عنه (٣) من ظ وم، وفي
الأصل: عندهم (٤) من ظ، وفي الأصل وم: القرآين (٥) من ظ وم، وفي
الأصل: تقدر (٦) زيد في الأصل وظ: المحفوظة، ولم تكن الزيادة في ظ
م لحذفها (٧) من ظ وم، وفي الأصل: سلب (٨) من ظ وم، وفي
الأصل: لا.

كائنة إلا نفس عليها حافظ، وإن كان لفظ «ليس كل» من أسوار الجزئية لما مضى، فصارت الآية على قراءة التشديد مركبة من مطلقة عامة هي «كل نفس عليها^١ حافظ» بالفعل، ومن سلب نقيضها وهو^٢ الدائمة [المطلقة-^٣] الذي هو «دائما ليس كل نفس عليها [حافظ-^٤]» ورفعه بأن يقال: ليس دائما ليس كل نفس عليها حافظ، [أى ليس دائما كل ٥ نفس ليس عليها حافظ، و^٥ ذلك على سبيل الحصر و قصر الموصوف على الصفة، معناه أن الموصوف لا يتعدى صفته التى قصر عليها، فأقل الأمور أن لا يتجاوزها إلى عدم الحفظ، وذلك معنى الدائمة المطلقة وهو الحكم بثبوت المحمول للوضوع ما دام ذات الموضوع موجودة، وهى على قراءة التخفيف مطلقة عامة أى حكم فيها بثبوت المحمول للوضوع بالفعل ١٠ وهو الجزء الاول مما^٦ انحلت إليه قراءة التشديد، ففهوم الآية فى قراءة التشديد أخص منه فى قراءة التخفيف، لأن كل دائم كان بالفعل، ولا ينعكس - هذا إذا نظرنا إلى نفس المفهوم من اللفظ مع قطع النظر^٧ عن الدلالة الخارجية، وأما بالنظر إلى نفس الأمر فالجهة الدوام فلا فرق، غير أنه دل عليها بالامط فى قراءة التشديد دون قراءة التخفيف - ١٥ والله تعالى أعلم .

و قال الإمام^٨ أبو جعفر ابن الزبير رحمه الله تعالى : لما قال الله

(١) تتكرر فى الأصل نقط (٢) من ظ وم، وفى الأصل : هى (م) زيد من ظ وم (٤) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفناها (هـ) من ظ وم، وفى الأصل : بما (٦) زيد فى الأصل وظ : الكلى ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفناها (٧) فى ظ وم : الأستاذ .

سبحانه تعالى في سورة البروج « والله على كل شيء شهيد » والله من ورائهم محيط ، و كان ' في ذلك '١' تعريف العباد بأنه سبحانه و تعالى ' لا يغيب عنه '٢' شيء و لا يفوته شيء و لا ينجونه '٣' هارب ، اردف ذلك بتفصيل يزيد ' اوضح ذلك ' التعريف الجملي من شهادته سبحانه و تعالى ه على كل شيء و إحاطته به * فقال تعالى « ان كل نفس لما عليها حافظ » فأعلم الله سبحانه و تعالى بخصوص كل نفس من يحفظ أنفاسها . ما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد ، اعلم العبد أنه ليس بهمل ولا مضيع ، و هو سبحانه و تعالى ' الغنى عن كتب الحفظه وإحصائهم '٤' و شهادة الشهود من الأعضاء و غيرهم ، وإنما كان ذلك لإظهار عدله ١٠ سبحانه و تعالى « ان الله لا يظلم مثقال ذرة » و لا أقل من المثقال ، ولكن هي سنته حتى لا يبقى لأحد حجة و لا تعلق ، و أقسم سبحانه و تعالى على ذلك تحقيقا و تأكيدا يناسب القصد المذكور - انتهى .

و لما كان التقدير : لأنه لا بد ' له '٥' من العرض على الخالق سبحانه و تعالى / لأن التوكيل بالإنسان لا يكون إلا لعرضه على الملك الديان صاحب ١٥ الأمر و البرهان ' و محاسبته له '٦' على ما كان ، كان التقدير : يحفظ أعمالها

/ ٧٢٣

(١-١) من م ، و في الأصل و ظ : ذلك (٢-٢) من ظ و م ، و في الأصل : لا يخفى عليه (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٤-٤) من ظ و م ، و في الأصل : أيضا كذلك (٥) من ظ و م ، و في الأصل : بكل شيء (٦) زيد في الأصل : هو ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م ، و في الأصل : بأنه (٨) سقط من م .

و يكتبها ليحاسبها الملك على ذلك ، فتسبب عنه قوله تعالى : ﴿ فلينظر ﴾
 أى بالبصيرة ﴿ الانسان ﴾ أى الآنس بنفسه الناظر فى عطفه إن كان يسلك
 فى ذلك ﴿ مم ﴾ أى من أى شئ ، و بنى للفعول العامل فى [من - ١]
 أمر بالنظر وهو قوله : ﴿ خلقه ﴾ إعلاما بأن الدال هو مطلق الخلق ،
 و تنبيهها على تعظيم الفاعل بأن العلم به غير محتاج إلى ذكره^٢ باللفظ لأنه ه
 لا يقدر على صنعة من صناعته^٣ غيره ، و أمر الإنسان بهذا النظر ليعلم
 بأمر مبدئه أمر معاده ، فان من قدر على الابتداء قدر على^٤ الإعادة قطعا ،
 فاذا صح عنده ذلك اجتهد فى أن لا يميل على حافظيه إلا ما يرضى الله
 تعالى يوم عرضه على الملك الديان^٥ ليسره وقت حسابه .

ولما نبه بالاستفهام على أن هذا أمر مهم جدا ينبغى لكل أحد ١٠
 أن يترك جميع مهماته و يتفرغ للنظر فيه فانه يكسبه السعادة الابدية
 الدائمة^٦ ، و كان الإنسان - مع كونه ضعيفا عاجزا - لا ينفك عن شاغل
 و مفتر ، فلا يكاد يصح له نظر ، تولى سبحانه و تعالى شرح ذلك عنه
 فأجاب الاستفهام بقوله : ﴿ خلق ﴾ أى^٧ الإنسان على أيسر وجه و أسهله
 بعد خلق آبيه آدم عليه الصلاة و السلام من تراب ، و أمه حواء عليها ١٥
 السلام من ضلعه^٨ ﴿ من ماء دافق لا ﴾ أى هو^٩ - لقوة دفع الطبيعة له -

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ذكر (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : صانعه (٤) سقط من ظ و م (٥) سقط من م (٦) من ظ ، وفى
 الأصل و م : ضلع (٧) زيد فى الأصل : دافق ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
 فخذناها .

كأنه يدفع بنفسه^١ فهو إسناد مجازي، والدفع لصاحبه، أو هو مثله لابن،
أي ذى دفع، والدفع صب فيه دفع، ولم يقل: مائين^٢ - إشارة إلى أنهما
يجتمعان في الرحم [و - ٢] يمتزجان أشد امتزاج بحيث يصيران
ماءاً واحداً.

و لما كان^٣ المراد به ماء الرجل وماء المرأة قال: ﴿يخرج﴾
و بعض باثبات الجار فأفهم الخروج عن مقره بقوله: ﴿من بين الصلب﴾
أي صلب الرجل وهو عظم مجتمع من عظام مفصلة أحكم ربطها غاية
الإحكام من لدن الكاهل إلى عجب الذنب ﴿و الترائب﴾ أي ترائب
المرأة، وهي عظام الصدر حيث تكون^٤ القلادة، وصوبه ابن جرير^٥،
١٠ أو ما ولى الترقوتين منه، أو ما بين الثديين والترقوتين [أو - ٤] أربع
أضلاع من يمين الصدر، وأربع من يسره^٦، أو اليدين والرجلان والعينان،
و على كل تقدير شهوتها من أمامها وشهوة الرجل فيما غاب عنه من
ورائه، ولو نزع الخافض لأفهم أن الماء يملأ^٧ البين المذكور ولم يفهم
أنه يخرج عن صاحبي البين، قال البيضاوي^٨: ولو صح أن النطفة تتولد

(١) من م، وفي الأصل و ظ: لنفسه (٢) زيد في الأصل و ظ: فيه،
و لم تكن الزيادة في م لحذفها (٣) زيد من م (٤) سقط من ظ و م (٥) زيد
في الأصل: الماء، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٦) في ظ و م: في
قوله (٧) من ظ و م، وفي الأصل: هو (٨) زيد في الأصل: محل وضع.
و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٩) راجع ٨٠ / ٣٠ (١٠) من ظ و م،
و في الأصل: يسراه (١١) راجع الأنوار ص: ٧٩٤.

من فضل الهضم [الرابع - ١] و تفصل عن جميع الأعضاء حتى تستمد
لأن يتولد منها مثل تلك الأعضاء، و مقرها^٢ عروق ملتف بعضها ببعض^٣
عند الآتين، / فلا شك أن الدماغ أعظم الأعضاء معونة في توليدها،
و لذلك تشبهه و يسرع^٤ الإفراط في الجماع^٥ بالضعف فيه و له خليفة و هو
النخاع و هو في الصلب، و شعب كثيرة نازلة إلى الترائب و هما أقرب
إلى أوعية المنى فذلك^٦ خصا بالذكر . و قال الملوى : فالذى أخرجه
من ظروف^٧ عظام الصلب و الترائب إلى أن صيره في محله من الآتين
إلى [أن - ٢] دفع و اعتنى بعد ذلك بنقله من خلق إلى خلق بعد كل
أربعين يوما إلى أن صيره إنسانا يعقل و يتكلم و يبني القصور، و يهدم^٨
الصخور، قادر على بهمه .

١٠

و لما علم بالحفظ و الخلق في الأطوار المشار إليها أنه خلق لأمر
عظيم و هو الحساب، و ثبت بالقدرة على ابتدائه من هذا الماء و بتطويره
في الحالات المشار إليها^٩ بذكر الماء، المعلومه لكل أحد القدرة على الإعادة
بلا فرق إلا كون الإعادة على ما نعرف أسهل، و كان العرب ينكرونها،
قال مؤكدا استئنافا لمن يقول : قد نظرت في ذلك فه : (انه) ١٥

(١) زيد من ظ (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : مقصرها (٣) من م ، وفي
الأصل و ظ : ببعض (٤ - ٥) من م ، وفي الأصل و ظ : افراط بالجماع .
(٥) من م ، وفي الأصل و ظ : ولذلك (٦) في ظ : حلتون (٧) زيد من ظ
و م (٨) زيد في الأصل : انقصو و ينحت ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
لحذفها (٩) زيد في ظ : بالتنبيه .

أى خالقه القادر على ما ذكر من شؤون المدلول على عظمه ببناء «خلق»
 للفعول (على رجمه) أى رجع الإنسان بالبعث و رده إلى حالته الأولى
 و خلقه الأول كما كان قبل الموت و على رد هذا الماء الدافق إلى مجاريه
 التى خرج منها و حله إلى المائية بعد انعقاده عظمها و لحما و دما (لقادره)
 ه أى لثابتة قدرته على ذلك أتم ثبات ، 'فن أيسر' ما يكون عنده سبحانه
 و تعالى [رده - ٢] بعد شيخوخته على عقبه بأن يجعله كهلا ثم شابا
 ثم طفلا ثم مضغة ثم علقه ثم نطفة ثم يدفعه إلى ذكر الرجل و رحم
 المرأة ثم إلى صلبه و ترائبها وهو أهون عليه ، و ذلك كقدرته على رده
 بالبعث ، و عبر به عنه ، و لم يقل : أن الله - مثلا لأنه أقعد لأنه يقال لكل
 ١٠ إنسان : من أخرجك على^٢ هذه الهيئة فصيرك^١ على هذه الصفة ؟ فإذا قال :
 القادر على كل شئ بقدرته الكاملة ، قيل له : و بتلك القدرة بعينها يعيدك ،
 و لو سمي له اسم غير الضمير لكان ربما قال : [ليس - ٢] هو خالق .
 و لما كان هذا يحرك السامع غاية التحريك لأن يقول : متى تكون
 رجمه له ؟ قال مجيبا له : (يوم تبلى) و بناء^٣ للفعول إشارة مع التنبيه
 ١٥ على السهولة إلى [أن - ١] من^٤ الأمر البين غاية البيان أن الذى يلوها^٥

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : فایسر (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ،
 و فى الأصل وظ : من (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ثم صيرك (٥) من ظ
 و م ، و فى الأصل : بنى هذا (٦) زيد فى الأصل وظ : بين ، و لم تكن الزيادة
 فى م لخذلتاها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يتلوها .

هو الذى يرجعها ، و هو الله سبحانه و تعالى من غير احتياج إلى ذكره^١
 ﴿ السرائر لا ﴾ أى كل ما انطوت عليه الصدور من العقائد والنيات ،
 و^٢ أخفته الجوارح من الإخلال^٣ بالوضوء و الغسل و نحو ذلك من
 جميع الجنائيات ، بأن تخالط السرائر فى ذلك اليوم ، و هو يوم القيامة ، من
 الأمور الهائلة ما يميلها^٤ فيحيلها عما هى عليه فتعود جهرا^٥ بعد أن كانت ه
 سرا / ، فيميز طيبها من خبيثها و يحازى عليه صاحبه .

٧٢٥ /

و لما كان المانع من جزائه عند^٦ إظهار^٧ سرائره إما هو نفسه
 أو أحد ينصره ، قال مسيبا^٨ عن إظهار ما يحتجده فى^٩ إخفائه : ﴿ فماله ﴾
 أى الإنسان الذى أخرجت سرائره ، و أعرق فى التعميم و النفي فقال :
 ﴿ من قوة ﴾ أى يمنع بها نفسه من الجزاء ﴿ و لا ناصره ﴾ أى ينصره ١٠
 فيمنعه من^{١١} نفوذ الحكم فيه . و ليس الدفع إلا بهذين الأمرين : قوة قائمة به
 أو قوة خارجة عنه .

و لما اشتملت هذه الجمل على وجازتها على الذروة العليا من البلاغة
 فى إثبات البعث و الجزاء و الوجدانية له سبحانه و تعالى إلى غير ذلك
 من بحور العلوم ، فثبت أن القرآن كلام الله سبحانه و تعالى ، فثبت ان ١٥

-
- (١) من م ، و فى الأصل و ظ : ذكر (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ثم .
 (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الاخلاط (٤) من ظ و م ، و فى الأصل :
 يجلبها (٥) زيد فى الأصل : و علانية ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
 (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٧) فظ : اظهاره (٨) من ظ و م ، و فى
 الأصل : مستانقا .

كل ما فيه حق مع منازعتهم^١ في ذلك [كله^٢]، اقتضى الحال الإقسام على حقيقته فقال: ﴿و السَّمَاءُ﴾ أى التى كان المطلع^٣ الإقسام بها و وصفها بما يؤكد العلم بالبعث الذى هو منبع العلوم والتقوى فعليه مدار السعادة فقال: ﴿ذات الرجوع لا﴾ التى ترجع بالدوران إلى الموضع الذى ابتدأت الدوران منه وترجع^٤ الأحوال التى كانت و تصرمت من الليل و النهار و الشمس و القمر و الكواكب و الفصول من الشتاء و ما فيه من برد و مطر، و الصيف و ما فيه من حر و صفاء و سكون^٥ و غير ذلك^٦ و النبات بعد تهشمه و صيرورته ترابا محتلا بتراب الأرض و ترجع الماء على قول من يقول: إن السحاب يأخذه من البحر و يعلو به فبمصره فى الهواء ثم يرده إلى الأرض - و غير ذلك من الأمور الدال^٧ كل منها قطعا على أن فاعل ذلك^٨ قادر على إعادة كل ما فى كذا كان من غير فرق أصلا .

ولما ذكر الأمر العلوى بادئا به اشرفه، اتبعه السفلى فقال تعالى: ﴿والارض﴾ أى مسكنكم الذى أتم ملاسوه و معانوه كل وقت و ملامسوه ﴿ذات الصدع لا﴾ أى التى تصدع و تنشق فيخرج منها النبات

١٥ (١) من ظ و م ، وفى الأصل : مسارعته (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : مطلع (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : و عليه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فيرجع (٦-٧) تكرر ما بين الرقبن فى الأصل فقط (٧) زيد فى الأصل : على ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨) زيد فى الأصل : قطعا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

والعيون بدما و إعادة دلالة ظاهرة على البعث ، فجمع بالقسم العالم العلوى الذى هو كالرجل والسفلى الذى هو كالمراة ، فكما أن الرجل يسقيها من مائه فتصعد [عن الولد ، فكذلك السماء تسقى الارض فتصعد - ١] عن النبات ، [و كما أنها تصعد عن النبات - ١] بعد فناءه و صيرورته رفاتا فيعود كما كان فكذلك تصعد عن الناس بعد فنائهم فيعودون كما كانوا باذن ربها^٢ من غير فرق أصلا .

و لما كانت هذه كلها براهين قاطعة و دلائل باهرة ساطعة على حقيقة القرآن و إتيانه بأعلى البيان ، فكان من المستبعد جدا طعنهم فى القرآن بعد هذا البيان^٣ ، قال تعالى منبها على ذلك بالتأكيد معبرا بالضمير إشارة لما مضى إلى أنه المحدث عنه الآن ، فهو الثابت فى جميع الأذهان لا غية ١٠ [له - ١] عن شيء منها أصلا (انه) أى القرآن الذى / أخبر بهذه الإخبارات التى هى فى غاية الوضوح و تقدم أنه مجيد و فى لوح محفوظ ، و أن الكفرة فى تكذيب به ، و لا سيما ما تضمن منه الإخبار بالبعث : (لقول فصل لا) أى جدا يراد به فصل الأمور ، و له من العراقة فى الفرق^٤ بين الحق و الباطل ما صار به يطلق عليه نفس الفصل ، ثم أكد ١٥ الأمر لشدة إنكارهم^٥ و جحدهم و تغطيتهم الحق بالباطل^٦ فقال : (و ما هو)

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الله تعالى (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : حقيقة (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : على (٦) - سقط من ظ و م (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : الفصل (٨ - ٨) - سقط ما بين الرقعتين من م .

أى القرآن^١ فى باطنه و [لا - ٢] ظاهره ﴿ بالهزل^٢ ﴾ اى بالضعيف^٣
المرذول الذى لا طائل تحته ، فمن حقه ما هو عليه آلان من كونه مهيبا
فى القلوب معظما فى الصدور يرتفع به قارته و سامعه عن أن [يلم - ٤]
بهزل و يعلو به فى أعين العامة^٥ و الخاصة .

٥ و لما كان ثبات هذا على هذا الوجه مقتضيا و لا بد رجوعهم عن
العناد ، [فكان ذلك محركا للسامع إلى تعرف ما كان من أمرهم ، استأنف
قوله دلالة على بقائهم على الإنكار و أكده تنبيها على أن بقاءهم
على العناد - ١] مع هذا مستبعد جدا ﴿ انهم ﴾ أى الكفار ﴿ يكيدون ﴾
أى بما يعملون فى أمره من الحيل^٦ ﴿ كيدا^٧ ﴾ فى إبطاله و إطفاء نوره
١٠ باثباتك أو^٨ إخراجك أو قتلك أو تنفير الناس عنك و الحال أنه لا قوة
لهم^٩ أصلا على ذلك^{١٠} و لا ناصر لهم^{١١} بوجه من الوجوه^{١٢} و سعى جزاؤه لهم
سبحانه كيدا مشاكلة ، و لأنه خفى عنهم و مكروه إليهم فهو على صورة الكيد
فقال : ﴿ و اكيد ﴾ اى أنا باتمام^{١٣} اقتدارى^{١٤} ﴿ كيدا^{١٥} ﴾ باستدراجى

(١) - سقط من م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بالضعف .
(٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : العالم (٦) زيد فى الأصل :
البغضاء البعداء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى
الأصل : الحيلة (٨) من م ، و فى الأصل وظ : و (٩-٩) - سقط ما بين الرقيين
من ظ و م (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : بتمام (١١) زيد فى الأصل :
و كيف و هو موجد القدرة لغيره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(١٢) زيد فى الأصل : اى يكون ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

لهم 'إلى توغلهم فيما يفضني' ليكمل ما يوجب^٢ أخذى لهم من حيث لا يشعرون .

ولما كان هذا معلما بأنهم عدم إلا اعتبار بهم ، قال مسيبا عنه تهديدا لهم ياله من تهديد^٣ ما أصعبه^٤ : (فهل) أى تمهيدا عظيما بالتدرج .
ولما كان في المكذبين في علم الله من يؤمن فليس مستحقا لإيقاع مثل هذا التهديد ، عبر بالوصف المقتضى للرسوخ فقال : (الكافرين) أى هـ
فلا تدع عليهم ولا تستعجل لهم بالإهلاك ، فانا لانعجل^٥ لأنه لا يعجل بالمعوبة إلا من يخاف الفوت ، حكى أن الحجاج كان سجنه من رخام و أرضه من رصاص ، فكان يتلون بتلون الأوقات ، فوقت الحر جهنم ، و وقت البرد زمهرير ، فربه يوما فاستغاثوا فطأطأ رأسه لهم و قال :
اخسؤا فيها و لا تكلمون ، فأخذت الأرض قوائم جواده فرفع طرفه إلى السماء ١٠
و قال : سبحانك لا يعجل بالمعوبة إلا من يخاف الفوت ، و انطلق من وقته ،
فان المجلة - [وهى -] إيقاع الشيء في غير وقته الأليق به - نقص فانه لا يعجل إلا من يكون [ما يفعل -] المستعجل عليه خارجا عن قبضته .
و لما كانت صيغة التفعيل ربما أفهمت التطويل ، أكد ذلك بمجرد الفعل دلالة على أن المراد بالأول إيقاع الإمهال مع أن زمنه قصير بالتدرج ١٥
ليطمئن المهمل بذلك^٦ و تصير له [به -] قوة عظيمة و درته ؟ و عزيمة

(١-١) من ظ و م ، و في الأصل : بتوغلهم في كل ما يقتضى (٢) من ظ و م ،
و في الأصل : بذلك (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م ، و زيد في
الأصل : قوله (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) زيد من ظ و م .
(٦) زيد في الأصل : وهذا ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧) من ظ
و م ، و في الأصل : به .

صادقة لأن ما يقولونه مما تشدكره / النفوس له ، فلا يقدر أحد على
 الإعراض عنه إلا بمعونة عظيمة : ﴿ امهلهم ﴾ أى بالإعراض عنهم مرة
 واحدة بعد التدرج [لما صار لك على حمله من القوة بالتدرج - ^١]
 الذى أمرت به سابقا ﴿ رويدا ﴾ أى إمهالا يسيرا فستكون عن قريب
 ٥ لهم أمور ، وأى أمور تشفى الصدور ، وهو تصغير دارواده تصغير
 ترخيم ، قال ابن برجان : وهى كلمة تعطى الرق ، وهذا الآخر هو المراد
 بما فى أولها من أن كلا منهم و من غيرهم محفوظ بحفظه مضبوطة أقواله
 وأفعاله و 'حركاته و سكناته' وأحواله ، فان ذلك مستلزم لأنه ^٢ فى القبضة ،
 فقد التقي الطرفان على أعظم [شأن بأين - ^١] برهان ، و وقع أول
 ١٠ هذا الوعيد يوم بدر ثم تولى فكاهم و تحقيرهم ^١ و إسفالهم إلى أن
 ذهب كثير منهم بالسيف و كثير منهم [بالموت - ^١] حتف الانق إلى
 النار ، وبقى الباقون فى الصغار إلى أن أعزم الله بجز الإسلام ، و صاروا
 من الأكابر الأعلام ^٢ ، تشريفا ^٣ و تكريما ^٤ و تعظيما ^٥ لهذا النبى الكريم ^٦
 عليه أفضل الصلاة و السلام ^٧ - و الله تعالى هو أعلم بالصواب ^٨ .

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) - قط ما بين الرقيين من ظ و م (٣) من م ، و فى
 الأصل و ظ : انه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : رجم و (٥) من ظ و م ،
 و فى الأصل : تول (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تحقير (٧) من ظ و م ،
 و فى الأصل : الأعيان (٨) زيد فى الأصل : على ربه ، ولم تكن زيادة فى ظ
 و م فخذناها .

سورة سبح^١ و تسمى الأعلى

قال الملوى : و كان النبی صلی الله علیه و سلم [یحجها - ١] لكثرة ما اشتملت علیه من العلوم والخیرات - مقصودها إيجاب^٢ التنزیه للأعلى^٣ سبحانه و تعالى عن أن یلحق ساحة^٤ عظمته شیء من^٥ شوائب النقص^٦ كاستعجال فی أمر من إهلاك الكافرين أو غیره أو العجز عن البعث أو إهمال الخلق ٥ سدى یبغى بعضهم على بعض بغير حساب ، أو أن یتكلم بما [لا - ٢] یطابق الواقع أو بما یقدر أحد أن یتكلم بمثله كما أدنت بذلك^٧ الطارق بجملا و شرحته هذه مفصلا ، و على ذلك دل كل من اسميها سبح و الأعلى ﴿ بسم الله ﴾ الذى له العلى كله فلا نقص یلحقه ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم جوده ، فكل^٨ موجود هو الذى أوجده و كل حیوان هو الذى ١٠ یریه و یرزقه ﴿ الرحیم ﴾ الذى [من - ٣] كان من حزبه فانه یلزمه الطاعة و یسرھا له^٩ و یوقفه^{١٠} .

- (١) السابعة و الثمانون من سور القرآن الکریم ، مکیة ، و عدد آياتھا ١٩ .
- (٢) زید من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فی الأصل : ایجاد (٤) من ظ و م ، و فی الأصل : للعلی الأعلى (٥) من ظ و م ، و فی الأصل : بساحة (٦ - ٦) من ظ و م ، و فی الأصل : الشوائب (٧) زید فی الأصل : سورة ، ولم تکن الزیادة فی ظ و م لحذفناھا (٨) من ظ و م ، و فی الأصل : بكل (٩) من ظ و م ، و فی الأصل : لها (١٠) من ظ و م ، و فی الأصل : یرفق یریه إثمی .

لما تضمن أمره سبحانه في آخر الطارق بالإمهال^١ النهى عن الاستعجال،
 الذى هو مزه عنه لكونه [نقصا-^٢]، وإشارته الهزل [عن القرآن-^٣]
 إلى أنهم^٤ و صموه بذلك و هو فى غاية البعد [عنه-^٥] إلى غير ذلك مما أشير
 إليه فيها ونزه نفسه الأقدس سبحانه [عنه-^٦]، أمراً كل خلقه رسوله
 المنزل عليه هذا القرآن صلى الله عليه وسلم بتنزيه اسمه لانه وحده العالم
 بذلك حق علمه، وإذا نزه^٧ اسمه عن أن يدعو به وثنا أو غيره
 أو يضعه فى غير ما يليق به، كان لذاته سبحانه أشد تنزيهاً، فقال^٨ مرغبا
 فى الذكر لاسيما بالتنزيه الذى هو نفي المستحيلات لأن التخلى قبل التحلى،
 شارحا لأصول الدين مقدما للالهيات التى هى النهايات^٩ من الذات ثم
 الصفات لاسيما / القيومية ثم الأفعال على النبوات، ثم أتبع ذلك النبوة
 ليعرف العبد ربه على ما هو عليه من الجلال والجمال، فيزول عنه داء
 الجهل الموقع فى التقليد، وداء الكبر الموقع فى إنكار الحقوق، فيعترف^{١٠}
 بالعبودية والربوبية، مثنيا عليه سبحانه بالجلال ثم الجمال فيعبده على
 ما يليق به من امتثال أمره واجتناب نهيه تعظيماً لقدره: ﴿سبح﴾
 ١٥ أى نزه وبرئ تنزيهاً وبرئة^{١١} عظيمنتين جداً قويتين شديديتين^{١٢}
 ﴿اسم ربك﴾ أى المحسن إليك بعد إيجادك على صفة الكمال بربيتك

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ، ولم تكن الزيادة فى م فخذناها (٢) زيد من
 ظ و م (٣) م ظ و م، وفى الأصل: انه (٤) من ظ و م، وفى الأصل:
 نزل (٥) من ظ و م، وفى الأصل: قال (٦) من ظ و م، وفى الأصل:
 البهات (٧) من ظ و م، وفى الأصل: معترف (٨-٨) فى ظ و م: عظيمة
 جداً جداً قوية شديدة.

على أحسن الخلال^١ حتى كنت في غاية^٢ الجلال والجمال^٣ .

ولما كان الإنسان محتاجا في أن تكون حياته طيبة ليتمكن مما يريد إلى ثلاثة أشياء : كبير ينتمى إليه ليكون له به رفعة ينفعه بها عند مهماته ، ويدفع عنه عند ضروراته ، ومقتدى يربط^٤ به نفسه عند ملهاته ، وطريقة مثلى ترتكبها^٥ . كما أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم « رضى الله رباه » وبمحمد صلى الله عليه وسلم نيا ورسولا وبالإسلام ديناه أرشده صلى الله عليه وسلم إلى أن الانقطاع إليه^٦ أعلى الجاه ، فقال واصفا لمن أمره بتسبيحه بإثبات ماله من الواجبات بعد نفي المستحيلات كما أشار إليه^٧ « سبحانك وبمحمدك » : ﴿ الأعلى ١ ﴾ [أى - ٢] الذى له وصف الأعلوية في

المكانة^٨ لا المكان على الإطلاق عن كل شائبة نقص^٩ وكل سوء من الإلحاد^{١٠} في شيء من أسمائه بالتأويلات الزائفة وإطلاقه على غيره مع زعم أنها فيه سواء ، وذكره^{١١} خاليا عن التعظيم وغير ذلك ليكون راسخا^{١٢} في التنزيه^{١٣} فيكون من أهل العرفان الذين يضيئون على الناس مع كونهم في الرسوخ كالآلات الشاحنة التى هى مع علوها لا تنزحزح ، وقد ذكر سبحانه

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : الحال (٢-٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الجمال والجلال (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : يربطه (٤) سقط من م (هـ) في ظ : يركبها (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : سبحانه وتعالى بقوه (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : المكاتب (٩) زيد في الأصل : عن ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفها (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : ذكرا . (١١-١٢) من ظ و م ، وفي الأصل : بالتنزيه .

هذا المعنى معبرا 'عنه بجميع' جهاته [الأربع -'] في ابتداء سور أربع
استيعابا لهذه الكلمة الحسنى الشريفة من جميع جهاتها، فابتداء^٢ سورة
الإسراء التي هي سورة الإحسان به، سيجن، المصدر الصالح لجميع معانيه إعلاما
بأن هذا المعنى ثابت له مطلقا غير مقيد بشيء من زمان أو غيره، ثم ثنى
بالماضى في أول الحديد والحشر والصف تصريحاً بوقوع ما أفهمه المصدر
في الماضى الذى يشمل أزل الأزال^١ إلى وقت الإنزال، ثم ثلث في أول
الجمعة والتغابن بالمضارع لأن يفهم مع ما أفهم المصدر و الماضى
دوام التجدد، فلما تم ذلك من جميع 'وجوهه توجه' الامر فخصت به
سورته، و قد مضى في أول الحديد والجمعة ما يتم هذا .

١٠ و لما كان الإبداع أدل ما يكون مع التنزه على الكمال لاسيما النور
الذى هو سبب الانكشاف والظهور، مع أنه تفصيل^٢ لقوله 'مم خلق'،
و هو أدل شيء على البعث المذكور في ' [يوم -'] تبلى السرائر، قال
ميننا للفاعل الذى أهمه لوضوحه في 'مم خلق' مرغبا في الفكر / في أفعاله
سبحانه و تعالى الذى هو السبب الأقرب للسعادة بالدلالة عليه بما له من
١٥ الجائزات بعد الترغيب في الذكر الذى هو المهي^٣ للفكر : (الذى خلق)

/ ٧٢٩

(١-١) من ظ و م، وفي الأصل : به عن جميع (٢) زيد من ظ و م (٣) من
ظ و م، وفي الأصل : في ابتداء (٤) من ظ و م، وفي الأصل : الازل (٥-٥) من
م، وفي الأصل : و ظ : اموره (٦) من م، وفي الأصل و ظ : انتزعه .
(٧) من ظ و م، وفي الأصل : لفصل .

أى أوجد من العدم أى له صفة الإيجاد لكل ما أرادته^١ لا يعسر عليه شيء
 ﴿فسوى﴾^٢ أى أرفع^٣ مع الإيجاد وعقبه التسوية فى كل خلق بأن جعل
 له ما يتأتى معه كماله و يتم معاشه ، و عدل بين الأمزجة الأربعة الماء
 والهواء والنار والتراب بعد أن قهرها على الجمع مع التضاد لثلا
 تنفاسد ، و ذلك بالعلم التام و القدرة الكاملة دلالة على تمام حكمته وفعله ه
 بالاختيار .

وقال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير : لما قال سبحانه و تعالى
 مخبرا^٤ عن عمه الكفار فى ظلام حيرتهم ” انهم يكيدون كيدا “ وكان وقوع
 ذلك من العيد المحاط بأعمالهم و دقائق أنفاسهم و أحوالهم من أقبج
 مرتكب و أبعد^٥ عن المعرفة بشيء من عظيم أمر الخالق جل جلاله ١٠
 و تعالى علاؤه و شأنه ، أتبع سبحانه ذلك بأمر نبيه صلى الله عليه وسلم
 بتنزيه ربه الأعلى عن شنيع اعتدائهم و افك افتراءهم ، فقال ” سبح
 اسم ربك الأعلى “ أى نزهه عن قبيح مقالهم ، و قدم التنبيه على التنزيه فى
 أمثال هذا و نظائره و وقوع ذلك أثناء السور [و - ٧] فيما بين
 سورة و أخرى ، و أتبع سبحانه و تعالى من التعريف بعظيم قدرته و على ١٥
 حكمته بما يبين ضلالهم فقال ” الذى خلق فسوى و الذى قدر فهدى “

(١) من ظ ، و فى الأصل و م : اراد (٢) زيد فى الأصل : التسوية ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مع (٤) من ظ و م ،
 و فى الأصل : مكبرا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عامة (٦) من ظ ، و فى
 الأصل و م : ابعد (٧) زيد من م .

قتبارك الله أحسن الخالقين ، و تنزه عما يتقوله ' المفترون - انتهى .

ولما كان جعل الأشياء على أقدار متفاوتة مع الهداية إلى ما وقع الخلق له على أوجه ' متفاضلة مع التساوى فى العناصر مما يلي التسوية ، وهو من خواص الملك الذى لا يكون إلا مع الكمال . أتبعه به بالواو ٥ دلالة على تمكن الأوصاف فقال : (والذى قدر) أى أوقع تقديره فى أجناس الأشياء وأنواعها ٢ وأشخاصها ٢ ومقاديرها و صفاتها وأفعالها وآجالها ، و غير ذلك من أحوالها ، فجعل البطش لليد والمشى للرجل والسمع للأذن والبصر للعين ونحو ذلك (فهدى ' م) أى أوقع بسبب تقديره وعقبه الهداية لذلك الذى وقع التقدير من أجله من الشكل ١٥ والجواهر والأعراض التى هيأ بها لما يليق به طبعاً أو اختياراً بخلق الميول والإلهامات ، و نصب الدلائل والآيات لدفع الشرور وجلب الخيور ، فترى الطفل أول ما يقع من البطن يفتح فاه للرضاعة ، وغيره من سائر الحيوانات يهتدى إلى ما ينفعه من سائر الانتفاعات ، فالخلق لا بد له من التسوية ليحصل الاعتدال ، والتقدير لا بد له من الهداية / ٧٣٠

١٥ ليحصل الكمال .

ولما كانت دلائل التوحيد تارة بالنفس وتارة بالآفاق ، ونبه بآيات النفس ، فلم يبق إلا آيات الآفاق ، و كان النبات من آياتها

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : يقوله (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اعلى وجه (٣ - ٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : الإلهامات - كذا .

أدل المخلوقات على البعث قال : ﴿ والذى أخرج ﴾ أى أوقع لإخراج
 ﴿ المرعى ميلا ﴾ بما أنزل من المعصرات فأنبت ما ترعاه الدواب من النجم
 وغيره بدأ وإعادة ، فدل ذلك على تمام قدرته لاسيما على البعث لانه
 سبحانه و تعالى أقدر على جمع الاموات من الارض بنفسه بعد أن
 تفتتوا من الماء على جمعه للنبات الذى كان تفتت فى الارض و صار هـ
 [ترابا و - ١] لإخراجه كما كان فى العام الماضى بأذنه سبحانه و تعالى و هو
 خلق من مخلوقاته .

ولما كان إيباسه و تسويده بعد اخضراره ' و نموه ' فى غاية الدلالة
 على تمام القدرة و كمال الاختيار بمعاينة الاضداد على الذات الواحدة
 قال تعالى : ﴿ فجعله ﴾ أى بعد اطوار من زمن إخراجه ﴿ غثاء ﴾ أى ١٠
 كثيرا ، ثم أنهاء فأيبسه و هشمه و مزقه فجمع السيل بعضه إلى بعض فجعله
 زبدا و هالكا و باليا و فنانا على [وجه - ١] الأرض ﴿ احوى هـ ﴾ أى
 فى غاية الرى حتى صار أسود يضرب إلى خضرة ، أو أحمر يضرب إلى
 سواد ، أو اشتدت خضرته فصارت تضرب إلى سواد ، و قال القزاز
 رحمه الله فى ديوانه : الحوة شية من شيات الخيل ، و هى بين الدهمة ١٥
 و الكمة ، و كثر هذا حتى سما كل أسود أحوى - انتهى . فيجوز أن
 يريد حينئذ أنه أسود من شدة ييبسه لحوته الرياح و جمعه من كل أوب
 (١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فهو (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : حوى .

حيث تفتت ، فكل من الكلمتين فيها حياة وموت ، و آخر الثانية لتحملها
لأن دلالتها على الخصرة آتم ، فلو قدمت لم تصرف إلى غيرها ، فدل جمعه
بين الاضداد على الذات الواحدة على كمال الاختيار ، و أما الطبائع
فليس لها من "التأثير الذى" أقامها سبحانه فيه إلا الإيجابي كالنار متى أصابت
ه شيئا أحرقته ، و لا تقدر بعد ذلك أن تنقله إلى صفة أخرى غير التى
أثرتها فيه ، و أشار بالبداية و النهاية إلى تذكر ذلك ، و أنه على سبيل
التكرار فى كل عام الدال على بعث الخلائق ، و خص المرعى لأنه أدل
على البعث لأنه إنما لا ينبته الناس ، و إذا انتهى تهشم و تفتت و صار ترابا ،
ثم يعيده سبحانه بالماء على ما كان عليه سواء [كما يفعل بالأموات سواء -^٤]
١٠ من غير فرق أصلا .

ولما استوفى سبحانه و تعالى وصف من أمره صلى الله عليه وسلم
بتسبيحه بما دل على أوصاف جماله و نعوت كبريائه و جلاله ، و شرح ما
له سبحانه من القدرة التامة على الإبداع و الهداية و التصرف فى الأرواح
الحسية و المعنوية بالنشر و الطى و القبض و البسط ، فدل على تمام أصول
١٥ / ٧٣١ الدين بالدلالة على وجوده * / سبحانه على^٦ سبيل التنزل^٧ من ذاته إلى صفاته
ثم إلى أفعاله فتم ما للخالق ، أتبعه ما للخلائق و بدأ^٨ بما لأشرف^٩

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ليحتملها (٢-٢) من م ، و فى الأصل و ظ :
التأثيرات التى (٣) فى ظ : الذى (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى
الأصل : وجود (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : الى (٧) من م ، و فى الأصل
و ظ : الشريك (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بأشرف .

خلقه المنزل عليه هذا الذكر تقديرا للنبوة التي بها تتم السعادة بالحقائق
الواصلة من الحق إلى عبده^١، التي بها يتم أمره من القوتين العلية ثم
العملية بقبول الرسالة بعد التوحيد، لأن حياة الإنسان لا يتم طيبها
إلا بمقتدى يقتدى به من أقواله وأفعاله وسائر أحواله، ولا مقتدى^٢
مثل المعصوم عن كل ميل الموجب ذلك الحب من كل ما يعرف حاله،^٣
والحب في الله أعظم دعائم الدين، فقال معللا للأمر بالتسبيح للوصوف
بالجلال والجمال دالا^٤ [على -^٥] أنه يحى ميت الأرواح بالعلم كما يحيى
ميت الأشباح بالأرواح (سنقرئك) أى نجعلك بمظمتنا بوعدا لا خلف
فيه على سبيل التكرار بالتجديد والاستمرار قارئاً، أى جامعاً لهذا الذكر
الذى هو حياة الأرواح بمنزلة حياة الأشباح، الذى تقدم أنه قول فصل،^٦
عالماً به كل علم، ناشراً له فى كل حى، فارقاً به [بين -^٧] كل ملتبس، وإن كنت
أمية لا تحسن الكتابة ولا القراءة، ولذلك سبب عنه قوله: (فلا تنسنى لا)
أى شيئاً منه ولا من غيره ليكون فى ذلك آيتان: كونك تقرأ وأنت أمة،
وكونك تنبئ عن المستقبل فيكون كما قلت فلا تحرك [به -^٨]
لسانك عند التنزيل لتعجل به ولا تتعب نفسك فإن علينا حفظه فى^٩
صدرك وإنطاق^{١٠} لسانك به .

ولما كان سبحانه وتعالى ينسخ من الشريعة ما يشاء بحسب المصالح
تحفيفاً^{١١} لما له بهذه الأمة من الرفق، قال لافتاً القول إلى سياق الغيبة

(١) فى ظ: العبد (٢) من م، وفى الأصل وظ: المقتدى (٣) من ظ، وفى
الأصل وم: دال (٤) زيد من م (٥) زيد من ظ وم (٦) من ظ، وفى
الأصل: ان طال، وفى م: انطال (٧) من ظ وم، وفى الأصل: تحقيقاً .

إعلاماً بأن ذكر 'الجلالة أعظم من التصريح بأداة العظمة: (إلا ما شاء الله)'
 أى الملك الأعظم الذى له الأمر كله، أن تنساه لأنه نسخه، أو لنظهر
 عظمته فى أن أعظم الخلق يقبله القرآن لأنه صفة الله فنسى الآية
 أو الكلمة ثم تذكرها تارة بتذكير أحد من آحاد أمتك و تارة
 ٥ بغير ذلك .

و لما كان الفاعل لهذه^٢ الأمور كلها لاسيما الإقراء والحكم على
 ما يقرأ^٣ بأنه لا ينسى إلا ما شاء منه إلا يكون لا يحيط العلم، قال
 تعالى مصرحاً بذلك مؤكداً لاجل إنكار أهل القصور فى النظر لمثله^٤
 جارياً على أسلوب الغيبة معبراً بالضمير إشارة الى تعالىه فى العظمة إلى
 ١٠ حيث تنقطع أمانى الخلق عن إدراكه بما كثر من أفعاله^٥: (أنه)
 أى الذى مهما شاء كان^٦ "أما قولنا لشيء إذا اردناه ان نقول له كن
 فيكون"^٦.

ولما كان المراد بيان إحاطة علمه سبحانه وتعالى، وأن نسبة الجلى
 والحقى من جهره بالقرآن وتريده على قلبه سرا وغير ذلك إليه على
 ١٥ حد سواء^٧، وكان السياق للجلى، ذكرهما مصرحاً بكل منهما^٨ مقدماً الجلى^٩
 (١) من ظ و م، وفى الأصل: ذلك (٢) من م، وفى الأصل وظ: بهذه .
 (٣) من ظ و م، وفى الأصل: تقرأها (٤) من ظ و م، وفى الأصل: بمثله .
 (٥) من ظ و م، وفى الأصل: احفال (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ و م .
 (٧) زيد فى الأصل: لا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٨-٨) فى ظ
 و م: وتقدم الجلى .

لأن هذا^١ مقامه ، و ذكره بوصفه معبرا عنه بالاسم الدال على إحاطة علمه به فقال : / ﴿ يعلم الجهر ﴾ أى ثابت له هذا الوصف على سبيل التجدد والاستمرار فى الإقراء و القراءة و غيرها . و لما ذكره باسمه ليدل [على -^٢] أنه يعلمه مطلقا لا بقيد كونه جهرا ، قال مصرحا بذلك : ﴿ وما يخفى^٣ ﴾ أى يتجدد خفاؤه من القراءة و غيرها^٤ على أى حالة كان ه الإخفاء ، فيدل على علمه به إذا جهر به بطريق الأولى .

و لما ذكر الإلهيات و النبوة و أشير إلى النسخ ، أشار إلى أن الدين المشروع له هو الخفيفة السمحة ، وأنه سبحانه و تعالى لا يقيم في شيء بنسخ أو غيره إلا كان هو الأيسر [له -^٥] و الأرفق ، لأن الرفق و العنف يتغيران بحسب الزمان ، فقال مينا للقوة العملية أثر بيانه للعلمية^٦ : ﴿ ونيسرك ﴾ ١٠ أى نجعلك أنت مهيا مسهلا [ملينا -^٧] موقفا ﴿ لليسرى ﴾ أى فى حفظ الوحي و تدبره^٨ و غير ذلك من الطرائق^٩ و الحالات كلها التى هى لينة سهلة خفيفة^{١٠} - كما أشار إليه قوله " كل ميسر لما خلق له " ولهذا لم يقل : ونيسر لك ، لأنه هو مطبوع على حبها .

و لما كمله صلى الله عليه و سلم و هياه سبحانه و تعالى للآيسر ١٥ و يسره غاية التيسير ، سبب عنه وجوب التذكير لكل احد فى كل حالة

(١) زيد فى الأصل : هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من م .
(٣) من م ، وفى الأصل وظ : غيره (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل : فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) فى ظ : تدبره (٧) فى ظ : الطريق (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : خفيفة .

تكميلاً لغيره شفقة على خلق الله بعد^١ لما له في نفسه فان الله ساعات
 [له -^١] فيها نفحات تقضى فيها الحاجات، وذلك لانه قد^٢ صار كالطبيب
 الحاذق في علاج المرضى فيقوم بنفع عباده لشكره [بعد -^١] ذكره
 باذن منه إشارة إلى [أن -^١] التلميد يحتاج إلى اذن المشايخ وتزكيتهم،
 هـ [وإلى -^١] أن أعظم الادواء أن يقتصر الإنسان على ما عنده ولا يطلب
 الازدياد بما ليس عنده من خير الزاد فقال تعالى: ﴿فذكر﴾ أى بهذا
 الذكر الحكيم، وعبر بأداة الشك إيهاماً للاطلاق الكلى فقال:
 ﴿ان نفعت الذكرى﴾ أى إن جوزت نفعها وترجيته [ولو كان -^٢]
 على وجه ضعيف - بما أشار إليه تأنيث الفعل بعد ما أفادته أداة الشك،
 ١٠ ولا شك أن الإنسان لعدم علمه^٣ الغيب لا يقطع بعدم نفع أحد بل
 لا يزال على رجاء منه وإن استبعده، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
 لا يزال يدعو إلى الله تعالى وإن اشتد الأمر، ولا يحقر أحداً أن يدعو
 ولا يئس من أحد وإن اشتد عليه،^٤ والأمر بالإعراض عن^٥ وتولى ونحو ذلك
 [إبما هو بالإعراض عن الحزن عليه ومن تقطيع النفس لأجله حسرات ويُنحو
 ذلك -^٢] .

١٥ ولما أمره بالتذكير لكل^٦ أحد، قسم الناس له إلى قسمين: قسم يقبل
 العلاج^٦، وقسم لا يقبله، إعلاما بأنه سبحانه وتعالى عالم بكل من القسمين

(١) زيد من ظ و م (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ،
 وفي الأصل: لعلمه (٥) من م ، وفي الأصل و ظ : بكل (٦) من م ، وفي
 الأصل و ظ : الصلاح .

جملة و افرادا على التعيين ولم يزل عالما بذلك ، ولكنه لم يعين ابتلاء
منه لعباده لتقوم له الحجة عليهم بما يتعارفونه بينهم وله الحجة البالغة ،
فقال حاثا على شكر الجوامح [من] العقل ونحوه والجوارح من القلب واللسان
وغيرهما : ﴿ سيذكر ﴾ أى بوعده لا خلف فيه ولو على أخفى / وجوه ٧٣٣ /
التذكر - بما أشار إليه الإدغام ﴿ من يخشى ١ ﴾ أى فى جلته ٢ نوع خشية ، ه
وهو السعيد لما قدر له فى نفسه من السعادة العظمى لقبول الخيفة السمحة
فيذكر ما يعلم منها فى نفسه فيتعظ ، فان الخشية [حاملة - ٢] على
كل خير فيتنعم بقلبه وقالبه فى الجنة العليا ويحيى فيها ' حياة طيبة ' من
غير سقم ولا توى ، دائما بلا آخر وانتهى .

ولما ذكر من يحب حبه فى الله ذكر من يفيض فى الله ، وعلامة ١٠
الحب الاقتداء ، وعلامة البغض التجنب والانتهاى والابتداع والإباء ،
فقال : ﴿ ويتجنبها ﴾ أى يكلف نفسه وفطرته ٣ الأولى المستقيمة
تجنب ٤ الذكرى التى نشاء تذكيره بها من أشرف الخلائق وأعظمهم وصلة
بالخالق . ولما كان هذا الذى يعالج نفسه على العوج ٥ شديد العتو
قال : ﴿ الاشقى ٦ ﴾ أى الذى له هذا الوصف على الإطلاق لأنه خالف ١٥
أشرف الرسل فهو لا يخشى فكان أشقى الناس ، كما أن من آمن به

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : وجه (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : جملة .
(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٥) من ظ و م ،
وفى الأصل : فكرته (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بلجنب (٧) من ظ و م ،
وفى الأصل : المجوع .

أشرف ممن آمن بمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام .
 و لما ذكر وصفه الذى أوجب له العمل ' السى ' ، ذكر ' جزاءه
 فقال : (الذى يصلى) أى يباشر مباشرة^٢ الغموس [بقلبه -^٢] وقاله
 مقاسيا (النار الكبرى) [أى -^٢] التى هى أعظم الطبقات وهى
 ه السفلى لانه^٢ ليس فى طبعه أن يخشى ، بل هو كالجلود الأقسى لانه
 جاهل مقلد أو متكبر معاند ، أو المراد نار الأخرى فانها^٢ أعظم من نار
 البرزخ و أعظم من نار الدنيا بسبعين جزءا ، فلهذا استحقت أن تتصف
 بأفضل التفضيل على الإطلاق ، والآية من الاحتباك : ذكر الثمرة^١ فى
 الاول^١ وهى الخشية دليلا على حذف ضدها من الثانى ، وهى القسوة الناشئة
 ١٠ على الحكم بالشقاوة ، و ذكر الأصل والسبب فى الثانى وهو الشقاوة دليلا
 على حذف ضده فى الاول وهو ' السعادة ' ، فالإسعاد سبب و الخشية
 ثمرة ، والإشقاء سبب و القساوة ثمرة و مسبب ، وكذا ما نبعه من النار
 و ما نشأ عنها ، و سر ذلك [أنه -^٢] ذكر مبدأ السعادة أولا حشا
 عليه ، و مآل الشقاوة ثانيا تحذيرا منه ، قال الملوى : ولا شك أن القرآن
 ١٥ العظيم على أحسن ما يكون من البراعة فى التركيب و بداعة الترتيب

(١) من ظ و م . وفى الأصل : المبين ذكره (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 يباشره (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل وظ : انذى ، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و م لحذفناها (٥-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فهو (٦) من ظ و م ،
 وفى الأصل : و « (٧) من م ، وفى الأصل وظ : فاته (٨-٨) سقط ما بين
 الرقمين من م (٩-٩) من ظ و م ، وفى الأصل : اولا (١٠) من ظ و م ، وفى
 الأصل : هى (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : فالسعادة .

و كثرة العلوم مع الاختصار وعدم التكرار، فيكتفى في موضع بالثمرة
 بلا سبب و في آخر^١ بالسبب بلا ثمرة لدلالة الأول على الثاني و الثاني
 على الأول، فيضم السبب إلى الثمرة و الثمرة إلى السبب كما يطلق القضاء
 و^٢ يكتفى به عن القدر، و يطلق القدر و يكتفى به عن القضاء، و كذلك^٣
 يذكر الحكم و يتركان فيدل عليهما فتذكر^٤ الثلاثة، و يظهر بمثال و هو ه
 أن من أراد إقامة دولاب يهندس أولا موضع البئر بسهمه و ترسه و مداره
 / و حوضه الذي يصب فيه الماء و جداوله التي ينساق منها، فهذا هندسة
 و تدبير و حكم و إرادة، فإذا صنع ذلك و أمته سمى قضاء و إيجادا و تأثيرا،
 فإذا ركب على الجبال قواديس تحمل مقدارا من الماء معيناً إذا نزلت
 إلى الماء أخذته، و إذا صعدت فاتته^٥ و أرادت الهبوط فرغته^٦ فتصرف^٧ ١٠
 الماء من جداوله^٨ إلى ما صنع له كان ذلك قدرا فهو النهاية، فتى ذكر
 واحد من الثلاثة: الحكم و القضاء و القدر، دل على الآخر.

ولما كان ما هذا شأنه يهلك على ما جرت به العادة في أسرع
 وقت، فإذا كان من شأنه مع هذا العظم أنه لا يهلك كان ذلك دليلا
 واضحاً على أنه لا يعلم كنه عظمة مقدره^٩ إلا هو سبحانه و تعالى فأشار^{١٠}
 إلى ذلك بالتعبير بأداة التراخي إعلاما بأن مراتب هذه الشدة في التردد

- (١) من م، و في الأصل و ظ: الآخر (٢) من ظ و م، و في الأصل: ثم.
 (٣) من ظ و م، و في الأصل: لذلك (٤) من ظ و م، و في الأصل: مذكر.
 (٥) من ظ و م، و في الأصل: لو اتهمت (٦) من م، و في الأصل و ظ:
 فرغته (٧) في ظ: مداركه (٨) من ظ و م، و في الأصل: مقدراه.

بين^١ الموت و الحياة لا يعلم علوها عن شدة الصلى إلا الله تعالى فقال :
 (ثم لا يموت فيها^٢) أى لا يتجدد له فى هذه النار موت و إن طال
 المدى . و لما كان من يدخل النار فلا تؤثر فى موته قد يكون ذلك إكراما
 له من باب خرق العوائد، احترز عنه بقوله : (ولا يحيي^٣ه) أى حياة
 ه تنفعه لأنه ما تركى فلا صدق و لا صلى .

و لما ثبت بهذا أن لهذا هذا الشقاء الأعظم، فكان التقدير : لأنه
 لم يترك نفسه لأنه [ما -^٢] كان مطبوعا على الخشية، أتعج و لا بد قوله
 تعالى دالا على الدين التكليفى و هو اجتناب و اجتلاب، فجمع الاجتناب
 و الاجتلاب بالتركية بالتبيل بالأبواب و الملازمة للاعتاب بامتنال
 ١٠ الأمر و اجتناب النهى بالمجاهدات المقربات^٤ إليه سبحانه و تعالى، المنجيات
 بعد ما حذر من المهلكات، للسارعة فى محابه و مرضيه اجتماعا^٥ على العبادة
 الموصلة للخالق بعد حصول الكمال و التكميل فانه لا بد فى الحياة الطيبة
 بعد الانتماء إلى ذى الجاه العريض^٦ و الاقتراف بمن لا يزىغ من الارتباط
 بطريقة مثلى^٧ يحصل بها الاغتراف^٨ ليصل بها إلى المقصود و يعمر أوقاته
 ١٥ بوظائفها لئلا يحصل له خلل و لا ضياع لنفائس الأوقات و لا غفلة

(٢) من ظ و م، وفى الأصل : من (٢) وقع فى الأصل قبل « ولا يحيي »
 و الترتيب من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ و م : اقربات .
 (٥) من ظ و م، وفى الأصل : اجتماع (٦) من ظ و م، وفى الأصل :
 انعرض (٧) من ظ و م، وفى الأصل : مثل (٨) من ظ و م، وفى
 الأصل : الاحتياط .

يستهو به بها قطاع الطريق : (قد افلح) أى فاز بكل مراد (من زئى)
 أى أعمل نفسه فى تطهيرها من فاسد الاعتقادات و الأخلاق و الأقوال
 و الأفعال و الأموال و تنمية أعمالها القلبية و القلبية و صدقة أموالها ،
 و ذلك هو التسبيح الذى [أمر - ١] به أول السورة و ما تأثر عنه ، من عمل
 هذا فهو الأسعد .
 ٥

و لما كان أعظم الأعمال المزيكة الذكر و الصلاة قال تعالى :
 (و ذكر) أى بالقلب و اللسان ذكر و ذكر - بالكسر و الضم (اسم ربه)
 أى صفات المحسن إليه فانه إذا ذكر الصفة / سر بها فأفاض باطنه على
 ظاهره ذكر اللفظ الدال عليها ، و إذا ذكر ذلك اللفظ و هو الاسم الدال
 عليها انطبع فى قلبه ذكر المسمى (فضلى) أى الصلاة الشرعية لأنها أعظم
 الذكر ، فهي أعظم عبادات البدن كما أن الزكاة أعظم عبادات المال ،
 و من فعل ذلك استراح من داء الإعجاب و ما يتبعه من النقائص الموجبة
 لسوء الانقلاب ، و كان متخلقا بما ذكر من أخلاق الله فى أول السورة
 من التخلّى عن النقائص بالتركية^٢ ، و التحلى بالكلمات بالذكر و الصلاة
 لأنه لعظمته لا يتأهل لذكره إلا من واطب إلى [ذكر - ١] اسمه فلا ١٥
 يشقى فلا يصلى النار الكبرى بوعده لاخلف فيه^٣ - فالآية^٤ من الاحتباك فى

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الأموال (م) زيد فى الأصل :
 و التجلى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) زيد فى الأصل : والله اعلم ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : و الآية .

الاحتباك: ذكر أولا الصلي دليلا على حذف^١ ضده ثانيا، وثانيا التزكية
 دليلا على حذف ضدهما أولا، وقد تكفل ذكر التزكية والذكر.
 والصلاة من أسباب التداوى^٢ بالإعتناء ثم الأشرية ثم الأغلبية،
 والآية صالحة لإرادة زكاة الفطر وتكبيرات العيد وصلاته وإن
 ه كانت السورة مكية وفرض الصيام بالمدينة، لأن العبرة بعموم اللفظ
 لإحاطة علمه سبحانه وتعالى بالماضي والحال^٣ والاستقبال على حد
 سواء؛ قال الرازي في اللوامع: وتقدم زكاة الفطر على صلاة العيد،
 وكان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يقول: رحم الله امرءا تصدق
 ثم صلى - ثم يقرأ هذه الآية، وإن كانت السورة مكية، فانه يجوز أن
 ١٠ يكون النزول سابقا على الحكم كما قال تعالى: وأنت حل بهذا البلد -
 والسورة مكية، وظهر أثر الحل يوم الفتح - انتهى، وأخذه^٤ من
 البغوى، وزاد البغوى^٥ أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يأمر ناضلا
 رضى الله عنه بنحو ما قال ابن مسعود رضى الله عنه، ويقول: إنما
 نزلت هذه الآية في هذا. وروى البزار^٦ عن عوف بن مالك الأشجعي
 ١٥ رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بزكاة
 الفطر قبل أن يصلى صلاة العيد ويتلو^٧ هذه الآية، وفي السند كثير بن

(١) من ظ وم، وفي الأصل: حفظ (٢) زيد في الأصل: وهو، ولم تكن
 الزيادة في ظ وم فحذفها (٣) من ظ وم، وفي الأصل: وال كذا (٤) من ظ وم،
 وفي الأصل: اخذ (٥) راجع المعالم ١٩٦ / ٧ (٦) راجع التروائد ١٣٦ / ٧ -
 (٧) من م، وفي الأصل وظ: يتلو.

عبد الله - حسن له الترمذى وضعفه غيره - ' والله أعلم ' .

ولما كان التقدير: و انتم لا تفعلون^٢ ذلك ، أو [و -^٣] هم لا يفعلونه
- على القراءتين ، عطف عليه قوله بالخطاب فى قراءة الجماعة على الالتفات

الدال على تناهى [الغضب -^٣] ، مبناها على المعاملات بسبب التداوى الرابع^٤
وهو الاستفراغ بنى الرذائل و الخباث بالذم على ما ينبغى البراءة منه ه

والحث على ما يتعين تحصيله تحصيلًا لحسن الرعاية: (بل تؤثرن) أى
تختارون و تختصون^٦ بذلك على وجه الاستعداد ، أيها الأشقياء ، وبالغيب
على الأصل عند أبى عمرو (الحياة الدنيا ^٧ على أى الدنيا بالفناء الحاضرة ،
مع أنها [شرو -^٢] فانية ، اشتغالًا بها لأجل حضورها كالحیوانات

/ التى هى مقيدة بالمحسوسات ، فاستغرق اشتغالكم بها اوقاتكم و منعكم عن ذكر ١٠ / ٧٣٦

[اسم -^٢] الله المنهى إلى ذكر الله و المهيى له ، و عن تزكية نفوسكم ،
فأوقفكم ذلك فى داء القبب و هو البطن ، و الدبدب و هو الفرج ،
و حب المال المؤدى إلى شر الأعمال ، و تتركون الآخرة (و^٥ الآخرة)
[أى -^٨] و الحال أن الدار التى هى غاية الخلق و مقصود الأمر ، العالية^٩

(١-١) -قط ما بين الرقين من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لا تفعلون .

(٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ : الابع - كذا (٥) زيد فى الأصل و ظ :

انتهى قال ، و لم تكن الزيادة فى م لحذفها (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل :

يجاورون و يخفون - كذا (٧) ليست الواو فى الأصل فقط (٨) زيد من م .

(٩) تكرر فى الأصل فقط .

المبرئة عن العتب، المنزهة^١ عن الخروج عن الحكمة (خير) أى [من-^٢]
 الدنيا على تقدير التسليم لأن فيها خيرا لأن نعيمها خالص لا كدر فيه
 بوجه (وأتق^٣) أى منها على تقدير المحال فى الدنيا من أن تماريها
 إلى وقت زوالها تسمى بقاء، لأن نعيم الآخرة دائم لا انقطاع له أصلا،
 هـ و ما كان [باقيا -^٢] لا يعادل بما يقنى بوجه من الوجوه، فمن علم
 ذلك - وهو أمر لا يخجل - اشتغل بما يحصل الآخرة و يقنى الدنيا بقسميها
 من الأعيان الحسية والشهوات المغنوية من^٤ الرعونات النفسانية^٥ والمستلذات
 الوهمية، والآية من الاحتباك: ذكر الإيثار والدنو أولا^٦ يدل على^٧
 الترك والعلو ثانيا، وذكر الخير والبقاء ثانيا يدل على ضدتهما أولا، وسر
 ١٠ ذلك أنه لا يؤثر الدنو إلا ذنوه فذكره أولا لأنه أشد فى التنفير، وذكر
 الخير والبقاء ثانيا لأنه أشد فى الترغيب.

ولما كانت هذه النتيجة - اتى هى الفلاح بالتركية وما تبعها - خالصة
 الكتب المنزلة التى بها تدبير^١ البقاء الأول، وصفها ترغيبا فيها بوصف
 جمع القدم المستلزم للصحة بتوارد^٢ الأفكار على تعاقب الأعصار، لأن
 ١٥ ما مضت عليه السنون ومرت على قبوله الدهور تكون النفس أقبل
 للادغان [له-^٢] وأدعى إلى إلزامه، وأفاد مع القدم أن المنزل عليه صلى الله
 عليه وسلم ليس بدعا من الرسل عليهم الصلاة والسلام بل هو على

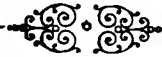
(١) من ظ، وفى الأصل و م: المنزه (٢) زيد من م (٣) زيد من ظ و م.
 (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: الرغافات النفسية (ه-ه) من ظ و م،
 وفى الأصل: بدلا عن (٦) من ظ و م، وفى الأصل: قدير - كذا (٧) من م،
 وفى الأصل و ظ: التوارد.

منهاجهم، فرد رسالته من بينهم لا يقول به منصف لاسيما وقد زاد عليهم في المعجزات و [سائر - ١] الكرامات بقوله مؤكدا لأجل من يكذب : (ان هذا) أى الوعظ العظيم بالتسبيح الذى ذكر فى هذه السور^٢ وما تأثر عنه من التزكية بالذكر الموجب للصلاة والإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة، لأنه جامع لكل خير، وهو ثابت فى كل^٣ شريعة لأنه المقصود^٥ بالحكم^٤ فهو لا يقبل النسخ (لأنى الصحف الاولى^٦) فمن تبع هذا القرآن الذى هو فى هذه الصحف الربانية فقد تحلى من زينة اللسان بما^٧ ينقله من البيان الذى هو فى غاية التحرير وعظم الشأن وما يعلمه من المغنيات بما يكون أو كان، ونسيه أهل هذه الأزمان، فاستراح من ضلال الشعراء والكهان، الموقعين فى الإثم والعدوان، فان القرآن جمع المديح / الفائق^٨ ١٠ / ٧٣٧ والفسبى الرقيق فى وصف الحور والرحيق والفخر الحماسى والهجاء البليغ لأعداء الله، والترغيب الجاذب للقلوب والترهيب الزاجر والملح الخبيرة والحدود الشرعية - إلى غير ذلك من أمور لا تصل إليها الشعراء، ولا ينتهى إلى أدنى جنباتها بلاغات البلغاء .

ولما كان ذلك^٩ عاما خص من بينه تعظيما لقدرة هذه الموعظة ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، وفى الأصل و ظ : السورة (٣-٢) من ظ و م، وفى الأصل : بكل (٤) من ظ و م، وفى الأصل : فى الحكم (٥) زيد فى الأصل : يقبله و، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م، وفى الأصل : يسه (٧) من ظ و م، وفى الأصل : السابق (٨) زيد فى الأصل لذلك، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

أعظم الأنبياء الأقدمين ، فقال مبدلاً مشيراً إلى الاستدلال بالتجربة :
 ﴿صحف إبراهيم﴾ قدمه لأن صحفه أقرب إلى الوعظ كما نطق به حديث
 أبي ذر رضى الله تعالى عنه ﴿وموسى﴾ ختم به لأن الغالب على كتابه
 الأحكام ، والمواظظ فيه قليلة ، ومنها^٢ الزواجر البليغة كاللعن لمن خالف
 ٥ أوامر التوراة التى أعظمها البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والإخبار
 بأنهم^٣ يخالفونها كما [هو -^٤] مذكور فى أواخرها مع أن ذكر النبيين
 عليها الصلاة والسلام على الأصل فى ترتيب الوجود والافضلية ، وقد
 جث آخرها على التزكى^٥ وهو التطهر^٦ من الأدناس الذى هو معنى التزوم
 والتخلق بأخلاق الله بحسب الطاقة ، وكان فى إتيانه والتذكير به
 ١٠ إعلام بأن الله تعالى لم يهمل الخلق من^٧ البيان [بعد أن خلقهم -^٨]
 لأنه لم يخلقهم سدى ، لأن ذلك من العبث^٩ الذى هو من أكبر النقائص
 [وهو سبحانه منزّه عن جميع شوائب النقص -^٩] - فقد رجع آخرها
 على أولها ، وكان تنزيه الرب سبحانه وتعالى وتنزيه النفس أيضاً غاية
 معولها^{١٠} - والله الموفق للضواب ، "وإليه المرجع والمآب".



- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : فى (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فيها .
 (٣) زيد فى الأصل : كانوا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) زيد
 من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الذكر (٦) من ظ و م ، وفى
 الأصل : التطهير (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : عن (٨) من ظ و م ، وفى
 الأصل : التعت (٩) فى ظ : مقولها (١٠-١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الحادى والعشرين من تفسير
”نظم الدرر فى تناسب الآى والسور“ للشيخ العلامة برهان الدين
أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى يوم الاثنين
٣ / جمادى الأولى سنة ١٤٠٤ هـ = ٦ / فبراير سنة ١٩٨٤ م، تحت
إشراف مدير الدائرة وسكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين
أحمد - قاضى المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره .
و تولى مهمة تصحيحه والتعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل
محمد عمران الأعظمى الأنصارى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس)
وقام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى محمد عطاء الله
التقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .
و اهتم بتنقيحه وإنهائه خادم العلم والعلماء مقدم هذه الخاتمة -
كان الله له ولوالديه .

و يتلوه الجزء النهائى مستهلا بسورة الفاشية .
و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه
و يرضاه، وهو المسئول لحسن الخاتمة، و نصلى و نسلم على من علم فوائده الخير
و خواتمه سيدنا و مولانا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية